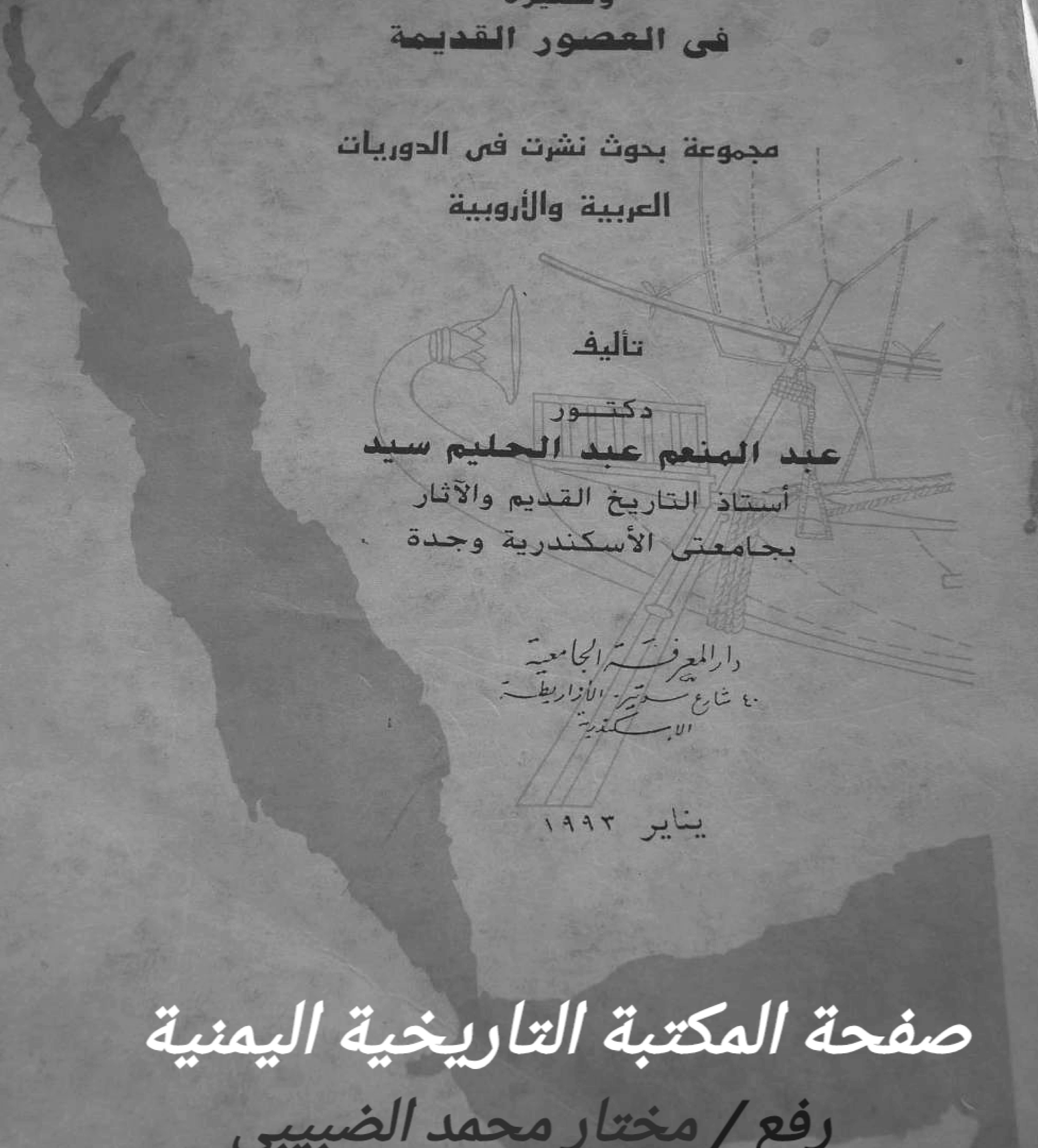
البحـــــر الأحمـــــر
وظهيره
فى العصور القديمة

مجموعة بحوث نشرت فى الدوريات
العربية والأوروبية



تأليف

دكتــــور
عبد المنعم عبد الحليم سيد
أستاذ التاريخ القديم والآثار
بجامعتى الأسكندرية وجدة

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة
الاسكندرية

يناير ١٩٩٣

البحر الأحمر
وظهيره
فى العصور القديمة

مجموعة بحوث نشرت فى الدوريات

العربية والأروبية

تأليف

دكتور

عبد المنعم عبد الحليم سيد

أستاذ التاريخ القديم والآثار

بجامعتى الأسكندرية وجدة

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير الأزاريطة
الاسكندرية

يناير ١٩٩٣

الإهــداء

إلــى مصر المعطــاة
أقدم هذه البحــوث
فى عطائها الحضارى

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

صفحة

الإهـــــــداء .... أ

مقدمة بقلم الأستاذ الدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية الأسبق .... هـ

مقدمة وتنويه بقلم المؤلف .... ح

مقدمة جغرافية

جغرافية البحر الأحمر الطبيعية والبشرية وأثرها فى تشكيل نوع الصلات الحضارية بين شعوب هذا البحر................ ٢

القسم الأول

رقم البحث

ملخصات رسالتى الماجستير والدكتوراة

(١) ملخص رسالة الماجستير «دراسة لعلاقات مصر القديمة ببلاد بونت ونشاطها فى البحر الأحمر» ١٥

(٢) ملخص رسالة الدكتوراة «دراسة تاريخية للصلات والمؤثرات الحضارية بين حضارة مصر الفرعونية وحضارات البحر الأحمر» ٢٣

القسم الثانى

البحوث التى تناولت تاريخ وآثار الجانب الأفريقى للبحر الأحمر

(٣) محاولة لتحديد موقع بونت ٣٩

(٤) الكشف عن موقع ميناء الأسرة الثانية عشرة الفرعونية فى منطقة وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر.......... ٧٢

(٥) قناة النيل - البحر الأحمر المسماة «قناة سيزوستريس» وأدلة عدم وجودها فى العصر الفرعونى.................. ١٩٩

صفحة | رقم البحث

القسم الثالث

البحوث التى تناولت تاريخ وآثار الجانب الآسيوى للبحر الأحمر

(٦) الأبجديات العربية القديمة ونشأة الخط العربى ٢٢٤

(٧) دراسة مقارنة للآثار العربية القديمة المحفوظة فى متحف كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة (الجزء الأول) ٢٦٨

(٨) دراسة مقارنة للآثار العربية القديمة المحفوظة فى متحف كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة (الجزء الثانى) ٣٠٥

(٩) هل يشير نقش أبرهة الحبشى عند بئر مريغان إلى حملة الفيل؟ ٣٤٩

(١٠) الأسماء الجغرافية الآسيوية ذات القيمة التاريخية فى النقوش العربية القديمة ٣٧٩

القسم الرابع

البحوث التى تناولت الدراسة المقارنة لتاريخ وآثار الجانبين الأفريقى والآسيوى للبحر الأحمر

(١١) الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها فى النقوش القديمة فى مصر ٤٠١

(١٢) الأصول المصرية القديمة لبعض المظاهر الحضارية فى الجزيرة العربية قبل الإسلام ٤١٨

(١٣) دور سكان سيناء القدماء فى نشأة الخط المسند (اليمنى القديم) ٤٥١

(١٤) صلات الأنباط بمصر من خلال النقوش النبطية على صخور الحجاز وصحراء مصر الشرقية ٤٦٣

(١٥) هل أرض الميعاد عند اليهود هى منطقة عسير وليست فلسطين؟ ٤٨٥

رقم البحث		صفحة
(١٦)	الأسماء والمسميات القديمة الواردة فى القرآن الكريم فى ضوء الدراسات الأثرية الحديثة	٥١٦
(١٧)	البخور، عصب تجارة البحر الأحمر فى العصور القديمة	٥٦٢
	فهرس أبجدى بأسماء الأعلام والأماكن	٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور محمد حسن الزيات
وزير الخارجية الأسبق

فى عام ١٩٦٠ كتبت مقدمة أول كتاب ألفه السيد/ عبد المنعم عبد الحليم سيد مدرس المواد الإجتماعية بالبعثة التعليمية المصرية بمقديشيو فى ذلك الوقت وكان هذا الكتاب عن جغرافية وتاريخ الصومال وعلاقته بمصر(١)

وقد نوهت فى هذه المقدمة بالدور الذى قام به مؤلف الكتاب بتأليف أول كتاب يصدر باللغة العربية عن هذا القطر الشقيق الذى كان قد حصل على الإستقلال فى أول يولية من ذلك العام. (٢)

واليوم، وبعد أكثر من ثلاثين عاماً، يسعدنى أن أكتب مقدمة الكتاب الحالى الذى جمع فيه الأستاذ الدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد (الذى أصبح الآن أستاذاً للتاريخ القديم والآثار بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية) بحوثه التى ألفها عن الصومال وسائر مناطق البحر الأحمر طوال حياته العلمية والعملية بين هذه المناطق.

وقد يبدو مثيراً للإهتمام أن نواة هذا الإنتاج العلمى الحافل كان محاضرة عامة ألقاها (الدكتور) عبد المنعم عبد الحليم سيد فى أواخر فبراير عام ١٩٥٨ فى المركز الثقافى المصرى بمقديشيو عن العلاقات القديمة بين مصر والصومال فقد لاقت هذه المحاضرة نجاحاً يفوق الوصف جعلنى أقف معلقاً عليها مشيداً بها.

---

(١) صدر هذا الكتاب بعنوان «الجمهورية الصومالية أو صوماليا، دراسة لبيئتها الطبيعية وإمكانياتها الإقتصادية ونظم الصوماليين الإجتماعية وعاداتهم وعلاقتهم بمصر فى مختلف العصور»، العدد رقم ٢٩١ من مجموعة الألف كتاب (الأولى) القاهرة، ١٩٦٠.

(٢) كان الأستاذ الدكتور محمد حسن الزيات يشغل فى ذلك الوقت منصب مندوب مصر فى المجلس الإستشارى للصومال الموضوع تحت وصاية الأمم المتحدة وكان له دور كبير فى تهيئة الصومال للحصول على الإستقلال وفى الإسراع بإعلان هذا الإستقلال فى أول يولية ١٩٦٠. (المؤلف)

ولعل هذا النجاح هو الذى حفز (الدكتور) عبد المنعم عبد الحليم سيد على السير فى هذا المجال الذى لم يطرقه أحد قبله، فحصل على درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة الأسكندرية عام ١٩٦٨ فى موضوع النشاط المصرى القديم فى البحر الأحمر وعلاقته بالصومال(٣) ثم حصل على درجة الدكتوراة فى عام ١٩٧٣ فى موضوع العلاقات الحضارية بين مصر الفرعونية وبين حضارات البحر الأحمر(٤)

وعلى أثر تعيينه عضواً بهيئة التدريس بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية، أشرف على إجراء حفائر أثرية على ساحل البحر الأحمر حيث تمكن فى عام ١٩٧٦ من الكشف عن موقع الميناء الفرعونى الذى كان المصريون القدماء ينطلقون منه فى رحلاتهم فى البحر الأحمر ونشر عن هذا الكشف بحوثاً باللغتين العربية(٥) والإنجليزية(٦)

وعندما أعير للتدريس بالدول العربية الشقيقة جاءت إعارته فى دول تطل على البحر الأحمر فعمل فى صنعاء باليمن (الشمالى) وفى جدة بالمملكة العربية السعودية.

وقد أمده العمل فى تلك البلاد الواقعة على الجانب الآسيوى للبحر الأحمر بالخبرة العملية بآثار ولغات وكتابات الشعوب القديمة التى عاشت فى الجزيرة العربية فألف عدداً من البحوث عنها بالعربية(٧)والإنجليزية (٨)

وقد مكنته هذه الخبرة المزدوجة بالحضارات القديمة التى قامت على الجانبين الأفريقى والآسيوى للبحر الأحمر من إجراء الدراسات المقارنة بين هذه الحضارات(٩).

---

(٣) ملخص هذه الرسالة منشور فى الصفحات من ص ١٥ إلى ص ٢٢

(٤) ملخص هذه الرسالة منشور فى الصفحات من ص ٢٣ إلى ص ٣٧

(٥) البحث بالعربية فى هذا الكتاب رقم ٤

(٦) البحوث بالإنجليزية فى هذا الكتاب No. 4, 5, 6, 7

(٧) البحوث بالعربية أرقام ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠

(٨) البحوث بالإنجليزية No. 10 and 11

(٩) البحوث بالعربية أرقام ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧
وبالإنجليزية No. 12 and 13

وهكذا كان هذا الإنتاج العلمي الحافل الذي بدأ من تلك النواة الصغيرة عام ١٩٨٠ عبر المشوار قصة كفاح وإصرار ومثابرة أهديها إلى شبابنا، مع خالص التقدير للمؤلف وأجمل الذكريات عن سنوات عملنا في الصومال العزيز.

محمد حسين الزيات

المعادي/ديسمبر ١٩٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وتنويه بقلم المؤلف

تمر السنين وتكر الأعوام وتفنى الماديات وتزول ولكن يظل باقياً العمل المثمر خاصة إذا كان فى المجال العلمى.

فرغم مرور مايزيد على ثلاثين عاماً، فما تزال ماثلة فى ذهنى تلك المساندة العلمية الكريمة التى قدمها إلى الأستاذ الدكتور محمد حسن الزيات أيام أن كنت شاباً فى مطلع حياتى العملية كمدرس للمواد الإجتماعية ضمن البعثة التعليمية المصرية بالصومال مابين عامى ١٩٥٧، ١٩٥٩. وكان سيادته يشغل منصباً دبلوماسياً كبيراً. فقد كان مندوباً لمصر فى المجلس الإستشارى للصومال الموضوع تحت وصاية هيئة الأمم المتحدة، الذى أشرف على تهيئته للإستقلال إلى أن أعلن فى أول يوليو سنة ١٩٦٠.

ورغم عدم وجود صلة وظيفية مباشرة بينى وبين الأستاذ الدكتور محمد حسن الزيات، فعندما لمس سيادته لدى رغبة ملحة فى تأليف كتاب عن جغرافية وتاريخ الصومال فى وقت لم يكن العالم العربى يعرف عن هذا القطر الشقيق إلا القليل، إذ لم يكن هناك كتاباً فى المكتبة العربية يسد هذا النقص، عندما لمس سيادته تلك الرغبة، وجدت منه كل مساندة وتشجيع، إما بتيسير إنتقالى بين أرجاء الصومال لجمع مادة الكتاب من الواقع ولتصحيح ماورد فى المراجع الأجنبية عن الصوماليين من المعلومات القديمة أو الخاطئة، أو بإمدادى بالمراجع اللازمة. حتى كانت ثمرة هذه المساندة أن خرج إلى المكتبة العربية أول كتاب باللغة العربية عن جغرافية وتاريخ الصومال.(١)

ولقد كان من ثمار هذا الإتصال العلمى مع الأستاذ الدكتور محمد حسن الزيات، أن إتجهت إلى التخصص الدقيق فى مجال الدراسة عن الصومال فى الجامعات المصرية، بما يتفق مع نظام الدراسات العليا فى هذه الجامعات وهو أن تطابق هذه الدراسة تخصصى الأصلى فى التاريخ القديم والآثار. وكان لنجاح

---

(١) عن عنوان هذا الكتاب أنظر حاشية رقم (١) فى مقدمة الأستاذ الدكتور محمد حسن الزيات.

المحاضرة التى أشار إليها الأستاذ الدكتور محمد حسن الزيات فى مقدمته حافزاً لإختيارى لموضوع العلاقات القديمة بين مصر ومناطق البحر الأحمر مجالا لدراستى للماجستير والدكتوراة.

وإذا كان الأستاذ الدكتور محمد حسن الزيات وراء الدفعة الأولى فى حياتى الأكاديمية، فإن الأستاذ الدكتور رشيد سالم الناضورى أستاذ التاريخ القديم والآثار بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية الذى حصلت على درجتى الماجستير والدكتوراة على يديه، كان وراء الدفعة التالية، فقد كان حصولى على هذين المؤهلين وبالتالى العمل فى التدريس بالجامعة ممهداً للطريق لقيامى بالحفائر الأثرية ولنشر بحوثى فى الدوريات العربية والأجنبية عن تاريخ وآثار مناطق البحر الأحمر وهى المنشورة فى هذا الكتاب.

هذه كلمة لابد منها لإحقاق الحق ورد الفضل - بعد الله تعالى - لأصحابه.

ويضم هذا الكتاب سبعة عشر بحثاً باللغة العربية وثلاثة عشر بحثاً باللغة الإنجليزية. وقد إتبعت فى ترتيب هذه البحوث ترابط موضوعاتها دون النظر إلى تسلسل تاريخ نشرها، فبعد مقدمة عن جغرافية البحر الأحمر وأثرها فى تشكيل الصلات الحضارية بين شعوبه، وعن الأسماء القديمة للبحر الأحمر، قسمت هذه البحوث إلى أربعة أقسام، خصصت القسم الأول لملخصى رسالتى الماجستير والدكتوراة، وفى القسم الثانى جمعت البحوث التى تناولت تاريخ وآثار الجانب الأفريقى للبحر الأحمر (مصر الفرعونية وماىليها جنوباً)، ثم خصصت القسم الثالث للبحوث التى تناولت الدراسات عن الجانب الآسيوى (الجزيرة العربية قبل الإسلام). وأخيراً إشتمل القسم الرابع على الدراسة المقارنة لتاريخ وآثار الجانبين الإفريقى والآسيوى للبحر الأحمر.

وقد يجد القارئ بعض التشابه بين البحوث العربية وبعضها(١) أو بينها وبين البحوث الإنجليزية(٢)أو بين الإنجليزية وبعضها(٣) وسبب ذلك إما أن هذه

---

(١) مثال ذلك البحث رقم ١٢ مع البحث رقم ١٣ والبحث رقم ١٠ مع البحث رقم ١٦.

(٢) مثال ذلك البحث رقم ٣ مع البحث No. 8 والبحث رقم ٤ مع البحث No. 4 والبحث رقم ٩ مع البحث No. 11

(٣) مثال ذلك البحوث No. 4, 5 & 6

البحوث محورها واحد وإن إختلفت موضوعاتها أو رغبة فى نشر الموضوعات ذات الأهمية الخاصة على أوسع نطاق مثل موضوع تحديد موقع بونت(٤) ومشكلة قناة سيزوستريس(٥)أو تعريف أكبر عدد من المتخصصين فى الآثار البحرية بالكشف عن موقع الميناء الفرعونى فى منطقة وادى جواسيس وماتم العثور عليه من آثار فى هذه المنطقة(٦) لإتاحة الفرصة للإفادة من تخصصهم فى دراسة هذه الآثار. وقد أثمر ذلك فعلا فى قيام إحدى الباحثات المتخصصات فى آثار ماتحت الماء بدراسة المراسى (جمع مرساة بمعنى هلب) التى وجدت فى موقع الميناء ومقارنتها بالمراسى التى وجدت على سواحل البحر الأبيض المتوسط (٧)

كما قامت باحثة أخرى بدراسة ربطت فيها بين إستخدام الميناء المكتشف فى كل من عصر الأسرة الثانية عشرة والحادية عشرة(٨)

هذا فضلا عن أن هذا النشر أدى إلى إتباع المؤلفات الأجنبية للمعلومات الجديدة والتصحيحات التاريخية والأثرية التى نشرتها فى هذه البحوث والأمثلة على ذلك كثيرة يصعب حصرها نقتصر فيها على ذكر الموسوعات(٩)

---

(٤) البحث رقم ٢ والبحث No. 8

(٥) البحث رقم ٥ والبحث No. 9

(٦) البحوث No. 4, 5, 6 & 7 وقد نشرتها فى الدوريات الأثرية فى باريس ولندن وبروكسل.

(7) Honor Frost a. „Egypt and stone anchors„ Some recent discoveries ״ Marriners´ Mirror Vol. 65, (1979), p.137 f

________, b. „Ras Shamra_Ugarit VI,„ Arts et Industrie de la pierre, (1991) p. 355 f.

(8) Louise Bradbury, „Reflections on travelling to God´s Land and Punt in the Middle Kingdom„ JARCE XXV(1988) p. 130 f.

(9) a. Lexion der Aegyptologie, B VI (1986) p. 1097 f

b. UNESCO, General History of Africa, Vol. II (1981) p. 145 f.

بهذا المنهج حاولت قدر جهدى إظهار أهمية منطقة البحر الأحمر التى كثيراً ماأهملها المؤرخون وعلماء الآثار رغم دورها الهام فى تاريخ الحضارة الإنسانية. وليس أدل على هذه الأهمية من أنها كانت طريقاً لإنتشار الكتابة والأبجدية وهما الأداتان الرئيسيتان للحضارة الإنسانية.

أرجو أن أكون قد وفقت فى تحقيق هذا الهدف والله ولى التوفيق.

عبد المنعم عبد الحليم سيد

الأسكندرية

فى يناير سنة ١٩٩٣

مقدمة جغرافية

جغرافية منطقة البحر الاحمر الطبيعية والبشرية وأثرها فى تشكيل نوع الصلات الحضارية بين شعوب هذا البحر

أولا : جغرافية منطقة البحر الأحمر الطبيعية والبشرية :

يمتد البحر الأحمر من مينائى السويس والعقبة شمالا الى بوغاز باب المندب جنوبا ، ثم يتسع جنوب هذا البوغاز لتكوين خليج عدن الذى يمتد من بوغاز باب المندب نحو الشرق ، الى رأس جرد فوى على ساحل الصومال ، والى منطقة الشحر ء ى الساحل الجنوبى لشبه جزيرة العرب ، حيث يتصل بالبحر العربى والمحيط الهندى .

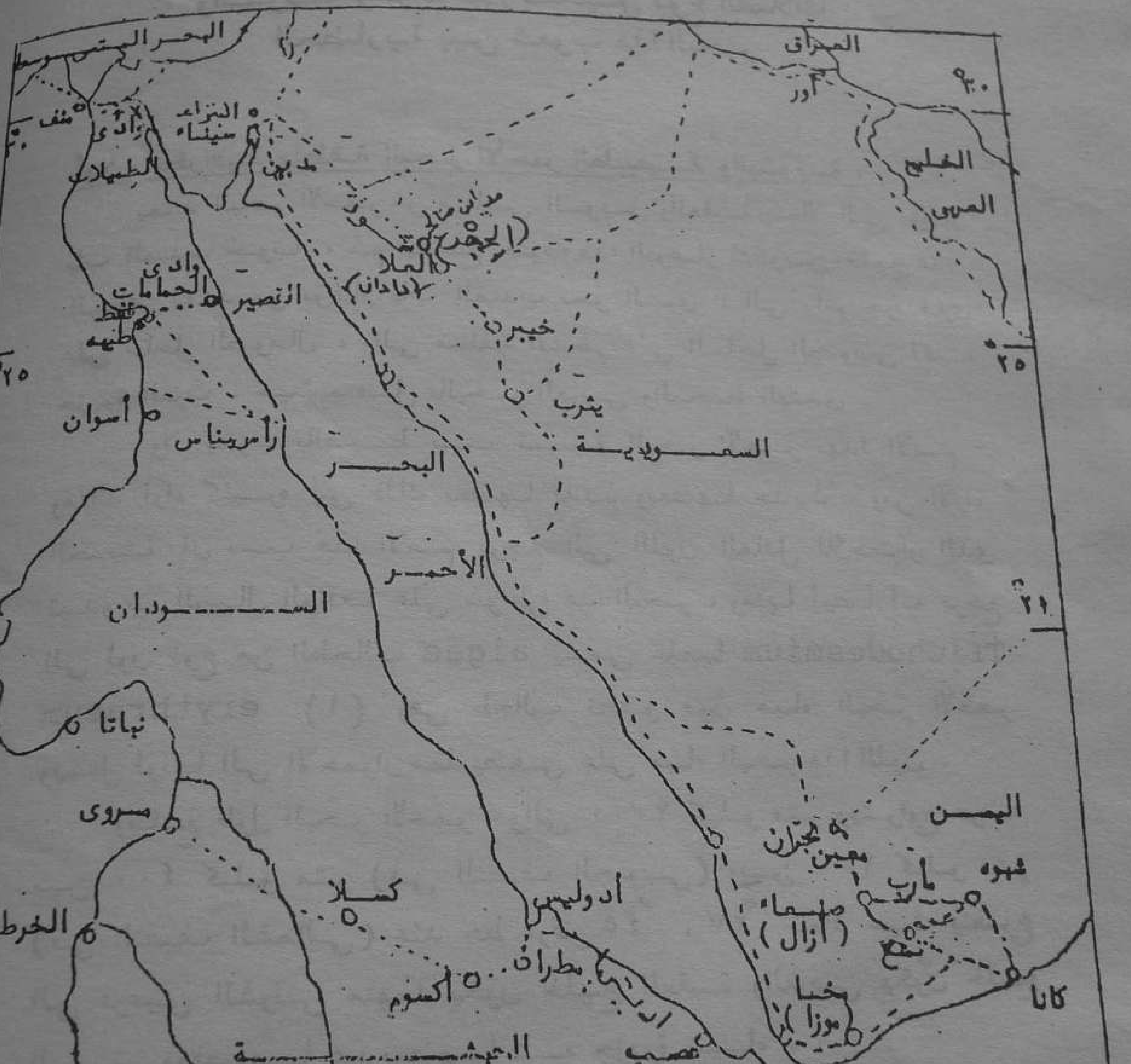
ولا يعرف بالضبط سبب تسمية البحر الأحمر بهذا الاسم - وهناك آراء كثيره فى ذلك بعضها قديم وبعضها حديث ، ومن الآراء الحديثة أن سبب هذا الاسم يرجع الى اللون المائل للأحمرار الذى تبدو به الجبال الواقعة على شواطئ هذا البحر ، ومنها أيضا أنه يرجع الى لون نوع من الطحالب algae يسمى علميا Trichodesmium erythraeum (١) وهى طحالب تطفو فوق مياه البحر الأحمر ويميل لونها الى الاحمرار مما يضفى على مياه البحر هذا اللون .

ويبلغ طول البحر الأحمر حوالى ٢٠٠٠ كيلو متر ويتراوح عرضه بين ٤٠٠ كيلو متر (فى النصف الجنوبى) وبين ٢٠٠ كيلو متر (فى النصف الشمالى) عند خط عرض ٤٥َ ، ٢٧ْ شمالا حيث يتفرع الى فرعين الشرقى منهما يكوّن خليج العقبة والغربى يكوّن خليج السويس ويفصلهما عن بعضهما شبه جزيرة سيناء .

ولا توجد أنهار تصب فى البحر الأحمر ولا تسقط أمطار فى النصف الشمالى منه، والمناطق المتاخمه للبحر الأحمر جبليه بوجه عام ولكن سواحله رملية منخفضة ، وفى الجانب الشرقى من البحر

---

(1) Encyclopaedia Britannica (1964) Vol. 19. P. 26.



البحر الأحمر ومراكز الحضارات القديمة حول سواحله والطرق الرئيسية التي تربط بينها

ترتفع هضبة بلاد العرب ، وفى جانبه الغربى تمتد سلسلة من الجبال ، يتراوح ارتفاعها بين ١٢٠٠ - ١٨٠٠ متر (٢) .

وبالنسبة لخليج عدن فان المناطق المطلة عليه قاحلة أيضا ، ولا تصب فى الخليج أنهار أو جداول ذات اهمية .

والساحل الجنوبى لخليج عدن رملى منخفض فى اتجاه مدينة بربرة ، وبعدها يأخذ فى الارتفاع (فى اتجاهه نحو الشرق) . وخلف السهول الساحلية تمتد الجبال الجيرية . ويخلو هذا الساحل من العقبات والأخطار التى تعوق الملاحة فيما عدا المنطقة المحيطة ببلدة زيلع (٣) .

أما الساحل الشمالى لخليج عدن (أى الساحل الجنوبى لشبه جزيرة العرب) فهو ساحل رملى فى غالبيته تمتد خلفه جبال مرتفعة مجدبة ، وتقترب هذه الجبال من البحر فى عدة مواضع .

ويعتبر ميناء عدن هو الميناء الوحيد الذى يصلح لرسو السفن الكبيرة عند الساحل ، ولكن بالنسبة للسفن الشراعية ، فهناك كثير من الموانى الصغيرة التى تصلح لرسوها .

ويمتد البحر الأحمر بطول الاخدود الانكسارى العظيم ، الذى يبدأ من شرق افريقيا جنوبا وينتهى عند البحر الميت شمالا . ويظهر من دراسة القطاع المستعرض للبحر الأحمر وجوانبه ، أن الانكسارات التى كونت الاخدود من النوع السلّمى ، وتظهر فيه ثلاث درجات واضحة كانت المجال الذى ظهر عليه وأثر فيه النشاط والنمو المرجانى الذى يعبر عن صفة البحر الأحمر الاساسية .

وتقسم الحواجز المرجانية بامتداداتها البحر الأحمر الى قناة وسطى وقناتين ساحليتين . وتتخلل الحواجز التى تحدد امتداداتها فى بعض المراضع فتحات عميقة يمكن أن تمر فيها السفن وتصل عن طريقها من البحر المكشوف العميق الى القناة الساحلية ، ومن ثم الى

---

(2) British Admiralty; Red Sea and gulf of Aden Pilot (1944) P. 10.

(3) Ibid. P. 15.

الموانى الطبيعيـة على الشاطئ ، والقنـاة الساحليـة الممتدة على الجانب الأفريقـى أكثـر ضيقـا من القنـاة الممتدة على الجانب الأسيوى (٤) .

وعلى طول الساحل ، وخاصة الساحل الافريقـى ، تتناثـر الشروم والخلجان التـى اسهمت فى خدمة النشاط الذى مارسه الانسان فى ركوب هذا البحر وفى التجارة ، مثل المصريين القدماء والساميين وغيرهم .

والأحوال المناخيـة للبحـر الأحمر شديدة الصعوبـة ، وتعتبـر من العوائق أمام النشـاط البشـرى ، اذ تقترن شدة الحرارة بارتفـاع نسبـة الرطوبـة وخاصة فى فصل الصيف . اما المطر فهو قليـل فى منطقـة البحـر الأحمر عامة ولا يصل فى المعتـاد الى بوصة واحدة فى السنة على السواحل الشماليـة ولا يزيد على عشرة بوصات فى أى منطقـة ، وقد يمر العام على بعض المناطق دون أن تسقط بها قطرة من المطر .

وبالنسبـة للريـاح ففـى الجزء الشمالـى من البحـر الأحمر حتـى عرض ١٩ شمالا ، تسـود الرياح الشماليـة والشماليـة الغربيـة ، وفـى الجزء الأوسـط ما بيـن خطـى ١٤ - ١٦ شمالا ، يلاحـظ أن الرياح تكون متغيـرة ، بينمـا فى الجزء الجنوبـى تسـود الرياح الشرقيـة والجنوبيـة الشرقيـة .

وفى الفتـرة من يونيـة الى أغسطس تهب الرياح الشماليـة الغربيـة على منطقة البحـر الأحمر كلهـا ، ومن سبتمبـر تتراجـع هذه الريـاح حتـى خط عرض ١٦ شمالا . والـى الجنوب من هذا الخط تكـون الريـاح متغيـرة لفتـرة من الزمن .

وتسـود خليج السويس رياح شماليـة أو شماليـة غربيـة ، ولكـن الرياح الغربيـة تهب من أن لآخر خلال فصل الشتـاء وتكون عنيفـة أحيانا ولكن بوجه عام يصحبهـا ضباب وسحب من التراب ، وتسـود الرياح الشماليـة - الشماليـة الشرقيـة الشديدة فى خليج العقبـة خلال

---

(4) Red Sea Pilot P. 11.

أغلب أجزاء السنة وتضعف هذه الرياح الى أقصى حد خلال شهر ابريل ، وقد يهب بدلا منها فى ذلك الوقت نسيم جنوبى لطيف (٥) .

أما عن القاعدة البشرية فى منطقة البحر الأحمر : فقد تميزت منطقة البحر الأحمر منذ عصور ما قبل التاريخ وطوال العصور التاريخية ، بظاهرة بشرية كان لها أثر كبير فى التاريخ الأثنولوجى والحضارى لمنطقة افريقية الشرقية هى تتابع الهجرات من الجانب الأسيوى للبحر الأحمر الى جانبه الافريقى عبر بوغاز باب المندب وما حوله ، ويمكن القول بان تعمير مناطق افريقية الشرقية بالعناصر الحامية والسامية بوجه خاص يرجع الى هذه الظاهرة .

فمنذ العصر الحجرى القديم الأعلى ، بدأ الحاميون أو الكوشيون (٦) يظهرون فى افريقيا الشرقية قادمين من بلاد العرب عبر بوغاز باب المندب ،وقد تتابعت هجراتهم فى ثلاث موجات رئيسية هى :

الموجه الأولى : ويطلق عليها A-Hamites وقد جاءت فيها قبائل الباريا التى تسكن شرق الحبشة حاليا .

الموجه الثانية : ويطلق عليها B-Hamites وتمثلها الآن قبائل البجة والاجاو والسيداما .

الموجه الثالثة : ويطلق عليها C-Hamites وتمثلها قبائل الجالا وقد جاءت فى أثر هذه الموجة الأخيرة موجة أخرى جاء فيها

---

(5) Encycl. Brit. Vol. 19 P. 27.

(٦) يمتاز الحاميون بانهم مجموعة متجانسبة فى اللغة وفى الثقافة الأساسية (Basic Culture) وينتشرون فى منطقة واسعة فى شرق افريقية أى فى الحبشة والصومال ،وقد أطلق عليهم بعض الباحثين اسم " الكوشيين " (Cuhites) ولكن البعض الأخر يعترض على هذه التسمية على أساس أن كلمة كوش أطلقت على منطقة مصرية قديمة فى النوبة هى التى تطورت عنها دولة مروى ،وقد أطلقت النقوش الجعزية كلمة Kasu على هذه الدولة .

(Oliver, R; (ed), History of East Africa, the early period, London (1967) P. 65).

الصوماليون والآفار (العفر) (٧) ، وقد دفعت هذه الموجات الحامية السكان الأصليين من الزنوج نحو الداخل (٨) .

وقد حدث أثناء ذلك بعض الاختلاط بين العناصر الزنجية والعناصر الحامية .

وكما كانت الهجرات والمؤثرات الحامية تتدفق من الجزء الجنوبى لجزيرة العرب كذلك كان شأن المؤثرات السامية (٩)-وقد تتابعت الهجرات السامية وقد تتابعت الهجرات السامية من نفس بوغاز باب المندب وانتشر الساميون بين الحاميين واختلطوا بهم . ويرى بعض الباحثين أنه من الصعب تمييز الساميين عن الحاميين نظرا لأنهم من أصل واحد ولذلك يفضل بعضهم اطلاق اصطلاح الحاميين الساميين Hamito-Semitic بينما يفضل الآخر اصطلاح Afro - Asiatic اى الأفريقيون- الآسيويون (١٠) ، وفى هذا اعتراف من الباحثين المحدثين بصعوبة التمييز بين الاثنين .

ويرى بعض الباحثين أن الهجرات السامية تتابعت على شرق افريقية فى الفترة ما بين الألف الأول قبل الميلاد والنصف الأول من القرن الأول بعد الميلاد (١١) . وإن كانت فى الواقع أقدم من ذلك كما تدل الرسوم الفرعونية .

وهكذا تتابعت هذه الهجرات من اليمن وظلت منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية طوال العصور التالية هى مصدر هذه الهجرات ولهذه الظاهرة أهمية كبيرة فى انتقال المؤثرات الحضارية من الجانب الأسيوى للبحر الأحمر الى جانبه الافريقى .

---

(7) Ibid. P. 59.
وكلمة آفار هى نطق الأوروبيين لاسم هذه القبائل ، ولكن النطق الحقيقى للاسم هو (عفر) .

(٨) تتفق أغلب الآراء الحديثة على أن الزنوج نشأوا فى أفريقية الاستوائية فى منطقة البحيرات فى شرق أفريقية ، وبذلك أستبعد الرأى القديم القائل بنشأتهم فى آسيا وهجرتهم الى أفريقية عبر بوغاز باب المندب . (Ibid. P. 64).

(٩) محمد عوض محمد ، السودان الشمالى ، سكانه وقبائله ، القاهرة (١٩٥١) ص ٧ .

(10) Op. Cit. P. 65.

(11) Clark, J.D; The prehistoric cultures of the Horn of Africa, Cambridge (1954) P. 315.

ثانيا : أثر العوامل الجغرافية والبشرية فى تشكيل نوع الصلات الحضارية بين شعوب البحر الأحمر

لقد كان لطبيعة البيئة القاحلة على سواحل البحر الأحمر وخلو شواطئه من مصبات الأنهار أو الأمطار الوفيرة التى تقوم عليها الحياة الزراعية المستقرة ، بالاضافة الى وفرة أنواع معينة من السلع فى مناطق الظهير الممتدة فيما وراء سواحله - ذات الأهمية الكبيرة من النواحى الدينية والدنيوية فى العالم القديم - كان لكل ذلك اثره فى تحديد نوع النشاط الحضارى المميز حول سواحل هذا البحر ، فاصبحت التجارة هى النشاط الحضارى الرئيسى ان لم يكن النشاط الوحيد فى هذا البحر ، ومن ثم نشات الصلات الحضارية بين مصر الفرعونية وشعوب البحر وبين هذه الشعوب وبعضها بتاثير عوامل ودوافع ذات صبغة تجارية تتلخص فيما يلى :-

أولا : تجارة السلع التى اشتهر بها البحر واهمها البخور ذو الأهمية الكبيرة فى العالم القديم وانتشار تجارة البخور وسلع البحر الأحمر الأخرى (سلع الترف ذات الأهمية الكبيرة للنظم الملكية القديمة) بين مختلف الشعوب التى ساهمت فى النشاط التجارى فى هذا البحر - وقد أدى ذلك الى اضفاء الصفة الدولية (اذا استخدمنا التعبير الحديث) على تجارة هذه السلع ، والدليل على ذلك تشابه أسماء بعض هذه السلع فى لغات هذه الشعوب واشتقاقها من اسماء مصرية قديمة (١٢) مما يدل على أن المصريين هم أقدم الشعوب التى سعت فى طلب هذه السلع وربما يدل أيضا على أن الأسواق المصرية كانت أكبر أسواق تصريف هذه السلع .

ثانيا : وفرة هذه السلع على الجانب الأفريقى للبحر الأحمر مما أمد تلك الظاهرة البشرية التى بدأت منذ عصور ما قبل التاريخ بدافع اقتصادى عمل على استمرارها طوال العصور التاريخية وهى ظاهرة

---

(١٢) ومثال ذلك أسماء الأبنوس والكاسيا (القرفة) والقردة (انظر تقرير الحفائر فيما بعد) .

هجرة سكان الساحل الأسيوى الى الجانب الأفريقى فقد كان هؤلاء السكان يستوطنون الساحل الأفريقى للبحر الأحمر لاستغلال هذه السلع ، وقد ساعدهم على ذلك انخفاض المستوى الحضارى والاجتماعى لسكان الساحل الأفريقى مما سهل لهم السيطرة على هؤلاء السكان وقد صاحب ذلك ظاهرة سلالية تميزت بها السواحل الأفريقية للبحر الأحمر منذ اقدم العصور هى اختلاط المهاجرين الأسيويين بالسكان الوطنيين ومصاهرتهم وعقد لواء الزعامة لهؤلاءالمهاجرين ولأبنائهم من بعدهم، وتبدو هذه الظاهرة فى رسوم الدير البحرى - حيث ظهر امير بونت بملامح اسيوية بينما ظهرت زوجته بصفات جسدية افريقية (١٣) . كما تبدو هذه الظاهرة أيضا فى اشارة مؤلف البربلوس لزواج سكان موزا Muza ("المخا" فى اليمن) من نساء الساحل الأفريقى الشرقى (١٤) . هذا ويرى بعض الباحثين أن التضخم فى جسم زوجة أمير بونت يرجع الى ظاهرة مرضية ، وليس الى صفة بروز (العجز Steatopaegea) السلالية المميزة لنساء افريقيا (١٥) ، ولكن الشواهد التاريخية تشير إلى عكس ذلك . فإن التماثيل والرسوم الافريقية القديمة للنساء الأفريقيات تظهر بها هذه الخاصية السلالية بوضوح ومن أهمها رسوم ملكات دولة مروى بالسودان .

(١٣) عبد المنعم عبد الحليم : علاقات مصر القديمة ببلاد بونت ونشاطها فى البحر الأحمر ، رسالة ماجستير - كلية الأداب بجامعة الاسكندرية سنة ١٩٦٨ ص ٥٦ .

(14) Schoff, W.H; The Periplus of The Erythraean Sea. London, 1913 § 16.

ويلاحظ أن هذه الظاهرة استمرت الى ما بعد انتشار الاسلام فى مناطق افريقية الشرقية ، فقد كان المهاجرون المسلمون من اليمن وحضرموت يستقرون على سواحل هذه المناطق ويتزوجون من بنات زعماء القبائل الوطنية وكانت هذه القبائل وما زالت حتى الآن ، تجد شرفا كبيرا فى الانتساب لهؤلاء الاجداد الأسيويين ، وهم يفسرون ذلك بأن هؤلاء المهاجرين جاءوا اليهم من بلاد العرب مهد الاسلام . ولكن يبدو أن هذا التعليل هو نوع من الملاءمة بين تلك الظاهرة البشرية التى تميز بها الساحل الافريقى الشرقى قبل الاسلام بقرون عديدة وبين انتشار الاسلام فى افريقية الشرقية على ايدى مهاجرين من شبه جزيرة العرب .

(١٥) بول غليونجى : (الحضارة الطبية فى مصر القديمة ، القاهرة ١٩٦٥) ص ١٧ وشكل ٣٣) اذ يقول أن العلماء احتاروا فى تفسير سبب سمنة اردافها المفرطة وتلافيف الشحم واللحم التى تتدلى من ذراعيها وساقيها دون القدمين واليدين ، فمن قائل أنه المكسيديم (ضعف الغدة الدرقية) او الكمحة العنصرية أو ضمور العضلات المرضى ، ومن رأى د. =

الاسماء القديمة للبحر الأحمر :

اقدم هذه الاسماء دون شك هى تلك التى اطلقها عليها المصريون القدماء . فقد أطلق المصريون على البحر الاحمر الاسم " واج ور " () ومعناه " الأخضر العظيم " وقد ورد هذا الاسم فى نصوص الأهرام - كما ورد فى نصوص وادى الحمامات (١٦) ، وورد أيضا فى نصوص الدير البحرى (١٧) وقد ظل هذا الاسم يطلق على البحر الأحمر منذ العصور المبكرة من التاريخ المصرى القديم حتى عصر الأسرة ١٧ عندما بدأ يطلق على البحر المتوسط فى رأى جوتييه (١٨) الذى يقول بأن أقدم اشارة الى سمة " واج ور " على أنها اسم للبحر الأبيض المتوسط وردت فى مقبرة "باحيرى" بالكاب من عصر الأسرة ١٧ ، بينما يقول فركوتييه (١٩) ان هذه الاشارة ترجع لعصر الأسرة ١٨ ، وبالتحديد لعصر تحتمس الثالث .

وقد أطلق المصريون الاسم  (شن ور) أى "الدائرة المائية العظمى " أو " المحيط العظيم " على مسطح مائى كبير يتضمن فيما يبدو البحر الأحمر (٢٠) ، ويرى دارسى ان هذا الاسم كان يطلق على المناطق المائية الواقعة شرق وجنوب شرق مصر أى على الفروع الشرقية للنيل وعلى البحر الأحمر وكان المصريون يعتقدون أن مياه هذه المناطق تتصل بمياه منبع النيل فى الجنوب ،

= غليونجى أنه مرض دركوم Dercum's disease اى السمنة الموجعة ، وأن أولى سيماء هذا المرض قد ظهرت على ابنتها (الممثلة خلفها فى نفس المنظر) (نفس المصدر ص ١٨) .

(16) Couyant et Montet; Les inscriptions hiéroylyphiques et hiératiques de Ouadi Hammamat, MIFAO, Tome 34 (1912) No. 114 L. 15.
(17) Naville; D. Bahaci III Pl. 73.
(18) Gauthier; H; Dictionnaire des noms geographiques contenus dans les textes hieroglyphiques (1925-1931) Vol. IP. 182.

(١٩) فركوتييه ، جان : قدماء المصريين والاغريق - ترجمة محمد على كمال الدين وآخرين ، ١٩٦٠ ص ٩٥ .

(20) Op.Cit. III 74.

وبذلك كانت تكتمل الدائرة العظمى ، أو المحيط العظيم . ويرى "ادوارد ماير " ان مدلول هذا الاسم يقتصر على المحيط الهندى فقط ، وعلى أى حال فان كلمة (šen wer) كانت تطلق على مناطق مائية تحوى فى مدلولها البحر الأحمر ، (٢١) ويرى جوتييه انه من المحتمل أن كلمة  šnwy wrwy التى وردت فى مقابر المدامود تعنى البحر الأحمر .

وشبيه بالاسم السابق الاسم  (نون) وقد ورد منذ عصر الاسرة الثانية عشرة (٢٢) وكذلك الاسم  (بانون - ن - ايابتى) أى " المحيط الشرقى " ، وقد ورد هذا الاسم فى نص متاخر من ادفو (٢٣) ، واطلق على المحيط الذى يقع نحو الشرق أى على البحر الأحمر والمحيط الهندى ، أو ما يعرف عند اليونان والرومان بالبحر الأريترى ، وهى البحار التى كان المصريون يعتبرونها النهاية الشرقية للعالم المعروف لهم .

أما الاسم  " موقدت " أو " موقدى " ومعناه المياه المعكوسة - فقد أثار جدلا كبيرا بين الباحثين ، وقد ورد فى بردية هاريس كما يلى (٢٤)  (با - يم - عا - ان - موقد (ى)) أى " بحر المياه المعكوسة العظيم " وقد فسره جوتييه أنه الخليج الفارسى الذى يصب فيه نهر الفرات لأن المصريين ، كانوا يسمون نهر الفرات بحر المياه المعكوسة (٢٥) . أما كتشن Kitchen فيقول أن البحر الأحمر هو المقصود بعبارة " بحر المياه المعكوسة العظيم " الواردة فى بردية هاريس لأن تياراته البحرية فى الصيف تتجه من الشمال الى الجنوب أى ضد اتجاه تيار النيل وكانت هذه التيارات تساعد المصريين على الابحار

---

(21) Ibid.

(٢٢) ورد هذا الاسم لأول مرة على الآثار التى اكتشفتها بعثة جامعة الاسكندرية فى ميناء مرسى جواسيس " كما سنذكر بعد " .

(23) Ä.Z. III 26.

(24) Pap. Harris 77,9-10.

(25) Gauthier; Dict. geog. III 33.

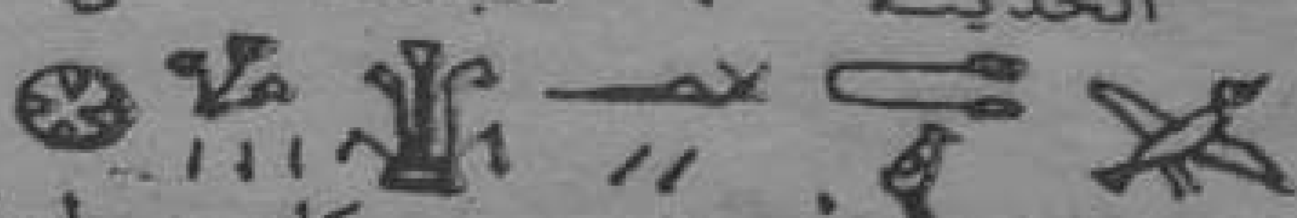
الى بونت (٢٦) غير انه يبدو أن عبارة " بحر المياه المعكوسة العظيم " كانت تطبق على مسطح مائى أكبر بكثير من البحر الأحمر لعلها كانت تشمل البحر الأحمر والمحيط الهندى ، كما تشير كلمة "يم عا " أى " البحر العظيم " وهو ما يتمشى مع منطق الأحداث التى ترويها بردية هاريس أثناء وصفها لبعثة رمسيس الثالث الى بونت، كما يتمشى مع التصورات التى سادت بين القدماء عن هذا المحيط - فقد كان الاغريق والرومان يطلقون اسما واحدا على المسطح المائى العظيم الذى يمتد من الخليج العربى الى سواحل الصومال ،ويشمل البحر الأحمر وهى تسمية " البحر الأريترى " ، وقد ظلت معلومات الناس عن هذا البحر مبهمة حتى العصور الوسطى ، فكان العرب يتصورون امتداد هذا المحيط " جنوب المعمور " واذا كان الأمر كذلك بالنسبة للعصور الكلاسيكية والوسطى ، فلاشك أن هذه التصورات كانت سائدة بين المصريين أيضا - نظرا لأن المعلومات عن العالم فى عصرهم كانت أكثر غموضا ، اى أنهم اعتبروا المياه الجنوبية عند نهاية كل من نهر الفرات والبحر الأحمر على الأقل مسطحا مائيا واحدا ، وأطلقوا عليه هذا الاسم الذى اشتقوه من هذا التصور ، وبذلك كانت التسمية " با - يم - عا - ان - موقدى " تشبه فى مدلولها تسمية " البحر الأريترى " الكلاسيكية ، أى أنها تطلق على المسطح المائى الذى يدخل فى نطاقه البحر الأحمر .

وقد أطلق العبرانيون كلمة " بحر سوف " على البحر الأحمر ، وقد ورد هذا الاسم فى سفر الخروج - عدة مرات ،وخاصة فى الاصحاح ١٥ عدد ٢٢ - حيث ذكر كاسم للبحر الذى غرق فيه جنود فرعون ومركباته ، وكذلك فى العدد ٤٠ فى معرض الاشارة للمكان الذى ارتحل فيه بنو اسرائيل الى برية شور ويقول سليم حسن (٢٧) أن ترجمة العبرانيين لكلمة بحر سوف أو"يم سوف " ببحر القلزم أو البحر الأحمر ترجمة خاطئة نتجت عن تصرف مترجمى التوراه ، ذلك

---

(26) Kitchen, Punt and how to get there, Orientalia vol 40 (1971) P. 189 note 23.

(٢٧) سليم حسن : مصر القديمة حـ ٧ ص ١٢٧ - ١٢٨ .

ان كلمة " سوف " تعنى فى العبرية " البوص " وهو نبات يكثر فى المياه الضحلة فى بحيرة المنزلة وعند مصبات الترع والمصارف ، وكان المصريون يطلقون على هذا النبات  (ثوف) ، وقد وردت هذه الكلمة على الآثار المصرية منذ بداية عصر الدولة الحديثة ، فنجدها فى كل من بردية ساليبه (٢٨) وبردية انستاسى (٢٩)  (پاثوفى) كاسم لمكان يكثر به نبات البوص يقع فى منطقة برزخ السويس ما بين بحيرة التمساح وخليج السويس ، وهو المكان الذى اجتازه العبرانيون أثناء خروجهم من مصر (٣٠) .

ونفس الكلمة المصرية ثوفى " هى الكلمة العبرية سوف סוף وقد وردت هذه الأخيرة فى عبارة ים סוף وتنطق (يم سوف) أى " بحر البوص " ،ويلاحظ أن كلمة " يم " أيضا مصرية ، سامية الأصل ، وقد وردت فى اسم البحر الأريترى او البحر الأحمر المذكور فى بردية هاريس ، وقد بقيت الكلمة المصرية ثوف أو ثوفى فى الكلمة القبطية ϫⲟⲟⲩϥ كما يقول جوتييه (٣١) .

ومن أشهر المسميات القديمة للبحر الأحمر التسمية اليونانية Eriteae ومعناها ايضا أحمر وان كان هذا الاسم يطلق على سطح مائى يشمل البحر الأحمر والمحيط الهندى كما يدل على ذلك عنوان الكتاب اليونانى المشهور " دليل البحر الاريترى) Periplus Maris Eritrae

---

(28) Pap. Sallier I pl. 4 C. 9.
(29) Pap. Anstasi III Pl. 2.
(30) Gauthier, Dict. geog. II 43.
(31) Ibid.'II 43.

القسم الأول

ملخصات رسائل الماجستير والدكتوراه

أولا : رسالـة الماجستيـر

دراسة لعلاقات مصر القديمة ببـلاد بونت ونشاطها فى البحـر الأحمـر (١)

ترجع أهمية بلاد بونت لدى المصريين الى أنها كانت مصدرا للبخور الذى كانوا يستعملونه فى الاحتفالات والشعائر الدينية ، يضاف الى ذلك أن المصريين كانوا يعتقدون أنهم من نفس السلالة التى تألف منها شعب بونت . وكانت علاقات المصريين ببلاد بونت ذات طابع فريد فالنصوص المصرية تتحدث عن روابط المودة التى تربطهم بسكان هذه البلاد .

وفى دراسة موضوع بونت أوردت قائمة بالمصادر التى تناولته ، ثم عالجت هذا الموضوع من ثلاث زوايا :-

أولا :- محاولة تحديد موقع بونت وسرت فيه على نهج يتلخص فى عرض شامل لآراء العلماء المختلفة بشأن هذه المشكلة . ثم وضع منهج عام لدراسة هذه الآراء يعتمد على ابراز خصائص بونت كما مثلت على جدران معبد الملكة حتشبسوت فى الدير البحرى والاستعانة بهذا وذاك فى محاولة التوصل الى تحديد موقعها عن طريق مقارنة هذه الخصائص بما ورد فى كتابات الجغرافيين الكلاسيكيين من أوصاف لسواحل البحر الأحمر وخليج عدن من ناحية ، وبما أمكن الحصول عليه من معلومات حديثة عن جغرافية هذه المناطق وطبيعتها فى الوقت الحاضر من ناحية أخرى .

ثانيا :- تتبع العلاقات بين مصر وبونت فى مختلف عصور التاريخ المصرى القديم مع ابراز الطابع العام لهذه العلاقات ، ثم المميزات الخاصة لطبيعة كل مرحلة من مراحل هذه العلاقات .

---

(١) ملخص رسالة الماجستير التى قدمها المؤلف لقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية واجيزت بتقدير ممتاز فى سبتمبر سنة ١٩٦٨

ثالثا : - عرض سريع لأهم نواحى التشابه بين المظاهر الحضارية المادية عند المصريين القدماء ، وبين الظواهر الانثروبولوجية عند سكان مناطق ارتيريا والصومال المعاصرين للوصول الى مدى تأثر هذه المناطق بالحضارة المصرية القديمة ابان هذه الصلات .

أما عن الموضوع الأول وهو تحديد موقع بونت فقد اتجهت فيه محاولات العلماء الى ناحيتين :

أ - محاولات لتحديد موقع بونت بمعناها العام أى المنطقة التى عرفت بهذا الاسم فى مختلف مراحل التاريخ المصرى القديم .

ب - محاولات لتحديد موقع بونت بمعناها الخاص أى بونت التى صورت معالمها على جدران معبد الملكة حتشبسوت فى الدير البحرى وقد اطلقت عليها " بونت الدير البحرى " فى هذا البحث تسهيلا للدراسة .

لقد اختلفت آراء العلماء بشأن تحديد موقع بونت بمعناها العام فن قائل أنها بلاد العرب الجنوبية أو السواحل الواقعة على جانبى بوغاز باب المندب ومن قائل أنها كانت تمتد على الساحل الافريقى للبحر الأحمر شمال بوغاز باب المندب أو أنها تشمل هذا الساحل من مصر الى رأس جرد فورى .

كما اختلفت آراء العلماء بشأن تحديد موقع بونت بمعناها الخاص فيقول البعض أنها منطقة خليج زولا على ساحل أرتيريا بينما يرى جمهرة الباحثين أنها تقع فى منطقة ما ، اختلفت آراؤهم فى تحديدها على ساحل الصومال الشمالى الممتد من خليج تاجورة الى رأس جردفوى .

أما عن تحديد موقع بونت بمعناها الخاص (بونت الدير البحرى)

فكما سبق أن ذكرت امكننى ترجيح تحديد موقع بونت الدير البحرى من دراسة الخصائص العامة لها التى يمكن استخلاصها من رسوم الدير البحرى وأهمها :-

١ - انها منطقة ساحلية تقع على شاطئ البحر الأحمر أو بالقرب منه أو فى داخل مصب نهر قريب من الساحل .

٢ - تنمو بها أشجار الكندر ويستلزم أن تكون منطقة نمو هذه الأشجار أقرب ما تكون الى الشاطئ .

٣ - تعيش بهذه المنطقة أو بالقرب منها حيوان الزراف (وهو حيوان افريقى ولم يظهر فى آسيا قديما أو حديثا) والقردة وخاصة قرد "البابون" وهى من الحيوانات الحية التى صورت فى الرسوم .

٤ - سكانها خليط من عدة سلالات :

أ - السلالة التى تنتمى اليها الطبقة الحاكمة أى البونتيون انفسهم ويشبهون المصريين .

ب- السلالة الزنجية .

جـ - سلالة ثالثة لعلها المسماه " ارم " وهى قريبة الشبه بالبونتيين وربما تمثل " الجالا " .

وبتطبيق هذه الخصائص امكننى استبعاد المناطق التى لا تتوفر فيها هذه الشروط وهى :-

١ - منطقة جنوب بلاد العرب

٢ - الساحل الافريقى للبحر الأحمر شمال بوغاز باب المندب .

وبذلك تتبقى المنطقة الواقعة جنوب بوغاز باب المندب أى ساحل الصومال .

وقد رجحت أن يكون ساحل الصومال الشمالى الشرقى هو موقع منطقة مدرجات الكندر (ختيو عنتيو) الممثلة فى رسوم الدير البحرى ، وأرى أنها المنطقة الممتدة من بلدة بوتيالة الى بلدة علولة على الساحل الشمالى الشرقى للصومال استنادا على عدة أدلة منها :

١ - ما ورد فى مؤلفات الكتاب الكلاسيكيين وخاصة مؤلف البربلوس من وصف لهذه المنطقة الذى يتبين منه أن الكندر يوجد بهذه المنطقة بكميات كبيرة من أجود الأنواع وما زالت منطقة علولة حتى اليوم تصدر الكندر وبعض السلع الأخرى الواردة فى رسوم الدير البحرى مثل العاج والأصداف .

٢ - تجاور ميناء علولة صخرة داخلة فى البحر يسميها الصوماليون حاليا " فيل - كا " أو " فيلك " ومعناها " (جبل) الفيل " لأنها تشبه الفيل الافريقى الرابض وهو نفس الاسم Cape Elephas الذى أطلقه الكتاب الكلاسيكيون على هذه الصخرة التى اعتبروها من معالم منطقة اشجار الكندر .

٣ - يوجد بجوار علولة خليج يسمى حاليا " جل - وين - يصب فيه النهر المعروف فى العصور الكلاسيكية بنهر " الفيل Elephas " والخليج بوفر مرسى مأمون للسفن من تقلبات البحر ، والنهر الصالح للملاحة لمسافة أربعة اميال مما يساعد المصريين على التوغل بقواربهم نحو الداخل ليكونوا أقرب ما يمكن من أشجار الكندر .

٤ - أن تصوير أعشاش الطيور بين الأشجار وهى ممتلئة بالبيض فى رسوم الدير البحرى ، يرجح أن موعد وصول المصريين كان فى فصل الربيع ، وهذا الموسم يتفق مع الظروف الطبيعية السائدة فى شمال شرق الصومال ، وهى ظروف تساعد المصريين على اتمام مهمتهم على خير وجه ، فان الربيع هو موسم المطر الغزير فى هذه المناطق حيث تمتلئ الأنهار الصغيرة المنتشرة فى المنطقة بالمياه مما يجعلها أكثر صلاحية لرسو السفن وللتوغل بالقوارب نحو الداخل ، هذا فضلا عن أن فصل الربيع هو موسم جمع عصارة الكندر ، وبذلك يمكن للمصريين أن يحصلوا على ما كانوا يسمونه " بالكندر الأخضر " أو الكندر الطازج (عنتيوواج) ويبدو أن المصريين كانوا يحرصون على الحصول عليه طازجا أى فى موسم جمعة فقد ورد فى نصوص حتشبسوت أنها حصلت على " باكورة المحصول " .

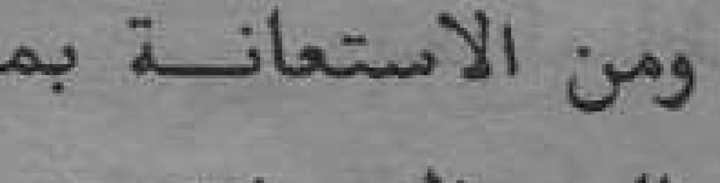
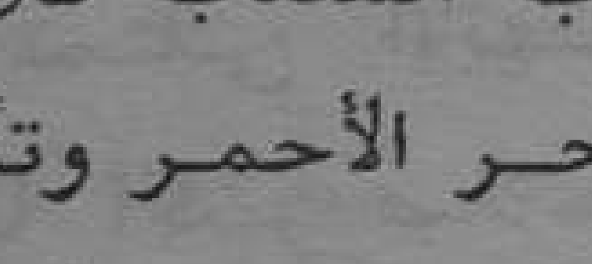
٥ - بالنسبة لأهم الحيوانات الحية التى جلبتها بعثة حتشبسوت يبدو أن قرد البابون كان يعيش قديما فى هذه المنطقة بدليل اطلاق اسمه الاغريقى (Cynocephalus) فى العصر الاغريقى الرومانى على منطقة تقع الى الشرق من علولة مباشرة كما ورد فى كتاب استرابون .

٥ - ان اطلاق مسميات اغريقية مصرية على بعض أجزاء هذه المنطقة كما ورد فى كتابات الجغرافيين الكلاسيكيين مثل كلمة Daphnon وكلمة Nilus وكلمة ايزيس وكلمة Cynocephalus كل ذلك يوحى بوجود نشاط تجارى لتجار مصر من الاغريق فى العصر الاغريقى الرومانى ربما قام على اساس خبرة مصرية سابقة بهذه المناطق فى العصر الفرعونى .

أما عن تحديد موقع بونت بمعناها العام فنلاحظ ما يلى :-

١ - أن كلمة بونت لم تظهر فى أى من نصوص الشعوب القديمة سوى النصوص المصرية القديمة وقد حاول بعض الباحثين تفسيرها بأنها مشتقه من كلمة " اون " بمعنى الباب اشارة الى بوغاز باب المندب غير أن هذا التفسير استند على كتابات متأخرة .

٢ - اننى اعتقد أنه يمكن ايجاد تفسير مرجح للتسمية بونت كما يمكن تحديد مدلول بونت بمعناها العام من تتبع التاريخ الاثنولوجى لمنطقة القرن الأفريقى والسواحل الافريقية للبحر الأحمر ومن الاستعانة بما ورد فى النصوص المصرية من اشارات لبونت ، فان طابع الهجرات من جنوب بلاد العرب عبر بوغاز باب المندب كان يتميز باستقرار المهاجرين على السواحل الافريقية للبحر الأحمر وتأسيسهم المستعمرات التجارية ، وربما جاء البونتيون ضمن هذه الهجرات وأسسوا مراكز تجارية حصينة (كما قد يدل على ذلك رسم السور والبوابة فى مناظر بونت فى الدير البحرى) قامت اساسا على تجارة البخور وخاصة قرب مصر حيث يوجد أكبر سوق فى العالم القديم لاستهلاك البخور .

٣ - يحتمل أن المصريين أطلقوا كلمة " أونت " () بمعنى قلعة أو حصن على هذه المستعمرات البونتيه ثم تحولت هذه الكلمة الى "بونت"  وهى أقدم الأشكال فى كتابة كلمة بونت ثم الى الشكل الشائع فى

كتابة هذه الكلمة وهو  وأن هذه الكلمة اقترنت فى اذهان المصريين بالبخور .

٤ - يبدو أن هؤلاء البونتيين كانوا وسطاء (اذا استخدمنا تعبير نصوص حتشبسوت) لتجارة الكندر (البخور) بين مصر ومناطق انتاجه فى الصومال مما كان يكلف المصريون مصاريف باهظة (نصوص حتشبسوت أيضا) وأن المصريين كانوا يحاولون التوغل جنوبا للوصول لهذه المناطق ،وكان مدلول بونت يمتد نحو الجنوب كلما توغل المصريون فى هذا الاتجاه حتى وصلوا الى منطقة أشجار الكندر فى الصومال فى عصر حتشبسوت والى رأس جردفوى فى عهد خلفائها ، وبذلك أمتد مدلول بونت بمعناها العام من سواحل البحر الأحمر فى مصر الى رأس جردفوى جنوبا .

٥ - بالنسبة الى امتداد مدلول بونت <u>الى ساحل بلاد العرب الجنوبية</u> فان هذا لم يحدث فى العصر الفرعونى وربما حدث ابتداء من العصر الاغريقى الرومانى عندما ارتادت السفن اليونانية سواحل اليمن وسيطرت الدول العربية الجنوبية على سواحل الصومال واحتكرت تجارة البخور فأطلقت كلمات شبيهة بكلمة بونت (التى أقترنت بالبخور) على بعض المواقع فى اليمن .

وبعد أن تناولت موضوع تحديد بونت بمعناها العام والخاص خصصت الباب الثالث لدراسة **طبيعة العلاقات بين مصر وبونت** وقسمت هذه العلاقات الى ثلاث مراحل :-

المرحلة الأولى وهى الفترة السابقة على عصر الملكة حتشبسوت ولم يكن المصريون خلالها قد اكتشفوا منطقة مدرجات الكندر فى بونت وكانت معلوماتهم عن بونت غامضة مبهمة كما تدل على ذلك قصة الملاح الغريق وقد وصلتنا من هذه المرحلة الأولى المعلومات الآتية بخصوص العلا قات بين مصر وبونت :-

ورود اسم بونت لأول مرة على حجر بلرمو من عهد سحورع - اقدم اشارة الى السفر اليها بطريق البحر الأحمر والى استخدام السفن

المسماه " كبنت " - ورود عبارة الكندر الأخضر لأول مرة - أقدم اشارة الى الميناء المسمى ساوو الذى كانت السفن تقلع منه الى بونت - ورود قائمة بأنواع السلع التى كانت تجلب من بونت .

المرحلة الثانية بعثة الملكة حتشبسوت : وفيها اكتشف المصريون مناطق أشجار الكندر فى بونت وبدأوا يحصلون على الكندر من مناطق انتاجه رأسا وتتسم معلومات المصريين عن بونت فى هذه المرحلة بالواقعية الى حد كبير .

وهذه المعلومات تفيد فيما يلى :-

الاشارة الصريحة الى العلاقات الودية بين مصر وبونت - الاشارة الى نجاح المصريين باكتشاف منطقة مدرجات الكندر وتحرير تجارة الكندر من الوسطاء الذين كانوا يتقاضون اثمانا باهظة - نقل أشجار الكندر من بونت لزراعتها فى مصر - ذكر قائمة كاملة للسلع التى كانت تستورد من بونت - ترجيح تحديد موعد وصول المصريين الى بونت بفصل الربيع - الاشارة التى اعتبرها بعض الباحثين تدل على وجود قناة البحر الأحمر - توضيح السلالات البشرية فى بونت .

المرحلة الثالثة وهى الفترة اللاحقة لعصر حتشبسوت حتى نهاية عصر الدولة الحديثة :

وقد انتظمت الصلات خلالها بين مصر ومناطق أشجار الكندر فى بونت على ساحل الصومال الشمالى وصار جلب أشجار الكندر وزراعتها فى حدائق المعابد المصرية تقليدا متبعا يحرص عليه كل فرعون وقد بلغ من انتظام هذه الصلات أن البونتيين كانوا يأتون الى مصر بسفنهم وكان الموظفون المصريون يستقبلونهم على ساحل البحر الأحمر .

وفى ختام هذا البحث أوردت ملخصا سريعا لأهم نواحى التشابه بين بعض الظواهر الانثروبولوجية الثقافية المصرية القديمة وبين

نظائرها فى ارتيريا والصومال اليوم مثل الوسادة الخشبية والصنادل والأقواس المموجة ورؤس الرماح والطبول والقيثارة والكراسى الصغيرة كما أوردت بعض نواحى التشابه بين اللغة المصرية القديمة واللغة الصومالية الحالية وقد أوضحت أن نواحى التشابه هذه قد ترجع الى الأصول الحامية المشتركة بين المصريين القدماء وبين سكان الصومال وأرتيريا المعاصرين من ناحية كما قد ترجع الى تلك الصلات المنتظمة بين مصر القديمة وبونت من ناحية أخرى .

ثانيا : رسالة الدكتوراه ٢

دراسة تاريخية للصلات والمؤثرات الحضارية بين حضارة مصر الفرعونية وحضارات البحر الأحمر (١)

أثناء قيام الباحث باعداد موضوعه لدرجة الماجستير ،عن الجانب التاريخى للنشاط المصرى الفرعونى فى البحر الأحمر ، لاحظ وجود بعض المظاهر الحضارية المصرية فى مناطق هذا البحر ، مما يشير الى تأثير حضارى مصرى فى حضاراته ، ولما كان الباحثون القليلون الذين تناولوا دراسة البحر الأحمر فى العصور القديمة قد أنكروا وجود أى تأثير حضارى مصرى فى حضارات البحر الأحمر ، فقد اعتزم الباحث دراسة هذه الناحية كموضوع لدرجة الدكتوراه ، وبذلك كان موضوع دراسة المؤثرات الحضارية المصرية فى حضارات البحر الأحمر نواة هذا البحث .

ولتوفير الدراسة المقارنة فقد تناول الباحث دراسة المؤثرات الحضارية التى وفدت الى مصر من مناطق البحر الأحمر ، ثم لضمان تكامل الموضوع درس الباحث أيضا الصلات الحضارية بين مصر وبين شعوب البحر الأحمر ، سواء من جانب هذه الشعوب ، أم من جانب المصريين . وبذلك خرج هذا البحث شاملا لدراسة البحر الأحمر كله كوحدة حضارية .

وقد بدأ الباحث فى الباب الأول من بحثه ، بدراسة الجغرافية الطبيعية والبشرية للبحر الأحمر ، وأثرها فى تشكيل نوع الصلات الحضارية بين مختلف مناطقه فأوضح طبيعة ذلك البحر التى جعلته يجمع بين نقيضين ، فبينما هو عامل فصل بين سكان شواطئه الأفريقية والآسيوية فى أغلب أجزائه ، وخاصة الوسطى منها ، فانه عامل ربط بين هؤلاء السكان فى أطرافه الشمالية والجنوبية ، وهذه

---

(١) ملخص رسالة الدكتوراه التى قدمها المؤلف بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الاسكندرية وأجيزت بمرتبة الشرف الأولى فى اكتوبر سنة ١٩٧٣ .

الطبيعة كان لها أثرها فى انتقال المؤثرات الحضارية بين جانبيه الافريقى والاسيوى ، فبينما غلب على هذه المؤثرات الاتجاه من الجانب الافريقى فى الجانب الاسيوى فى أطرافه الشمالية ، أى من مصر الى شبه جزيرة سيناء ، فقد غلب عليها الاتجاه من الجانب الأسيوى الى الجانب الافريقى فى أطرافه الجنوبية ، أى من اليمن الى اريتريا والحبشة عبر بوغاز باب المندب ،ولعل السبب فى ذلك يرجع الى ارتفاع المستوى الحضارى فى المناطق التى كانت تفد منها هذه المؤثرات ، بالنسبة للمناطق التى كانت تتجه إليها ، مما كان له أثره فى صبغ شبه جزيرة سيناء بالصبغة المصرية ، وصبغ مناطق اريتريا والحبشة فى العصور القديمة بالصبغة السامية الجنوبية .

وبينما كان انتقال هذه المؤثرات فى أطراف البحر الأحمر الشمالية نتيجة لدوافع بشرية تتمثل فى استغلال المصريين لثروات سيناء المعدنية ، فقد كان انتقالها فى أطرافه الجنوبية لأسباب طبيعية فى أول الأمر ، ترجع فى أغلبها الى موجات الجفاف ، التى كانت تجتاح شبه الجزيرة العربية ، مما كان يدفع بالهجرات منها الى القارة الأفريقية ، وهى الهجرات التى بدأت بالهجرات الحامية منذ العصر الحجرى القديم الأعلى ، ثم أصبح هذا الانتقال لأسباب بشرية أيضا ، تتلخص فى استقرار المهاجرين الآسيويين على السواحل الأفريقية للبحر الأحمر ، وتأسيس مستوطنات تجارية ، والاختلاط بالسكان الوطنيين على هذه السواحل ، والتزاوج معهم ، وقد تكررت هذه الظاهرة طوال العصور الى درجة أصبحت هى الظاهرة المميزة للصلات بين سكان السواحل الأفريقية والأسيوية ، وقد سجلت هذه الظاهرة فى الرسوم المصرية القديمة الممثلة على جدران معبد حتشبسوت فى الدير البحرى ، كما سجلتها كتابات المؤرخين الكلاسيكيين مثل البربلوس . وكان لهذه الظاهرة نتائج حضارية كبيرة لأنها أخضعت مناطق الساحل الافريقى الشرقى وما يتصل به من مناطق خلفية ، للتأثيرات الحضارية

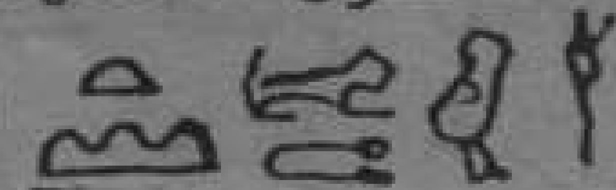
المتواصلة الوافدة من الساحل الأسيوى المقابل ، وجعلت هذه المؤثرات تطغى باستمرار على أية مؤثرات أخرى وتطمسها تقريبا . ولعل هذا هو السبب فى عدم وضوح المؤثرات المصرية القديمة فى هذه المناطق وضوحا كافيا ، وربما كان هذا هو السبب أيضا ، فى أن المؤثرات الحضارية المصرية التى كان لها أثرها فى هذه المناطق ، هى التى وفدت فى ثنايا المؤثرات اليمنية من الساحل الأسيوى المقابل .

وفى الباب الثانى من البحث ، درس الباحث النتائج الاقتصادية للنشاط المصرى فى البحر الأحمر ، مبرزا الجانب التجارى لهذا النشاط ، والسلع المختلفة التى كان المصريون يجلبونها من مناطقه . وقد استهدف الباحث من هذه الدراسة اثبات أن المصريين القدماء قد أرسو تقاليد النشاط الاقتصادى فى البحر الأحمر . وهى التقاليد التى اتبعتها الشعوب الأخرى التى مارست نشاطا فى هذا البحر فيما بعد .

ومن بين الشواهد التى اعتمد عليها الباحث فى هذا الصدد ، انتشار الأسماء المصرية القديمة لبعض سلع البحر الأحمر فى لغات هذه الشعوب .

ولالقاء مزيد من الضوء على صلات المصريين بالساحل الافريقى للبحر الأحمر ، ومقارنتها بصلاتهم مع الساحل الأسيوى لهذا البحر ، فقد درس الباحث الاشارات المصرية الكلاسيكية لاقامة الفراعنة آثارا لهم على هذه السواحل ، كما درس الأسماء الجغرافية المصرية القديمة لمناطق وموانى سواحل البحر الأحمر ومدى تكرار هذه الأسماء على الآثار المصرية ، حتى يمكن الوقوف على أكثر هذه المناطق والموانى اعتيادا لدى المصريين ، ومبلغ ترددهم عليها . وكذلك تحديد أقصى نقطة وصل اليها المصريون جنوبا فى نشاطهم على سواحل هذا البحر . ومن خلال هذه الدراسة قام الباحث بعمل تحقيق جغرافى لتحديد مواقع أهم هذه الأسماء ، اعتمد فيه على الدراسة المقارنة للعناصر الصوتية فى الأسماء المصرية القديمة ، مع ما يناظرها من الأسماء

الكلاسيكية والأسماء الحالية لهذه المناطق والموانى ، وذلك بعد تتبع تسلسل هذه السماء فى مختلف القوائم المصرية القديمة وتطبيق هذا التسلسل على الخرائط الجغرافية الحديثة والكلاسيكية لسواحل البحر الأحمر .

فمثلا لتحديد الاسم المصرى القديم لبلدة زيلع ، لاحظ الباحث أن الاسم " أوزلت "  الذى ورد فى القوائم المصرية ضمن أسماء منطقة جنوب بونت ، وهى المنطقة التى تعادل الساحل الشمالى للصومال ، يشبه اسما صوماليا قديما لمنطقة زيلع وما حولها ، هو "أوضل " أو "أوزل" . وبالرجوع الى الأسماء الكلاسيكية ، وجد الباحث أن منطقة زيلع كانت تسمى فى العصر الأغريقى الرومانى " أفاليتس " أو " أواليتس " وقد أطلق هذا الاسم أيضا على خليج عدن الذى كان يسمى Sinus Avalites ثم تأكد الباحث من احتمال استمرار هذه المسميات القديمة حتى الوقت الحاضر ، من وجود اسماء حالية فى منطقة زيلع ، تشبه هذه المسميات . ومن ذلك الاسم " أوال " الذى يطلق على احدى القبائل الصومالية فى هذه المنطقة . وقياسا على استمرار الاسم الكلاسيكى حتى اليوم ، فانه يحتمل استمرار الاسم المصرى القديم " أوزلت " الذى لا شك أنه اشتق من اسم محلى ، ربما هو نفس الاسم الذى اشتق منه الاسم الصومالى القديم " أوزل " . وهكذا خرج الباحث من هذه المقارنة بين العناصر الصوتية فى الاسم المصرى القديم من ناحية ، وفى الاسماء الكلاسيكية والأسماء الحالية من ناحية أخرى ، بالاضافة الى مقارنته تسلسل الاسم فى القوائم المصرية ، الى ترجيح تحديد موقع الاسم المصرى " أوزلت " بالاسم الحالى " زيلع . وبهذه الطريقة التى ترتكز على الرجوع الى الوراء لتتبع المراحل المختلفة لتطور الاسم الحالى فى مختلف العصور قدر المستطاع ، وصلته الصوتية بالاسم المصرى القديم ، ومقارنته بالأسماء الكلاسيكية ، تمكن الباحث من تحديد اسماء بعض الموانى والمناطق الأخرى على ساحل الصومال الشمالى ، مثل موانى بربرة وميد وجزيرة

حيس وميناء حيس ورأس عمترة وعلولة ورأس جردفوى ، وذلك بالاضافة الى أسماء الموانى الرئيسية على السواحل الأريترية والسودانية للبحر الأحمر مثل المناطق المحيطة بموانى سواكن ومصوع وأدوليس .

وبالنسبة لتحديد أقصى نقطة وصل اليها المصريون جنوبا فى صلاتهم المباشرة مع الساحل الافريقى للبحر الأحمر ، فقد خرج الباحث من هذه الدراسة بترجيح تحديد هذه النقطة برأس جردفوى على ساحل الصومال الشمالى الشرقى . كما خرج بنتيجة هامة ، وهى أنه بينما كان المصريون على علاقة مباشرة ومنتظمة بالساحل الافريقى للبحر الأحمر ، فلم تكن لهم أية صلة مباشرة بالسواحل الأسيوية الجنوبية لهذا البحر ،وقد تأكدت هذه النتيجة لدى الدارس من عدم ورود أية اسماء لمناطق هذه السواحل على الآثار المصرية . ومن الغريب أن هذه الظاهرة من جانب المصريين ، تقابلها ظاهرة مماثلة من جانب حضارات بلاد العرب الجنوبية . فلم ترد على آثار هذه الحضارات الا اشارات محدودة لاسم مصر ، تبين من بحثها انها اما تشير لمصر فعلا ، ولكنها لا ترجع الى ما قبل العصر الفارسى ، أو انها تشير الى ما كان يعرف فى النقوش العربية الجنوبية " بمعين مصرن " وهى مستوطنة معينية ، كانت تقع فى منطقة الحجاز ، وكان يطلق عليها هذا الأسم ، تمييزا لها عن معين الجنوبية الشهيرة الواقعة فى جنوب اليمن . وهذه الظاهرة التى تتمثل فى عدم وجود صلات مباشرة بين مصر وبلاد العرب الجنوبية ، تفسر تلك التغييرات المختلفة التى حدثت فى المظاهر والعناصر الحضارية المصرية التى انتقلت الى هذه البلاد لأن هذا الانتقال تم بطريقة غير مباشرة عبر سيناء ،فقد كانت سيناء جسرا حضاريا انتشرت عن طريقه الحضارة المصرية القديمة الى سائرالمناطق الأسيوية للبحر الأحمر .

ولقد خصص الباحث الباب الثالث من البحث لدراسة المؤثرات الحضارية المصرية فى حضارات البحر الأحمر ، وخاصة حضارات اليمن

والحبشة ، وقد واجهته مشكلة هامة فى هذه الدراسة ، هى عدم وضوح المؤثرات المصرية فى هذه الحضارات وضوحا كافيا ، يجعل من السهل ردها الى اصول مصرية ولعل ذلك كان السبب فى انكار الباحثين لوجود تأثيرات مصرية فى حضارات اليمن والحبشة ، غير أن الباحث لجأ الى نوع من الدراسة التحليلية ، لاثبات وجود هذه التأثيرات . وذلك بتحليل المظاهر الحضارية اليمنية والحبشية التى تبدو فيها ملامح مصرية ، الى عناصرها الأساسية ، وتتبع تطور هذه العناصر فى انتقالها من منطقة الى أخرى ، للوصول الى اصولها المصرية التى اشتقت منها أو تطورت عنها ، والتعرف على ما يحتمل أن يكون قد حدث فيها من تغيير ، نتيجة لاختلاف الظروف الطبيعية والبشرية ، وتعدد البيئات التى مرت بها . ولتحقيق هذا الهدف فقد وضع الباحث منهجا لتتبع درجات هذا التغيير ، الذى يتفاوت من التغيير الطفيف ، الذى يمكن أن نسميه " بالملاءمة والتوفيق " ، ومؤداه أن يوفق الشعب المتأثر بين المظهر الحضارى الوافد اليه ، وبين المظاهر الحضارية الخاصة به الشبيهة بذلك المظهر الوافد دون احداث تغيير كبير فيه ، ثم " التعديل " ، ومؤداه أن يقوم الشعب المتأثر باحداث تغيير فى العنصر الحضارى الوافد لكى يلائم ظروفه ومعتقداته ، ولكن لا يبعده كثيرا عن شكله الأصلى . وأخيرا " التحول " ، ومؤداه أن يدخل الشعب المتأثر تغييرا جوهريا على المظهر الحضارى الوافد اليه ، يبعده تماما عن اصوله الأولى . ومن الواضح أن الملائمة والتوفيق تحدث فى المظاهر الحضارية بين الشعوب ذات الاتصال المباشر ، بينما تحدث التعديلات والتحولات غالبا فى المظاهر الحضارية بين الشعوب التى لا يوجد اتصال مباشر بينها .

ولهذا السبب فان التعديلات والتحولات قد تستغرق فترات طويلة من الزمن قد تصل الى عدة قرون وقد تظهر المؤثرات والمظاهر الحضارية المعدلة فى المناطق الجديدة بعد اختفائها من مواطنها

الأصلية ، ومثال ذلك المسلات الأكسومية ، التى ظهرت فى الحبشة بعد توقف اقامتها فى مصر بعدة قرون .

وعلى أى حال فان هذه الدرجات من التغيير التى افترضها الباحث ، لا يمكن فى كثير من الأحيان تحديد فواصل واضحة بينها ، اذ تتداخل فى بعضها ، نتيجة للطبيعة المرنة لعملية الانتشار الحضارى Cultural diffusion . وانما قصد الباحث من هذا التحديد ، الى مجرد تيسير الدراسة .

وقد قام الباحث ، بتطبيق هذا المنهج على المظاهر الحضارية التى أمكن تتبع مراحلها ، فى أكثر من منطقة من مناطق البحر الأحمر ، وهى الكتابة ، والمسلات واللوحات وموائد ومذابح القرابين ، والمباخر ومحارق البخور ،وأحواض التطهر والاغتسال فى المعابد وبعض نماذج من الفن التشكيلى والفنون الصناعية وما يسمى بلوحات حورس السحرية وأخيرا المؤثرات المصرية فى سفن البحر الأحمر والمحيط الهندى .

فبتطبيق هذا المنهج على الكتابة مثلا ، لاحظ الباحث أن الكتابة المصرية الهيروغليفية ، عندما انتقلت الى سيناء حيث توجد بيئة صحراوية ، تختلف فى ظروفها الطبيعية عن البيئة المصرية الزراعية ، أخذت عوامل التبسيط والتجريد التى تسود البيئات الصحراوية ، فى إحداث تأثيرها فى هذه الكتابة ، فتغيرت الكتابة الهيروغليفية المعقدة ذات الصفة المقطعية ، الى كتابة أكثر تبسيطا تسودها الصفة الأبجدية المبسطة . وبذلك ظهرت الكتابة البروتوسينائية ، التى تتكون من خمسة وعشرين (٢٥) حرفا ، ويمكن أن نعتبر هذا التغيير نوعا من الملاءمة أو التوفيق ، لأنه رغم تغيير الصفة الصوتية للكتابة المصرية ، من المقطعية الى الأبجدية الصرفة فى الكتابة البروتوسينائية ، فإن العلامات لم تفقد خاصيتها التصويرية بوجه عام ، وهى الخاصية التى تميز الكتابة المصرية الهيروغليفية ، وقد مكنت هذه الصفة التصويرية الباحثين من قراءة بعض علامات الكتابة البروتوسينائية باستخدام

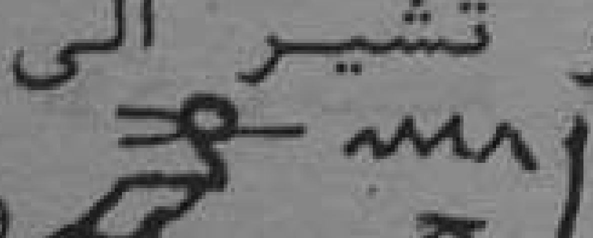
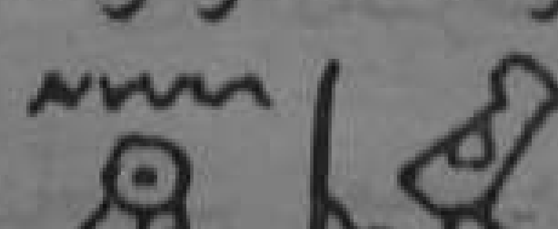
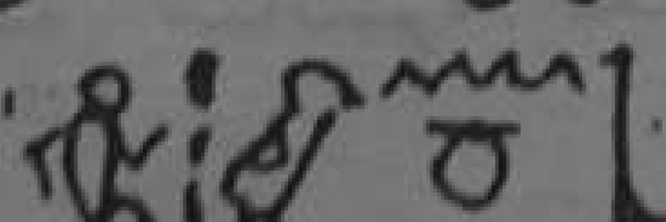
القاعدة الاكروفونية . وعندما انتقلت الكتابة البروتوسينائية عبر الساحل الأسيوى للبحر الأحمر ، وازداد تعرضها لتأثير البيئة الصحراوية ، ظهر فى علاماتها المزيد من التبسيط والتجريد ، ففقدت هذه العلامات الصفة التصويرية ، واقتربت من الخاصية الخطية ، وهى الخاصية التى ميزت الكتابة السامية الجنوبية . وبذلك فاننا أمام نوع من التعديل بالنسبة للكتابة البروتوسينائية لأنه بالرغم من هذا التغيير الكبير فى أشكال العلامات ، فان الكتابة السامية الجنوبية المبكرة ، احتفظت بالخصائص العامة للكتابة البروتوسينائية ، مثل الاتجاه الرأسى فى الكتابة الثمودية القديمة وهى أحد فروع الكتابة السامية الجنوبية ، والاتجاه من اليمين الى اليسار ، ومن اليسار الى اليمين أو ما يعرف بالاتجاه الحلزونى فى الكتابة العربية الجنوبية المبكرة ثم فى وجود العلامات المزدوجة فى الكتابة الثمودية القديمة أيضا .

وعندما عبرت الكتابة السامية الجنوبية البحر الأحمر الى أريتريا والحبشة ، خضعت لتغييرات أدت الى ظهور الكتابة الأثيوبية ، التى تختلف كثيرا عن البروتوسينائية ثم عن السامية الجنوبية فى مراحلها المتأخرة وتظهر هذه الاختلافات فى ظهور الحروف المتحركة ، وفى اتجاه الكتابة من اليسار الى اليمين ، كما تظهر فى أشكال بعض العلامات . وهكذا فاننا بذلك أمام الدرجة الثالثة من التغير وهو ما يمكن أن يسمى بالتحول .

وبعد دراسة الكتابة درس الباحث المظاهر الحضارية الأخرى مثل المسلات الأكسومية ، ولتتبع أصولها المصرية والعربية الجنوبية ، قام الباحث بتحليلها الى عناصرها ، وهى القمة المدببة أو المستديرة والزخارف التى على جوانبها ، وقد أمكن تتبع أصول هذه العناصر فى كل من اليمن وسيناء ومصر ، وأثبت الباحث من هذه الدراسة ، أن هذه المسلات قد تأثرت بعناصر يمنية خالصة ، وبعناصر يمنية متأثرة بعناصر مصرية انتقلت الى اليمن عبر سيناء .

وقد طبق الباحث نفس هذا المنهج التحليلى ، على دراسة المظاهر الحضارية الأخرى فاثبت أن كثيرا من المظاهر الحضارية العربية الجنوبية ، وغيرها من المظاهر الحضارية السامية ، نشأت فى مصر أو فى سيناء تحت التأثير المصرى .

وقد اختتم الباحث هذا الباب عن المؤثرات الحضارية المصرية ، بأن خصص الفصل الأخير منه للمؤثرات المصرية فى سفن البحر الأحمر والمحيط الهندى ، وخاصة طريقة بناء ذلك النوع من السفن الذى يعرف بالسفن الخيطية أو السفن المخيطة ، وتتبع الأصول المصرية لهذه الطريقة ، كما تتبع أيضا الأصول المصرية لأشكال شُرُع وصوارى وحليات وزخارف هذه السفن ، مثل الشراع المربع والشراع المثلث والصارى السلمى الشكل وزخارف المقدمة التى على شكل العين ، والتى تطورت فيما بعد الى الفتحة التى تتدلى منها مرساة السفينة .

وفى الباب الرابع من البحث ، انتقل الباحث الى الجانب الآخر من الموضوع ، أى الى نشاط الشعوب والجماعات الأخرى فى البحر الأحمر . فبدأ بدراسة النشاط البونتى وعلاقته بمصر . وناقش الآراء التى تربط بين الفينيقيين والبونتيين ، وتنسبهما الى مناطق البحر الأحمر ، ودرس الأسماء المصرية والأغريقية للبونتيين والفينيقيين واشتقاقاتها ومعانيها ، وخاصة المعانى المختلفة للاسم الاغريقى Phoenix والاسم المصرى " بنو " والمسميات الأخرى التى تشير الى اللون الأحمر ، أو تشير الى المناطق الصحراوية وقد لاحظ الباحث أن الاسم " بنو  وهو الاسم المصرى للطائر الخرافى المسمى فى الاغريقية Phoenix يطلق على المقاطعات المصرية الواقعة شرق النيل ، التى تنتهى عندها الطرق الصحراوية القادمة من البحر الأحمر والصحراء الشرقية . وبمقارنة هذا الاسم بالكلمة المصرية  وبن " بمعنى يشرق رجح الباحث أن المصريين ربما أطلقوا الاسم  " بنو " أو اسما مشتقا منه ، على الجماعات التى كانت تفد الى مصر من المناطق

الشرقيـة ، ومن بينهـم البونتيـون ، وأنهم ربما أطلقوا هذا الاسم على سائر المناطق الواقعة الى الشرق بين مصر ، ومن بينهـا بـلاد العرب ، وأنه تحول فى العصر البطلمى الى كلمة  التى تعنى " رجل من بلاد البخور " ، وأن هذه التسميـة ، ربما كانت الأصل فى الرواية التى رددها هيرودوت ، بشأن العلاقة بين طائر الفنكس وهو طائر " البنو " فى المصرية ، وبين بلاد العرب .

وبالنسبـة للتشابـه الملفت للنظر بين نشاط البونتييـن ونشاط الفينقييـن فى البحر الأحمر ، والآراء التى تعتبـر الفينقييـن احفادا أو خلفاء للبونتييـن ، وكذلك الروايات الكلاسيكيـة التى تنسب الفينقييـن الى البحر الأريتـرى (الذى كان يشمل البحر الأحمر) ، مثل رواية هيرودوت ، فان الباحث يرى أن الشواهد الكثيـرة ترجح ذلك . ولكن نتيجة لعدم وجود أدلة حاسمة حتى الآن على هذه الصلة ، فان من الممكن افتراض أن الفينقييـن ، بوصفهم احدى الجماعات التى خرجت مع الهجرة الكنعانيـة من شبه الجزيرة العربيـة عندما لاحظوا نواح كثيـرة للتشابـه بينهـم وبين البونتييـن ، الذين يرجعون فى اصولهم البعيـدة الى شبـه الجزيرة العربيـة أيضا ، ربما دفعتهـم حاستهـم التجاريـة الى الاستفـادة من ذلك التشابـه ، فنسبـوا أنفسهم الى بالبحـر الأريتـرى (كما جاء فى رواية هيرودوت) حتى يكتسبـوا حقوقا فى استغـلال تجارتـه الرائجة ازاء الشعوب الأخرى التى كانت تنافسهـم فى هذا الاستغـلال .

وفى اطار دراسة التشابـه بين نشاط الفينقييـن والبونتييـن والمصرييـن والعبرانييـن فى البحـر الأحمـر ، فقد درس الباحث التشابـه بين بونت وأوفيـر ، وخاصة السلـع التى كانت تجلب من كل من المنطقتيـن وقارن بين نصوص الكتاب المقدس عن أوفيـر ، وبين النصوص المصريـة عن بونت ، كما قارن كلاهما بما يشبههـا من روايات الكتاب القدمـاء ، وبهذه الطريقـة ، أثبت الباحث ، أن أوفيـر كانت تقـع فى منطقـة افريقيـة وليس فى منطقـة أسيويـة كما يرى بعض الباحثيـن ، وأمكنـه تحديد موقعها على الساحل الأفريقـى للبحـر

الأحمر بالقرب من خليج تاجورة فى الصومال الفرنسى . (جمهورية جيبوتى حاليا) .

وبالنسبة للمؤثرات الحضارية للبونتيين والفينقيين فى مناطق البحر الأحمر ، ودور هؤلاء فى نقل المؤثرات الحضارية المصرية بين هذه المناطق ، فقد عرض الباحث بعض المظاهر المحتملة لهذا النشاط مثل انتشار شكل الطوف الذى ظهر فى سفن البونتيين وفى سفن شعوب البحر الأحمر الأخرى . وفى احتمال ظهور شكل الآلة بس على آثار اليمن وكذلك فى طريقة تمثيل القرص والهلال على هذه الآثار .

ونظرا لأن الآله بس يرتبط بالشعوب التى مارست نشاطا فى البحر الأحمر ، وهم المصريون والبونتيون والفينقيون ، فقد درس الباحث أصل هذا الاله ، وأثبت أنه من أصل افريقى بحت على عكس آراء بعض الباحثين ، التى تنسبه الى أصل أسيوى ، ويرى الباحث أن هذا الاله ليس الا شكلا آلهيا لأقزام بونت ، وقد تتبع الباحث انتشار عبادته بين المصريين والفينقيين ، كمظهر لنوع من الصلات بين الشعبين ، اما خلال نشاطهم البحرى المشترك فى البحر الأحمر ، أو نتيجة لوجود مراكز استيطان تجارية للفينقيين فى مدينة منف المصرية .

وفى الباب الخامس والأخير ، تتبع الباحث المؤثرات الأجنبية ، التى دخلت مصر فى عصور ما قبل التاريخ من مناطق البحر الأحمر عبر وادى الحمامات والصحراء الشرقية ، ودرس مظاهر هذه المؤثرات فى صفات الآلهة المصرية التى ارتبطت ببونت (أى الساحل الافريقى للبحر الأحمر) وهى الآلهه حورس ومين وحتحور . وعرض لتلك المشكلة الكبيرة ، وهى مشكلة دخول مؤثرات عراقية الى مصر فى عصر ما قبيل الأسرات أو بدء الأسرات . وقد لاحظ الباحث عدة ظواهر ترتبط بهذا الموضوع هى :-

أولا : أن المؤثرات العراقيـة التـى نقلت الى مصر ، وجدت كلها أو أغلبها فى المناطق الواقعة عند نهاية الطرق الصحراوية القادمة من مناطق البحر الأحمر والصحراء الشرقيـة وأهمها طريق وادى الحمامات ثم طريق وادى عباد ، وهذه المناطق هى فى الوقت نفسه المراكز المبكرة لعبادة الآلهة المصرية التى نسبها المصريون الى بونت أى الساحل الافريقى للبحر الأحمر ، وهى الآله حتحور ومين وحورس . فان سكين جبل العركى وجدت بالقرب من بلدة " هو" مركز عبادة الآلهه حتحور ، ورسوم السفن التى يغلب أنها عراقية الطراز نقشت على صخور وادى الحمامات بالقرب من قفط مركز عبادة الاله مين والمشكاوات اللبنية فى المبانى وجدت فى نقادة مركز عبادة الاله حورس ومقبرة الكاب توجد بالقرب من ادفو مركز عبادة الاله حورس أيضا . وكل هذه المناطق تقع عند نهاية طريق وادى الحمامات فيما عدا منطقة ادفو التى تقع عند نهاية طريق وادى عباد ، وان كانت لا تبعد كثيرا عن طريق وادى الحمامات .

ثانيا : أن هناك ارتباطا قويا بين هذه الآلهة المصرية الثلاثة بالاضافة الى نسبتها الى بونت ويتمثل هذا الارتباط فى كونها من أقدم الآلهه المصرية فى الجنوب وفى ظهور اشكالها أو رموزها جنبا الى جنب على الآثار المصرية المبكرة القريبة فى الزمن من عصر دخول المؤثرات العراقية الى مصر مثل صلاية الثور ولوحة نارمر ، بل ان بعض هذه الآثار وجدت فى نفس المناطق التى عثر فيها على المؤثرات العراقيـة مثل لوحة نارمر التى وجدت فى الكوم الأحمر غرب النيل فى مواجهة الكاب .

ثالثا : أن هذا الارتباط بين الآلهة المصرية الثلاثة امتد الى العصور التاريخية ، وقد تمثل فى الارتباط الشديد بين الآله حورس والالهة حتحور ، ثم الارتباط بين حورس ومين فى قفط وفى التشابه

بين رموزهما وبعض مظاهر عبادتهما فى قفط مركز عبادة مين وفى ليتوبوليس أحد مراكز عبادة حورس .

رابعا : أن هناك بعض نواحى التشابه بين هذه الآلهة المصرية وبين آلهة العراق وبلاد العرب الجنوبية مثل التشابه بين الآلهة حتحور والآلهة ننحور ساج السومرية والتشابه بين الاله مين والاله المقه السبئى ، أما الاله حورس فربما كان له شبيه فى مناطق البحر الأحمر كما يدل على ذلك اسمه وطبيعة الصقر كطائر يستوطن الصحارى واللون الأحمر الذى مثل به على الآثار المصرية بالاضافة الى احتمال ورود شكل الصقر فى رسوم السفن ذات الطراز العراقى .

من كل تلك القرائن ، يبدو أن عملية نقل المؤثرات الميزوبوتامية من العراق الى مصر كانت ذات صلة بمراكز الآلهة المصرية التى ارتبطت ببونت اى بالساحل الافريقى للبحر الأحمر ، كما يبدو أن خط انتقال هذه المؤثرات كان يمر عبر مناطق افريقية وأسيوية ، وعلى هذا فمن المرجح أن انتقال هذه المؤثرات الى مصر تم بواسطة شعب أو جماعات كانت تسكن مناطق متوسطة بين مصر والعراق وتقوم بدور الوسيط فى الاتصالات بين الطرفين ، وربما كان هذا الشعب أو الجماعات نوعا من الوسطاء التجاريين لعلهم كانوا الوسطاء الذين يشتغلون بتجارة البخور الرائجة على السواحل الافريقية والأسيوية للبحر الأحمر منذ العصور المبكرة كما يشير لذلك نص من عصر حتشبسوت فيما بعد وربما كان الوسطاء من سكان الساحل الافريقى للبحر الأحمر (بونت) هم الذين نقلوها مباشرة الى مصر حيث استقرت فى مراكز عبادة الآلهة التى ارتبطت ببونت . ولعل السبب فى ذلك يرجع الى أن مناطق هذه الآلهة كانت أكثر المناطق اعتيادا لدى سكان منطقة بونت نتيجة لارتباطهم بآلهتها . وقد تجلى هذا الارتباط بوضوح فى العصور التاريخية فقد كان البونتيون يشاركون فى احتفال عيد الآله مين ، بدليل أن شخصا تطلق عليه نصوص هذا الاحتفال " نحسى بونت " كان يقوم بدور

رئيسى فى هذا الاحتفال ، كما أن بعض البونتيين كانوا يشاركون فى احدى المباريات التى تجرى أثناء هذا الاحتفال .

وقد استخلص الباحث من ارتباط الآلهة المصرية التى نسبت لبونت مع بعضها وظهورها جنبا الى جنب على الآثار المصرية المبكرة التى وجدت فى الوجه القبلى مثل صلاية نارمر وصلاية الثور ، ومن امتداد هذا الارتباط الى داخل البيئة المصرية ، مثل الارتباط بين الاله مين والاله حورس فى قفط والتشابه الكبير بين رموزهما وبعض مظاهر عبادتهما فى كل من قفط وليتوبوليس ، ثم الارتباط بين حورس وحتحور ، استخلص الباحث من كل ذلك أن يكون هذا الارتباط الشديد اساسه الاشتراك فى الأصل بين هذه الآلهة الذى ربما يرجع الى الأصول البعيدة المشتركة بين المصريين والبونتيين وغيرهم من العناصر الحامية السامية التى كانت تسكن السواحل الافريقية للبحر الأحمر ، وقد تجلت مظاهر ذلك بوضوح فى تصوير المصريين للبونتيين على شاكلتهم وفى نسبة أجدادهم الى بونت ، ثم أخذ هذا الارتباط يتزايد منذ عصر ما قبيل الأسرات وفى العصور التاريخية حتى تبلور فى تلك الصلة القوية بين الآلهة المصرية وبين مناطق البحر الأحمر (بونت) .

وقد خلص الباحث من دراسته للمؤثرات الأجنبية التى دخلت مصر بطريق البحر الأحمر ، وما تعرضت له داخل البيئة المصرية من تغيير وامتصاص ، الى أن الروح المصرية ، عبرت منذ ذلك العصر المبكر عن تلك الخاصية التى أصبحت من أهم مميزاتها فى العصور التالية ، وهى قدرتها الفائقة على امتصاص المؤثرات الأجنبية ، فان هذه المؤثرات لم تلبث أن اختفت وانصهرت فى البوتقة المصرية ، ولم تترك وراءها سوى ذكراها القديمة ، ممثلة فى نسبة بعض الآلهة المصرية الى بونت ، أو بعض بصماتها التى تتمثل فى تلك الأشكال المعدلة من المشكاوات اللبنية فى المبانى .

وفى نهاية البحث ، أبرز الباحث الأدلة على اصالة الحضارة المصرية وعمق جذورها ، وهى الصفات التى اكسبتها ما امتازت به من

قوة تأثير فى الحضارات الأخرى ، بدليل تأثيرها فى حضارات اليمن والحبشة ، رغم عدم وجود علاقات مباشرة بين مصر وبين هذه البلاد ، وكان من نتائج هذا التأثير انتشار الكتابة المصرية الى جنوب بلاد العرب ، مما ساعد على ظهور الحضارات العربية الجنوبية ، كما حدث التقدم الكبير فى الحبشة ، نتيجة لادخال الكتابة العربية الجنوبية التى ليست الا شكلا متحولا عن الكتابة الهيروغليفية المصرية البعيدة . (عن طريق الكتابة البروتوسينائية) .

وعلى هذا فقد كان لمصر تراث حضارى ضخم بين حضارات البحر الأحمر ، على عكس ما أعلنه الباحثون ، من انكار وجود تأثير حضارى مصرى فى هذه الحضارات ، وكانت سيناء هى النافذة التى أشعت منها الحضارة المصرية القديمة على مناطق البحر الأحمر . ولم تكن حضارات البحر الأحمر كما يرى هؤلاء الباحثون متباعدة متنافرة لا ترابط بينها ، بل كانت تندرج فى وحدة حضارية لبها ومحورها الحضارة المصرية القديمة .

القسم الثانى

البحوث التى تناولت تاريخ وآثار الجانب الافريقى للبحر الأحمر

(مصر وما يليها جنوبا)

٣ محاولة لتحديد موقع بونت

للدكتور/ عبد المنعم عبد الحليم سيد *

يعتبر موضوع تحديد موقع بونت (١) من بين الموضوعات التى تعرضت لاختلافات متباينة فى وجهات نظر علماء الدراسات المصرية ، ويرجع ذلك إلى عدم تحديد مدلول بونت الجغرافى لدى المصريين أنفسهم ، فرغم أهمية هذه البلاد لهم ، ورغم ما أظهروه نحوها من الاحترام والتقديس إلا أن ما دونوه عنها لا يفيدنا فى التعرف على مميزاتها وخصائصها وموقعها ، حتى تلك الرسوم الفريدة ، التى وردت على جدران معبد الملكة حتشبسوت فى الدير البحرى ، والتى تصور جانبا من طبيعة بونت والحياة فيها ، لا تقدم لنا معلومات محددة عن موقع هذه البلاد .

وترجع أهمية بلاد بونت لدى المصريين وقيمتها عندهم ، إلى أنها كانت مصدرا للبخور وخاصة ذلك النوع الفاخر المعروف عندهم باسم " عنتى " أو " عنتيو " أو " عنتيو واج " الذى كانوا يستعملونه فى الاحتفالات والشعائر الدينية . وكان البخور عنصرا أساسيا هاما فى أداء هذه الاحتفالات والشعائر مما كان يدعو المصريين إلى أن يبذلوا كل مرتخص وغال فى سبيل الحصول عليه . يضاف إلى ذلك أن المصريين كانوا يعتقدون أن لهم علاقة قديمة بهذه البلاد ، وأنهم من نفس السلالة التى تألف منها شعب بونت ، فقد كان رجال بونت يرسمون على الآثار المصرية على هيئة المصريين وبلحى تقليدية كالتى يلبسها آلهة المصريين ، وكانت

---

* نشر هذا البحث فى " دراسات أثرية وتاريخية " من مطبوعات جمعية الآثار بالاسكندرية العدد الخامس ، ١٩٧٤ ص ٥ - ٤٠ .

(١) هناك قراءة حديثة لهذه الكلمة هى قراءة جاردنر الذى يقول بأن قراءتها " بونت " غير صحيحة وأن الأصوب قراءتها " بوينى Pwene ولكنه يقول أن هذه القراءة تخمينيه ، أنظر :

(Gardiner, A; Egypt of the Pharaohs, Oxford (1961) P. 37 note 1).

ولذلك سأستخدم فى هذا المقال كلمة " بونت " نظرا لشيوعها .

علاقات المصريين ببلاد بونت ذات طابع خاص ، فالنصوص المصرية تتحدث عن روابط المودة التى تربطهم بهذه البلاد ، وهو اسلوب يختلف عن الاسلوب العنيف الذى اتبعه المصريون مع الشعوب الأخرى التى كانت تهدد حدودهم أو أملاكهم .

ولما كانت الآثار المصرية لم تشتمل على أية اشارة واضحة مباشرة تنير الطريق نحو حل مشكلة تحديد موقع بونت ، فقد أخذ العلماء والباحثون يتلمسون السبيل الى ما يهديهم إلى تحديد هذا الموقع ، تارة بدراسة الأصل اللغوى لكلمة " بونت " ، وأخرى بدراسة ما نقش على الآثار من معالم لهذه البلاد ، وتارة بما تحويه المناظر المصورة لسكان بونت وما يحملونه من هدايا من حيوان ونبات ، ومقارنتها بالأحوال النباتية والحيوانية لمناطق البحر الأحمر فى الوقت الحاضر وهكذا .

وفى دراسة تحديد موقع بونت يجب أن نشير إلى اتجاهين : -

أ - اتجاه لتحديد موقع بونت بمعناها العام أو الشامل أى المنطقة التى عرفت عند المصريين القدماء بهذا الاسم ، منذ أن وردت هذه الكلمة على الآثار المصرية فى عصر الدولة القديمة إلى آخر عصور التاريخ المصرى القديم .

ب - اتجاه إلى تحديد موقع منطقة بونت التى صورت معالمها على جدران معبد الملكة حتشبسوت فى الدير البحرى والتى رست عندها سفن هذه الملكة ، ولا شك أن هذه المنطقة كانت جزءا من بونت بمعناها العام أو الشامل .

ونظرا لضخامة موضوع تحديد موقع بونت ، سأقتصر فى هذا المقال على النقطة الثانية أى على تحديد موقع ذلك الجزء من بلاد بونت الذى رسمت معالمه على جدران معبد الملكة حتشبسوت فى الدير البحرى ، وساطلق عليه " بونت الدير البحرى " اختصارا للعبارات .

وقبل ان ابدأ فى تناول هذا الموضوع ساستعرض فى كلمة سريعة آراء العلماء بشأن تحديد موقع " بونت الدير البحرى " والأدلة او القرائن التى اعتمد عليها كل منهم فى هذا التحديد .

يمكن اجمال آراء العلماء بشأن تحديد موقع بونت الدير البحرى فيما يلى :-

أولا : فى المنطقة الممتدة من سواكن الى مصوع على ساحل السودان :

واول من قال بهذا الرأى كرال عام ١٨٩١ (٢) وقد اعتمد فيه اساسا على ان هذه المنطقة تنتج الصمغ العربى الذى كان المصريون يستخدمونه فى البخور (وقد ثبت خطأ هذا الرأى لأن المصريين استخدموا اللبان كبخور " عنتيو " وليس الصمغ) ، وعلى شهرة بعض موانى هذا الساحل التجارية فى العصور التالية مثل ميناء أدوليس واتصالها بمدن الداخل مثل مروى ونباتا بالطرق التجارية .

وقد تجدد هذا الرأى بما يشبهه بعد ثمانين عاما عندما نشر Kitchen و(٣) مقالا فى مجلة Orientalia عام ١٩٧١ حدد فيه الامتداد الساحلى لبونت بالمنطقة الممتدة من بورسودان الى شمال اريتريا ، وساعود لمناقشة رأى كتشن بالتفصيل نظرا لأنه أحدث الآراء .

ثانيا : فى منطقة خليج زولا على ساحل اريتريا :-

ومن المتحمسين لهذا الرأى كارل سلفر (٤) الذى اعتمد فيه اساسا على دراسة الظواهر الطبيعية فى البحر الأحمر من رياح

---

(2) Krall, J; Studien zur Geschichte des Althen Aegypten, IV; "Das Land Punit", Wien, 1890.
(3) Kitchen, K; A; "Punt and how to get there" Orientalia, Vol. 40 (1971) P. 188 ff.
(4) Solver, C.; "Egyptian shipping of about 1500 B.C. "Mariner's Mirror, Vol. XXII (1936) P. 365 ff.

وتيارات بحرية ، وطبيعة ساحل هذا البحر ومدى ملاءمته لرسو السفن ، ثم على شهرة ميناء أدوليس القديم الواقع جنوب ميناء مصوع الحالى . وأخيرا على التشابه بين بعض المسميات مثل تشابه اسم قبائل الآفار (وان كان صحة نطقها عفر وليس آفار) التى تسكن هذه المنطقة حاليا ، مع الاسم القديم " أوفير " الذى أطلق فى التوراه على المنطقة التى كان سليمان الحكيم يستورد منها سلعا مشابهة لسلع بونت المرسومة على جدران معبد الدير البحرى ، وقد اقتفى سلفر آراء ليبلين (٥) فى هذا الصدد .

ثالثا : فى منطقة خليج تاجورة فى الصومال الفرنسى : - (*)

وصاحب هذا الرأى هو بالارد (٦) وقد اعتمد فيه على ما يلى :

أ - التشابه بين الدناكل أو الآفار وهم السكان الحاليون لهذا الخليج وبين أهالى بونت أو البونتيين الممثلين على الآثار المصرية ، على أساس أن الاثنين من أصل حامى ، ثم التشابه بين كلمة آفار وكلمة أوفير .

ب - وجود نوع من أشجار المر فى الداخل على امتداد خليج تاجورة وتصدير المر من ميناء جيبوتى حتى الوقت الحاضر (١٩٢٠) .

جـ - تفسير عبارة " حر جسوى واج ور " الواردة فى نصوص الدير البحرى والتى تصف مكان المقابلة بين قائد بعثة حتشبسوت وبين أمير بونت (النص فى " شكل ٢ " الصف الأوسط) بأنها تعنى " على شاطئَى البحر " مما يشير فى رأيه إلى خليج ذى شاطئين هو فى رأيه أيضا خليج تاجورة .

---

(5) Lieblein, J; Handel und Schiffahrt auf dem rothen Meere in alten Zeiten nach aegyptischen Quellen. Norwigischen Univers. (1886) S. 74.

(6) Ballard; "The Sculptures of Deir el Bahari", Mariners' Mirror Vol VI (1920) pp. 149, 162, 219 ff.

* تغير هذا الاسم كما هو معروف الى "جمهورية جيبوتى" .

د - ملاءمة نظام الرياح فى الخليج لرسو السفن المصرية وتوافر موانى صالحة به .

هـ - توفر كثير من السلع المرسومة على جدران معبد الدير البحرى فى المناطق الداخلية وراء خليج تاجورة .

ويمكن أن نضم هلسهيمر (٧) الى أصحاب الرأى القائل بتحديد موقع بونت فى خليج تاجورة ، وإن كان قد ضم اليها منطقة الموانى القديمة التى اشتهرت فى العصور الكلاسيكية مثل زيلع وبربرة . وقد اعتمد هلسهيمر على أسلوب جديد يقوم على دراسة نوعين من الحيوانات التى مثلت فى رسوم بعثة حتشبسوت ، هما القرد الجبلى Baboon والزراف ، إذ لاحظ أن الحيوانين قد مثلا فى بيئتهما الطبيعية فى منظر واحد (شكل ١) مما جعله يفترض وجودهما فى منطقة واحدة بالقرب من ساحل البحر . ويقول هلسهيمر أن القرد الجبلى (أو قرد البابون) لا يوجد جنوب بلدة ديرداوا Dirdawa الواقعة فى شمال غرب الصومال وانما يوجد إلى شمالها فى المناطق الساحلية الجبلية فى أريتريا والصومال الفرنسى ، كما يقول أن الزراف كحيوان عشبى تلائمه المناطق السهلية ، يوجد فى المناطق العشبية المنبسطة فى غرب الصومال ويتركز حول بلدة جيجيجا Jigjiga (الخريطة شكل ٣) وعلى هذا أعتبر المنطقة الممتدة من جيججا الى ديرداوا هى المنطقة التى يوجد بها هذان الحيوانان مجتمعين . ولما كانت أقرب الموانى الى هذه المنطقة توجد فى خليج تاجورة وساحل الصومال الشمالى الغربى ، فقد اعتبر هلسهيمر أن خليج تاجورة هو منطقة بونت التى رست عندها سفن حتشبسوت .

---

(7) Hilzheimer, M; "Zur geographischen Lokalisierung von Punt." Z.A.S. 68 (1932) S. 112-114.

رابعا : منطقة شمال الصومال أو شماله الشرقى : -

وهذا الرأى من أقدم الآراء وأول القائلين به ماريبت (٨) مكتشف رسوم بونت فى معبد الدير البحرى . وكان الرأى السائد عن بونت قبله أنها توجد فى جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن وما يجاورها) ولكن اكتشاف ماريبت لرسوم الدير البحرى جعله يخرج بالرأى الحاسم بان بونت الدير البحرى تقع فى منطقة افريقية وقد حدد موقعها فى شمال الصومال واعتمد فى ذلك على ما يلى : -

أ - تثميل الزرافة فى رسوم بونت ، ومن المعروف أن الزراف حيوان افريقى ولم يكن من الحيوانات الآسيوية ى أى وقت من الأوقات .

ب - شكل مساكن أهالى بونت المقامة على أعمدة تشبه المساكن الافريقية (شكل ٦ ، ٨) .

جـ - صفات زوجة زعيم بونت الجسدية وخاصة ظاهرة بروز العجز Steatopaegea هى صفة نسائية افريقية (شكل ٢ - الصف الأسفل) .

د - حلقات المعدن التى حول ساق زعيم بونت (شكل ٢ - الصف الأسفل الى اليسار) تشبه حلقات المعدن عند القبائل الافريقية مثل قبائل البونجو .

هـ - نمو أشجار البخور على ساحل الصومال الشمالى .

وقد أيد ماسبرو (٩) رأى ماريبت فى تحديد موقع منطقة بونت الدير البحرى فى شمال الصومال ، ولكنه حدد بالضبط النقطة التى رست عندها سفن الملكة حتشبسوت بأحد الوديان التى تتجه نحو البحر فى شمال شرق الصومال وخاصة بوادى النهر المعروف قديما بنهر الفيل الواقع غرب رأس جردفوى ، وقد أعتمد فى ذلك على أن هذا المكان توجد به أجود أنواع البخور كما جاء فى مؤلفات الكتاب الكلاسيكيين ، وعلى وجود مصب نهر صغير يوفر مرسى آمن للسفن ، على عكس الموانى الممتدة على الساحل الشمالى الغربى للصومال

---

(8) Mariette, A; Deir et Bahari, 1877.

(9) Maspero, H; De quelques navigations des Egyptiens sur les côtes de la Mer Erythreé; Et. Myth.Arch. Eg. Tome IV (1900) p. 75 ff.

حتى بوغاز باب المندب فهى فى رايه تقع فى خلجان مكشوفة تعرض السفن لتقلبات البحر (١٠) .

واننى اعتقد أن رأى ماسبرو هو أقرب الآراء الى الحقيقة وسأثبت ذلك فيما بعد .

خامسا : منطقة النيل الأبيض والنيل الأزرق :-

وصاحب هذا الرأى هو رولف هرتسوج (١١) ، وقد نشر دراسة لهذا الموضوع عام ١٩٦٨ فهى بذلك من أحدث الدراسات فى موضوع تحديد موقع بونت الدير البحرى ، وقد ذهب فى هذا التحديد مذهبا جديدا خالف فيه جميع الآراء التى سبقته ، إذ قال بان بونت الدير البحرى تقع فى المناطق السودانية المتاخمة للحبشة على النيل الأبيض والنيل الأزرق وأن المصريين لم يصلوا الى بلاد بونت بطريق البحر الأحمر بل بطريق النيل ، وقد أعتمد فى رأيه هذا أساسا على المقارنة بين أشكال أكواخ أهالى بونت المقامة على أعمدة (شكل ٦) وبين أكواخ سكان مناطق النيل الأعلى من النيليين أو النيلوت المعاصرين كالدنكا والبونجو (شكل ٨) ، وقد ذهب هرتسوج فى انكاره لاستخدام المصريين للبحر الأحمر فى رحلاتهم الى بونت الى حد تفسيره الاسم " واج ور " الوارد فى النصوص المصرية بأنه يعنى نهر النيل لا البحر الأحمر .

وقد تصدى كتشن (١٢) لرأى هيرتسوج بشأن استخدام المصريين للنيل فى رحلاتهم إلى بونت ودحضه بالأدلة الكثيرة التى استمدها من النصوص المصرية من عصر الدولة الوسطى (مثل نقش حنو ولوحة خنتخاتى ور) ومن عصر الدولة الحديثة (بردية

---

(10) Ibid. P. 99-100.
(11) Herzog, Rolf; Punt; Abh. Deut. Arch. Inst. Kairo; Bd. 6 (1968).
(12) Kitchen, op.cit, P. 189-191.

هاريس) وبين أن هيرتسوج اعتمد فى رأيه على نصوص من عصور متأخرة استمدها من معبدى دندرة وادفو (*)

غير أن كتشن استفاد من دراسات هيرتسوج الجغرافية والنباتية والبشرية فى تحديد موقع بونت ، وهو لم يعترض على أسس تحديد بونت التى سار عليها هيرتسوج ، بل اعترض على رأى هيرتسوج فى تحديد الطريق الذى كان المصريون يسلكونه للوصول اليها ، فاضاف تعديلا على رأى هيرتسوج ، مؤداه أن بونت كانت تقع فى منطقة النيل الأزرق والنيل الأبيض مثلما يقول هيرتسوج ، ولكنها بالاضافة الى ذلك كانت تمتد شرقا حتى ساحل البحر الأحمر ، وبذلك أدخل كتشن ساحل هذا البحر ضمن نطاق بونت وحدد المنطقة التى كانت السفن المصرية ترسو عندها بالساحل الممتد من بورسودان الى مرسى شيخ ابراهيم جنوب سواكن ، ثم حدد الامتداد الشمالى لبونت ببلدة بربر على النيل وامتدادها الجنوبى ببلدة كسلا ثم بلدة الرصيرص على النيل الأزرق .

ويلاحظ أن رأى كتشن بشأن تحديد امتداد بونت على ساحل البحر الأحمر ليس إلا تجديدا لرأى كرال الذى نشره عام ١٨٩١ كما سبق أن وضحت .

غير أن الجديد فى دراسات كتشن أنه تتبع السفن المصرية فى رحلتها على طول ساحل البحر الأحمر من السويس أو القصير شمالا الى موانى بونت جنوبا ، عن طريق دراسة تفصيلية لأحجام السفن المصرية وكفاءتها (فى نظره) ، ولطبيعة ساحل البحر الأحمر وما ينتشر فيه من حواجز وشعاب مرجانية وما يمتد عليه من مرافئ وموانى ، ثم ما يسوده من رياح وتيارات بحرية ،عن طريق كل ذلك حدد كتشن خط سير السفن بالضبط والموانى التى يمكن أن تلجأ اليها ومدة الرحلة ، وموعد قيامها وعودتها .

(*) انهار رأى هيرتسوج من أساسه بعد قيام بعثة قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية بالكشف عن الميناء الفرعونى على ساحل البحر الاحمر الذى كان المصريون القدماء ينطلقون منه فى رحلاتهم الى بلاد بونت (راجع البحوث التالية) .

هاريس) وبين أن هيرتسوج اعتمد فى رأيه على نصوص من عصور متأخرة استمدها من معبدى دندرة وادفو (*)

غير أن كتشن استفاد من دراسات هيرتسوج الجغرافية والنباتية والبشرية فى تحديد موقع بونت ، وهو لم يعترض على أسس تحديد بونت التى سار عليها هيرتسوج ، بل اعترض على رأى هيرتسوج فى تحديد الطريق الذى كان المصريون يسلكونه للوصول اليها ، فأضاف تعديلا على رأى هيرتسوج ، مؤداه أن بونت كانت تقع فى منطقة النيل الأزرق والنيل الأبيض مثلما يقول هيرتسوج ، ولكنها بالاضافة الى ذلك كانت تمتد شرقا حتى ساحل البحر الأحمر ، وبذلك أدخل كتشن ساحل هذا البحر ضمن نطاق بونت وحدد المنطقة التى كانت السفن المصرية ترسو عندها بالساحل الممتد من بورسودان الى مرسى شيخ ابراهيم جنوب سواكن ، ثم حدد الامتداد الشمالى لبونت ببلدة بربر على النيل وامتدادها الجنوبى ببلدة كسلا ثم بلدة الرصيرص على النيل الأزرق .

ويلاحظ أن رأى كتشن بشأن تحديد امتداد بونت على ساحل البحر الأحمر ليس إلا تجديدا لرأى كرال الذى نشره عام ١٨٩١ كما سبق أن وضحت .

غير أن الجديد فى دراسات كتشن أنه تتبع السفن المصرية فى رحلتها على طول ساحل البحر الأحمر من السويس أو القصير شمالا الى موانى بونت جنوبا ، عن طريق دراسة تفصيلية لأحجام السفن المصرية وكفاءتها (فى نظره) ، ولطبيعة ساحل البحر الأحمر وما ينتشر فيه من حواجز وشعاب مرجانية وما يمتد عليه من مرافئ وموانى ، ثم ما يسوده من رياح وتيارات بحرية ،عن طريق كل ذلك حدد كتشن خط سير السفن بالضبط والموانى التى يمكن أن تلجأ اليها ومدة الرحلة ، وموعد قيامها وعودتها .

(*) انهار رأى هيرتسوج من أساسه بعد قيام بعثة قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية بالكشف عن الميناء الفرعونى على ساحل البحر الأحمر الذى كان المصريون القدماء ينطلقون منه فى رحلاتهم الى بلاد بونت (راجع البحوث التالية) .

غير أن هناك نواحى ضعف فى آراء كتشن تتمثل فى مد حدود بونت الى بربر والصيرص أى الى النيل نفسه ، وفى قوله بأن المصريين كانوا يقطعون مسافة ٢٥٠ ميل من ساحل البحر الأحمر داخل بونت الى بربر وكسلا لإقتلاع أشجار البخور والحصول على السلع الأخرى ، لأنه بذلك يقترب فعلا من رأى هيرتسوج القائل بأن المصريين كانوا يستخدمون النيل لا البحر الأحمر فى الوصول الى بونت . والواقع أن رأى كتشن هذا يجعلنا نتساءل ، ما الذى يدعو المصريين لاتخاذ طريق البحر الأحمر ثم السير الشاق بالبر لاختراق مناطق شاسعة تمتد الى مسافة ٢٥٠ ميلا فى أعماق أريتريا والسودان يتعرضون خلالها لمخاطر كثيرة لكى يصلوا الى مناطق نيلية كان يمكنهم أن يصلوا اليها بطريق النيل الأكثر سهولة وأمنا ؟ ثم إذا سلمنا بأن المصريين يمكنهم أن ينقلوا السلع التى يسهل حملها مثل العاج وقطع الأبنوس والجلود ، أو الحيوانات التى يمكن سحبها مثل القردة ، عبر هذه المسافة الطويلة ، فكيف يمكن للمصريين أن ينقلوا ٣١ شجرة بخور (وهو عدد الأشجار التى جلبتها بعثة حتشبسوت كما تقول النصوص) لمسافة ٢٥٠ ميل ؟

اننا إذا أجرينا عملية حسابية بسيطة لتبين لنا أنه إذا خصص لكل شجرة ستة حمالين كما تظهر الرسوم ذلك (شكل ٢) ، فإن عملية نقل الواحد وثلاثين شجرة تستلزم تخصيص ما لا يقل ١٨٠ رجلا يجب تغييرهم باستمرار عبر الرحلة الطويلة من موطن أشجار البخور الى ساحل البحر الأحمر . وهذه الرحلة فى رأى كتشن لا تقل عن ٢٥ يوما على الأقل ، يقطع المصريون خلالها مسافة ٢٥٠ ميلا أى حوالى ٤٠٠ كيلو متر .

والجدير بالذكر أن أشجار البخور لم تكن شتلات صغيرة كما يرى بعض الباحثين ، بل كانت أشجارا كاملة النمو ثقيلة الوزن ، بدليل تخصيص ستة رجال لنقل الشجرة الواحدة ، فضلا عن أن النصوص نفسها أشارت بطريقة غير مباشرة الى ثقل وزن الشجرة ، وذلك فى الحديث الذى يدور بين الحمالين وبعضهم ، فقد ظهر فى

منظر نقل شجرة من هذه الأشجار أحد الحمالين وهو يلتفت الى زملائه (شكل ٢ - الصف العلوى) ويخاطبهم قائلا (طبقا للنص الهيروغليفى المدون أعلاه وأمامه) :

" رد وى . ت (ن) رحو مك أتب دنس ورت "

وترجمته هى : (أنظروا) الى أقدامكم أيها الناس ! أنظروا ! إن الحمل ثقيل جدا !

فهذا النص يجعلنا نستبعد أن تكون أشجار البخور شتلات صغيرة ، بل لا شك أنها كانت أشجارا كبيرة تستلزم جهدا شاقا فى نقلها عبر المسافة الطويلة التى يقترحها ا كتشن .

ثم اذا علمنا أن المناطق الافريقية ظلت الى عهد قريب مناطق خطرة على التجار الأجانب يحجمون عن التوغل فيها ، وأنهم كانوا يرسون بسفنهم عند الساحل ويعتمدون على الوطنيين فى جلب السلع المطلوبة إليهم والمقابضة عليها ، واذا اضطرهم الأمر الى ارتياد المناطق الداخلية للحصول على بعض السلع الثمينة ، فإنهم لم يكونوا يجرؤا على الإبتعاد عن مراسى سفنهم لمدة تزيد عن يومين أو ثلاثة ، إذا علمنا أن هذه الأحوال كانت سائدة حتى القرن الماضى وأوائل القرن الحالى أى فى عصر بلغت فيه الأسلحة وغيرها من وسائل الدفاع عن النفس درجة كبيرة من التقدم ، لأمكننا تصور مبلغ ما كان يعترض المصريين فى تلك العهود البعيدة من أخطار وهم يتوغلون فى مناطق جبلية وغابية خطرة لمسافات بعيدة تتراوح ما بين ٢٥٠ ، ٥٠٠ ميل (ذهابا وعودة) ولمدة طويلة لا تقل عن خمسين يوما (ذهابا وإيابا) لا تحرسهم أثناءها سوى فرقة حربية صغيرة لا يزيد عدد أفرادها على عدد أصابع اليدين . كما أن عدد المصريين كلهم لا يزيد ١٨٠ أو ٢٠٠ رجل (كما يستخلص من رسوم السفن) وهو عدد ضئيل لم يكن يستطيع مواجهة أخطار الحيوانات المفترسة والقبائل البدائية التى كانت فى تلك العهود البعيدة تعيش فى حالة شبه وحشية . ولا يمكن أن يعتد بالقول بأن المصريين كانوا فى حماية البونتيين خلال فترة بقائهم فى ربوع

بونت ، لأن ما ورد فى رأى كتشن من انتقال المصريين فى مسافة شاسعة على شكل قوس بين ساحل البحر الأحمر وكسلا والنيل الأزرق يضعف من هذه الحماية نتيجة لبعثرة المصريين والبونتيين فى هذه المساحة الشاسعة .

هذه الصعوبات فى نقل اشجار البخور من ناحية ، وفى مواجهة اخطار المناطق الأفريقية الداخلية من ناحية أخرى ، تجعل من الضرورى البحث عن موقع المنطقة من بونت التى حصلت منها بعثة حتشبسوت على أشجار البخور فى مكان أقرب ما يكون الى ساحل البحر ، حتى يسهل نقل ٣١ شجرة بخور من ناحية ، وحتى يمكن تجنب اخطار التوغل فى داخل المناطق الأفريقية البدائية من ناحية أخرى .

إن هذا الشرط الأساسى فى تحديد موقع هذه المنطقة وهو ضرورة وجود أشجار البخور المطلوبة قرب ساحل البحر ، ليس مجرد استنتاج ، بل أن النصوص والرسوم المصرية نفسها تشير الى ذلك بوضوح ، إذ يشير أحد هذه النصوص الى وجود ارتباط مكانى بين مدرجات أشجار البخور فى بونت وبين شاطئ البحر ، وهو النص الهيروغليفى المدون داخل رسم الخيمة فى منظر المبادلات بين المصريين والبونتيين (شكل ٢ الصف الأسفل الى اليمين) ويقرا كما يلى : -

" حر (و) إيا مو إن أوبت نسو حنع مشع . إف ام
ختيو عنتيو نو بونت حر جس (وى) واج - ور "

وترجمته هى : " نصب خيمة الرسول الملكى ومعه جيشه بين مدرجات البخور فى بونت على شاطئ البحر (١٣) .

ثم هناك دليل آخر مستمد من الرسوم يشير أيضا الى أن أشجار البخور فى بيئة بونت كانت تنمو على شاطئ البحر ، ويتمثل فى الرسم الوارد ضمن منظر جمع عصارة أشجار البخور حيث مثل رجل يحمل

---

(13) Breasted, J. H; Ancient Records of Egypt, Chicago; (1906) Vol. II § 260.

فى يده اناء يجمع فيه العصارة من شجرة البخرو (شكل ٢ - الصف الأوسط فى أقصى اليسار) وقد مثلت أسفل هذا المنظر المياه بما فيها من أسماك . وأن رسم شجرة البخور والعصارة تستخرج منها يعنى أنها ما زالت ثابتة فى التربة لم تقتلع منها بعد . كما أن رسم المياه أسفلها يدل على أن الشجرة كانت نامية بجوار الشاطئ .

وكل هذه الأدلة تشير دون شك إلى نمو أشجار البخور فى بيئة بونت بالقرب من شاطئ البحر .

لهذه الأسباب فإن الأساس الأول فى رأيى فى تحديد موقع بونت هو البحث عن المنطقة التى يتوفر فيها هذا الشرط الرئيسى أولا ، أى وجود أشجار البخور أقرب ما تكون إلى شاطئ البحر .

لكن قبل أن نبدأ فى البحث عن هذه المنطقة علينا تحديد نقطتين أساسيتين :-

أولهما : نوع أشجار البخور التى يجب البحث عنها ومناطق نموها فى الوقت الحاضر حول سواحل البحر الأحمر .

ثانيهما : مدى التغير الذى يمكن أن يكون قد حدث بالنسبة لمناطق نمو هذه الأشجار حول سواحل البحر الأحمر خلال فترة الثلاثة آلاف وخمسمائة عام التى تفصل عصرنا الحاضر عن عصر حتشبسوت .

أما عن النقطة الأولى ، فإن أشجار البخور التى يجب البحث عنها على سواحل البحر الأحمر ، هى أشجار ذلك البخور الذى كان يعرف عند المصريين باسم " عنتى " أو " عنتيو " وقد ورد ذكره فى بردية هاريس من الأسرة العشرين مثلما ورد فى نصوص الأسرة الثامنة عشرة ، ويقول لوكاس (١٤) أنه البخور الأبيض المعروف حاليا باسم

---

(١٤) لوكاس أ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين . ترجمة زكى اسكندر ومحمد زكريا غنيم ومراجعة عبد الحميد أحمد . القاهرة ص ١٥١ - ١٥٢ .

" الكنـدر " وهو ما يطلق عليـه فى اللغـة الدارجة " اللبـان ذكر " والمسمى فى الانجليزيـة Frankincense وكانت بـلاد بونت هى موطن هذا الكنـدر . والاسم العلمى لهذا النوع من اللبـان او الكنـدر هو Boswellia وتنمو اشجاره حاليـا فى بـلاد الصومـال وفـى جنوب بـلاد العرب (١٥) . وقد اطلق عليـه الكتاب الكلاسيكيـون الاسـم Libanos (١٦) . وقد يكون الكنـدر ذون لون مخضر خفيف ولعل هذا هو السبب فى تسميـة المصريين لـه " عنتيـو واج " اى " الكنـدر الأخضـر " وربمـا تعنى هذه الجملة أيضـا " الكنـدر الطازج " .

والكنـدر راتنـج صمغى زكى الرائحة يوجد على شكل حبات متصلبـة تستخـرج من أشجاره بشق جذوعها شقا طوليـا فتخرج العصارة التـى تتصلـب وتجمع فـى سلال .

وقد درس الباحث النباتـى Hepper (١٧) التوزيـع الحالى لأشجـار الكنـدر Boswellia بانواعهـا المختلفـة على طول سواحل البحـر الأحمر الأفريقيـة والاسيويـة (انظر الخريطة شكل ٣) .

ومن هذه الدراسة يمكن أن نستنتـج ما يلى :

١ - أن اشجار الكنـدر لا توجد على السواحل الآسيويـة إلا فـى منطقة بعيـدة الى الشرق من خليـج عدن هى منطقـة ظفـار ، وهذا الكنـدر من نوع Boswellia sacra وتلك حجة أخرى تضاف إلى ما سبق أن أوردنـاه من أن موقـع بونت الديـر البحـرى لا يمكـن أن يكون فـى منطقةاسيويـة نظرا لبعـد هذه المنطقـة عن متنـاول السفـن المصريةالتـى تضطـر للمخاطرة بعبـور البحـر الأحمـر أو بوغـاز باب المندب للوصول إليهـا بينمـا يتوفـر الكنـدر المطلوب فـى منطقـة أقرب اليهـا وأسهل منالا وهى ساحل الصومـال .

---

(١٥) نفس المصدر ص ١٥٢ .

(16) Mullero, A. Carolo; Geographi Graeci Minores. Parisis, (1855). Vol. I pp. 264-265.

(17) Hepper, F. Nigel; "Arabian and African Frankincense Trees" JEA, 55 (1969) P. 69 ff.

٢ - أن هذه الأشجار تبتعد عن الساحل الافريقى للبحر الأحمر بمسافات طويلة فى كل من أريتريا والصومال الفرنسى وفى شمال غرب جمهورية الصومال .

٣ - أن المنطقة الوحيدة التى تقترب فيها هذه الأشجار من الساحل هى منطقة شمال شرق الصومال ، وهذه الأشجار تنتج ذلك النوع من الكندر المسمى Boswellia frereana أو نوع آخر مشابه له هو Boswellia bhau-dajiana وهما أجود أنواع الكندر فى المناطق الافريقية كلها .

وعلى ذلك فإن ظروف نمو أشجار الكنـ ـ حول سواحل البحر الأحمر تجعل منطقة شمال شرق الصومال أرجح المناطق التى يمكن أن تحصل منها سفن حتشبسوت على أشجار الكندر .

هذا عن النقطة الأولى وهى تحديد نوع أشجار البخور ومنطقة نموها الحالية ، أما بالنسبة للنقطة الثانية وهى مدى التغير الذى يمكن أن يكون قد حدث بالنسبة لمناطق نمو أشجار الكندر حول سواحل البحر الأحمر منذ عصر حتشبسوت حتى اليوم ، فان دونها صعوبات كثيرة أهمها أن كثيرا من مناطق البحر الأحمر لم تتناوله الدراسة الجيولوجية بدرجة كافية أو لم تتناوله على الاطلاق . ولكن هناك طريقة قد تساعد على التغلب على هذه المشكلة ، وهى تتبع أوصاف الكتاب القدماء لمناطق تصدير أو انتاج البخور على السواحل الافريقية للبحر الأحمر ، ومقارنة هذه الأوصاف بالتوزيع الحالى لأشجار البخور على هذه السواحل . ومن حسن الحظ فإن هذه الأوصاف تمدنا بمعلومات لا بأس بها فى هذا الموضوع ، ومن أهم هذه الأوصاف ما ورد فى الجزء السادس عشر من كتاب استرابون (١٨) ، وفى كتاب البربلوس (١٩) أو دليل البحر الأريترى وفى كتاب التاريخ

(18) Strabo, Geography, Book XVI, Bohn. Class. Lib. (1889) (Vol. III).
(19) Schoff. W. The Periplus of the Erythraean Sea, London, 1912.

الطبيعى لبلينى (٢٠) وهذه المؤلفات ترجع إلى الفترة المحصورة بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعده وبذلك تتوسط تقريبا فترة الثلاثة آلاف وخمسمائة عام التى تفصلنا عن عصر حتشبسوت وهى بهذا التوسط ترشدنا الى معرفة مدى التغير الذى حدث فى مناطق انتاج البخور وخاصة بالنسبة للكندر خلال فترة الألفى عام التى انصرمت منذ عصر هذه المؤلفات حتى اليوم . فإذا تبين من دراسة هذه الأوصاف عدم حدوث تغير يذكر خلال فترة الألفى عام هذه ، فإنه قياسا على ذلك لا يكون قد حدث تغير يذكر لهذه المناطق خلال فترة الألف وخمسمائة عام التى تفصل عصر هذه المؤلفات عن عصر حتشبسوت .

على هذا الأساس نبدأ فى تتبع السواحل الافريقية للبحر الأحمر شمال وجنوب بوغاز باب المندب لتطبيق أوصاف الكتاب الكلاسيكيين عليها واشاراتهم التى يمكن أن يستنتج منها وجود أو عدم وجود أشجار الكندر التى نبحث عنها . فبالنسبة لاسترابون نلاحظ أنه لا يذكر أية اشارة الى وجود الكندر Frankincense شمال بوغاز باب المندب أو حتى فى المنطقة الممتدة إلى جنوبه مباشرة بل يذكر أنواعا أخرى من البخور وهى الميعة والمر . فيقول أن الميعة تنمو فى المنطقة الممتدة من أيومينيس Eumenes (بالقرب من ميناء عصب الحالى فى جنوب أريتريا) حتى ديرى Deire (عند الساحل الشمالى لخليج تاجورة (٢١)) . أما المر فيقول استرابون بانه ينتج فى المنطقة الواقعة جنوب ديرى (٢٢) .

وكلا الميعة والمر ليسا من أنواع الكندر المسمى علميا Boswellia وهو الكندر المشار اليه فى نصوص حتشبسوت باسم " عنتيو " أو " عنتيو واج " ، فالميعة تعرف علميا باسم Styrax والمر يعرف علميا باسم Commiphora ويوجد المر على شكل كتل

---

(20) Pliny; The Natural History of Pliny, Transl. by G. Bostack and H. T. Riley, London 1875.

(21) Mullero, op.cit. Vol. III (Tabulae) pl. VIII.

(22) Strabo, op.cit. P. 199.

حمراء ضاربة الى الصفرة ولا يكون أبيض قط ولا أخضر ولهذا السبب فلا يمكن أن يكون هو البخور الأبيض أو الأخضر المشار اليهما فى النصوص المصرية القديمة (٢٣) .

وقد ترجم بعض العلماء كلمة " عنتيو " وعنتيو واج " الى " مر " Myrrh (٢٤) مما نشأ عنه الخلط بين المر والكندر رغم أن المر يختلف تماما عن الكندر .

وعلى هذا فإن ما ذكره استرابون عن المر لا يمت بصلة الى الكندر ، وذلك واضح من قوله " أن الكندر ينتج فى المنطقة التى تأتى بعد منطقة انتاج المر (٢٥) . وهذا الوصف يطابق التوزيع الحالى لأشجار المر والكندر على الساحل الشمالى للصومال ، إذ يغلب نمو أشجار المر فعلا فى المنطقة الممتدة فى الجزء الغربى من هذا الساحل بينما يغلب نمو أشجار الكندر (كما اثبت Hepper) فى قسمه الشرقى (الخريطة شكل ٣) .

أما بلينى ، فإن وصفه يشبه وصف استرابون فهو يقول أن التروجلوديت يجلبون المر Myrrh الى ميناء ايزيس الذى يبعد عن مدينة أدوليس بمسيرة عشرة أيام بالتجديف فى البحر (٢٦) . ويحدد الباحثون موقع ميناء ايزيس هذا فى خليج عصب فى جنوب أريتريا (٢٧) .

غير أن الوصف التفصيلى لمناطق تصدير وانتاج البخور هو الوصف الوارد فى البربلوس ، وهو يطابق أيضا وصف كل من استرابون وبلينى ، فقد جاء فى البربلوس أن المر Myrrh يصدر من ميناء أفاليتس Avalites (٢٨) (زيلع الحالية تقريبا (٢٩) وهى

(٢٣) لوكاس ، والمود والصناعات ص ١٥٤ .

(٢٤) (24) Breasted, op.cit. II § 264.

(٢٥) (25) Strabo, op.cit, P. 199.

(٢٦) (26) Pliny; op.cit. Book VI ch. 34.

(٢٧) (27) Mullero, op.cit. pl. VIII b.

(٢٨) (28) Schoff, op.cit. § 7.

(٢٩) (29) Mullero, op.cit. pl. VIII.

نفس المنطقة التى أشار استرابون الى وجود المر فيها . ثم نلاحظ فى وصف البربلوس لصادرات الموانى التالية لميناء افاليتس والواقعة على الساحل الشمالى للصومال انه يذكر الكندر إلى جانب المر ، فيقول ان بلدة Malao (بربرة الحالية فى أغلب الآراء) تصدر المر وقليل من الكندر (٣٠) ، ثم يصف ميناء Mundus (حيس الحالية تقريبا) (الخريطة شكل ٣)بانه تصدر نوعا من البخور يسميه Mocrutu (٣١) (ربما يكون ما يسمى حاليا فى الصومال باسم " محر " (٣٢) وهو نوع جيد من الكندر يعرف علميا باسم Boswellia Carteri ويشبه الأنواع الأخرى الجيدة . وينمو فى شمال الصومال فى المناطق الداخلية البعيدة نسبيا عن البحر - الخريطة شكل ٣) . وأخيرا يذكر البربلوس أن ميناء (Mosyllum (راس عمترة الحالية فى الغالب - الخريطة شكل ٣) تصدر المكروتو والكندر . ثم تاتى فقرة هامة فى البربلوس لأنها تصف معالم منطقة شمال شرق الصومال وذلك بعد وصفه للمنطقة الممتدة بعد موسيلوم (رأس عمترة) إذ يقول " بعد الابحار على طول الساحل لمدة يومين بعد موسيلوم Mosyllum نصل الى ما يسمى بنهر النيل الصغير Nilipotamia والى نبع ودغل من أشجار الغار ورأس الفيل Elephas M. ثم يتراجع الشاطئ ويتخذ شكل خليج به نهر يسمى " نهر الفيل " Elephas F . ودغل من أشجار الغار يسمى Acannae (٣٣) .

وترجع أهمية هذه الفقرة الى أن بعض الأسماء فى وصف البربلوس لهذه المنطقة تشبه إلى حد كبير المسميات الحالية .

---

(30) Schoff. op.cit. § 8.

(31) Ibid. § 9.

(٣٢) عبد المنعم عبد الحليم سيد ، الجمهورية الصومالية ، دراسة لبيئتها الطبيعية ، وامكانياتها الاقتصادية ، ونظم الصوماليين الاجتماعية وعاداتهم ، وعلاقتهم بمصر فى مختلف العصور . القاهرة - سلسلة الألف كتاب (١٩٦٠) ص ٣٧٣ - هامش ٢ .

(٣٣) (33) Schoff; op.cit. § 11.

فان المنطقة التى يسميها البربلوس " رأس الفيل " ما زالت تسمى بهذا الاسم حتى اليوم إذ يدعوها الصوماليون " فيلك " وهى كلمة تتكون من مقطعين " المقطع الأول عربى (فيل) ، والمقطع الثانى صومالى (ك) وهو أداة التعريف للأسماء المذكرة المفردة فى اللغة الصومالية . فيكون معنى الكلمة " (رأس) الفيل " وربما يرجع تطابق أسماء هذه الرأس فى العصور القديمة والحديثة الى شكلها ، فانها تشبه من بعيد شكل الفيل الرابض (شكل ٥) . وبعد راس فيلك يوجد فعلا ، كما جاء فى وصف البربلوس ، خليج يسميه الصوماليون حاليا " جل - وين " وهى كلمة صومالية معناها " المستنقع الكبير " أو " البركة الكبيرة " ويصب فى هذا الخليج نهر صغير هو نهر الفيل المذكور فى البربلوس (٣٤) (الخريطة شكل ٤) .

غير أن العبارة ذات الأهمية الكبيرة فى وصف البربلوس ، لأنها ترشدنا الى التعرف على توزيع أشجار الكندر على ساحل الصومال فى القرن الأول الميلادي ، هى العبارة المكملة للفقرة السابقة كما يلى : " وهنا فقط (أى فى منطقة نهر الفيل واكاناى) ينتج الكندر (المسمى) كندر الشاطئ البعيد (الشاطئ الصومالى) بكميات كبيرة ومن أجود الأنواع (٣٥) .

هذا الوصف يوضح بجلاء أن الشاطئ الشمالى الشرقى للصومال كان فى القرن الأول الميلادى هو المنطقة الوحيدة على الشاطئ الافريقى للبحر الأحمر التى اشتهرت بوفرة الكندر وجودة نوعه ، وهى نفس الظروف السائدة حاليا فى هذه المنطقة ، بل ان التعبيرات التى استخدمت فى البربلوس فى معرض الاشارة الى الكندر على طول الساحل الصومالى الشمالى ، توحى بأن وصف البربلوس يكاد يصرح بأن أشجار الكندر لا تنمو قرب البحر فى أى منطقة أخرى من مناطق هذا الساحل سوى فى جزئه الشرقى ، فقد استخدم البربلوس فى

---

(34) Mullero, op.cit. pl. XII.
(35) Schoff, op.cit. § 11.

اشارتـه لوجود الكنـدر اثنـاء حديثـه عن موانى الجزء الغربـى من سـاحل الصومـال الشمـالى ، مثـل بربـرة Malao وحيس Mundus ، استخـدم كلمـة " يصدر " ἐχφέρεται بينمـا عند اشارتـه لكنـدر الجزء الشرقـى من هذا السـاحل (منطقـة نهر الفيـل واكانـاى) استخـدم كلمـة أخرى هى " ينتـج " . γίνεται (٣٦) وهذا الاختـلاف فـى تعبيـرات نفس المؤلف فى نفس الكتاب ، يشيـر الى اختـلاف الغرض من استخـدام الكلمتيـن ، مما يرجح ان كلمـة " ينتـج " تشيـر الى وجود مصدر انتـاج هذا الكنـدر اى الى نمو اشجاره ، فـى المنطقـة السـاحليـة التـى ذكرهـا البربلـوس (منطقـة نهر الفيـل واكانـاى) اى بالقـرب من البحـر ، وخاصـة أن البربلـوس أضاف الى ذلك أنه ينتـج " بكميـات كبيـرة ومن أجود الأنـواع " وهى نفـس الظروف السـائدة فـى هذه المنطقـة فـى الوقت الحاضـر (الخريطة شكل ٣) .

هذه الظواهر كلها تدل على أن توزيـع أشجار الكنـدر على السـاحل الأفريقـى للبحـر الأحمـر لم يتغيـر فـى الوقت الحاضـر عما كان عليـه فى القرن الأول الميـلادى . وعلى ذلك فما دام لم يحدث تغييـر يذكر فى هذا التوزيـع خلال مدة العشرين قرنـا التـى تفصـل عصرنـا الحاضـر عن القرن الأول الميـلادى ، فإنـه بالمثـل لا يحتمـل حدوث تغييـر فـى هذا التوزيـع خلال الخمسة عشر قرنـا التـى تفصـل القرن الأول الميـلادى من عصر حتشبسـوت . وبالتـالـى فإنـه يمكن القول بأن هذا التوزيـع لم يتغيـر كثيـرا فـى الوقت الحاضـر عما كان عليـه قبـل ثلاثـة آلاف وخمسمائة عام عندما ارتـاد المصريون بسفنهـم منطقـة شمـالى شرق الصومـال وحصلوا منها على أشجـار الكنـدر ثـم صـوروا معالمهـا على جدران معبد الملكـة حتشبسـوت فـى الدير البحـرى .

وبالإضافـة إلى ذلك ، فإن معالـم تضاريـس المنطقـة الممتـدة فـى الجزء الشرقـى من ساحل الصومـال الشمـالـى التـى تتميـز عن معالـم تضاريـس المنـاطق الأخرى الواقعـة فـى الجزء الغربـى من هذا السـاحل ، فـى إقتراب جبالهـا من البحـر إقترابـا شديدا ونمو أشجار الكنـدر على

(36) Mullero, op.cit. Vol. I. p. 266, cf. pp. 264-265.

مدرجات هذه الجبال إبتداء من رأس عمترة (٣٧) ، هذه المعالم تقرب إلى أذهاننا الوصف المصرى القديم للمنطقة التى زارتها بعثة حتشبسوت والتى أطلقت عليها النصوص المصرية اسم " ختيو عنتيو نوبونت " أى " مدرجات (أشجار) الكندر فى بونت " (الخريطة شكل ٤) .

وفضلا عن ذلك فإن وجود مصب نهر فى هذه المنطقة وخاصة مصب النهر المعروف حاليا باسم " جل - وين " والمعروف فى العصور الكلاسيكية باسم Elephas F. (نهر الفيل) ، وشهرة منطقة هذا النهر فى تلك العصور بنمو أشجار الكندر أو بإنتاج الكندر كما جاء فى البربلوس ، كل ذلك يوحى بان مصب هذا النهر هو المكان المرجح لرسو سفن حتشبسوت . ومما يدعم هذا الاستنتاج أن الأسماك الممثلة أسفل المناظر التى تصور معالم منطقة بونت ليست كلها من الأسماك البحرية . بل توجد بينها أنواع من الأسماك النهرية مما يدل على إختلاط مياه البحر بمياه أحد الأنهار عند شاطئ هذه المنطقة . فمن بين العدد الكبير من الأسماك البحرية الممثلة فى المناظر الشاطئية فى بيئة بونت والذى يبلغ حوالى ٤٠ سمكة وحيوانا بحريا ، لا يزيد عدد الأسماك النهرية الممثلة فى هذه المناظر على خمسة تقريبا . ولعل ذلك يوحى بصغر النهر الذى رست السفن المصرية عند مصبه . ومن أمثلة هذه الرسوم التى تجمع بين أشكال الأسماك البحرية والنهرية ذلك الرسم الموضح أسفل منظر نقل أشجار الكندر (شكل ٢ - الصف الأوسط) حيث نلاحظ (إلى اليمين) سمكة الاستكوزا المسماه باللاتينية Panulirus وهى سمكة مميزة لمياه البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندى ، وإلى جوارها سمكة من أسماك المياه العذبة من النوع المعروف بسمك السللور (باللاتينية Siluroidea, Claridae) والمعروف بالانجليزية باسم

(37) British Admiralty, Red Sea and Gulf of Aden Pilot, 9th ed. London (1944) p. 462.

Freshwater catfish (٣٨) (وتتدرج تحت هذا النوع أسماك الشلبة والقرموط وما يشبهها) . وقد مثل الفنان أحيانا هذين النوعين المتباينين من الأسماك (الاستكوزا والسللور) بطريقة تجعل كل نوع أقرب ما يكون من بيئته . ومثال ذلك المنظر الذى يمثل السفن المصرية وهى تدخل الميناء البونتى (شكل ١١) (٣٩) . إذ نلاحظ أن الفنان رسم سمكة من نوع السللور (السمكة الثانية من اليسار) وذلك أسفل القارب الذى أرسلته السفن المصرية إلى شاطئ الميناء ، ربما على اعتبار أنه أقرب مكان إلى المياه العذبة أى إلى مصب النهر ، ثم يتدرج الفنان فى رسم الأسماك البحرية من اليسار إلى اليمين . ويمكن أن نميز بينها أسماك الخنزير والسيجان والشعرم والسحل والملاص والكنف والسبيط وغيرها من الأسماك والحيوانات البحرية حتى نأتى أخيرا إلى سمك الاستكوزا المميز لمياه البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندى تمييزا واضحا بشكله الغريب عن شكل باقى الأسماك ، فرسمه الفنان أسفل السفينة التى لم تنزل أشرعتها بعد ، أى أبعد ما يكون عن مصب النهر .

والآن ، وبعد أن استخدمت توزيع أشجار الكندر فى العصور القديمة والحديثة أساسا فى تحديد موقع بونت الدير البحرى واستعنت ببعض الظواهر الأخرى مثل أنواع الأسماك ، أنتقل الآن إلى دراسة لبعض معالم بيئة بونت الأخرى ، وكذلك لبعض السلع التى جلبتها بعثة حتشبسوت من بونت تأكيدا لما سبق أن وصلت اليه

---

(38) Danelius, Eva, and Steinitz, H.; "The fishes and other aquatic animals on the Punt-reliefs at Deir et-Bahri", JEA, 53 (1967) pp. 15-24.

حدد هذان الباحثان فى بحثهما هذا الاسماء اللاتينية للاسماك والحيوانات البحرية الواردة فى رسوم الدير البحرى ، وقد استرشد بها كاتب هذا المقال فى تحديد الاسماء العربية لهذه الاسماك والحيوانات البحرية أثناء رحلة قام بها الى الغردقة على ساحل البحر الأحمر .

(39) Naville, E; The Temple of Deir el Bahri, London (1898) Vol. III pls. 72 and 73.

من استنتاج فى تحديد موقع بونت الدير البحرى فى المنطقة الشمالية الشرقية من ساحل الصومال الشمالى .

وساقتصر فى هذه الدراسة على المعالم أو السلع التى أنكر بعض الباحثين وجودها فى الصومال وبالتالى اتخذوا من عدم وجودها اساسا لاستبعاد ساحل الصومال الشمال الشرقى من أن يكون موقعا لبونت الدير البحرى ،وهذه المعالم والسلع هى :-

أولا : أشجار النخيل والأكواخ ذات الأعمدة .

ثانيا : القرد الجبلى أو قرد البابون .

ثالثا : القرفة .

أولا : أشجار النخيل والأكواخ ذات الأعمدة :-

مثلت أشجار نخيل أمام أكواخ البونتيين فى الرسوم (شكل ٦) (٤٠) ويرى هيرتسوج أنها أشجار نخيل الدوم وليست نخيل البلح (٤١) بإدعاء أن نخيل الدوم لا ينمو على سواحل الصومال الا فى اقصى الجنوب عند مصب نهر جوبا . وقد اقتفى كتشن أثر هيرتسوج فى ذلك (٤٢) ، غير أن الحقيقة عكس ذلك تماما ، فان أشجار الدوم تنمو حاليا فى شمال الصومال فى الوديان الممتدة فى الشمال والشمال الشرقى (٤٣) ، ويطلق الصوماليون من سكان هذه المناطق على أشجار الدوم الاسم " قومبه " Qumbah .

ورغم ذلك ، فاننا اذا تأملنا فى أشكال هذه الأشجار فى رسوم الدير البحرى (شكل ٦) نجد أنها ليست نخيل دوم بل هى نخيل بلح ، وذلك يتضح من تمثيل الشجرة وقد تفرع جذعها إلى ثلاث شعب من أسفل أى قرب الأرض وهذه الظاهرة من خصائص أشجار نخيل البلح (شكل ٩) (٤٤) لا أشجار نخيل الدوم التى تتفرع شعبها من أعلى

---

(40) Naville, Ibid. pl. 69.
(41) Herzog, op.cit. S. 66.
(42) Kitchen, op.cit., P. 186.
(٤٣) عبد المنعم عبد الحليم سيد . الجمهورية الصومالية ص ٢٢ .
(44) Leslie, S., An Introduction to the Botany of Tropical Crops, London, (1967) pp. 271-272 and Fig. 62.

الجذع (شكل ١٠) (٤٥) . وعلى اى حال فسواء كانت هذه الأشجار نخيل بلح أم نخيل دوم ، فكلا النوعين يوجدان فى شمال الصومال .

وقد مثلت مساكن البونتيين على شكل أكواخ نصف دائرية مقامة فوق اعمدة (شكل ٦) وكانت هذه الأكواخ هى الأساس الأول الذى استند عليه هيرتسوج فى ترجيح مناطق النيل الأزرق والنيل الأبيض موقعا لبونت الدير البحرى واستبعاد الصومال .والحقيقة ان الأكواخ ذات الأعمدة لا توجد اليوم فعلا فى الصومال . ولكن من ناحية اخرى فإن أكواخ البونتيين ذات المظهر نصف الدائرى تشبه أكواخ سكان شمال الصومال فى الوقت الحاضر إلى حد كبير (شكل ٧) ، بل هى بذلك اقرب فى شكلها إلى أكواخ الصوماليين منها باكواخ سكان المناطق النيلية المخروطية الشكل والتى اعتمد عليها هيرتسوج (٤٦) (شكل ٨) . اما مسالة وجود الأعمدة ففى رأيى أنها لا تصلح أساسا يعتمد عليه لأنها ليست من المعالم الدائمة أو الثابتة ، فإن وجودها أو عدمه يمكن أن يتوقف على الأحوال المناخية أو الحيوانية للمنطقة واختلاف هذه الأحوال من عصر إلى آخر . فربما كانت منطقة شمال شرق الصومال تعج فى العصور القديمة بالحيوانات المفترسة أو الزواحف الخطرة مما اضطر السكان إلى اقامة أكواخهم فوق أعمدة إتقاء لأخطارها .

وقد أشارت بعض المراجع القديمة فعلا إلى خطورة الزواحف فى هذه المنطقة ، فأشار استرابون الى وجود ثعابين ضخمة فى المنطقة الممتدة من ديرى إلى رأس جرد فوى ، يصل طول الثعبان فيها إلى ٣٠ ذراعا (٤٧) وعلى ذلك ، فربما كان الغرض من الأعمدة فى أكواخ سكان الصومال القدماء هو إتقاء شر الثعابين الخطرة أو ربما اتقاء الحيوانات المفترسة التى يبدو أن منطقة شمال الصومال كانت تعج

---

(45) Encyclopaedia Britannica, (1964) Vol. 9, p. 355 a, Fig. 2.

(46) Herzog; op.cit. S. 67 und Tafeln 3-6.

(47) Strabo, op.cit. 16.

بها فى تلك العصور البعيدة قبل زحف موجات الجفاف خلال العصور التالية ، وتراجع الغطاء النباتى من الشمال إلى الجنوب وبالتالى هجرة الحيوانات العشبية ومن ورائها الحيوانات المفترسة إلى مناطق جنوب الصومال ، حيث توجد بوفرة فى هذه المناطق فى الوقت الحاضر . وربما يفسر لنا هذا التراجع فى الغطاء النباتى والحياة الحيوانية نحو الجنوب ، سبب عدم وجود الأعمدة فى أكواخ سكان شمال الصومال الحاليين .

ثانيا : القرد الجبلى أو قرد البابون (Baboon) :

قال هيرتسوج (وتبعه فى ذلك كتشن (٤٨) ، أن القرد الجبلى لم يثبت وجوده فى الصومال . وقد اقتفى هيرتسوج فى ذلك أثر هلسهيمر الذى يقول بأن هذا القرد لا يوجد فى الحياة الحيوانية فى الصومال الايطالى (٤٩) (جمهورية الصومال حاليا) . والحقيقة على العكس من ذلك ، فإن هذا القرد يسكن حاليا المناطق الجبلية على السواحل الشمالية والشرقية للصومال ويعرفه الصوماليون فى هذه المناطق باسم " دانيير " . وقد أشار التقرير السنوى لجمهورية الصومال إلى وجود هذا الحيوان (٥٠) . وفضلا عن ذلك فان الشواهد التاريخية نفسها تشير إلى وجود هذا الحيوان على الساحل الشمالى الشرقى للصومال فى العصور الكلاسيكية . فقد ذكر استرابون الاسم الاغريقى لهذا الحيوان أى Cynocephalon على أنه اسم مجرى ماء على هذا الساحل (٥١) . ويطابق هذا الموقع الطرف الشرقى من الخليج الذى يصب فيه النهر الصغير الذى كان يعرف فى العصور الكلاسيكية باسم نهر الفيل Elephas (الخريطة شكل ٤) وهو النهر الذى رجحنا فى هذا المقال أن تكون سفن حتشبسوت قد رست عند مصبه .

---

(48) Herzog, op.cit. S. 66 cf. Kitchen, op.cit. p. 188.
(49) Hilzheimer, op.cit. S. 114.
(50) Somali Republic; Somalia To-day (1970) p. 234.
(51) Strabo, op.cit., § 14; cf. Mullero, op.cit. pl. XII.

ثالثـا : القرفـة :

أشارت النصوص المصرية المدونة فوق منظر شحن السفن لسلع بونت (٥٢) إلى أن بعثة حتشبسوت جلبت القرفة (تشيس) من بونت . ويقول الباحثون الذين ينكرون تحديد موقع بونت الدير البحرى فى شمال شرق الصومال ، أن القرفة لا يمكن أن تنمو فى هذه المنطقة لعدم توفر الظروف الطبيعية الملائمة لها . وهذا القول صحيح دون شك ، ولكن الأدلة القوية التى وصلتنا من العصور الكلاسيكية عن وجود القرفة فى شمال شرق الصومال لا تشير للقرفة كانتاج نباتى فى هذه المنطقة ، بل كسلعة تجارية اشتهرت بها منطقة شمال شرق الصومال فى هذه العصور إلى حد جعل الكتاب الكلاسيكيين يطلقون على منطقة راس جردفوى اسم منطقة القرفة Cinnamomefera regio (٥٣) .

وقد أشار بعض هؤلاء الكتاب إلى طريقة جلب القرفة إلى هذه المنطقة ، فيقول بلينى أن السفن كانت تأتى بالقرفة إلى منطقة راس جردفوى حيث يعاد تصديرها (٥٤) . وجاء فى البربلوس أن ميناء موسيلوم (رأس عمترة) اشتهر بتصدير كميات كبيرة من القرفة مما كان يستدعى تخصيص سفن ذات حجم أكبر لهذه العملية (٥٥) .

ويقول استرابون أن القرفة كانت تجلب من الداخل الى هذه المنطقة (منطقة شمال شرق الصومال (٥٦) . ويفسر بعض الباحثين هذه المشكلة بأن القرفة كانت فى العصر الاغريقى الرومانى تجلب من مناطق انتاجها الى منطقة الساحل الشمالى الشرقى للصومال حيث تخلط بقلف شجرة الغار Laurel الذى يتوفر فى هذه المنطقة كما

---

(52) Naville, op.cit. pl. 74.
(53) Mullero, op.cit. pl. XII A.
(54) Pliny, op.cit. VI 29.
(55) Schoff, op.cit. § 10.
(56) Strabo, op.cit. § 11 and 14.

أشار الكتاب الكلاسيكيون (استرابون مثلا كما تقدم القول) ثم تشحن إلى بلاد العرب ومصر (٥٧) .

من كل هذه الشواهد يمكن أن نستخلص أن منطقة شمال شرق الصومال ولو أنها لم تكن تنتج القرفة لعدم توفر الظروف الملائمة لنموها ، إلا أنها كانت فى العصور الكلاسيكية تلعب دورا كبيرا فى تجارتها . وقياسا على ذلك فلا يستبعد أن تكون هذه الظروف استمرارا لظروف مشابهة ترجع إلى عصور أقدم ، ربما إلى عصر حتشبسوت ، نظرا لأن ظروف تجارة بعض السلع الأخرى فى هذه المنطقة كما رأينا لم تتغير فى العصور الكلاسيكية عما كانت عليه فى عصر حتشبسوت .

من كل ما تقدم من أدلة ، يتبين أن موقع منطقة بونت الدير البحرى أو المنطقة التى أطلقت عليها نصوص بعثة حتشبسوت اسم " مدرجات الكندر فى بونت " ، يرجح أن يكون فى المنطقة الساحلية الواقعة فى شمال شرق الصومال ما بين رأس عمترة ورأس جرد فوى ، كما يرجح أن النقطة التى رست عندها سفن حتشبسوت تقع عند الخليج الصغير الممتد شرق بلدة " علولة " الحالية حيث يصب خور أو نهر صغير يسميه الصوماليون (هو والخليج الذى يصب فيه) " جل - وين " (الخريطة شكل ٤) ، وأن هذا النهر هو المعروف فى العصور الكلاسيكية فى أرجح الاراء بنهر " الفيل " Elephas F . ولعل مما يدعم هذا الرأى أن منطقة شمال شرق الصومال تتميز عن سائر مناطق الساحل الشمالى للصومال بأن بعض أسماء المواقع بها ، سواء منها الحالية أو التى ترجع الى العصور الكلاسيكية ، تشبه فى نطقها كلمة " بونت " ومثال ذلك الرأس المسماه حاليا " رأس بنه " والواقعة جنوب رأس جردفوى ، فقد كانت تسمى فى العصور الكلاسيكية Panon . وكذلك رأس حفون الواقعة جنوب " رأس بنه " فقد كانت تدعى فى هذه العصور Opone وظاهر من

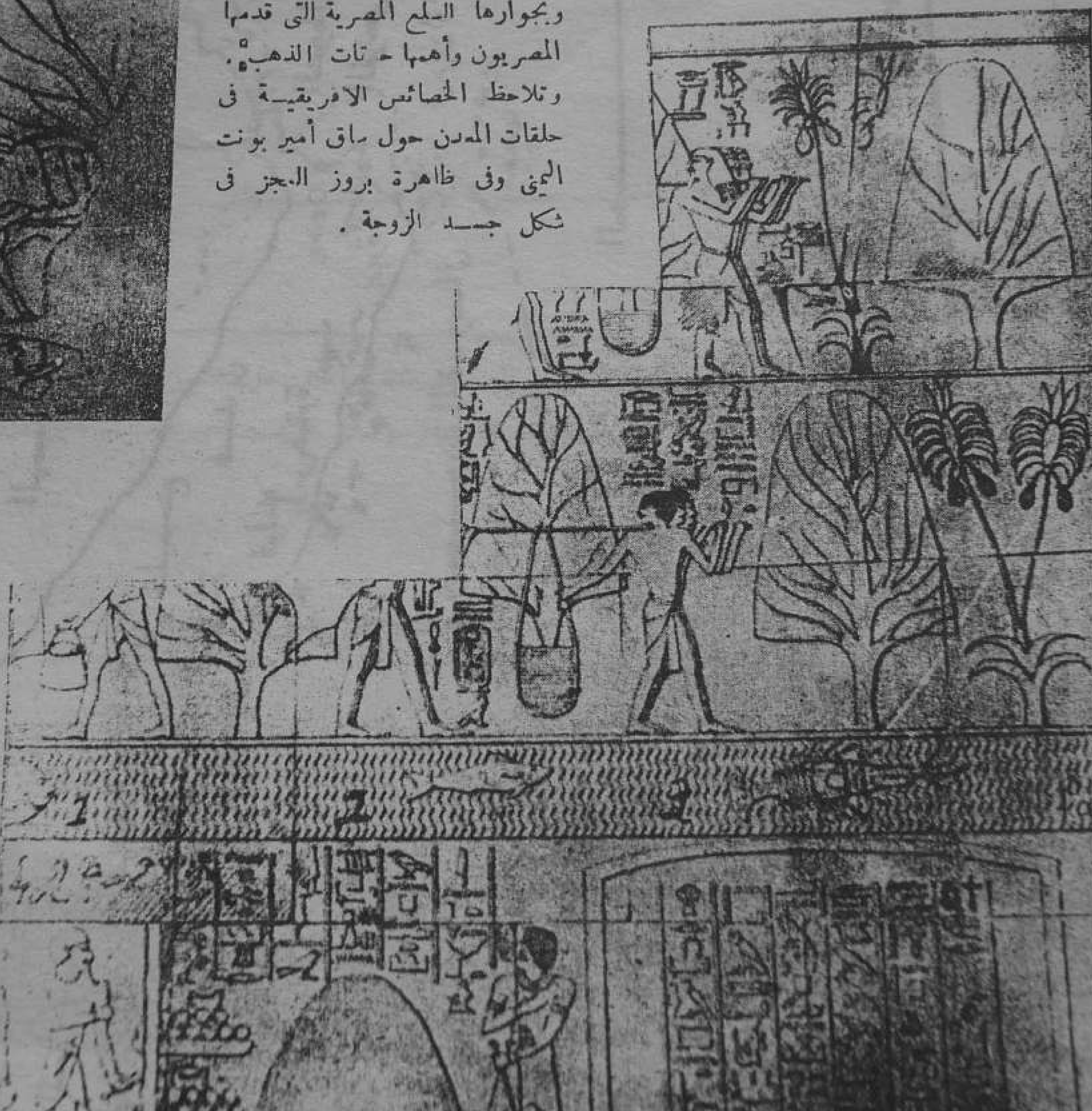
(57) Schoff, op.cit. pp. 83-84.

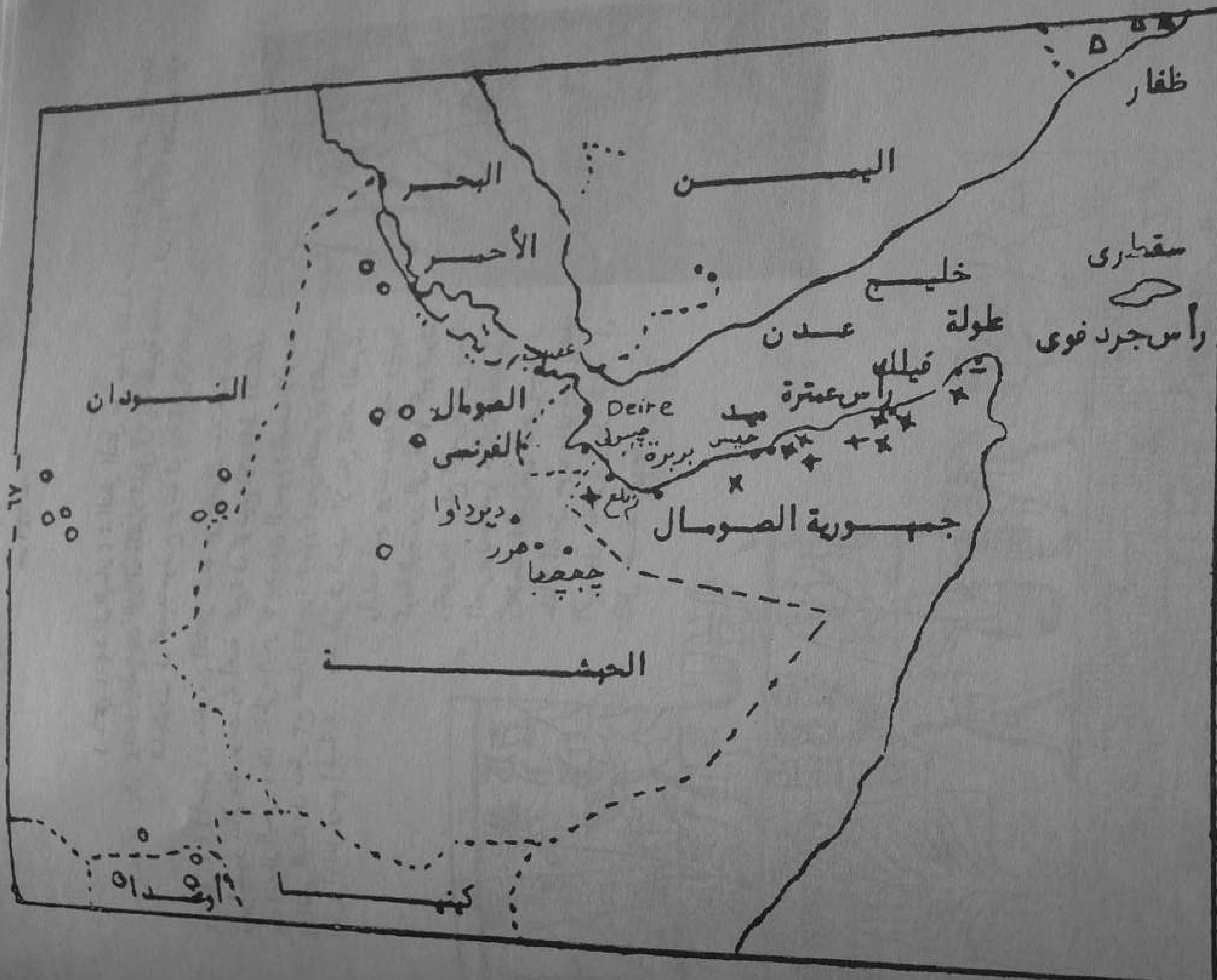
نطق الأسماء بنه و Panon و Opone أنها ربما تشير إلى الاسم المصرى القديم " بونت " .

(شكل ١) (الى اليسار) : المنظر الممثل على جدار معبد حتشبسوت فى الدير البحرى والذى يجمع بين الزراف والقرد الجبلى فى بيئة طبيعية واحدة وكان من أهم ما اعتمد عليه الباحثون فى تحديد موقع بونت فى بيئة افريقية .



(شكل ٢) (أسفل) : منظر من المناظر الممثلة على جدران معبد حتشبسوت وهو يصور معالم بيئة بونت وله أهمية كبيرة فى توضيح الارتباط المكانى بين أشجار البخور وبين شاطىء البحر كما يبدو من الرسوم (الصف الأوسط فى اقصى اليسار فى منظر جمع عصارة شجرة البخور) ومن النصوص (الصف الاسفل داخل رسم الخيمة) . وقد ظهر فى الصف الأسفل القائد المصرى وأمامه أمير بونت وزوجته وبينهما كومة البخور التى قدمها البونتيون وبجوارها السلع المصرية التى قدمها المصريون وأهمها حلقات الذهب . وتلاحظ الخصائص الافريقية فى حلقات المعدن حول ساق أمير بونت اليمنى وفى ظاهرة بروز العجز فى شكل جسد الزوجة .



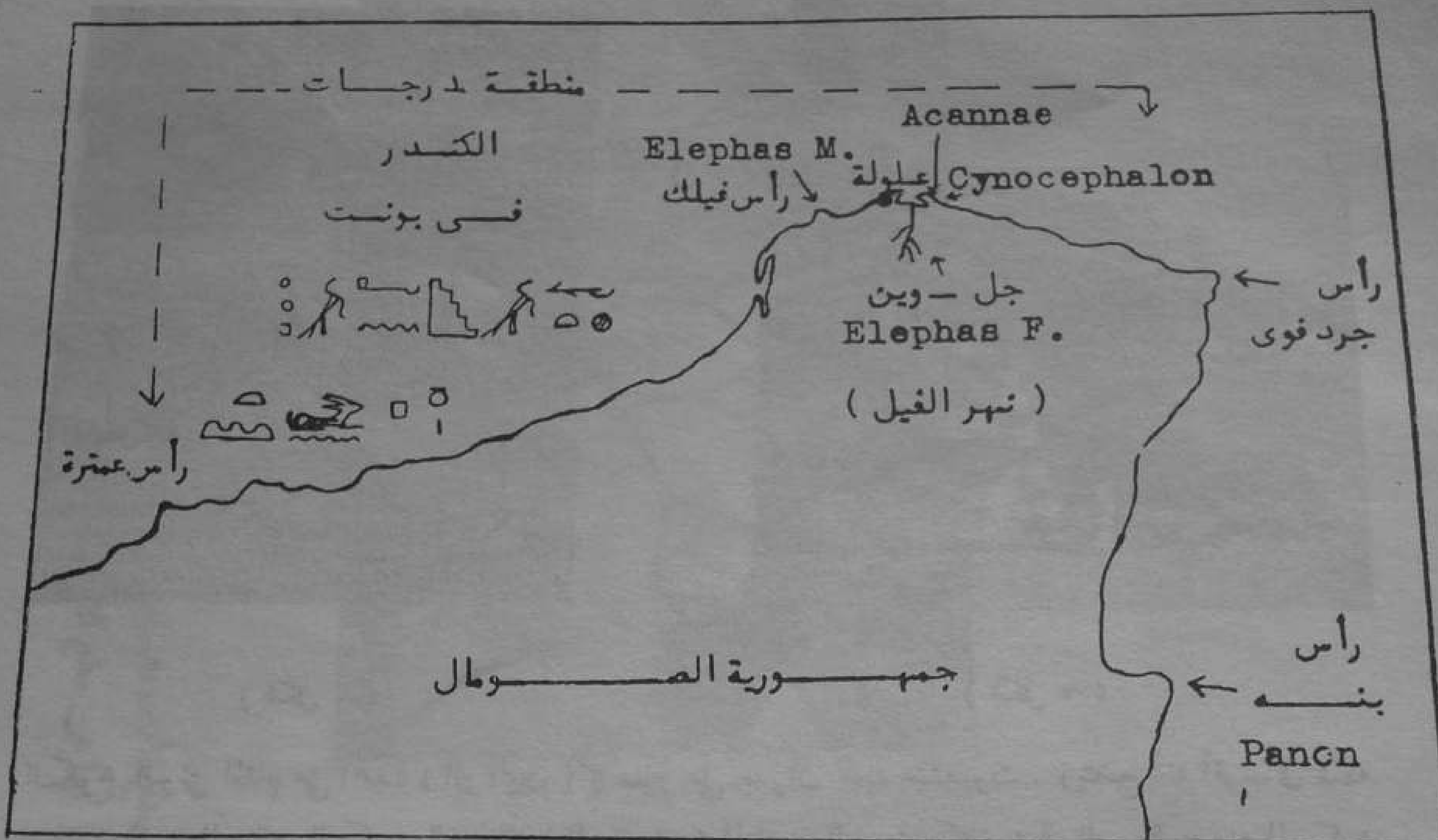


(شكل ٣)

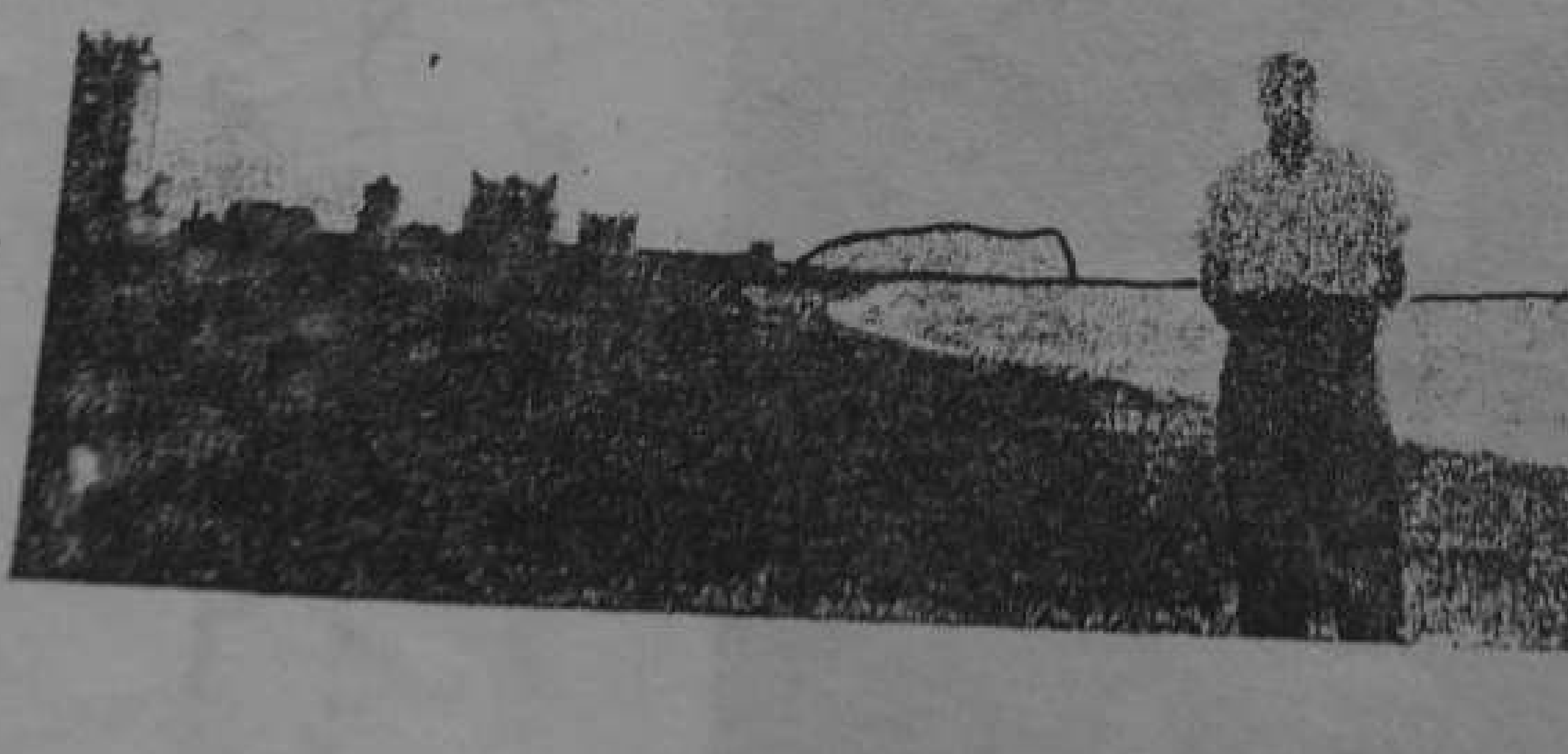
خريطة التوزيع الحالى لأشجار الكندر (اللبان) المسمى علميا Boswellia وأنواعه المختلفة وهى:

X Boswellia Frereana
\+ » Carteri
— » Bhau-dajiana
O » Papyrifera
Δ » Sacra

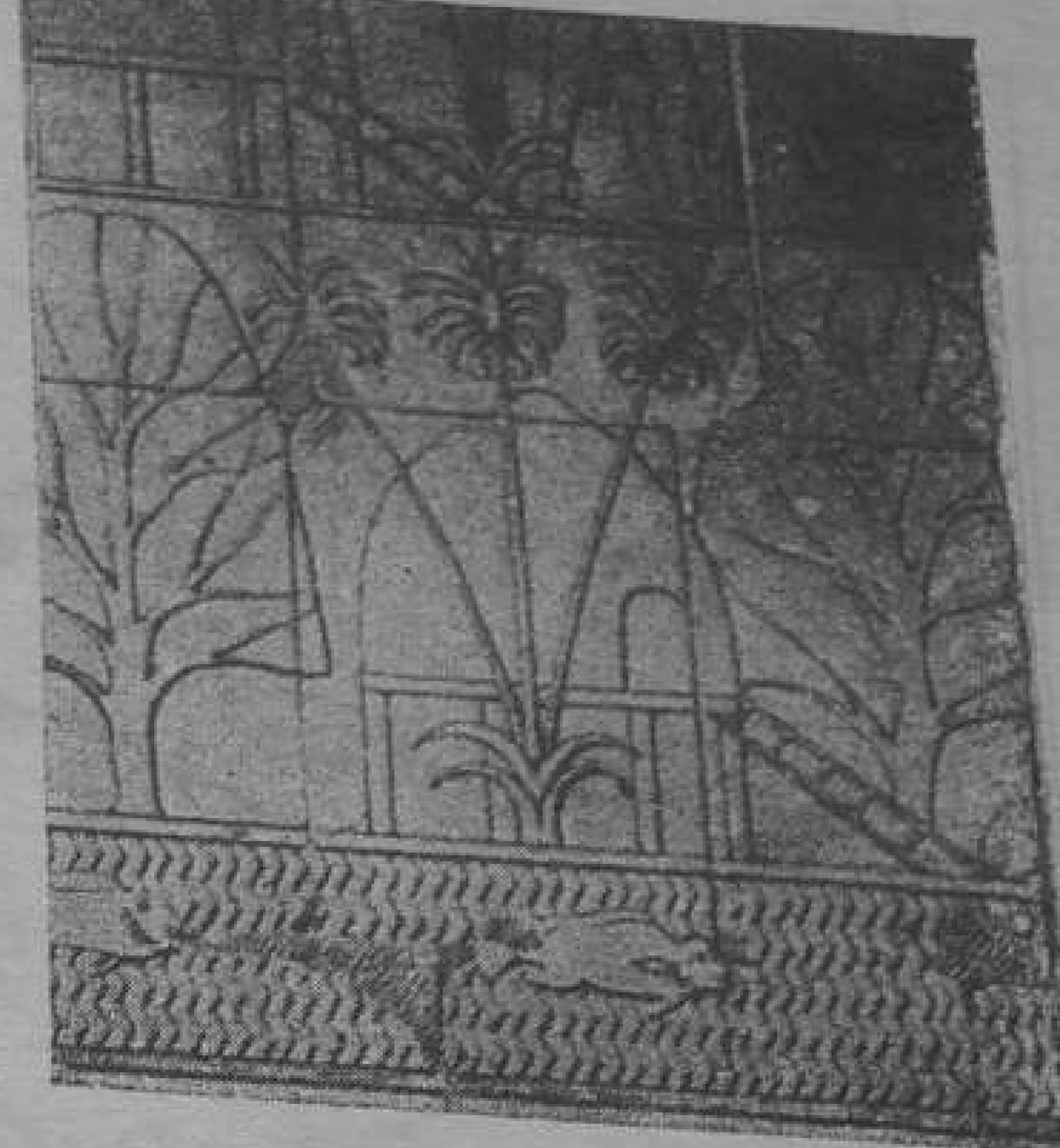
ويلاحظ على هذا التوزيع أن مناطق نمو هذه الأشجار بعيدة عن شاطىء البحر فى جميع مناطق الساحل الأفريقى للبحر الأحمر فيما عدا منطقة واحدة هى منطقة شمال شرق الصومال



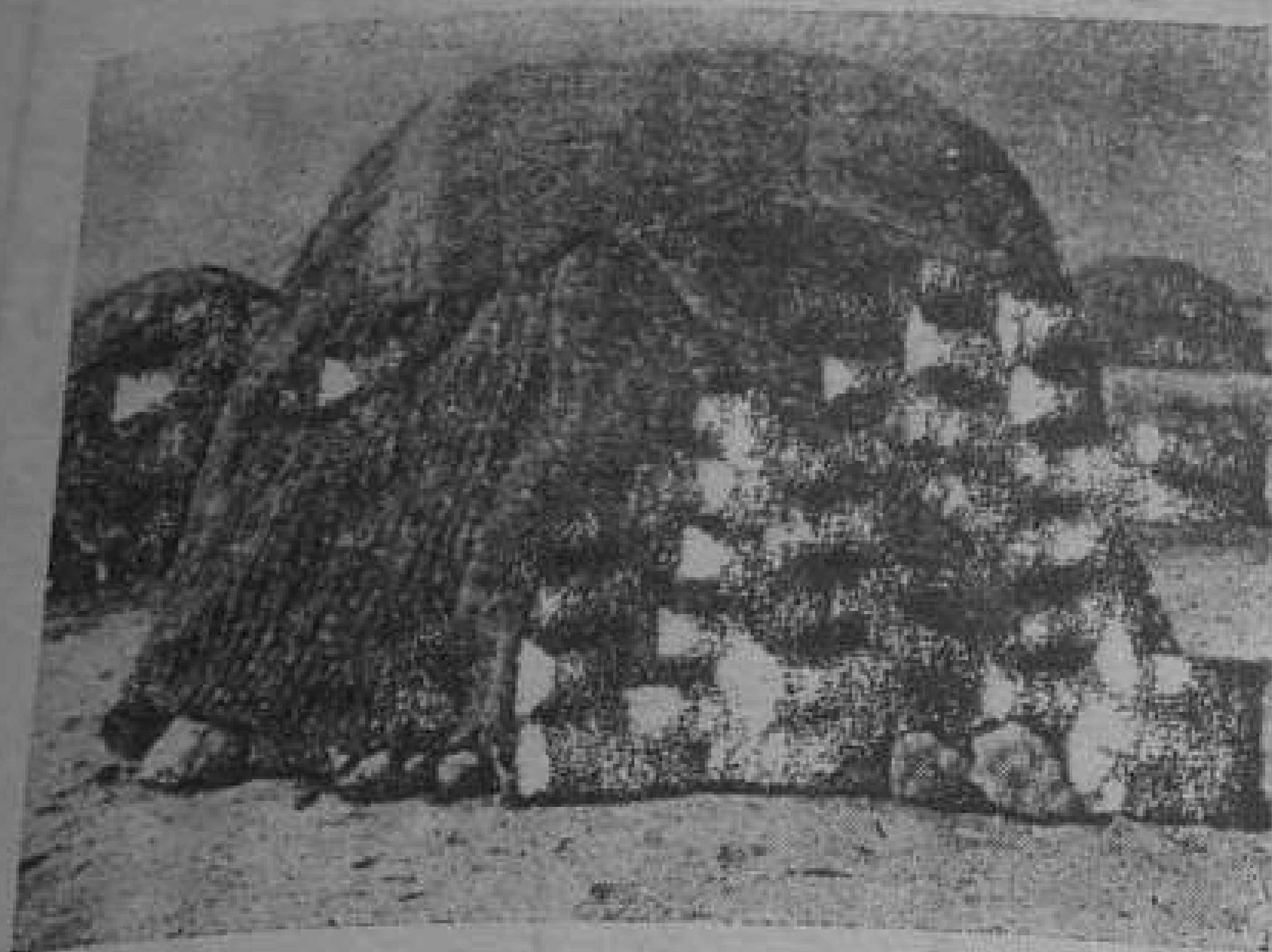
(شكل ٤) خريطة لمنطقة شمال شرق الصومال لبيان الموقع المرجح للمنطقة التى أطلقت عليها النصوص المصرية « ختيو عنتيو نو بونت » أى « منطقة مدرجات الكندر فى بونت » . وموقع الخليج المرجح لرسو سفن حتشبسوت عند مصب نهر الفيل . والاسماء الكلاسيكية لمعالم المنطقة .



(شكل ٥) رأس فيلك أو رأس الفيـل كما تبدو من ميناء علولة . ويلاحظ أنهـا تشبه فى شكلها الفيل الرابض . ويحدد الواقف فى الصورة (كاتب هذا المقال) الطرف الغربى لخليج « جل – وين » الذى يمتد نحـو الشرق ويصب فيه نهر الفيل .



(شكل ٦)



(شكل ٧)

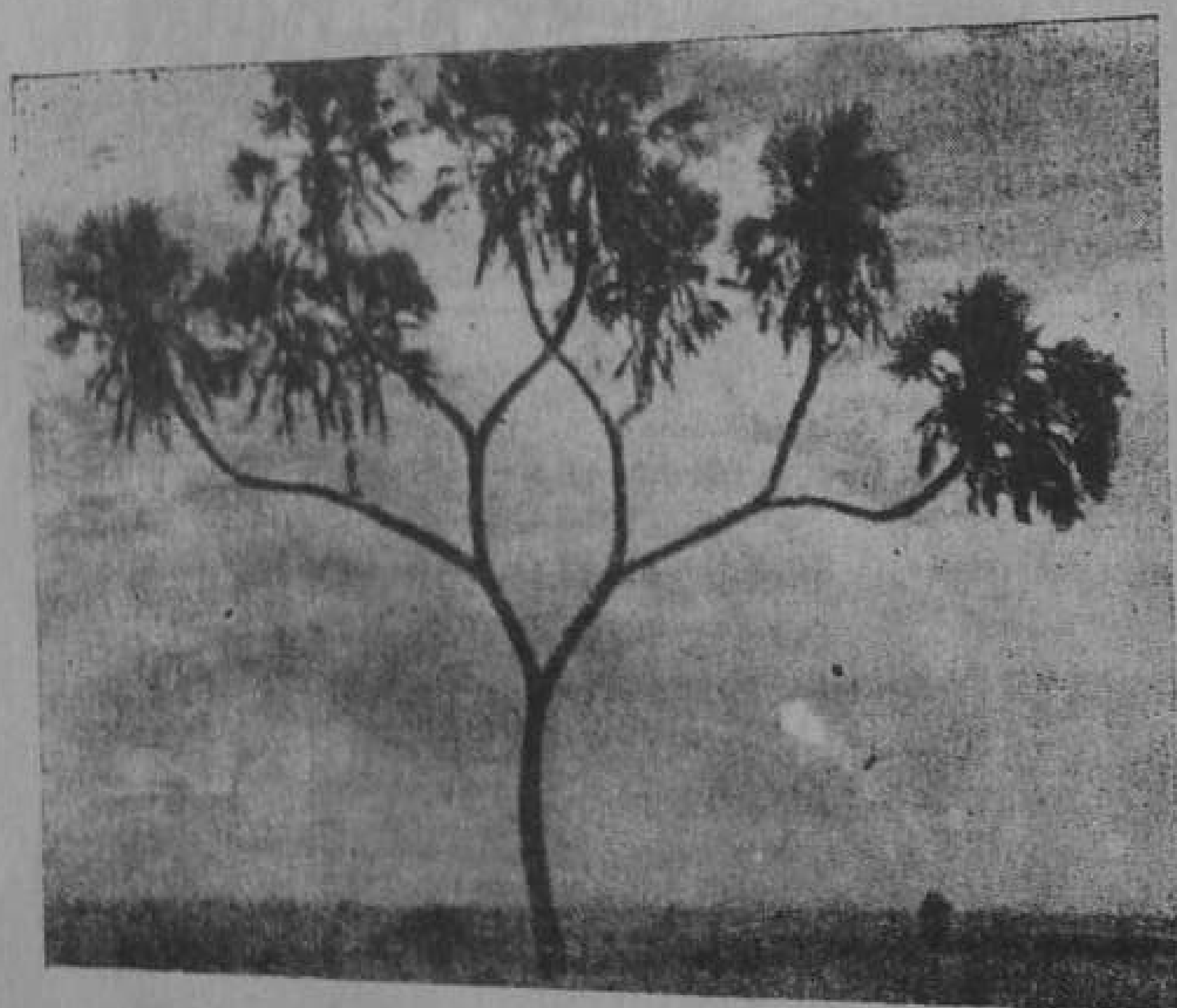
السكوخ البونتى المقام على أعمدة (الى اليمين) كما صور على جدران معبد حتشبسوت . ويتضح أنه أقرب فى شكله نصف الدائرى الى شكل السكوخ الصومالى (الى اليسار) المنتشر حاليا بين سكان شمال الصومال ، منه الى كوخ قبائل النيليين المخروطى الشكل (الى أسفل) المنتشر فى جنوب السودان .



(شكل ٨)

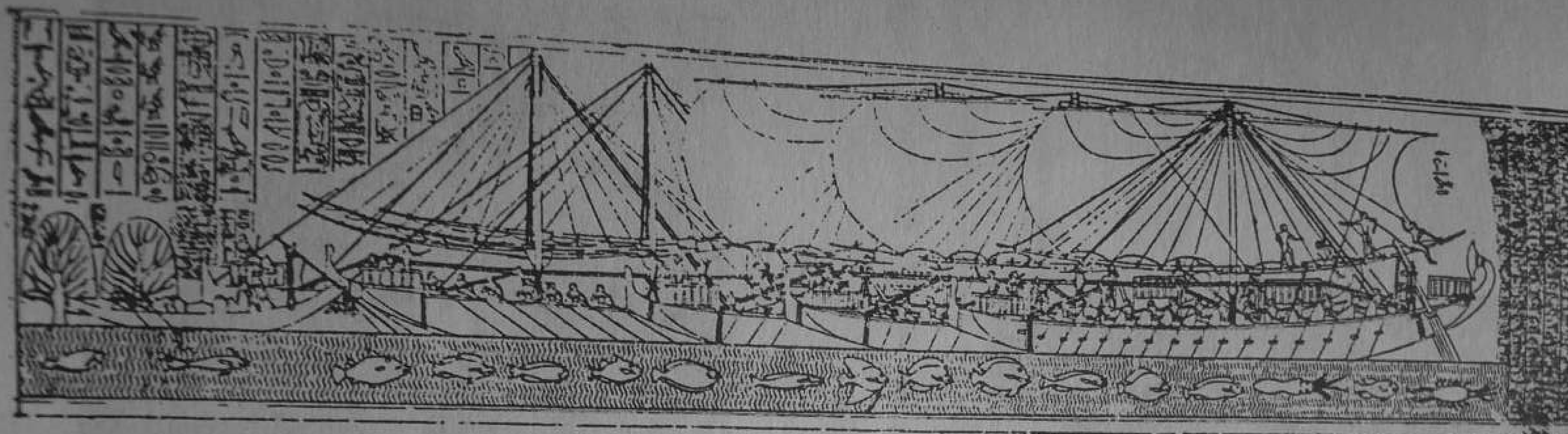


(شكل ٩)



(شكل ١٠)

شجرة نخيل بلح (الى اليمين) يلاحظ عليها أن الجذع يتفرع بالقرب من سطح الأرض وهى بذلك أقرب شبها بأشجار النخيل الممثلة فى رسوم الدير البحرى (الموضحة فى شكل ٢ وفى شكل ٦) من أشجار نخيل الدوم التى يتفرع جذعها بعيدا عن سطح الأرض (الى اليسار)



(شكل ١١) منظر على جدران معبد حتشبسوت فى الدير البحرى يمثل السفن المصرية الخمس التى قامت بالرحلة الى بونت لحظة دخولها الميناء البونتى . وقد أنزلت أشرعة السفينتين اللتين فى داخل الميناء (فى أقصى اليسار) بينما ظلت أشرعة السفن الثلاث الأخرى منشورة وهى تستعد لدخول الميناء كما يدل على ذلك رسم ربان السفينة الأخيرة (من اليمين) الذى وقف فوق قاربة شراعها يعطى الأمر للبحارة بدخول الميناء (طبقا للنص الهيروغليفى المدون بجوار الشراع) مشيرا بيده فى اتجاه الميناء . وتشير رسوم الاسماك والحيوانات البحرية المرسومة أسفل السفن الى اختلاط المياه العذبة بمياه البحر مما يدل على أن هذا الميناء كان يقع عند مصب نهر . ففى أقصى اليسار أى بالقرب من مصب النهر ظهرت سمكة من اسماك المياه العذبة من نوع سمك السلور Freshwater catfish (الثانية من اليسار) ثم تتدرج أنواع عديدة من أسماك المياه المالحة التى تعيش فى البحر الاحمر والمحيط الهندى . وقد أمكن للباحثين تمييز أنواع الاسماك الاتية (بصفة شبه مؤكدة) من اليسار الى اليمين : سمك الخنزير Monacanthid (رقم ٣) سمك السيجان Siganid (رقم ٥) ـ الشرم Balistid (رقم ٦) ـ الملاس Labrid (رقم ٨) ـ الكنف Platax (رقم ٩) السجل Acanthurid (رقم ١٠) – السبيط Loligo (رقم ١٥) واخيرا الاستكوزا Panulirus فى أقصى اليمين أى فى ابعد مكان عن مصب النهر والميناء كما تشير لذلك السفينة الأخيرة التى مازال شراعها منشورا .

جامعة الاسكندرية

كلية الآداب

٤

الكشف عن موقع ميناء الأسرة الثانية عشرة الفرعونية
فى منطقة وادى جواسيس
على ساحل البحر الأحمر

(تقرير عن حفائر بعثة قسم التاريخ بكلية الآداب
فى الصحراء الشرقية خلال موسمى عامى
١٩٧٦ و ١٩٧٧)

للدكتور
عبد المنعم عبد الحليم سيد
قسم التاريخ - كلية الآداب

مطبعة جامعة الاسكندرية

١٩٧٨

الكشف عن موقع ميناء
الاسرة الثانية عشرة الفرعونية
فى منطقه وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر

مقدمة : الأهمية التاريخية والحضارية لمشروع الحفائر

امتاز النشاط المصرى القديم فى البحر الأحمر بأنه كان نشاطاً سلمياً فى أغلبه ، على عكس هذا النشاط فى البحر المتوسط الذى تميز بأنه كان نشاطاً حربياً فى أغلب الأحيان . فقد ارتاد المصريون القدماء مناطق البحر الأحمر إما للبحث عن المعادن كما هو الحال فى سيناء ، أو للحصول على السلع الثمينة من عاج وأبنوس وبخور . وكانت هذه السلعة الأخيرة ، أى البخور ، هى الدافع الأساسى لنشاط المصريين المتصل على سواحل البحر الأحمر ، على مدى جميع عصور التاريخ المصرى القديم تقريباً ، فقد كان البخور — كما هو معروف — عنصراً أساسياً فى طقوس الديانة المصرية سواء فى المعابد أو المقابر ، إذ لم يكن أى من هذه الطقوس يكتسب فاعليته إلا باستخدام البخور . ولما كانت الديانة هى المحور الرئيسى للحياة المصرية القديمة ، فقد كان من الطبيعى أن يعطى المصريون للبخور ولمصادره ولمناطق الحصول عليه أهمية قصوى .

ومن هذا المنطلق أيضاً اتسم النشاط المصرى فى البحر الأحمر بالطابع الحضارى ، ومن هنا كانت أهميته وقيمته . فقد كان المصريون — على مايبدو — أسبق الشعوب فى المتاجرة مع شعوب البحر الأحمر طلباً لسلعه الثمينة . ودليلنا على ذلك أن بعضاً من أسماء السلع الرئيسية التى اشتهرت بها مناطق البحر الأحمر ترجع فى أصولها إلى الأسماء المصرية القديمة لهذه السلع .

وقد ظلت هذه الأسماء باقية فى لغات الشعوب التى ارتادت هذه المناطق بعد تقلص النشاط المصرى القديم من هذا البحر مثل العبرانيين والاغريق، بل ربما انتقلت إلى الشعوب التى اتصلت تجارتها بتجارة البحر الأحمر مثل الهنود (١).

ولقد ارتبط تاريخ النشاط المصرى فى البحر الأحمر بتاريخ صلاتهم مع المناطق أو البلاد التى أطلقوا عليها التسمية «بونت» (٢)، لأن هذه البلاد كانت مصدراً لسلعة البخور، وكانت نظرة المصريين إلى هذه البلاد وسكانها ذات طابع خاص تختلف عن نظرتهم إلى البلاد الأخرى التى اتصلوا بها وتعاملوا معها، فقد اعتبر المصريون بلاد بونت هذه موطناً لأجدادهم

---

(١) من أمثلة هذه الأسماء : الابنوس فهو يدعى فى اللغة المصرية القديمة «هبن» أو هبنى» فصار فى اللغة العبرية «هبن» وفى اللغة اليونانية « Ebenos وفى اللغة اللاتينية Hebenum وفى العربية «أبنوس» وكذلك إسم العاج فهو فى المصرية القديمة «آبو» أو «آب» وقد انتقل إلى اللغة العبرية باسم «أبه» وإلى السنسكريتية (الهندية) باسم Ibha وفى اللاتينية باسم Ebu-r . والقرفة، يوجد نوع منها كان المصريون يسمونه» «خاسية» وهو فى اللغات اليونانية واللاتينية Cassia . والكحل، عرف عند المصريين باسم «مسدمة» وصار فى اللغة القبطية CTHM (stem) وانتقل بهذا الاسم إلى اللغة اليونانية فصار Stimmi وفى اللاتينية Stibium والقردة، يوجد نوع منها يسمى عند المصريين «جنو» أو «جوف» صار فى العبرية «قوف» وربما يكون نفس الاسم المصرى قد انتقل إلى السنسكريتية باسم Kapi وهو فى اليونانية Kepus وفى اللاتينية Cepus .

ومن الغريب أن أهم نوع من السلع التى كان المصريون يسعون للحصول عليها من مناطق البحر الأحمر، هو البخور الذى كان المصريون يسمونه «عنتى» أو «عنتيو»، قد أطلقت عليه فى لغات هذه الشعوب أسماء تختلف عن الاسم المصرى القديم . ولكن توجد كلمة مصرية كانت تلازم اسم البخور فى النصوص المصرية القديمة وهى كلمة «قمى» وذلك فى عبارة «قمى إن عنتيو» ومعناها حبات البخور أو صمغ البخور. فقد كان البخور يستخرج من شجرته بشق جذع الشجرة فتسيل عصارة البخور التى تجمع فى سلال . وهى نفس طبيعة شجرة الصمغ . وقد انتقلت كلمة «قمى» المصرية هذه بمعنى عصارة الشجرة إلى اللغات اليونانية واللاتينية فى كلمة Gummi بمعنى «صمغ». أنظر : Liebelin, J; Handel und Schiffahrt auf dem roten Meere in alten Zeiten nach aegyptische Quellen, S. 69 — 70.

(٢) هناك قراءة حديثة لهذه الكلمة هى قراءة جاردنر الذى يقول بان قراءتها «بونت» خاطئة، وأن الأصوب قراءتها «بوينى» Pwene ولكنه يقول أيضاً بأن هذه القراءة تخمينية : Gardiner, A; Egypt of the Pharaohs, Oxford, (1961) p. 37 note 1. ولذلك سأستخدم فى هذا التقرير كلمة «بونت» نظراً لشيوعها فى كتب الآثار المصرية .

بل ونسبوا بعض آلهتهم اليها وصوروا سكانها على نفس شاكلتهم وبنفس الملامح المصرية تقريباً ، وكانوا يخاطرون باقتحام البحر الأحمر للوصول اليها رغم صعوبة الملاحة فيه وخطورتها .

من هنا كان التعرف على ماهية هذه البلاد ، أى بلاد بونت ، وعلى مكانها وموقعها ، ذا أهمية كبيرة فى القاء الضوء — ليس فقط على جانب هام من جوانب النشاط المصرى الحضارى — بل على أصول الحضارة الفرعونية نفسها ، إذا أخذنا فى اعتبارنا وجهة نظر المصريين أنفسهم من حيث نوع ارتباطهم بسكان بونت .

لهذه الأسباب ، شغلت هذه المشكلة ، أى مشكلة التعرف على ماهية بلاد بونت ومحاولة معرفة مرقعها ، أذهان علماء الآثار المصرية منذ نشأة هذا العلم فى أوائل القرن التاسع عشر حتى اليوم ، فحاولوا جهدهم البحث عن موقع بونت هذه ، ولكن رغم الجهود الصادقة التى بذلوها ، فان هذه الجهود لم تثمر كثيراً لأنها — أو أغلبها على الأقل — اجتهادات نظرية ، مثل دراسة النصوص المصرية التى تتحدث عن بونت ، أو المقارنة بين أنواع النباتات والحيوانات التى تميز بيئة بونت كما رسمها المصريون على آثارهم ، وبين مايوجد من هذه الأنواع فى مناطق البحر الأحمر . وغير ذلك من الدراسات النظرية التى لم تعتمد على أبحاث ميدانية أودراسات حقلية مثل عمل حفائر أثرية على شواطىء البحر الأحمر نفسها . ولعل السبب فى ذلك وعورة مناطق البحر الأحمر واقفارها من الوسائل التى تعين البعثات الأثرية على أداء مهمتها ، فضلا عن اتساع مساحتها اتساعاً شاسعاً وعدم وجود دلائل أو شواهد قوية ترشد البعثات إلى مواقع الحفر للبحث عن آثار فرعونية وسط هذه المساحة الشاسعة وخاصة على ساحل البحر الأحمر الذى يكاد يخلو تماماً من هذه الدلائل والشواهد .

ولقد كان من نتائج عدم وجود أدلة أثرية من ساحل البحر الأحمر نفسه ، تدل على نشاط المصريين القدماء مع بونت ، كان ذلك سبباً فى اسراف بعض الباحثين فى الافتراضات والتخمينات سواء بالنسبة لتحديد موقع

بونت أم بالنسبة لنشاط المصريين البحرى فى البحر الأحمر . ومن ذلك أن فريقاً من هؤلاء الباحثين استبعد أن يكون موقع بونت على ساحل البحر الأحمر بل أخذ يسوق الأدلة التى يرى أنها أدلة قوية ، على أن بونت منطقة نيلية تقع فى جنوب السودان (٣) وأن المصريين كانو يصلون اليها بطريق النيل(٤) كما أن فريقاً آخر أخذ ينفى ممارسة المصريين لأى نشاط بحرى فى البحر الأحمر فى عصر الدولتين القديمة والوسطى ، ومن رأيهم أن المصريين لم يقتحموا البحار إلا فى عصر الدولة الحديثة عندما اتصلوا بالشعوب الأجنبية وأخذوا عنهم فن الملاحة البحرية، وأخذوا أيضاً الكلمة الدالة على البحر وهى كلمة «يم» السامية الأصل (٥) . إلى غير ذلك من الآراء المتطرفة التى شجع على ظهورها — كما قلنا — عدم وجود أدلة أثرية من ساحل البحر الأحمر نفسه تدل على ممارسة المصريين القدماء للملاحة فى هذا البحر .

لهذه الاعتبارات كلها ، اكتسب مشروع عمل حفائر أثرية للبحث عن آثار فرعونية على ساحل البحر الأحمر أهمية خاصة ، لأن الكشف عن مثل هذه الآثار لايدحض هذه الآراء والتخمينات المتطرفة فحسب ، بل إنه فى الدرجة الأهم ، يلقى الضوء على جانب هام من جوانب نشاط المصريين القدماء الحضارى وعلى مراحل ذلك النشاط . وقد يساعدنا من ناحية أخرى على التعرف على موقع بونت ، وذلك بدوره قد يرشدنا إلى معرفة بعض أصول الحضارة المصرية القديمة ، فمن الواضح أن نسبة المصريين لأجدادهم وبعض آلهتهم إلى بونت ليست بدون مغزى تاريخى .

(أولا) خطة مشروع الحفائر وأهداف المشروع :

تبين لكاتب هذا التقرير اثناء دراسته الطويلة للنشاط المصرى القديم

---

3. Herzog, Rolf; Punt. Abh. Deut. Arch. Inst. Kairo. Bd. 6 (1968) S. 81.

4. Ibid. S.73—77.

5. Nibbi, Alessandra; The Sea Peoples : A re-examination of the Egyptian sources. Oxford, 1972. p. 25. Cf. Nibbi; Further remarks on Wad-wer, Goettinger Miszellen 10 (1974) p. 36.

فى البحر الأحمر (٦) ، ان البحث عن حلول للمشكلات التاريخية المذكورة المتعلقة بهذا النشاط ، يجب أن يبدأ بالبحث عن موقع الميناء الذى كان المصريون ينطلقون منه فى رحلاتهم فى هذا البحر . وخاصة ان موقع هذا الميناء نفسه ظل بدوره موضوع جدل بين علماء المصريات : فالبعض يرى انه مكان السويس ، وفريق آخر يقول انه فى موقع القصير ، أو هو نفسه ميناء القصير القديم الواقع شمال ميناء القصير الحالى بحوالى ثمانية كيلو مترات ، وفريق ثالث يرى أنه كان فى مرسى جاسوس الواقع جنوب ميناء سفاجة بحوالى عشرين كيلو متراً . وهكذا تعددت الأراء وتباينت بشأن هذا الموقع.

ولقد اعتمدت جميع هذه الآراء فى تحديد موقع الميناء على افتراضات

---

(٦) بدأ اهتمام كاتب هذا التقرير بدراسة النشاط المصرى القديم فى البحر الأحمر وعلاقة المصريين القدماء ببلاد بونت ، عندما كان يعمل مدرساً ضمن البعثة التعليمية المصرية فى الصومال فى أواخر الخمسينيات (١٩٥٧ — ١٩٥٩) . إذ المعروف أن الصومال من المناطق المرجحة لدى أغلب علماء المصريات كموقع لبلاد بونت ؛ ومنذ ذلك الوقت تناول الكاتب هذا الموضوع فى عدة مؤلفات أو فى أجزاء من مؤلفات هى :—

أ) عبد المنعم عبد الحليم سيد : مصر وصوماليا فى التاريخ القديم ، طبع المركز الثقافى بالصومال ١٩٥٨ .

ب) عبد المنعم عبد الحليم سيد : الجمهورية الصومالية أو صوماليا ، العدد ٢٩١ من سلسلة الألف كتاب ، القاهرة ١٩٦٠ (الصفحات من ٣٣٠ إلى ٣٦٥) .

ج) عبد المنعم عبد الحليم سيد : علاقات مصر القديمة ببلاد بونت ونشاطها فى البحر الأحمر رسالة ماجستير . كلية الآداب — جامعة الاسكندرية ١٩٦٨ .

د) عبد المنعم عبد الحليم سيد : الصلات والمؤثرات الحضارية بين حضارة مصر الفرعونية وحضارات البحر الأحمر ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب — جامعة الاسكندرية ١٩٧٣ .

هـ) عبد المنعم عبد الحليم سيد : محاولة لتحديد موقع بونت ، مقال فى نشرة جمعية الآثار بالاسكندرية « دراسات أثرية وتاريخية » العدد الخامس ، (١٩٧٤) ص ١ — ٣٤ .

و) عبد المنعم عبد الحليم سيد : مقال بالانجليزية فى مجلة كلية الآثار بجامعة القاهرة بعنوان

Sayed, Abdel Monem, A.H; An attempt at the identification of the transmitters of Mesopotamian influences to Upper Egypt, (1976) p. 5 ff.

لا تستند على أدلة أو حتى على قرائن أثرية ، فيما عدا موقع مرسى جاسوس الذى ارتكز على قرائن أثرية ضعيفة ، هى العثور على لوحة (شكل١) من عصر الأسرة الثانية عشرة (الدولة الوسطى) وجدت بعيداً عن ساحل البحر الأحمر نحو الداخل بحوالى سبعة كيلو مترات ، وبالتحديد داخل الوادى المسمى بوادى جاسوس الذى يقع مرسى جاسوس عند مدخله على ساحل البحر . وقد جاء على هذه اللوحة ، التى تعرف بلوحة «خنت — خاتى — ور» ، نسبة إلى صاحبها ، ان خنت — خاتى — ور هذا عاد من رحلة من بونت وأن سفنه رست فى «ساوو» . ويتبين من نص اللوحة ان «ساوو» هو اسم الميناء الذى رست عنده هذه السفن . وقد اتخذ العلماء من هذا النص دليلا على على أن مرسى جاسوس هو الميناء الذى أطلقت عليه اللوحة الأسم «ساوو» على أساس انه أقرب ميناء إلى المكان الذى وجدت فيه اللوحة .

لهذا السبب ، أى لأن مرسى جاسوس هو أكثر موانى الصحراء الشرقية ترجيحاً عن الموانى الأخرى كالسويس والقصير ، نظراً للعثور على قرائن أثرية تشير لذلك ، فقد اتجه اهتمام كاتب هذا التقرير لفحص هذا الموقع ، عندما اتيحت له الفرصة لزيارة الصحراء الشرقية فى عامى ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، إذ توجه إلى منطقة مرسى جاسوس وقام بفحص معالمها والتقط بعض الصور الفوتوغرافية لها (٧) .

وفى أواخر عام ١٩٧٥ تقدم الكاتب إلى قسم التاريخ بالكلية بمشروع لاجراء حفائر فى الصحراء الشرقية للبحث عن موقع هذا الميناء . وفى أوائل مارس ١٩٧٦ توجه إلى منطقة وادى جاسوس على رأس بعثة مشتركة من الكلية وهيئة الآثار المصرية لبدء هذه الحفائر .

---

(٧) دعت محافظة البحر الأحمر مشكورة كاتب هذا التقرير لزيارة المناطق الأثرية فى المحافظة لتأليف كتاب عنها. وقام بهذه الزيارة مرتين ، فى ابريل ١٩٧٤ وفى فبراير ١٩٧٥ .

(ثانياً) الاكتشافات السابقة التى استرشدت بها البعثة لوضع خطة الحفائر :

سبقت الاشارة إلى لوحة خنت — خاتى — ور (شكل ١) التى عثر عليها فى داخل وادى جاسوس والتى ورد عليها اسم الميناء (ساوو) الذى رست فيه السفن المصرية العائدة من بونت . وقد عثر على هذه اللوحة وكذلك على لوحة أخرى تشبهها ، اثنان من الرواد الأوائل فى علم الآثار المصرية هاجيمس برتون James Burton والسير جاردنر ولكنسون (٨) Sir Gardner Wilkinson وذلك فى سنوات متفرقة من العشرينيات من القرن الماضى (ما بين ١٨٢٠ ، ١٨٢٦ على ما يرجح) . إذ بينما كانا يتجولان فى الصحراء الشرقية لعمل رسوم وتصميمات للمبانى اليونانية الرومانية (مع بعضهما فى بعض الأحيان ومتفرقين فى أحيان أخرى) ، وجدا مجموعة من المبانى تبين فيما بعد أنها محطة رومانية للقوافل والتزود بالمياه Hydreuma . وتشتمل هذه المحطة على أربعة مبان صغيرة (شكل ٣) . وقد عثر بيرتون فى المبنى الغربى منها الذى يطلق عليه ولكنسون «المعبد» Temple (شكل ٣ «A») ، على لوحة خنت — خاتى — ور المذكورة . كما عثر ولكنسون على لوحة تشبهها لشخص آخر يدعى «خنوم حتب» (شكل٢) . ولوحة خنت— خاتى— ور مصنوعة من حجر البازلت الأسود وتبلغ أبعادها ٥٢×٣٠ سم . وهى وهى مؤرخة بالسنة الثامنة والعشرين من حكم الفرعون امنمحات الثانى (ثالث ملوك الأسرة الثانية عشرة — حوالى عام ١٩٠٠ ق . م .) والرسوم التى فى أعلى اللوحة تمثل الفرعون امنمحات الثانى يقدم قرباناً من الشراب للاله «مين» رب الصحراء الشرقية (شكل ١) . وأسفل هذا المنظر نص هيروغليفى يشتمل على دعاء موجه من خنتخاتى — ور صاحب اللوحة إلى الاله حورس العظيم (حر — ور) وإلى الاله مين . وأسفل ذلك مثل «خنتخاتى — ور» يرفع يديه إلى أعلى فى وضع التعبد والابتهال للالهة ،

---

(٨) هو صاحب الكتاب المشهور فى ميدان علم المصريات :
The Manners and customs of the ancient Egyptians.

وأمامه نقشت خمسة أسطر بالهيروغليفية تسرد القاب خنتخاتى — ور ووظائفه ثم تشير إلى رحلة خنتخاتى — ور ورسو سفنه فى المناء وترجمة النص كله هى كما يلى :

«الدعاء وتقديم الصلوات إلى (الاله) حر — ور (حورس العظيم) وللاله مين رب قفط ، من الأمير الوراثى والحاكم ، حامل خاتم/الوجه البحرى ، المشرف على قاعة العدل ، خنتخاتى — ور ، بعد عودته فى سلام من بونت وجيشه معه ، سليما معافى ، وقد رست سفنه فى ساوو ، فى السنة ٢٨».

أما لوحة «خنوم — حتب» فهى أيضاً من حجر البازلت الداكن وتبلغ أبعادها ٦٦×٣٥سم ، وهى مؤرخة بالسنة الأولى من حكم الفرعون سنوسرت الثانى (رابع ملوك الأسرة الثانية عشرة ، حوالى عام ١٨٩٥ ق. م) وقد مثل فى أعلاها هذا الفرعون أمام الاله «سبد» الذى وصف على اللوحة بأنه «رب أرض الكحل» و«رب الشرق» والمقصود بأرض الكحل سيناء (تا — شسمت) . وأسفل هذا المنظر نقش سطر بالهيروغليفية يسجل ان الفرعون أقام آثاراً له فى منطقة «تا — نتر» أى «أرض الاله» والمقصود بها فى ذلك العصر الصحراء الشرقية . وفى الجزء الأسفل من اللوحة مثل خنوم حتب واقفاً ممسكاً بعصاه وصولجانه وأمامه نص هيروغليفى فى أسطر رأسية يسجل ألقاب خنوم حتب ووظائفه كما يلى :

«حامل ختم الاله (الفرعون) ، المقرب فعلا من الملك ، المحبب اليه ، المرتبط بمحبته ، الذى فى قلبه ، الذى يعرف تعليماته وينفذها بمهارة ، المخلص للملك ، الذى لا يعصى أوامر القصر أو قرارات البلاط ، الوحيد لدى الملك ، الذى نشأ فى القصر (الملكى) ، تلميذ حورس رب الأرضين ، الذى يتقدم رجال الحاشية للملك ، الذى يتوخى الدقة مثل (الاله) تحوت ، رئيس الحجاب ، خنوم — حتب» .

ومن الواضح من هذه الترجمة لنص لوحة خنوم حتب ، أنه لا يشير إلى أى نشاط بحرى أو إلى الميناء ، على عكس نص لوحة

ور الذى يفيد مضمونه ان اللوحة كانت مقامة على شاطىء
خنتخاتى — البحر الأحمر نفسه ثم نقلت بعيداً عنه إلى المكان الذى عثر عليها فيه بيرتون
داخل وادى جاسوس وبعيداً عن البحر بحوالى سبعة كيلومترات. هذا وتعتبر
لوحة خنتخاتى ور الأثر الوحيد من بين الآثار المصرية الذى ورد عليه اسم الميناء
«ساوو» إذ لم يرد هذا الاسم بنفس العلامات الهيروغليفية على آثار مصرية
أخرى، وان كان هناك اسم يشبهه ورد بعلامات مختلفة كما سنذكر بعد.

وكما قلنا اتخذ العلماء من لوحة خنتخاتى — ور دليلا على أن ميناء
ساوو هو مرسى جاسوس، نظراً لأنه أقرب ميناء إلى المحطة الرومانية التى
وجدت فيها اللوحة. وبالطبع فان مكان العثور على اللوحة يضعف من هذا
التحديد. لذلك، فان تحديد موقع ميناء ساوو هذا يقتضى معرفة المكان
الأصلى للوحة خنتخاتى — ور، فهى أما ان تكون قد نقلت من مكانها الأصلى
على ساحل البحر إلى المكان الذى وجدت فيه داخل وادى جاسوس،
أو أنها اقيمت فى الأصل فى نفس هذا المكان.

هذان الاحتمالان قد حددا خطة عمل البعثة بالحفر فى المكان الذى وجدت
فيه اللوحة أى فى المحطة الرومانية داخل وادى جاسوس، للتوصل إلى نقطة
هامة هى: هل مبانى هذه المحطة ترجع كلها إلى العصر اليونانى الرومانى،
أم أنها تحوى أساساً أو آثاراً من العصر الفرعونى وخاصة عصر الأسرة
الثانية عشرة الذى ترجع اليه اللوحة؟ (أو اللوحتان إذا أضفنا أيضاً لوحة
خنم حتب ولو أن لاعلاقة لها بالميناء).

فاذا انتفى وجود آثار أو مبانى فرعونية فى أساس هذه المحطة، فمعنى
هذا ان اللوحة منقولة من مكان آخر، الأرجح أنه يقع على ساحل البحر كما
يشير نص اللوحة. وهنا يكون على البعثة أن تنتقل إلى ساحل البحر للبحث
عن هذا المكان أو بتحديد أدق للبحث عن موقع الميناء «ساوو».

(ثالثاً) مراحل عمل البعثة وحفائرها :

١ — المرحلة الأولى : الكشف عن أساسات المحطة الرومانية فى وادى جاسوس :

تنفيذاً للخطة السابق توضيحها، بدأت البعثة المرحلةالأولى من عملها ، وهى الحفر فى المحطة الرومانية للوصول إلى أساسات مبانى هذه المحطة ، وقد استرشدت البعثة فى حفائرها فى مبانى هذه المحطة بأوصاف ورسوم الرحالة وعلماء الآثار الأوائل مثل شفينفورث (٩) وولكنسون (١٠) كما استرشدت بما نقله بعض الباحثين عن بيرتون . (١١) .

وبطبيعة الحال اتجه العمل أولا إلى المبنى الغربى الذى وجدت فيه اللوحتان وهو الذى يسميه الرواد الأوائل «المعبد» (شكل ٣ «A» وشكل ٤) ، غير أنه أقرب إلى المقصورة منه إلى المعبد إذ يتكون من غرفة واحدة أمامها ما يشبه الفناء عثر فى ركن منه على اللوحتين (الأشكال ٣ ، ٤ ، ٥) . والغرفة

---

9. Schweinfurth; G; Alte Baureste und hieroglyphische Inschiiften im Uadi Gasus, Berlin (1885); S.7.

10. Wilkinson, Sir Gardiner; Topography of Thebes (1835) p. 364.
وقد رسم ولكنسون تصميما لمبانى المحطة الرومانية وضح عليه بالضبط المكان الذى عثر فيه على لوحة خنوم حتب، وذلك فى مخطوطة له محفوظة الآن فى متحف أشموليان باكسفورد تحت رقم MSS. xlv. D. 18 . وقد تفضلت الآنسة هيلين مرى أمينة محفوظات المتحف مشكورة بأن أرسلت لى صورة لهذا التصميم . وقد نشر هذا التصميم أخيراً (فى أواخر عام ١٩٧٦) فى Nibbi, Alessandra; „Remarks on the two Stelae from Wadi Gasus''. JEA vol. 62 (1976) pp. 45—56 fig. 1

(١١) لم يتيسر الحصول على نسخ من مخطوطات جيمس بيرتون المحفوظة فى المتحف البريطانى، ولكن يتضح مما نقله عنه بعض الباحثين أنه لم يحدد مكان عثوره على لوحة خنتخاى ـور فى المحطة الرومانية مثلما فعل ولكنسون . ولكن بيرتون ربط بين مكان لوحته وبين مكان اللوحة التى عثر عليها ولكنسون عندما كتب وصفاً مختصراً للوحتين فى الكتالوج الذى صدر بمناسبة بيع اللوحتين فى لندن عام ١٨٣٦ وقد جاء فى هذا الوصف أن اللوحتين وجدتا فى معبد صغير فى وادى جاسوس على شواطىء البحر الأحمر . أنظر : Nibbi, op.cit. p. 46.

نفسها مبنية بالحجر الجيرى و كتل البناء منتظمة الشكل إلى حد ما (الأشكال ٤ ، ٥) بينما بنى الفناء بقطع الدبش والحجارة غير المنتظمة من الأحجار المنتشرة فى المنطقة كالبازلت والجرانيت الوردى والحجر الجيرى. وقد عثرت البعثة فى الرديم الملقى خارج الجدار الغربى لهذا المعبد (ويبدو انه نتيجة عمليات حفر وتنقيب سابقة) على أشياء متنوعة أهمها: تمثال صغير قد تهشم جزؤه العلوى ويبلغ ارتفاعه حوالى ٢٠ سم وهو مصنوع من الجبس المسمى علمياً Anhydrite ويبدو من هيئة الجزء المتبقى من التمثال انه يمثل الاله مين رب الصحراء الشرقية كما تدل على ذلك وقفته المنتصبة المعروفة (شكل ٨) . وخلف شكل الاله نحت شكل طائر يحيط الاله بجناحيه ، وربما يمثل الصقر الذى يرمز للاله حورس أو انثى النسر التى ترمز للالهة نخبت . كما عثرنا أيضاً على مائدة قربان مصرية الطابع مصنوعة من الحجر الجيرى، وقد ضاع نصفها وهى من طراز موائد القرابين المصرية الذى شاع فى العصر اليونانى الرومانى ، هذا بالاضافة إلى أشياء أخرى سنذكرها فيما بعد .

هذه الآثار رغم قلتها ، فانها بطابعها الدينى جعلتنا نرجح أن يكون هذا البناء هو المعبد الخاص بالمحطة الرومانية، وخاصة انه البناء الوحيد بين مبانيها الذى شيدت الاجزاء السفلى من جدرانه بكتل الحجر الجيرى المنتظمة الشكل نسبياً ، على عكس أحجار المبانى الأخرى للمحطة التى شيدت جميع جدرانها بكتل الحجارة غير المنتظمة وكتل الدبش .

ومن ناحية أخرى كانت هذه الآثار هى الوحيدة التى تحمل الطابع الفرعونى من بين الآثار الأخرى التى عثرنا عليها فى هذا المعبد وفى غيره من مبانى هذه المحطة الرومانية، وان كان من الواضح أنها رغم كونها فرعونية الطراز فانها ترجع إلى العصر اليونانى الرومانى كما تشير لذلك أيضاً الآثار الأخرى التى وجدناها فى هذه المحطة .

ورغم اننا قمنا بالحفر فى أساسات المعبد حتى الأرض «الحية» ، فاننا لم نجد أية بقايا لمبان أو نقوش فرعونية .

وقد أكد الحفر فى باقى مبانى المحطة الرومانية هذه النتيجة التى توصلنا اليها فى المعبد ، فقد قمنا بالحفر فى المبنى الشرقى (شكل ٧) ، وهو أكبر مبانى هذه المحطة ويغلب أنه كان محصناً ويحوى المساكن الخاصة بالجنود المكلفين بحراسة المحطة أو ما يشبه ذلك، لأن أساسات جدرانه تمتد إلى عمق يصل إلى حوالى المتر تحت مستوى سطح الأرض المحيطة به ، وهو فى ذلك يختلف عن سائر المبانى التى لا تكاد جدرانها تغوص فى الأرض . ورغم الحفر حتى هذا العمق ، فلم نجد به أية آثار فرعونية . كذلك الشأن بالنسبة للمبنى الأوسط (شكل ٦ ب) الذى تبين من الكشف عنه انه يحوى عدة انه يحوى عدة أفران على هيئة جرار يبلغ قطر الجرة حوالى ٤٠ سم فى المتوسط ، وبكل جرة ثقب فى أسفلها وقناة فخارية تخرج من أحد جوانبها ، وكانت مملوءة بالرماد مما يرجح ان هذا المبنى يحوى أماكن الطهى الخاصة بالمحطة . وقد عثرنا على جرة من هذا النوع أيضاً فى المبنى الشرقى ولكنها أكبر حجما إذ يصل ارتفاعها إلى حوالى ٥٠ سم (شكل ٧) .

وجميع الآثار التى عثرنا عليها فى هذه المبانى الثلاثة تؤكد ان هذه المبانى ترجع للعصر اليونانى الرومانى ، ومثال ذلك استراكاً من الفخار عليها كتابة يونانية (شكل ٩) واستراكا من الفخار أيضاً مكتوبة بالديموطيقية (شكل ١٠) ومسارج صغيرة من الفخار الأحمر عليها رسوم محفورة لأشكال ضفادع وهى من الطراز الذى شاع فى العصر اليونانى الرومانى (شكل ١١) .

وقد كشفت البعثة عن أساسات مبنى صغير إلى الجنوب من المعبد مباشرة (شكل ٦ هـ) وقد أطلق عليه شفينفورت اسم « ردهة » Pronaos (١٢) وهذه التسمية تشير إلى أنه اعتبره مدخلا أو ردهة للمعبد، ولكن يغلب انه حمام لوجود أنابيب فخارية تخترق أحد جدرانه وتنتهى عند شكل جرة بها رماد ، وهى من نفس نوع الجرار التى سبق وصفها مما يرجح أنها فرن

---

12. Schweinfurth, op. cit. S.7.

لتسخين المياه ، ولعلها تشبه فى ذلك بشكل مبسط حمامات مدينة الحجارين الرومانية فى منطقة جبل كلوديانوس Mons Claudianus التى تبعد إلى الشمال الغربى من هذه المنطقة بحوالى ٦٠ كيلو متراً . كما يتشابه نظام توزيع المبانى هنا مع نظام مدينة جبل الدخان فى وجود الحمام والمطابخ خارج المساكن . (١٣)

ولقد تبين من الكشف عن أساسات مبانى المحطة الرومانية ، ان تصميمات ومساقط مبانيها تختلف عن المساقط التى رسمها لها الرحالة والرواد الأوائل. فقد اختلف تصميم المعبد عن التصميم الذى رسمه ولكنسون إذ لا يوجد الجدار الجنوبى للفناء الذى رسمه ولكنسون (قارن شكل ٣ «A» مع شكل ٥ وشكل ٦ أ) . كما اختلف تصميم المبنى الأوسط (شكل ٦ ب) اختلافاً كبيراً عن التصميم الذى رسمه له شفينفورت. كذلك المبنى الشرقى ، اختلف وضع المداخل والأبواب الداخلية فيه عن رسم ولكنسون (قارن شكل ٣ وشكل ٧)

ويتبين من المقاسات التى أخذتها البعثة لمبانى المحطة الرومانية (شكل ٦ وشكل ٧) ، أن المبنى الشرقى هو أكبرها ، يليه المبنى الأوسط فالمبنى الغربى (المعبد) فالمبنى الجنوبى ، وفيما يلى بيان بهذه المقاسات بالمتر :

المبنى الشرقى : الطول ١٨ متراً العرض ١٢ متراً. المبنى الأوسط : الطول ٢٠ العرض ٨. المبنى الغربى : الطول ١١ متراً العرض ٦ أمتار. المبنى الجنوبى الطول ٦ العرض ٤ أمتار .

ونظام مبانى محطة وادى جاسوس يعتبر نظاماً فريداً بين المحطات الرومانية فى الصحراء الشرقية ، ورغم اهتمام الرواد الأوائل بها ، فقد أغفل الباحثون اللاحقون دراستها مثل مرديت (١٣) ومرى (١٤). ويلاحظ ان المبنى الشرقى

---

13. Meredith, D; "The Roman remains in the Eastern Desert of Egypt". J.E.A. vol. 38 (1952) p. 99.
14. Murray, G.W.' "The Roman Roads and Stations in the E.Desert, JEA 11 (1925). p. 138 f.

يبتعد عن المبانى الثلاثة الأخرى بحيث يظهر كأنه منعزل عنها (شكل ١٣ أ) بينما تتقارب هذه المبانى الثلاثة إذ لا تزيد المسافة بين المبنى الأوسط والمبنى الغربى عن عشرة أمتار، بينما تبلغ المسافة بين المبنى الشرقى والمبنى الأوسط حوالى ٩٠ متراً .

وقد سبق أن قلنا ان الآثار التى عثرنا عليها كلها ذات طابع يونانى رومانى . وفيما يلى بيان بأهم الآثار التى وجدت فى كل من هذه المبانى :

المبنى الشرقى : أغلب ما وجد به مسارج صغيرة من الفخار فقد عثرنا على خمسة من هذه المسارج بعضها غطاؤه العلوى على شكل ضفدعة كما سبق أن ذكرنا (شكل ١١) .

المبنى الأوسط : أغلب ما وجد به قطع استراكا كما يلى :

- أربع قطع استراكا من الفخار على كل منها بقايا أسطر بالكتابة الديموطيقية (شكل ١٠) .

- قطعة استراكا من الفخار أيضاً عليها كتابة يونانية .

- قطعتان من الفخار على كل منها علامات محفورة يبدو أنها علامات الصانع أو مالك الاناء ومن الواضح ان هذه الأوانى كانت لتخزين الطعام .

المبنى الغربى : سبق أن قلنا ان الآثار التى وجدت به يغلب عليها الطابع الدينى وأهم ما وجد به :

- تمثال الاله مين السابق الاشارة اليه (شكل ٨)

- مائدة القربان المكسورة وأبعادها هى ١٩×١٢×٥ سم .

- كتلة من الحجر عليها بقايا كتابة يونانية يبدو أنها جزء من نص دينى .

- استراكا من الفخار عليها أربعة أسطر باليونانية . (شكل ٩) .

أما المبنى الجنوبى فلم تعثر فيه البعثة على آثار تذكر .

وبالوصول إلى هذه النتيجة أى بالتحقق من أن الآثار التى عثر عليها فى مبانى المحطة الرومانية لا توجد بينها آثار فرعونية ، ومن عدم وجود مبان من العصر الفرعونى فى أساسات المحطة الرومانية ، حققت البعثة الهدف الأول من خطتها وهى استبعاد أن تكون أساسات هذه المحطة هى المكان الأصلى للوحى «خنتخاتى — ور» «وخنم — حتب» إذ يغلب أن تكون مبانى المحطة قد شيدت فى العصر اليونانى الرومانى فى منطقة خالية من المبانى أو الآثار الفرعونية . وبالتالى فان هذه الشواهد تشير إلى أن اللوحتين المذكورتين قد نقلتا إلى هذه المحطة من مكان آخر ، وربما حدث هذا النقل فى عصر بناء المحطة وخاصة فى العصر الرومانى عندما شاع نقل الآثار المصرية إلى المبانى الرومانية إما لاستخدامها فى البناء أو لعرضها فى هذه المبانى كحلية .

ولما كان أكثر الأماكن ترجيحاً لأن يكون المكان الأصلى للوحة خنتخاتى — ور هو ساحل البحر ، لأن نص اللوحة يشير لرسو السفن فى ميناء كما ذكرنا ، فقد كان على البعثة أن تنقل العمل من المحطة الرومانية إلى ساحل البحر .

(ب) المرحلة الثانية من عمل البعثة : الحفر على ساحل البحر الأحمر والكشف عن موقع الميناء .

كان على البعثة أن تعمل على شاطىء البحر فى موقعين اثنين :

أولهما : مرسى جاسوس وهو الميناء الواقع عند مدخل وادى جاسوس الذى توجد به أطلال المحطة الرومانية حيث عثر على لوحة خنتخاتى — ور . وهو خليج صغير لرسو السفن الشراعية وربما ترجع التسمية «جاسوس» إلى العصر الاسلامى عندما كان يطلق هذا الأسم على سفن الاستطلاع

والتجسس على العدو ، وكانت هذه السفن تسير ليلا بغير ضوء . (١٥) وهذا الميناء هو المكان المرجح كموقع لميناء ساوو بين علماء المصريات (١٦).

ثانيهما : مرسى جواسيس الواقع جنوب مرسى جاسوس بحوالى كيلو مترين وهو الميناء الواقع عند مدخل وادى جواسيس ، وتوحى هذه التسمية بأن هذا الميناء أكبر من ميناء مرسى جاسوس إذ يرجح أنها تشير إلى اتساع هذا الميناء لعدد من سفن الاستطلاع المسماه «جاسوس» أكثر مما يتسع له مرسى جاسوس ولو أن خليج هذا الميناء أصغر من خليج مرسى جاسوس . ولكن ربما كان أصلح لرسو السفن من مرسى جاسوس . وهذا الميناء يرجحه بعض العلماء والباحثين كموقع لميناء فيلوتيرا (١٧) Philotera الذى انشىء فى العصر البطلمى واستمر استخدامه فى العصر الرومانى حيث كان يمتد منه طريق نحو الداخل . (١٨)

ولقد توجهت إلى هذين الموقعين مع مجموعة صغيرة من العمال لفحصهما

---

(١٥) سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية ، القاهرة، (١٩٦٧)، ص ٣٣٩ .

(١٦) أشهر أصحاب هذا الرأى من علماء المصريات ، المصريين منهم والأجانب :-

a) Erman, A; Z.A.S. 20 S.203.

b) Kees, H; Pauly-Wissowa, Real Encyclopaedia, Band XX, 1 s. 179.

c) Kees, H; Ancient Egypt A cultural topography, tr. by Ian I.D. Marrow; (1961) p. p. 111.

(د) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٣ ص ٤٢٠ .

(هـ) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها (١٩٦٢) ص ٤١٦ .

(و) وأيضاً ، أرمان أدولف : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة د. عبد المنعم أبوبكر ومحرم كمال (١٩٥٠) ص ٥٧٩ .

17. Kees, H; Ancient Egypt, a cultural topography, p. 111

18. Meredith; op. cit; p. 101.

بواسطة حفر مجسات قبل نقل العمل اليهما ، فتبين لى من فحص موقع مرسى جاسوس عدم وجود ظواهر سطحية تدل على وجود بقايا أثرية وتأكد لى ذلك من حفر المجسات فيه على مسافات منتظمة . كما ازداد هذا التأكيد عندما لاحظت وجود خنادق عميقة فى بعض المواضع يبدو انها من أثر العمليات الحربية (ربما بعد عام ١٩٦٧) إذ كانت هذه الخنادق بالنسبة لنا بمثابة مجسات عميقة وقفنا منها على نوعية طبقات التربة وما بها من بقايا .

وهكذا لم نجد فى مرسى جاسوس أية ظواهر أو علامات تشير إلى وجود اطلال قديمة .

أما الموقع الثانى أى مرسى جواسيس حيث كان يوجد ميناء فيلوتيرا الاغريقى الرومانى ، فقد تبين لى من فحصه وجود أكوام صغيرة متناثرة وخاصة فوق الهضبة التى تحدد الجانب الشمالى للخليج (شكل ٣ والخريطة رقم ٣) ويتراوح ارتفاع هذه الهضبة بين ٨ و ١٠ أمتار ، وهى تنحدر انحداراً شديداً نحو البحر من الشرق ونحو الخليج من الجنوب ، ويحدها من الغرب طريق السيارات الحالى .

وقد لاحظت أيضاً وجود حفر صغيرة فوق الحافة الجنوبية للهضبة وبداخل هذه الحفر قطع حجرية منتظمة الشكل من نوع من الأحجار يوجد فى المنطقة ويعرف جيولوجيا باسم Conglomerate هو يشبه فى شكله «خلطة» الخرسانة المعروفة فى البناء فى الوقت الحاضر ، ولذلك اختلط أمر هذه القطع الحجرية على العمال فاعتقدوا أنها بقايا مبان حديثة . غير انى وجهت العمال للحفر فى ملاصقة أحد هذه القطع الحجرية والنزول فى الحفر حتى أساسها ، فعثر أحدهم فى الموقع رقم ١٠ (شكل ١٣ والخريطة رقم ٣) على قطعة من الحجر الجيرى على هيئة سدادة جرة كبيرة وذلك على عمق لا يزيد على نصف المتر ، ويبلغ قطر هذه القطعة حوالى ١٠ سم وقد حفرت عليها نقوش هيروغليفية غائرة (شكل ١٤) ويبدو أنها كانت جزءاً من لوحة

منقوشة ، ثم شكلها أحدهم فى عصر لاحق لاستخدامها كسدادة اناء ، ولهذا ظهرت العلامات الهيروغليفية ناقصة حول حافتها .

وكان هذا الكشف على بساطته بارقة أمل عظيمة بالنسبة لنا ، فلاول مرة منذ أن بدأنا العمل فى المنطقة ، إذ بنا نعثر على آثار فرعونية ، وعلى ساحل البحر نفسه .

وبطبيعة الحال ، دار سؤال هام فى أذهاننا ، هو لأى عصر من عصور التاريخ الفرعونى ترجع هذه القطعة ؟ ولم يطل تساؤلنا كثيراً ، إذ سرعان ما أخرجت لنا معاول العمال من نفس الموقع (رقم ١٠) شطفة حجرية صغيرة من الحجر الجيرى لا تزيد أبعادها على ٨×٩ سم (شكل ١٥) من على عمق لا يزيد عن المتر من مستوى سطح الأرض . وبعد جهد فى محاولة قراءة نقوشها تبينا فيها اسمى الفرعون سنوسرت الأول ثانى ملوك الأسرة الثانية عشرة . وهكذا وضعنا أيدينا أخيراً على بداية الخيط ، وهى اننا فى موقع ميناء الأسرة الثانية عشرة ، وفى اليوم التالى نقلنا العمل كله من المحطة الرومانية إلى هذا الموقع .

وزعنا العمال بعد ذلك للحفر فى الأكوام المتناثرة فوق الحافة الشرقية للهضبة حيث تتكاثر هذه الأكوام وتتقارب ، ولا يزيد ارتفاع الكوم الواحد على المتر فعثروا فى موقعين متقاربين منها (رقم ٤ و ٥ فى الخريطة رقم ٣) على لوحات صغيرة من الحجر الجيرى (شكل ١٦) تتراوح أبعادها بين ٨×٩ ، ٢٥×٣٢ سم كما عثرنا على قطع من الحجر الجيرى أيضاً عليها بقايا نقوش هيروغليفية ويبلغ أبعاد أكبر هذه القطع ٣٢×٢٠ سم ويبدو أنها كانت أجزاء من لوحات كبيرة . وهذه الآثار كلها وجدت على عمق لا يزيد على نصف المتر من سطح الأرض داخل الأكوام . ومما يؤسف له ان الرسوم والنقوش الهيروغليفية على اللوحات الصغيرة قد تآكل أغلبها بفعل الرطوبة . وقد أمكن تمييز آثار رسوم على بعضها تمثل صاحب اللوحة واقفاً يتعبد (شكل ١٧ وشكل ١٨) وهو يشبه فى ذلك وضع التعبد الذى

مثل به خنتخاتى — ور على لوحته (شكل ١) . كما أمكن تمييز كتابة هامة على لوحة أخرى تسجل اسم صاحب اللوحة ويدعى «إى — مرو» (شكل ١٩ أ) كما تسجل الاسم «بونت» ضمن عبارة «بيا — إن — بونت» (شكل ١٩ ب) وترجمة هذه العبارة «منجم بونت» أو «مناجم بونت»(١٩) وهذه العبارة لم ترد على الآثار المصرية قبل ذلك سوى مرة واحدة ولكن بصيغة تخلو من أداة الاضافة «إن» (بيا — بونت) ولذلك أهمية كبيرة فى تحديد المدلول الجغرافى لهذه العبارة كما سنذكر بعد .

أما عن وظيفة هذه اللوحات والغرض منها ، فانه يبدو من أوضاع التعبد التى مثل بها أصحابها ، ومن ذكر اسم « بيا — إن — بونت » أو مناجم بونت ، انها لوحات تذكارية أقامها أصحابها من جنود وبحارة بعد عودتهم من رحلة بحرية إلى هذه المنطقة وبعد وصولهم سالمين إلى ميناء مرسى جواسيس شكراً للآلهة على العودة السالمة ، تماماً مثلما فعل خنتخاتى — ور وان كان الاختلاف بين الحالتين ينحصر فى المستوى الاجتماعى الذى مكن خنتخاتى ور من عمل لوحة تذكارية من حجر البازلت الصلب الذى يستلزم نفقات كبيرة لحفر النقوش عليه ، ومن هنا بقيت نقوش لوحة خنتخاتى — ور ولم تتآكل ، بينما اكتفى هؤلاء الجنود والبحارة الصغار ذوى القدرة المادية المتواضعة باقامة لوحات تذكارية صغيرة الحجم من الحجر الجيرى الهش الرخيص ، فتآكلت نقوشها وزال أغلبها .

١) (ج) المرحلة الثالثة من عمل البعثة : تتبع الطريق نحو الداخل والكشف عن مقصورة «عنخو» :

للكشف عن هذا الطريق ، كتمهيد لتتبع طريق المصريين نحو وادى

---

(١٩) سوف نستخدم كلمة «مناجم » رغم أن كلمة «بيا» فى صيغة المفرد بمعنى «منجم» ، وذلك لأن كلمة «بيا» هذه وردت فى بعض النصوص فى صيغة الجمع ، فضلا عن أنها أقرب إلى تعبيرات اللغة العربية .

النيل ، اتجهنا إلى وادى جواسيس فى جزئه الواقع غرب طريق السيارات الحالى (تقارن الخريطة رقم ٣ مع الشكل رقم ١٣) ، فلاحظنا وجود مجموعة من الأكوام المتناثرة على الحافة الشمالية لوادى جواسيس ، وهى أكبر فى حجمها من أكوام الميناء التى سبق ذكرها إذ يتراوح ارتفاعها بين متر واحد ومتر ونصف . وتمتد هذه الأكوام نحو الغرب . وبعمل مجسات فى هذه الأكوام وحولها ، عثرنا فى احدها ، وهو أقرب الأكوام إلى الميناء ويقع على بعد حوالى ٢٥٠ متراً من ساحل البحر ، على مقصورة من الحجر الجيرى (شكل ٢٠) عليها نقوش هيروغليفية قد تآكل أغلبها بفعل الرطوبة . وبالحفر حولها تبين انها مكونة من ثلاث لوحات منقوشة من واجهاتها الداخلية . ويمكن أن نطلق عليها «لوحة تذكارية على شكل مقصورة » Memorial shrine-stela نظراً لأنها مكونة من ثلاث لوحات منقوشة بالهيروغليفية ، وقد ركبت فى شكل مقصورة تؤدى كلها غرضاً واحداً هو نفس غرض اللوحة التذكارية المعروفة فى علم الآثار المصرية. والمقصورة نواجه الجنوب ويبلغ ارتفاع مصراعها الشرقى (الأيمن) ٦١ سم ومصراعها الغربى (الأيسر) ٥٥ سم (شكل ٢٢). ويتفق المصراعان فى مقاسات العرض والسمك تقريباً ، إذ يبلغ عرض كل منهما ٤٥ سم وسمكه ٢٧ سم أما الكتلة الخلفية للمقصورة فيبلغ ارتفاعها ٥٢ سم وعرضها ٤٩ سم وسمكها ٢٧ سم . وللمقصورة قاعدة ذات شكل غير مألوف سنتحدث عنها فيما بعد.

وقد وضع المصريون كتلة من الحجر بمثابة «وصلة» فوق المصراع الغربى لتعليته إلى مستوى ارتفاع المصراع الشرقى (شكل ٢٢) ولكنها تآكلت وتحولت إلى تراب ولم يبق منها غير قطعة صغيرة حفرت عليها كلمة «بونت» (شكل ٢٩) بعناية ودقة . ويبدو ان الكلمة جزء من كلمة «بيا — بونت» نظراً لوجود جزء من علامة الجبل التى تكتب فى وسط كلمة «بيا — بونت» (قارن شكل ٢٨ ب سطر ٢) وأسفل كلمة «بونت» هذه توجد بقية من حرفى «د» ، «ر» مما يرجح انهما من كلمة «در» بمعنى «يخضع» أو يقمع» .

وإلى يسارها جزء من كلمة «نفرو» بمعنى المجندين الشبان . وسوف نرى ان هذه الكلمات سترد بوضوح فى نقوش المقصورة .

والنقوش الخارجية على واجهة مصراعى المقصورة تحمل اسم صاحبها والقابه ويدعى «عنخو» (ومعنى اسمه «الحى») وكان يشغل وظيفة رئيس حجاب الفرعون سنوسرت الأول . ومن الواضح انه نفس الفرعون الذى وجد اسمه فى النقش الذى عثرنا عليه فى الميناء (شكل ١٢) وقد تآكلت أغلب نقوش واجهة مصراع المقصورة الشرقى (الأيمن) (الأشكال ٢١ ، ٢٤) .

أما نقوش واجهة المصراع الغربى (الأيسر) فهى أحسن حالا (شكل ٢٥أ) وقد أمكن قراءتها (شكل ٢٥ ب) . ويتبين من نظامها أنها مقسمة إلى قسمين : نقوش القسم العلوى وقد حفرت فى سطرين راسيين ، ويبدو أنها كانت تحوى اسم الفرعون سنوسرت الأول ورسم له أمام احد الآلهة (كما تدل على ذلك بقايا النقوش التى عثرنا عليها حول المقصورة ، الأشكال رقم ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢) وبدليل وجود عبارة «المحبوب ، له الحياة إلى الأبد» . أما القسم الأسفل فقد كتبت نصوصه بعلامات أصغر فى ثلاثة أسطر راسية . وتشتمل هذه النصوص على اسم «عنخو» والقابه (شكل ٢٥ ب) وترجمتها كما يلى :

[١] ... المقرب فعلا (٢٠) لدى الملك، المحبوب (منه) ، الذى يمتدحه (الملك) دائماً (حرفياً : كل يوم) ، [٢] ... رئيس حجاب القصر الملكى

---

(٢٠) يضيف بعض الموظفين المصريين إلى القابهم كلمة «ماع» m3c أى «حقيقة» أو «فعلا» وخاصة إلى لقب «المقرب» من «الملك» رخ نيسو rkh nsw. ولعل السبب فى ذلك أن هذا اللقب فقد بمرور الوقت مغزاه الأصلى وأصبح لقباً شكلياً يطلقه على أنفسهم موظفون غير مقربين حقيقة من الفرعون . ولهذا أخذ الموظفون المقربون من الفرعون يضيفون كلمة «ماع m3c أى حقيقية أو فعلا ليؤكدوا أنهم يتمتعون بهذا الامتياز فعلا .

(بر — عا أى البيت العظيم) (٢١) [٣] عنخو المبرأ، المبجل .

أما نقوش واجهة المصراع الشرقى فان ما تبقى منها (شكل ٢٤) لا يختلف كثيراً عن نقوش واجهة المصراع الغربى التى ذكرنا ترجمتها وفيما يلى ترجمة ما تبقى من نقوش واجهة المصراع الشرقى :

[١] ... مكانة (حرفياً : موضع فى قلبه) [٢] ... (بقية لقب كبير حجاب) القصر الملكى [٣] ... عنخو المبرأ ، المبجل .

والمصراعان والكتلة الخلفية للوحة منقوشة كلها من الداخل بعلامات هيروغليفية غائرة . وكانت هذه العلامات مملوءة بعجينة زرقاء اللون مازالت آثارها واضحة فى بعض العلامات . وللأسف تآكل أغلب النقوش بفعل الرطوبة فى هذه المنطقة القريبة من البحر حيث استمر تأثير الرطوبة ما يقرب من أربعة آلاف عام هى عمر هذه لآثار . كما التصق التراب والرمل ببعض العلامات فطمسها ولم تفلح عمليات الترميم التى أجريت لها فى اظهار النقوش المطموسة .

ويتبين من دراسة النقوش التى تبقت ، ان نصوص المقصورة تسجل أخبار بعثة بحرية إلى منطقة بيا — بونت ، وربما صاحبت هذه البعثة حملة عسكرية (كما يدل على ذلك تكرار كلمة «نفرو» بمعنى شباب المجندين) ربما لحماية رجال التعدين الذين صاحبوا البعثة وذلك اثناء عملهم فى مناجم منطقة بيا — بونت ، كما كان المصريون يفعلون مع البعثات التى كانوا يرسلونها

---

(٢١) كلمة «بر — عا» التى تطور نطقها فى اللغات العبرية واليونانية حتى صار فى العربية «فرعون» لاتعنى فى العصر الذى نحن بصدده (عصر الدولة الوسطى) ، الفرعون نفسه كما يتبادر إلى الذهن ، ولكن تعنى قصر الفرعون (البيت العظيم) . ولم تستخدم الكلمة فى النصوص المصرية للدلالة على الفرعون نفسه إلا فى عصر الدولة الحديثة ، وبالتحديد فى عصر إخناتون أى بعد عصر سنوسرت الأول بحوالى خمسمائه عام. ومنذ ذلك الوقت صارت هذه الكلمة تعنى شخص الفرعون وانتقلت بهذا المعنى إلى العبرانيين ثم اليونانين والعرب .

إلى سيناء أو الصحراء الشرقية للتعدين أو قطع الأحجار. إذ لا شك ان هذه المناطق الصحراوية كانت مهددة دائماً بغارات البدو.

وتبدأ نقوش المقصورة على المصراع الشرقى (الأيمن) من الداخل فى عشرة أسطر راسية تقرأ من اليسار إلى اليمين ثم تستمر على الكتلة الخلفية فى ١٤ سطراً افقياً تقرأ من اليمين إلى اليسار، ثم تستمر النقوش على المصراع الغربى فى احد عشر سطراً رأسياً تقرأ من اليمين إلى اليسار. وفيما يلى دراسة لما تبقى من النقوش على كل جزء من أجزاء المقصورة على حدة :

نقوش المصراع الشرقى (الأيمن) (شكل ٢٦ ا ، ب) :

الأسطر الثلاثة الأولى على هذا المصراع سليمة كلها تقريباً وتبدأ بالدعاء للآلهة من أجل الفرعون سنوسرت الأول، ثم تذكر ان الفرعون قد أصدر أمراً (مرسوماً ملكياً) لكبير حجابه عنخو لقيادة بعثة (فى الغالب نظراً لتهشم النقوش التى تشير لذلك اشارة مباشرة ؛ ولكن من الممكن استنتاج ذلك من النصوص كما سنذكر بعد) إلى منطقة بيا — بونت ثم تذكر النقوش القاب عنخو وتسرد مدائحه الشخصية، وأغلب هذه المدائح من نوع مدائح الموظفين المألوفة فى النصوص المصرية القديمة ، وان كانت بعض مدائح عنخو ذات صبغة خاصة إذ تتصل بدوره فى قيادة البعثة بحراً (والحملة المصاحبة لها) . وتستمر هذه المدائح فى السطر الرابع . وفى السطر الخامس تبدأ الاشارة إلى خروج السفن من الميناء (فى الغالب نظراً لتهشم أغلب السطر). وفى السطر السادس تستمر الاشارة إلى رحلة السفن (على الأرجح نظراً لتهشم النص أيضاً) . وابتداء من السطر السابع وحتى السطر العاشر تختفى النقوش تماماً فلا تبق غير كلمة «در» فى ذيل السطر السابع ، وهى التى وردت قبل ذلك مع كلمة «بونت» (شكل ٢٩) كما سبق أن ذكرنا . وتفيد معنى القمع والاخضاع مما يرجح سفر حملة عسكرية مع البعثة إلى بيا — بونت .

وترجمة نصوص المصراع الشرقى كما يلى :

[١] محبوب (الاله) (أ) حر — ور (رع) (ب) ملك الوجهين القبلى والبحرى «خبر — كا — رع» (ج) محبوب (الاله) «خنت — ختى» (د) ابن الشمس سنوسرت محبوب (الإلهة) حتحور ربة بونت(ﻫ) [٢]... فى سلام من أجل سيد الأرضين سنوسرت له الحياة مثل رع . تأمل ، لقد أمر جلالته ندمه (عنخو) المشرف على جميع قاعات (الاستقبال) الخاصة بالقصر الملكى ، كبير الحجاب[٣]...تأتى فى سلام (و) ، تأمل ، انه (عنخو) رائع فى قلب جلالته أكثر من كل ندمائه الذين عملوا فى البحر المحيط(ز) [٤] .. رب الأعمال .. رجل الدقة (؟) القوى فى كل وظائفه رجل (—) السرعة (؟) [٥] .. القوارب ... رصيف ميناءسوو (؟)(ح) (فى) مقاطعة قفط ، لكى تصل(ط) [٦] ... لكى (؟) .. هذه السفن (ط)مثل(؟).. رب(؟)....(—) عمل[٧] .... لكى يخضع [٨] ...... [٩] ......[١٠]........»

التعليق على النص :

(أ) يلاحظ ان اتجاه العلامات فى السطر الأول نحو اليمين ، بينما الواجب أن يكون نحو اليسار شأن باقى الأسطر .

(ب) هذا الاسم يمكن أن يكون اسم الاله «حر — ور» أى حورس العظيم أو حر — ور — رع (باضافة نطق اسم اله الشمس الذى يمكن أن يكون مخصصاً فلا ينطق) ويلاحظ ان اسم هذا الاله نفسه ورد على لوحة خنتخاتى — ور ،فى الدعاء الذى تبدأ به اللوحة (شكل ١) أى فى سياق يشبه ما ورد على مقصورة عنخو هذه .

(ج) الاسم الرسمى أو اسم التتويج للفرعون سنوسرت الأول

(د) اسم اله المدينة المسماة «اتريب» الواقعة بالقرب من مدينة بنها الحالية عاصمة انقليوبية ، وقد انتشرت عبادته فى سيناء فى عصر الأسرة الثانية عشرة .

(هـ) كانت الإلهة حتحور هى الإلهه الحامية للملاحين ، ولذلك كان المصريون يتوجهون اليها بالدعاء قبل شروعهم فى السفر بحراً . وقد اعتبرت حتحور لذلك ربة المناطق التى كان المصريون يسافرون اليها بالبحر مثل بونت (وبيا - بونت) وبيلوص فى لبنان وكذلك سيناء التى كان المصريون يسافرون اليها بالبحر إلى جانب السفر بالبر .

(و) يبدو ان هذه الجملة التى فقدت تشير إلى الرحلة إلى منطقة «مناجم - بونت» (بيا - بونت) نظراً لوجود عبارة تشبهها على لوحة الوزير انتيفوكر كما سنذكر بعد .

(ز) استخدم النص هنا كلمة «شن - ور» ومعناها الحرفى «الدائرة العظمى» أو «المحيط العظيم» كاسم للبحر الأحمر وربما تضحيا للدور عنخو فى قيادة الرحلة فى البحر الأحمر إذ استخدمت الكلمة فى احد مدائح عنخو الشخصية كما يتضح من النص . ولا شك ان هذا الاسم يوحى بالضخامة أكثر من الاسم «واج - ور» ومعناه «الأخضر العظيم» وهو الاسم المألوف للبحر الأحمر فى نصوص الدولة الوسطى .

(ح) هذه العبارة تقرأ ..dmi n sww..sp3t Gbtyw وهى تثير اهتماماً لأنها تشتمل على كلمة يغلب أنها تنطق «ســ(اوو)» أو «سوو» وبذلك تقترب فى نطقها من كلمة «ساوو» وهى اسم الميناء الوارد على لوحة خنتخاتى - ور . ولكن توجد صعوبة أمام هذا التفسير وهى ان الجزء الأول من الكلمة تختلف علاماته عن علامات الجزء الأول من كلمة ساوو الواردة على لوحة خنتخاتى - ور (شكل ١) وسوف نناقش هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد .

(ط) سترد هاتان الكلمتان فيما بعد على لوحة انتيفوكر مقترنتان بكلمة «بيا - بونت» .

نقوش الكتلة الخلفية من مقصورة عنخو (شكل ٢٧أ : ب) .

تحتوى هذه النقوش، كما قلنا على ١٤ سطراً أفقياً تتجه الكتابة فيها من

اليمين إلى اليسار . وقد ضاع ما يقرب من ثلاثة ارباع النصوص إذ لم يتبق منها غير بدايات الأسطر . وحتى هذه البقية طمس أغلبها ولم يعد من المستطاع تمييز العلامات الا بصعوبة كبيرة . ويتبين مما تبقى من النصوص أنها تسرد القاب موظفين يغلب أنهم طوائف الموظفين الذين اشتركوا فى البعثة والحملة . وفيما يلى ترجمة للنصوص المتبقية :

[١] ... (السنة) الرابعة والعشرون (ا) الشهر الأول من فصل الشتاء ...
[٢] رئيس البحارة ، رئيس المترجمين (ب) ...
[٣] نت (ج) الأبحار (إلى) أقصى الجنوب (د) للوصول ...
[٤] مع فرق المجندين الشبان (هـ)...
[٥] القاضى وحاكم مقاطعة المحيط (و) رئيس ...
[٦] القاضى (أو القضاة) و كتبه الشونة و كتبة ...
[٧] رئيس المترجمين ، المشرف على الذهب (ز)...
[٨] المجندون الشبان ... ٤٠٠ المجموع ٤٠٠ (؟)(ح)...

وباقى الأسطر من ٩ إلى ١٤ ليست بها سوى علامات متناثرة لا ترشد إلى معان واضحة . (ط)

التعليق على النص :

(أ) يبدو ان هذا التاريخ هو تاريخ خروج البعثة أى فى السنة الرابعة والعشرين من حكم الفرعون سنوسرت الأول .

(ب) هذا اللقب imy-r cw , imy-r c كان يحمله حكام المناطق الواقعة قرب حدود مصر الذين كانوا يكلفون بمهام فى المناطق الواقعة خارج هذه الحدود . فقد حمله حكام أسوان كما حمله الموظفون الذين ارتادوا مناطق الصحراء الشرقية وسيناء . والكلمة أصلها من فعل «إعو» بمعنى يتحدث لغة أجنبية .

(ج) قد تكون هذه العلامات بقية كلمة «بونت» فى السطر السابق لأن لا معنى لها بمفردها . ومن المؤسف ان نهاية السطر السابق قد تآكلت تماماً .

(د) هذه الكلمة تقرأ «أوب — تا» ومعناها الحرفى «قرن الأرض» وتترجم «أقصى الأرض» وكان المصريون يطلقونها على الحدود الجنوبية للعالم المعروف لهم . وهى بعد الكلمة السابقة لها «خنت» التى تعنى «الابحار جنوباً» يكون معناها «الإبحار إلى أقصى الجنوب» وربما يدل هذا على ان هذه البعثة قد وصلت إلى مناطق جديدة لم يصل اليها مصريون قبل ذلك .

(هـ) كلمة «فرق» (دچامو)● ضاع الجزء الثانى منها .

(و) هذا اللقب يقرأ «عج— مر ننو (نون)» وهو لقب جديد تماماً إذ أنه — على قدر علمى — لم يرد اطلاقاً بين القاب الموظفين المصريين فى عصر الدولة الوسطى وما قبلها على الأقل . ولا شك انه كان لقب حاكم تلك المنطقة من الصحراء الشرقية التى يدخل ساحل البحر الأحمر ومابه من موانى فى نطاقها وبطبيعة الحال كان ميناء مرسى جواسيس داخل نطاق نفوذه ، ويبدو انه الموظف الذى يدخل اعداد ترتيبات البعثة إلى منطقة بيا — بونت (بل وربما الإشتراك فيها) فى صميم اختصاصه .

(ز) هذا اللقب يقرأ « imy-r nbw » أى «رئيس الذهب» أو «المشرف على الذهب» وكان الذهب من أهم المنتجات التى كان المصريون يحصلون عليها من بلاد بونت ، ويبدو ان الذهب هو المقصود — أو بتعبير أدق مناجم الذهب وتعدين الذهب — هو المقصود بكلمة بيا «أى مناجم» فى كلمة «بيا — بونت» (وسوف نتناول هذه النقطة فيما بعد) ومن الواضح ان هذا اللقب كان يحمله الموظف الذى كان مكلفاً بالأشراف على عمليات استخراج الذهب ، أو الحصول عليه من منطقة بيا — بونت .

(ح) يبدو ان هذا الرقم هو مجموع الأفراد المشتركين فى البعثة

(●) نظرا لأن المطبعة لا توجد بها الحروف اللاتينية التى يمكن استخدامها للتعبير عن القيمة الصوتية للعلامات الهيروغليفية (Transliteration) فسوف نستخدم الحروف العربية لهذا الغرض ، إلا فى الحالات التى يمكن فيها استخدام الحروف الأفرنجية العادية .

من مختلف طوائف الموظفين المذكورة ، ومن بينهم المجندين الشبان الذين يبلغ عددهم وحدهم ٤٠٠٠ شخص ، ولا شك انه إذا أضيف لكل هولاء عدد البحارة لأصبح الرقم كبيراً . ولهذا فان ضياع بقية الرقم الاجمالى للأفراد المشتركين فى البعثة حرمنا من معرفة حجم البعثات البحرية (و الحملات العسكرية المصاحبة لها) فى ذلك العصر .

(ط) من الكلمات المتبقية فى السطور من ٩ إلى ١٤ والتى يمكن أن تلفت نظرنا ، الكلمات الدالة على الظواهر الطبيعية مثل «السماء »(نوت — بت) والأرض (تا) والتلال (ايات) والمحيط (نون أو ننو) ودائرة المحيط (شن — نون). وهناك كلة يحتمل أنها جزء من اسم جبانة مدينة بالقرب من سوهاج وهى المسماة فى العصر اليونانى Athribis (وهى غير المدينة المعروفة بهذا الأسم نفسه الواقعة بالقرب من بنها فى الدلتا(انظر الخريطة رقم ١) ، وهذه الكلمة هى «شن (و) — حور (٢٢) الواردة فى سطر ١٣ .

نقوش المصراع الغربى (الأيسر) (شكل ٢٨ أ ، ب)

تتكون هذه النقوش — كما قلنا — من ١١ سطراً رأسياً تقرأ من اليمين إلى اليسار . وقد تآكلت أغلب الاجزاء العليا للسطور ولكن يتبين مما تبقى من النقوش انها تروى النتائج التى حققتها البعثة كاحضار الهدايا أو المنتجات أو الجزية (نظراً لأن كلمة «إنو inw » تؤدى هذه المعانى كلها) . كما يلاحظ تكرار ضمير الجمع «هم» وقد يدل ذلك على حضور سكان منطقة بيا — بونت بأنفسهم لتقديم هداياهم (أو جزيتهم) إلى الفرعون فى مصر مثلما فعل سكان بونت مع بعثة الملكة حتشبسوت فيما بعد طبقاً لما جاء فى نصوص الدير البحرى ، ومثلما ورد فى نصوص بعثة رمسيس الثالث إلى بونت أيضاً . وتروى النصوص المكتشفة كذلك ان الهدايا أحضرت من منطقة

22. Petrie, M.F.; ATHRIBIS, 1908. "The Tomb of Sebek-nefer" pl. XIII.

«تا - نثر» أى أرض الاله ومعنى هذا ان البعثة أحضرت معها هدايا من المناطق الواقعة فى طريق العودة وهذا نفسه يشبه ما ورد فى نقش حنو من عصر الأسرة الحادية عشرة .

وفيما يلى ترجمة لما تبقى من نقوش المصراع الغربى :

[١] إلى (؟) رئيس السفن رئيس البحارة (القبطان) رئيس المجندين الشبان (أ) ....

[٢] أ .. شرعت فى الرحلة (ب) إلى (منطقة بيا- بونت . [٣] ... لقد اتيت وأحضرت (ج) المنتجات (أو الجزية) [٤] ... (ا) جلالة رب (الأرضين) ملك الوجهين القبلى والبحرى «خبر - كا - رع» رب الحياة والسعادة إلى الأبد (د) . [٥] السفن ... ا .... الخاصة بـ ... اخطار البحر (؟) (أو الماء) [٦] أراضى البلاد الأجنبية المحيطة .. الأرضين (؟) ... أرضهم ، هدايا (منتجات أرض الاله (هـ) التى بجانب (و) أرض (؟) [٧] ... يخلق (؟) حور رب الأرض الطافية (ز) من كل شىء خاص بهذه الأرض الخاصة (-) فى [٨] .. لقد كانوا باعداد لا تحصى ، الأرض والجزية والرمل على الشواطىء (--) [٩] .. (- ؟) (-) واسرعوا (ح) .. أ (-) .. [١٠] .. جزيتهم هذه وصعدوا (؟) (ط) إلى باكت (؟) (ى) .. فى .. (--) .. (١١) .. (-) .. (-) .. السيد الذى هناك (ك) بواسطة (؟) .. (-) البيت العظيم «عنخو» . (ل)

التعليق على النص :

(أ) يدل تكرار كلمة «نفرو» أى المجندين الشبان أو شباب المجندين عدة مرات رغم تهشم نصوص مقصورة عنخو على ان هناك تركيزاً على ذكرهم وهذا يرجح ان البعثة كانت تصاحبها حملة عسكرية كما قلنا وخاصة ان عددهم كان كبيراً (٤٠٠ شخص) بالنسبة لصعوبة الملاحة والانتقال فى البحر الأحمر .

(ب) يلاحظ عدم وجود فاعل لفعل «ماع» تعنى «يبدأ الرحلة» أو «يشرع فى الرحيل» مما يرجح انه ضمير المتكلم المحذوف ، ويرجح أن المتكلم هو عنخو نفسه .

(ج) يدل وجود حرف «ن» بعد فعلى «خرج» و« احضر» بالاضافة إلى عدم وجود فاعل لهذين الفعلين على أن الفاعل ضمير المتكلم المحذوف. وربما يتحدث عنخو عما حققه من نتائج وما احضره من هدايا (ما عو) للفرعون من منطقة بيا – بونت .

(د) إذا كان هناك ارتباط بين هذا السطر والسطر السابق له فان عنخويتحدث فى هذا السطرعماجلبه من هدايا للفرعون سنوسرت الأول . (خبر – كا – رع) .

(هـ) أرض الاله (تا – نتر) تعبير كان المصريون يطلقونه فى هذا العصر على الصحراء الشرقية كما تدلنا على ذلك لوحة خنم – حتب (شكل ٢) وربما المقصود بهذه الهدايا ، المعادن التى كان المصريون يستخرجونها من الصحراء الشرقية وخاصة الذهب ، إذ توجد مناجم غنية بالذهب فى الطريق الممتد من ميناء مرسى جواسيس نحو الداخل خلال وديان سمنة وساقى والجضامى وحمامة وقد استغلت مناجمها منذ عصر الدولة القديمة كما قد تدل على ذلك كثرة النقوش الصخرية على جدران وادى الجضامى .

(و) يبدو ان هذه الكلمة تقرأ « m-gs t3 » ويحتمل أن يكون معناها «إلى جانب الأرض أو الأراضى نظراً لأن الكلمة الصحيحة التى معناها «إلى جانب» أو «بجانب » هى كلمة « r-gs » أو كلمة « hr-gs » . ولو لم يكن النص مهشما لربما كان قد أفادنا عن موقع «أرض الاله » بالضبط

(ز) هذه العبارة «تقرأ حرنب تاتشنن» وكلمة «تشنن » معناها الأرض الطافية وكانت فى الأصل اسم اله كان يعبد فى منف قبل الاله بتاح الذى

غلب عليه وانتحل صفاته . ويبدو ان كلمة تاتنن هنا استخدمت كصفة للاله حورس الذى كان اله المشرق والمناطق الشرقية (وهو المقصود بكلمة «الاله» فى عبارة أرض الاله») ومن بينها بونت . ويبدو ان النص يفيد توجه المصريين بالدعاء للاله حورس اثناء ابحارهم ليأخذ بيدهم بصفته اله الأرض الظاهرة وسط المياه والأمواج أى أرض الأمان التى ينشد ونها اثناء رحلتهم فى البحر الأحمر المحفوف بالمخاطر والتى تغطى أمواجه أراضى الجزر فتخفيها تحت الماء كما تدلنا على ذلك قصة الملاح الغريق التى ترجع لذلك العصر .

(ح) قد تكون هذه الكلمة « stbn » بمعنى «اسرع» .

(ط) هذه الكلمة قد تكون كلمة «إع» بمعنى «صعد» وان كان هناك اختلاف بسيط فى كتابة مخصصها (أنظر Wb. I 40) .

ى) قد تكون قراءة هذه الكلمة «باك (؟)ت» وهو اسم ميناء من موانى الصحراء الشرقية، ربما يكون بين القصير ومرسى جواسيس(٢٣) وقد يكون احد الموانى التى عرجت عليها البعثة اثناء عودتها كما تشير العبارة « (واحضروا) هدايا ارض الاله » ، وعلى كل حال فان علامات الكلمة غير واضحة .

(ك) المقصود هو الفرعون كما يدل على ذلك شكل المخصص .

(ل) هذه هى الحالة الوحيدة التى بقى فيها اسم «عنخو» بين نقوش المقصورة الداخلية .

وتتميز مقصورة عنخو بأن لها قاعدة ذات شكل غير مألوف بين المقاصير المصرية (الأشكال ٢٢ ، ٢٣) والسبب فى ذلك انها تتكون من مرساتين (مفردها «مرساة» بمعنى هلب السفينة) من الحجر الجيرى وقد

---

23. Gauthier, H; Dict. Geog. vol. II p. 7.

وضعتا جنباً إلى جنب (شكل ٣٣ ، ٣٤) ، كما وضعت اسفلها مرساتان فى اتجاه متعامد على اتجاه المرساتين العلويتين (شكل ٣٥ ، ٣٦) والملاحظ ان هذه المراس الأربعة متشابهة فى شكلها العام وفى ابعادها . إذ يتراوح ارتفاع المرساة بين ٨٠ ، ٨٢ سم وعرضها من اسفل بين ٥٢ ، ٥٥ سم وسمكها بين ٢٤ ، ٢٦ سم. وتزن المرساة الواحدة حوالى ٢٥٠ ك . جم . ولكل مرساة ثقب فى اعلاها يتراوح قطره بين ١١ ، ١٤سم (شكل٣٧ وشكل ٣٨) ويغلب انه كان لربط الحبال التى تدلى منها المرساة فى المياه ، بدليل وجود قناة عريضة لتثبيت هذه الحبال تمتد بامتداد عرض الثقب وتتجه إلى قمة المرساة . ولكل من هذه المراس الأربعة ايضاً ثقب آخر فى اسفلها وهو يختلف من مرساة إلى اخرى ، فهو مربع الشكل فى المرساتين العلويتين (شكل ٣٦ ، ٣٧) ومستدير الشكل فى المرساتين السفليتين (شكل ٣٦ ، ٣٨) ويلاحظ ان الثقب السفلى فى ثلاث من هذه المراس ينفذ فى جانبين من جوانب المرساة متخذاً شكل زاوية قائمة (شكل ٣٩) ، ومن الواضح ان وظيفته كانت لربط حبال اضافية يستعين بها الملاحون فى تخليص المرساة من الصخور فى قاع البحر .

ولقد استخدمت هذه المراس الأربعة — كما هو واضح — فى بناء قاعدة مقصورة عنخو دون تعديل يذكر ، فيما عدا تسوية احد جوانب كل مرساة لتحويل الخط المنحنى إلى خط شبه مستقيم لكى تتطابق حافة المرساة مع حافة المرساة الأخرى المجاورة لها (شكل ٣٤) .

غير ان الذى يتأمل فى شكل المقصورة نفسها من الجانب (شكل ٢٢) ومن الخلف (شكل ٢٣) يلاحظ وجود ثقوب فى المصراعين وفى الكتلة الخلفية . ومن الواضح ان هذه الثقوب هى الثقوب السفلى الصغيرة لمراس على غرار مراس القاعدة ، ومن الواضح ايضاً ان الثقوب العليا لهذه المراس قد قطعت ثم سويت كل مرساة وجعلت على شكل لوحة سميكة مستطيلة الشكل واستخدمت فى بناء المقصورة ونقشت بالعلامات الهيروغليفية . وبهذا تكونت مقصورة عنخو كلها من سبع مراس للسفن .

وقبل ان ننهى الحديث عن مقصورة عنخو وخصائصها الفريدة ، علينا ان نقول كلمة عن الآثار التى وجدناها فى الرديم حولها واسفلها ونلخص الحديث عنها كما يلى :

(١) قطع من الحجر الجيرى عليها اجزاء من رسوم منها ما يمثل ذراع الاله مين رب الصحراء الشرقية (شكل ٣٠) ومنها ما يمثل الاله حورس (شكل ٣١) ، ومنها ما يمثل رسم نسر (شكل ٣٢) . ومن الواضح ان هذه القطع كانت اجزاء من القسم العلوى لواجهة المقصورة كما سبق ان اشرنا .

(ب) بعض البقايا العضوية مثل ثمرتى دوم وقطعة من حصير وقطعة من نسيج الكتان وبوصة صغيرة (يبدو انها استخدمت كفرشاة) واجزاء من حبال . هذا بالاضافة إلى قطعة من حجر ابيض لامع يشبه الكوارتز عليها آثار لون ارزق يميل للأخضرار يشبه اللون الذى مازال عالقاً ببعض نقوش المقصورة ، وكذلك رؤوس مهشمة لازاميل من النحاس او البرونز . ومن الواضح ان هذه الآثار كانت من بين الأشياء التى استخدمها الفنانون فى حفر وتلوين نقوش المقصورة .

ولا يفوتنا ان نذكر اننا وجدنا فوق المقصورة هيكلا عظمياً لرجل أو أمرأة وان كنت أرجح ان هذه الدفنة من عصر لاحق بل قد يكون متأخراً جداً عن عصر المقصورة ، وربما كان لاحد بدو المنطقة فى العصور الحديثة نظراً لوجود بعض الرديم بين الدفنة وبين أحجار المقصورة . ويبدو ان أقارب أو أصحاب هذا البدوى أو البدوية قد استهواهم ارتفاع الكوم الذى بداخله المقصورة فدفنوا زميلهم أو قريبهم فوق قمته .

(د) تتمة المرحلة الثالثة : استكمال تتبع الطريق نحو الداخل والكشف عن لوحة انتيفوكر :

وعلى بعد حوالى ٢٠٠ متراً إلى الغرب من مقصورة عنخو ، عثرنا

فى احد الأكوام (انظر الخريطة رقم ٣) على لوحة صغيرة من الحجر الجيرى يبلغ ارتفاعها ٥٠ سم وعرضها ٤٥ سم وسمكها ١٥ سم . وتواجه خليج وادى جواسيس تقريباً ويحف بها من الجانبين كتلتان من الحجر غير منتظمين (الأشكال ٤٤ ، ٤٥) . وترتكز اللوحة على قاعدة من الحجر (شكل ٤٥) تبين أنها مرساة أيضاً تشبه المراس التى تكون قاعدة مقصورة عنخو من بعض الوجوه (شكل ٤٠) . ورغم ان قمة اللوحة قد تآكلت تماماً بفعل الرطوبة ، كما هو ظاهر فى الصورة (الأشكال ٤٤ ، ٤٥) فانه يبدو أنها كانت فى الأصل مستديرة الشكل على غرار اللوحات المصرية . وكانت منقوشة بعشرة أسطر من الكتابة الهيروغليفية فى حفر غائر قليلا ، ولكن كانت أغلب العلامات مهشمة فى السطرين الأولين (شكل ٤٦ أ ، ب)

وعند كشف اللوحة وتعرضها للجو ، بدأت نقوشها تتساقط ، ولم يكن من المستطاع السماح للرسام بأخذ طبعة للنقوش خوفاً من تفتت الحجر . واكتفينا فى ذلك الوقت بنسخ نص اللوحة فى كراساتنا لحين حضور مرمم يقوم بتقوية الحجر بالمواد الكيماوية(٢٤) وكان هذا الاجراء ذا فائدة عظيمة فقد مكننا من تكملة النصوص فى السطرين الأول والثانى التى سقطت علاماتها قبل حضور المرمم .

ونقوش اللوحة ذات اهمية كبيرة لأنها تسجل أمراً اصدره الفرعون سنوسرت الأول (نفس الفرعون الذى ورد اسمه على مقصورة عنخو وفى نقش الميناء) لوزيره انتيفوكر ببناء سفن لارسالها إلى منطقة «بيا — بونت» والمعروف ان هذا الوزير له مقبرة مشهورة فى طيبة الغربية وان كان قد دفن فى اللشت ، بينما دفنت زوجته المسماة «سنت» فى مقبرته فى طيبة (٢٥) .

---

(٢٤) يرجع الفضل فى مداركة الموقف إلى الزميل منير بسطا الخبير الأثرى المنتدب من هيئة الآثار المصرية إذ أسرع بالاتصال تليفونياً بتفتيش آثار قنا الذى أرسل أحد المرممين ، وبذلك تم حقن اللوحة بالمواد الكيماوية وحفظ نصوصها من التساقط فيما عدا العلامات القليلة فى الأسطر الأولى التى حفظناها فى كراساتنا بفضل جهود الزميل منير بسطا أيضاً .

25. Davies, N. deG. and Gardiner, A.H; The Tomb of Antefoker, Vizier of Sesostris I, and of his Wife Senet. London, 1920.

وتمتاز لوحة انتيفوكر - رغم تهشم جزئها العلوى - بأن نقوشها فى حالة سليمة إلى حد كبير فهى احسن حالا من نقوش مقصورة عنخو ، ولذلك أمكن قراءة نصها ومعرفة مضمون النص كله تقريباً . وفيما يلى ترجمة كاملة لنص اللوحة (شكل ٤٦ ب) :

[١] ...[٢]ملك الوجهين القبلى والبحرى (ا) «خبر - كا - رع» له الحياه إلى الأبد... امر (صادر) من جلالته للأمير الوراثى والحاكم [٣] رئيس المدينة والوزير.. رئيس دوائر (القضاء الستة)..... «انيوتف - إقر» (ب) ببناء هذه السفن الخاصة [٤] بترسانة قفط (ج) للسفر (او لإرسالها إلى (منطقة) «بيا - بونت» . (د) ومن اجل ان تصل بسلام (السفن) وتعود بسلام (هـ) [٥] ومن اجل توفير كل وسائل صناعتها حتى تكون رائعة ومتينة اكثر من اى شىء صنع فى هذه البلاد من قبل [٦] فانه (انتيفوكر) قام بمهمته بكفاءة عظيمة (او مرتين) (و) طبقاً لما امر به من جلالة القصر (الفرعون) . تأمل ، لقد كان المنادى (ز) امينى بن [٧] منتوحتب على شاطىء الأخضر العظيم (ح) (يقوم) ببناء هذه السفن وكان معه [٨] رؤساء مجلس مقاطعة ثينة الجنوب (ط) وكان معه (ايضاً) الأفراد الذين كانوا على شاطىء الأخضر العظيم [٩] الجنود (؟) والمنادون

[١٠] (عدد) اتباع الملك له الحياة والسعادة والصحة ٥٠ رجل .

(عدد) المشرفين على بيت رؤساء المجلس ١ رجل

(عدد) بحارة الملك ، له الحياة والسعادة والصحة ٥٠٠ رجل

(عدد) كتبة المجلس العظيم للرؤساء ٥ رجال

(عدد) الجنود ٣٢٠٠ رجل

التعليق على النص :

(١) العلامات الموضحة على اللوحة (شكل ٤٦ب) بالخط المنقط فى السطرين الأول والثانى ، هى التى سقطت من اللوحة بعد الكشف عنها بسبب تعرضها للهواء . وقد اضفناها من كراساتنا كما ذكرت .

(ب) انيوتف — اقر «هى القراءة الحديثة لاسم انتيفوكر . وكان علماء المصريات فى الأجيال الماضية يقرأونه «انتف — اقر» وقد حرف العلماء الأجانب هذه القراءة إلى « Antefoker » وشاعت هذه التسمية فى كتب الآثار المصرية .

(ج) للوزير انتيفوكر جهود مماثلة فى بناء سفن فى ترسانة ثينة (بالقرب من ابيدوس عند البلينا) ، بل انه هو الذى انشأ هذه الترسانة كما تسجل ذلك بردية تعرف باسم «بردية ريزنر» (٢٦) ، ولكن هناك فرق بين دوره فى بناء السفن فى ترسانة قفط وبين دوره فى ترسانة ثينة ، فان دوره فى الأولى كان تنفيذ امر الفرعون بشأن بناء السفن اللازمة لارسالها إلى منطقة بيا — بونت كما توضح اللوحة ، بينما فى الثانية كان يصدر الأوامر الادارية بنفسه من مقره فى اللشت العاصمة إلى معاونيه فى الترسانة لبناء السفن كما توضح البردية المذكورة (٢٧) .

(د) يلاحظ ان حرف «ب» فى كلمة «بونت» قد كتب بطريقة واحدة فى نص لوحة انتيفوكر (شكل ٤٦ ب سطر ٤) (وفى جميع نصوص مقصورة عنخو (شكل ٢٩ وشكل ٢٦ ب سطر ١ وشكل ٢٨ ب سطر ٢). وهذه الطريقة هى كتابة حرف «ب» على مؤخرة الأرنب بدلا من كتابته امام مقدمته وهى الطريقة المألوفة فى كتابة الكلمة على الآثار المصرية . كما توضح ذلك لوحة (إى — مرو» التى وجدت فى الميناء (شكل ١٩ب) . وهذا يدل على ان نقوش عنخو وانتيفوكر من رسم فنان واحد .

(هـ) هذه العبارة تكررت فى نقوش مقصورة عنخو وقد ذكرت هنا مقترنة بكلمة بيا — بونت مما يدل على انها كانت مذكورة فى نفس السياق فى نصوص مقصورة عنخو ولكن تهشم النصوص اضاع معالم كلمة

---

26. Simpson, W. Kelly; Papyrus Reinser II, Museum of Fine Arts, Boston. (1964).
27. Ibid. p.27.

بيا – بونت . ومن ناحية اخرى تدل طريقة الصياغة على نصوص مقصورة عنخو ونص لوحة انتيفوكر من انشاء كاتب واحد .

(و) كلمة «سب – سن (sp-sn) المصرية القديمة لها معنيان احدهما «مرتين» والأخرى بمعنى «جداً» وقد ترجمناها هنا بكلمة «عظيمة» كمرادف لكلمة «جداً» لكى تتفق مع سياق الكلام ووضعنا ترجمتها الأخرى «مرتين» بين قوسين لأن سياق النص يحتمل هذه الترجمة ايضاً كما سنذكر بعد .

(ز) كان المنادى (اوهمو whmw) فى مصر الفرعونية يختص بتبليغ اوامر الفرعون وكبار موظفيه للجهات الصادرة اليها ، والاشراف على تنفيذها ، ولقد قام المنادى امينى بن منتوحتب بتنفيذ امر الفرعون .

(ح) «الأخضر العظيم» ترجمة الكلمة المصرية «واج – ور »

وهى تسمية اطلقها المصريون على البحر عامة (البحر الأحمر والبحر المتوسط) كما اطلقوها على البحيرات مثل بحيرة قارون (موريس) والبحيرات المنتشرة فى شرق الدلتا ، واطلقوها ايضاً على النيل وخاصة فى العصور المتأخرة. ولعل ذلك يشبه كلمة «بحر» التى يطلقها المصريون اليوم فى اللغة الدارجة على النيل وعلى البحار المالحة المحيطة بمصر . وسوف نتناول مدلولها فى هذا النص فى دراستنا عن الأهمية التاريخية للآثار المكتشفة .

(ط) «مقاطعة ثينة الجنوب» هى ترجمة للعبارة المصرية «تب – رسى ثن» (ولعل الربط بين الجنوب وبين مقاطعة ثينة (ابيدوس) ان هذه المقاطعة كانت الحد الشمالى للمدلول الجغرافى «تب – رسى» وهو احد التعبيرات الخاصة بالجنوب عند قدماء المصريين .

وقد مر بنا ان الوزير انتيفوكر انشأ ترسانة للسفن فى ثينة ، والظاهر ان وجود هذه الترسانة قد اكسب اعضاء مجلس هذه المقاطعة خبرة خاصة

فى بناء السفن(٢٨) فاستعان بهم انتيفوكر فى معاونة المنادى اميني بن منتوجتب فى عملية بناء السفن التى ستقوم بالرحلة الخطيرة فى البحر الأحمر إلى منطقة بيا بونت .

من هذه الترجمة لنص لوحة انتيفوكر ، يبدو واضحاً ان السفن التى كلف الفرعون سنوسرت الأول وزيره انتيفوكر بينائها لارسالها إلى منطقة بيا — بونت، هى نفس السفن التى اشار عنخو فى نصوص مقصورته (طبقاً لما سمحت به النصوص المهشمة) إلى ما يفيد انها قامت بالرحلة إلى منطقة بيا — بونت . ويلاحظ ان الاسم الذى استخدم لنوع السفن هو اسم واحد وهو «حعو» وهو نوع من سفن الشحن الكبيرة . والغالب ان تكون هذه السفن هى التى استخدم عنخو مراسيها بعد عودتها من منطقة بيا — بونت فى بناء مقصورته .

وقد مر بنا هناك ظواهر واضحة تؤكد الارتباط بين لوحة انتيفوكر ومقصورة عنخو ، منها ان نصوصهما من انشاء كاتب واحد ، كما ان رسومهما من رسم فنان واحد والغالب انهما الكاتب الرسمى والفنان الرسمى فى بلاط الفرعون سنوسرت الأول .

ومن هذه الظواهر المشتركة ايضاً ان لوحة انتيفوكر لها قاعدة على شكل مرساة . وتتفق هذه المرساة مع مراس قاعدة مقصورة عنخو فى شكلها العام (شكل ٤٠) وفى مقاساتها إذ يبلغ ارتفاعها ٨٤ سم وعرضها من اسفل ٥٤ سم وسمكها ٢٦ سم ولها ثقب علوى ايضاً . ولكنها تختلف عن مراس عنخو فى عدم وجود ثقب سفلى وقد استعيض عن هذا الثقب بعمل صفين من «الحزوز» (شكل ٤١) فى الحواف الأربعة للمرساة لربط الحبال التى تستخدم فى تخليص المرساة من الصخور فى قاع البحر . وقد حفرت بطول المرساة قناة عريضة (شكل ٤٠) تمتد من الثقب العلوى حتى قاعدتها، ومن

---

28. Ibid. p. 17.

الواضح ان وظيفتها تثبيت لوحة انتيفوكر فيها فان طول هذه القناة (٥٠ سم) وعرضها (١٥ سم) يتفق تماماً مع عرض لوحة انتيفوكر وسمكها .

ونظراً لعدم وجود نص لدينا يفيدنا عن عدد السفن التى قامت بالرحلة إلى منطقة بيا — بونت، فان عدد هذه المراس قد يفيدنا فى ذلك إلى حد ما . فاذا حسبنا عدد مراس قاعدة عنخو وهى اربع مراس ، والمراس التى صنعت منها مقصورة عنخو وهى ثلاث ، واضفنا لذلك مرساة قاعدة لوحة انتيفوكر ، فان مجموع هذه المراس هى ثمان مراس . وإذا افترضنا ان كل مرساة تخص سفينة واحدة (بالنظر إلى ضخامة المرساة وثقل وزنها فاننا يمكن ان نستخلص من ذلك ان عدد السفن هو ثمان سفن (٢٩) . اما عن عدد ركاب هذه السفن اى جميع الأفراد المشتركين فى البعثة (والحملة) إلى منطقة بيا — بونت ، فن الصعب التكهن بذلك نظراً لتهشم جزء من الرقم الدال على مجموع هؤلاء (شكل ٢٧ ب سطر ٨) ولكن هذا العدد لابد ان يزيد على ٤٠٠ شخص وهو عدد شباب المجندين فقط .

---

(٢٩) عثرت البعثة أيضاً فوق هضبة الميناء وبالقرب من الموقع رقم ٨ (فى موسم الحفائر الثانى عام ١٩٧٧) على بقية مرساة مهشمة تشبه مراس قاعدة عنخو فى شكلها وفى مقاساتها وفى ثقبها السفلى أيضاً وهو مربع الشكل .

مااستجد من كشوف فى موسم عام ١٩٧٧

ان كل ما سبق الحديث عنه هى الكشوف التى تمت فى الموسم الأول عام ١٩٧٦ واستكملت فى موسم عام ١٩٧٧ ، فقد قامت البعثة خلال موسم عام ١٩٧٧ بالحفر فى نفس المواقع التى عثرت فيها على الآثار السابق ذكرها ، وذلك لتصفية هذه المواقع . وقد اسفر الحفر فعلا عن نتائج هامة منها الكشف عن المرساتين السفليتين تحت مقصورة عنخو ، إذ اضطرت البعثة فى الموسم الأول لترك القاعدة بمراسيها الأربعة (والتى لم تكن قد ظهرت منها سوى اثنتين) فى مكانها لعدم توفر وسائل نقلها . ومنها الكشف عن مرساة انتيفوكر ، ولم تكن هى الأخرى ظاهرة فى الموسم الأول . ومنها الكشف عن المرساة المهشمة فوق هضبة الميناء كما تقدم القول ، كذلك قامت البعثة بعمل مسح اثرى للموانى الممتدة من مرسى جاسوس شمالا إلى ميناء القصير القديم جنوباً التى تشبه فى شكلها العام ميناء مرسى جواسيس من حيث وقوعها عند مدخل احد الوديان ومن حيث وجود خليج تحده من الشمال هضبة تحميه من تيارات البحر . وقد قمنا بعمل مجسات فوق هذه الهضاب وعند مداخل الوديان اى فى نفس المواقع المناظرة للمواقع التى عثرنا فيها على الآثار فى وادى جواسيس ، ولكن لم يسفر الحفر عن العثور على بقايا قديمة فيما عدا ميناء القصير القديم ، الذى وجدنا به بعض الآثار اليونانية الرومانية الشديدة التآكل . والذى نحتمل وجود آثار فرعونية به على اعماق بعيدة نسبياً نظراً لضخامة التلال الأثرية به التى يرجع اغلبها للعصر الاسلامى .

اما الكشوف التى استجدت فى الموسم الثانى عام ١٩٧٧ فقد عثرنا عليها فى السفوح المنحدرة من الهضبة التى اقيمت عليها مقصورة عنخو ولوحة انتيفوكر اى فى الحافة الشمالية لوادى جواسيس . (الخريطة رقم ٣ وشكل ٤٧

وخاصة فى المواقع رقم ٢٣ و ٢٤ و ٢٧ واهم ما وجدناه فى كل موقع من هذه المواقع :

(ا) فى الموقع رقم ٢٣ :

- كسرة فخار (جزء من آنية فخارية) عليها كتابة هيروغليفية بالخط السريع cursive بالمداد الأسود تسجل اسم منطقة (فى الغالب) .

- ازميل صغير من النحاس او البرونز طوله ١٠ سم

- مجموعة من كتل خشبية منتظمة الشكل بها ثقوب مستطيلة (شكل ٥٣) يبلغ طول اكبرها ٣٨ سم والعرض ٢٥ سم والسمك ١٢ سم ويتراوح طول الثقوب بين ٣ - ٦ سم وعمقها بين ٤ - ٦ سم .

(ب) فى الموقع رقم ٢٤ :

- عدد ٢٥ كسرة فخار (اجزاء من اوانى فخارية) عليها كتابات هيراطيقية بالمداد الأسود من سطر واحد او سطرين او ثلاثة (يقارن شكل ٤٩ وشكل ٥٠) .

- اناء كبير من الفخار عليه كتابة هيراطيقية بالمداد الأسود . وقد وجد الاناء كاملا ولكن به شروخ كثيرة . وهو يعطى فكرة واضحة عن شكل الأوانى التى وجدت اجزاؤها المكتوبة بالهيراطيقية . ويبلغ ارتفاع هذا الاناء ٥٦ سم ومحيطه ١٣٠ سم وقطر فوهته ١٥ سم (شكل ٤٨) .

- كسرة فخار عليها كتابة هيروغليفية بالخط السريع cursive بالمداد الأسود وهى نفس الكتابة المدونة على كسرة الفخار التى وجدت فى الموقع رقم ٢٣ . (شكل ٥١) .

- عدد ٦ كسرة فخار عليها علامات غائرة بعضها يشير إلى محتويات الاناء وبعضها يشير إلى صانع الاناء أو مالكه .

— عدد ٢ مرساة من الحجر الجيرى غير تامة الصنع يبلغ ارتفاع المرساة حوالى ٧٠ سم وعرضها من اسفل ٥١ سم وقطر ثقبها العلوى ١١ سم (شكل ٥٦) .

— مرساة صغيرة من الحجر الجيرى مكسورة من نصفها يبلغ عرضها حوالى ٣٠ سم ويبدو انها لقارب صغير (شكل ٥٥) .

— كتلتان كبيرتان من الخشب ذات شكل منتظم يبلغ طول اكبرهما ١٣٥سم وعرضها ٢٣ سم وسمكها ٧ سم وبها فجوات وثقوب منتظمة الشكل.

— مجموعة من الأنابيب الفخارية تتراوح اطوالها بين ٧,٥ سم — ١٤ سم وتتراوح اقطارها بين ٥,٥ سم — ٦ سم (شكل ٥٤) .

— قطع صغيرة من البرونز او النحاس يغلب انها رؤوس ازاميل .

— مصحن من حجر الكوارتز ذو سطح مقعر يبلغ طوله ٤٠ سم وارتفاعه ١٢ سم وعرضه ٢٩ سم وهو يشبه المصاحن التى وجدت فى مناطق مناجم الذهب القديمة فى الصحراء الشرقية .

(ج) فى الموقع رقم ٢٧ :

— عدد ٩ كسرة فخار عليها علامات غائرة بعضها علامات هيروغليفية (شكل٥٢أ) وبعضها علامات هيراطيقية تشير إلى محتويات الاناء (شكل ٥٢ب) واغلبها علامات يبدو انها تشير إلى صانع الاناء او مالكه (شكل ٥٢ ج ، د) ويلاحظ ان هذه الأخيرة تشبه من حيث الغرض منها العلامات الغائرة التى وجدت فى الموقع رقم ٢٤ والقليل منها يشبهها فى الشكل .

— مجموعة من الأنابيب الفخارية شبيهة فى اشكالها ومقاساتها بالأنابيب التى وجدت فى الموقع رقم ٢٤ .

— قطع صغيرة من النحاس (او البرونز) يغلب انها بقايا رؤوس ازاميل

— بقايا قطع اخشاب بها تعشيقات وثقوب تشبه ما وجد فى الموقعين ٢٣ ، ٢٤ .

وتعتبر كسر الفخار المكتوبة بالهيراطيقية اهم الآثار الجديدة التى عثرنا عليها فى الموسم الثانى عام ١٩٧٧ ، والكتابات التى على هذه الكسر الفخارية تشمل انواع اطعمة واشياء اخرى كانت الأوانى تحويها ، وكذلك أسماء الأماكن التى جاءت منها . وبعض هذه الكتابات وردت بها تواريخ ولكن بدون ذكر أسماء الفراعنة . وبعضها يذكر أسماء موظفين . ومن اهم هذه الكتابات ، كتابة ورد بها الاسم «بونت» (شكل ٤٩) وقد دونت على قطعة فخارية كبيرة الحجم (٣٠–٣٢ سم) مما يدل على كبر حجم الاناء . ومن الكتابات ذات الأهمية التاريخية الكبيرة كتابة تذكر اسم مدينة فى الفيوم اطلق عليها اسم المعبد الجنازى للفرعون سنوسرت الثانى (شكل ٥٠) ومن ذلك ايضاً كتابة تذكر اسم موظف كبير عاش — على ما يبدو — فى عصر الفرعون سنوسرت الثالث . ورغم اهمية هذه النتائج التى اسفرت عنها القراءة الأولية للكتابات الهيراطيقية ، فان النتائج الحقيقية سوف تتضح بعد اتمام تصوير جميع الكتابات بالطرق الحديثة المتقدمة ليمكن لأحد كبار المتخصصين فى الكتابة الهيراطيقية قراءتها وحل رموزها (٣٠) .

وتدل هذه الآثار المتنوعة ، التى عثرنا عليها فى هذه المواقع ، بالاضافة إلى ما وجد فى هذه المواقع من بقايا الطعام وخاصة الأسماك والطيور ، ومما لوحظ من تفحم بعض قطع الفخار ، ووجود آثار كثيرة لرماد ، يدل كل ذلك على ان هذه المواقع اقامت فيها جماعة او جماعات من الناس نظراً لما تمتاز به من وقوعها فى ظل الرياح . وتتضح هذه الميزة بوجه خاص فى

---

(٣٠) سيقوم البروفسور Georges Posener الأستاذ بالمجمع الفرنسى بباريس Collégede France بقراءةهذه الكتابات وترجمتهامشكوراً على هذا التعاون العلمى. وقد أرسلنا الكسر الفخارية إلى المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، الذى وافق مديره البروفسور J. Vercoutter مشكوراً على تصويرها بالوسائل الحديثة المتقدمة التى تتوفر فى المعهد .

الموقع رقم ٢٤ الذى تظلله الصخرة الكبيرة (شكل ٤٧) . والدلائل التى تجمعت من هذا الموقع مثل المرساتين اللتين لم يتم صنعهما (شكل ٥٦) ، بالاضافة إلى رؤوس الازاميل المكسورة والتى تشبه رؤوس الازاميل التى وجدناها حول مقصورة عنخو ، تشير كلها إلى ان هذا الموقع قد اتخذته جماعة من الفنانين والصناع مقراً لها اثناء ممارسة عملها فى نقش مقصورة عنخو ولوحة انتيفوكر وفى صنع المراس اللازمة للسفن ، ويؤكد ذلك كثرة الأوانى المكسورة (إذ عثرنا على اعداد كبيرة من حطام هذه الأوانى جلبنا من بينها الأجزاء المكتوبة فقط) التى لا شك كانت تحوى مؤونة هذه الجماعة من طعام ومياه .

والظاهرة التى لوحظت فى هذه المواقع ، ان المخلفات الأثرية لم تكن فى مستوى واحد او فى مستويات متراكبة فوق بعضها مباشرة ، بل فى مستويات يعلو بعضها بعضاً ويفصل كل مستوى عن الآخر طبقة من الرمال البحتة . وهذا معناه ان هذه المخلفات الأثرية ليست من عصر واحد بل من عصور متفرقة ولكنها متقاربة .

وقد رجحت النتائج الأولية لقراءة الكتابات الهيراطيقية هذه الظاهرة إذ وجدنا — كما ذكرنا — كتابات تشير إلى منشآت للفرعون سنوسرت الثانى وإلى موظفين من عهد الفرعون سنوسرت الثالث (على وجه الاحتمال) ، وهذا دليل على ان هذا الموقع لم يشغل فقط فى عصر الفرعون سنوسرت الأول الذى استخدم الميناء لأول مرة فى عصره ، بل شغل الموقع ايضاً فى عصر خلفائه ، اى ان هناك فترة زمنية قد تبلغ عدة سنوات تفصل بين اقامة كل جماعة وأخرى ، يقابلها طبقات الرمال التى تفصل بين طبقات او مستويات المخلفات الأثرية .

اما قطع الأخشاب ذات التعشيقات والثقوب التى وجدت فى المواقع الثلاثة ، فمن المرجح انها اجزاء تالفة او زائدة تخلفت عن عملية بناء السفن (او بتعبير ادق «تركيب» السفن كماسنذكر بعد) اللازمة للرحلة إلى بيا — بونت

وهذه العملية لا شك تمت فى خليج وادى جواسيس الذى يبعد عن هذه المواقع بحوالى نصف كيلو متر . ويبدو ان الجماعات التى اقامت فى هذه المواقع قد استخدمت هذه القطع المتخلفة كوقود للطهى او للتدفئة . وربما استخدمت ايضاً الأنابيب المفتوحة من الجانبين (شكل ٥٤) فى نفخ النيران لتزداد اشتعالا .

وهكذا كانت الآثار التى عثرنا عليها فى الموسم الثانى عام ١٩٧٧ - كما تدل كافة الظواهر والشواهد - ذات ارتباط واضح بالآثار التى عثرنا عليها فى الموسم الأول عام ١٩٧٦ ، بل اننا لا نبالغ إذا قلنا انها تعتبر فى الحقيقة امتداداً لها ، ولهذه الظاهرة اهمية تاريخية كما سنوضح بعد .

الأهمية التاريخية للكشف

ان الكشف الذى توصلت اليه البعثة قد القى مزيداً من الضوء على تاريخ البحرية المصرية فى عصر الدولة الوسطى الفرعونية ، وقدم حلولا للمشكلات المتعلقة بالنشاط المصرى القديم فى البحر الأحمر كما يلى :

(اولا) تحديد موقع ميناء الأسرة الثانية عشرة تحديداً قاطعاً :

ادى الكشف إلى تحديد هذا الموقع بصفة قاطعة فى مرسى جواسيس (عند مدخل وادى جواسيس) نتيجة العثور على الآثار المكتشفة فى مكانها الأصلى ، أى انها لم تنقل إلى مكان آخر مثلما نقلت لوحة خنتخاتى – ور ، والدليل على ذلك وجود قواعد للوحات المكتشفة مثبتة على عمق فى الأرض وخاصة قاعدة مقصورة عنخو التى تتكون من اربعة مراس ثقيلة من الحجر وقد احيطت هذه القواعد بكتل من الحجر غير المنتظم وحشيت الفراغات بين المقصورة وبين هذه الكتل بقطع من الزلط والحجر الصلد ، استعصى على العمال ازالتها بسهولة . كذلك الأمر بالنسبة للوحة انتيفوكر ، التى وجدت فى قناة فوق قاعدتها وهى بدورها مرساة ثقيلة من الحجر .

هذه الحالة التى وجدنا عليها كل من مقصورة عنخو ولوحة انتيفوكر تختلف تماماً عما وجدت عليه لوحة خنتخاتى – ور ولوحة خنم – حتب . والفارق الأساسى بين هاتين اللوحتين ، وبين الآثار المكتشفة بطبيعة الحال ان هاتين اللوحتين –وخاصة لوحة خنتخاتى ور – نقلتا من مكانهما الأصلى إلى مبنى المحطة الرومانية داخل وادى جاسوس . وان ما اثبتته اعمال البعثة من ان هاتين اللوحتين لا تنتميان إلى المكان الذى وجدتا فيه لا شك يغير الراى السائد بين علماء المصريات بأن مرسى جاسوس هو ميناء الأسرة الثانية عشرة ، وقد تأكدت هذه الحقيقة كما راينا ، من الحفائر التى اجرتها البعثة فى هذا المرسى إذ لم تجد به اية آثار قديمة .

(ثانياً) الميناء المكتشف هو المكان الأصلى للوحة خنتخاتى — ور :

سبق ان ذكرنا ان لوحة خنتخاتى ور ذكرت اسم الميناء الذى رست فيه السفن بالاسم «ساوو» (شكل ١) والحقيقة اننا لم نعثر بين النقوش المكتشفة على هذا الاسم بنفس العلامات المكتوب بها على لوحة خنتخاتى — ور . ولكن وجدنا اسماً شبيهاً به فى نقوش المصراع الشرقى لمقصورة عنخو (شكل ٢٦ ب سطر ٥) ،وهو الاسم «سوو» (الذى اشرنا اليه آنفاً ص ٢٤، ص ٢٥) . والحقيقة الهامة فى هذا الموضوع ان الاسم «ساوو» الوارد على لوحة خنتخاتى — ور لم يرد على الاطلاق فى اية نصوص مصرية اخرى ، غير انه يوجد اسم مشابه له ورد كإسم لهذا الميناء فى سجلات الفرعون تحتمس الثالث(٣١) خامس ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، اى بعد حوالى ٥٠٠ عام من عصر سنوسرت الأول . وهذا الاسم ينطق «سو» ، وقد ورد بكتابة مختلفة إلى حد ما عن كتابة الاسمين الواردة على كل من لوحة خنتخاتى — ور ومقصورة عنخو كما يلى :

الاسم الوارد فى نقوش عنخو (عصر سنوسرت الأول حوالى ١٩٤٧)	الاسم الوارد على لوحة خنتخاتى — و ر (عصر امنمحات الثانى حوالى ١٩٠٠)	الاسم الوارد فى سجلات تحتمس الثالث ح ١٤٥٠ ق.م
ســوو	ساوو	سو
 (?)		

من هذه المقارنة يتضح ان الاسم الوارد فى نقوش عنخو اقرب إلى الأسم الوارد فى سجلات الفرعون تحتمس الثالث منه إلى الاسم الوارد على لوحة خنتخاتى — ور إذ يشترك الاثنان فى وجود العلامة التى على شكل رجل

31. Gauthier, H; Dictionnaire des noms Géographiques, T.V., pl.6 , cf. Schiaparelli, E; Geografia della Africa Orientale secondo le indicationi dei Monumenti Egiziani (1916) p. 119, 168.

جالس ، وهذا امر غريب دون شك ، إذ كيف تختلف كتابة الاسم فى عصر امنمحات الثانى عن كتابته فى عصر سنوسرت الأول رغم ان الملكين ينتميان لأسرة ملكية واحدة هى الأسرة الثانية عشرة ، بل رغم قرب العصرين الزمنى الشديد من بعضهما ، إذ ان امنمحات الثانى هو ابن سنوسرت الأول وخليفته المباشر ، وفى الوقت نفسه تتفق هذه الكتابة مع كتابته فى عصر تحتمس الثالث بشكل واضح رغم وجود فاصل زمنى كبير بين عصرى سنوسرت الأول وتحتمس الثالث يصل إلى حوالى ٥٠٠ عام ؟ .

ربما تمكننا التوصل إلى حل لهذه المشكلة بافتراض ان هذه الاسماء الثلاثة هى صيغ مختلفة لاسم واحد ثم باتباعنا ثلاث وسائل لاثبات هذا الفرض ، اولها ملاحظة التقارب بين هذه الصيغ المختلفة وخاصة بين الصيغتين اللتين من عصر واحد فنلاحظ اولا ان هذه الصيغ تشترك فى كتابة حرف «الواو» ، ونجد ان طريقة كتابة هذا الحرف تقرب بين كل من الصيغتين الواردتين فى نقوش عنخو وعلى لوحة خنتخاتى — ور من ناحية ، بينما تباعد بينهما وبين كتابة الاسم فى سجلات تحتمس الثالث من ناحية اخرى . ففى نقوش عنخو ولوحة خنتخاتى — ور نجد حرف الواو مكرراً وفى نهاية الكلمة ، بينما فى سجلات تحتمس الثالث كتب هذا الحرف مفرداً وفى بداية الكلمة ، اى ان هناك تطابقاً فى كتابة النصف الثانى من الكلمة فى النصوص التى ترجع إلى عصرى سنوسرت الأول وخليفته امنمحات الثانى ، وبتعبير آخر فى نطاق عصر الأسرة الثانية عشرة .

وثانى هذه الوسائل هى اثبات ان الاسم (سوو Sww) الوارد فى نقوش مقصورة عنخو هو اسم لميناء مرسى جواسيس فعلا وذلك عن طريق استقراء النص الهيروغليفى نفسه . فالذى نلاحظه على العبارة التى ورد فيها الاسم «سوو» (شكل ٢٦ ب عمود رقم ٥ وص ٢٤ — ٢٥) ان الاسم مسبوق بكلمة «قوارب» ثم ينقطع النص لتهشم الحجر ، ثم تأتى عبارة «رصيف ميناء سوو» يليها فراغ نتيجة تهشم النص ، ثم عبارة «مقاطعة قفط» . ان هذه

العبارات ولو انها متقطعة ، الا انها تدل بوضوح على ان الاسم «سوو» هو اسم ميناء فهو مسبوق بكلمة « رصيف ميناء » (دمى) (٣٢) وقبله كلمة «قوارب» . ورغم وجود فراغ بعد الاسم الا انه متبوع بكلمة «مقاطعة قفط» . وربما كانت كلمة « خاست » بمعنى صحراء مكتوبة فى هذا الفراغ (وخاصة انه توجد بقية من علامة تشبه طرف علامة «خاست») فقد كانت الصحراء الشرقية تنسب احياناً فى النصوص المصرية إلى قفط ، فيقال « خاست جبتيو » اى « صحراء قفط » . وإذا صح ذلك ، فان العبارة تقرا «رصيف ميناء سوو (فى) مقاطعة قفط» . وهكذا نرى ان النص نفسه يفيدنا ان الاسم «سوو» هو اسم مرسى جواسيس .

اما ثالث الوسائل التى نستعين بها لاثبات ان الاسمين «ساوو» و«سوو» اللذين يرجعان للأسرة الثانية عشرة هما صيغتين مختلفتين لاسم واحد هو اسم ميناء مرسى جواسيس ، فانها تتلخص ، فى اثبات ان لوحة خنتخاتى ور كانت مقامة فى الأصل فى ميناء مرسى جواسيس قبل نقلها إلى المحطة الرومانية فى العصور اللاحقة ، وسوف نحاول ذلك عن طريق المقارنة بين لوحة خنتخاتى — ور وبين الآثار المكتشفة . فاذا تأملنا فى رسوم ونقوش لوحة خنتخاتى — ور ، فاننا نجد ان هذه الرسوم والنقوش تشبه إلى حد كبير رسوم ونقوش الآثار المكتشفة . ويتمثل هذا التشابه فيما يلى :

١ — وضع التعبد والابتهال الذى مثل فيه خنتخاتى — ور (شكل ١) يشبه نفس الوضع الذى مثل به اصحاب اللوحات الصغيرة التى اكتشفت فوق هضبة الميناء (شكل ١٧ ، ١٨) مما يرجح ان اصحاب هذه اللوحات — التى تآكلت نقوشها بفعل الرطوبة — قد اقاموا لوحاتهم فى موقع الميناء شكراً للآلهة على عودتهم سالمين من رحلتهم الخطرة إلى منطقة بيا — بونت ،

---

(٣٢) يلاحظ أن من معنى كلمة «دمى» «مدينة ، حى ، مقر» ، كما أن «معناها رصيف ميناء» ويختلف معنى الكلمة باختلاف المخصص ، والمخصص هنا غير ظاهر بسبب تهشم النقش ولكن سياق الكلام أقرب إلى الترجمة رصيف ميناء » كما أوضحنا .

تماماً مثلما فعل خنتخاتى — ور الذى حفظت لنا لوحته المصنوعة من حجر البازلت الصلد ، هذا الشكر بالكتابة ايضاً فى النص التالى : «التعبد وتقديم الشكر للإله ..» .

٢ — استهل خنتخاتى — ور هذا الشكر بالدعاء للآله «حر — ور» اى حورس العظيم ، وكذلك فعل «عنخو» على مقصورته (بداية السطر الأول على المصراع الشرقى ، شكل ٢٦ ب) .

٣ — تبين من القطع والأجزاء المنقوشة التى وجدت فى الرديم حول مقصورة عنخو ، انها تحوى رسوماً على غرار الرسوم الواردة على الجزء العلوى من لوحة خنتخاتى — ور ومثال ذلك شكل الاله مين على لوحة خنتخاتى — ور (شكل ١ إلى اليسار) ، وشكله على قطعة من مقصورة عنخو التى لم يتبق منها غير ذراع الاله (شكل ٣٠) . وكذلك علامة «واس» الهيروغليفية التى تحلى الركن الأيسر العلوى من احدى هذه القطع (شكل ٣١) ، فقد رسمت نفس العلامة لنفس الغرض فى الركنين العلويين من لوحة خنتخاتى ور (شكل ١) وايضاً شكل الصقر على نفس هذه القطعة (شكل ٣١) ، الذى ربما كان يدخل فى تركيب عبارة «عرش حور» الواردة على لوحة خنتخاتى — ور «(فى اعلى اللوحة إلى اليمين شكل ١) . واخيراً رسم النسر على احدى قطع عنخو (شكل ٣٢) ، يشبه رسمه على لوحة خنتخاتى — ور (فى وسط اللوحة من اعلى) .

وبالاضافة إلى هذه الدلائل المستمدة من رسوم ونقوش الآثار المكتشفة هناك ظاهرة مشتركة فى نصوص هذه الآثار وفى نص لوحة خنتخاتى — ور ، هى استخدام كل منهما لكلمة واحدة تدل على السفن التى قامت بالرحلة فى البحر الأحمر . وهذه الكلمة هى «حعو» وتطلق فى النصوص المصرية على نوع من سفن الشحن الكبيرة . وان استخدام نوع واحد من السفن فى عصر ملكين متتاليين ، يؤكد — إذا اضفنا اليه ما سبق من شواهد وادلة —

ان الميناء المستخدم فى عصرى سنوسرت الأول وامنمحات الثانى هو ميناء واحد اى مرسى جواسيس .

من هذه الأدلة ، والشواهد ، نستنتج ان لوحة خنتخاتى - ور التى وجدت فى المحطة الرومانية فى وادى جاسوس كانت مقامة فى الأصل فى ميناء مرسى جواسيس شأن مقصورة عنخو واللوحات الأخرى التى التى وجدت فوق هضبة الميناء . وعلى هذا فان الاسم «ساوو» الذى ورد على هذه اللوحة كاسم للميناء الذى رست فيه سفن خنتخاتى - ور هو إسم ميناء مرسى جواسيس وهو غالباً صيغة اخرى من الاسم «سوو» وهو اسم ميناء مرسى جواسيس ايضاً الوارد فى نقوش مقصورة عنخو .

(ثالثاً) تاريخ استخدام الميناء وعلاقة ذلك بمشكلة قناة البحر الأحمر

اثبتت الآثار المكتشفه ايضاً - كما راينا - ان ميناء مرسى جواسيس بدأ استخدامه فى عصر الفرعون سنوسرت الأول ، وتبين من لوحة خنتخاتى ور ان هذا الاستخدام استمر فى عصر خليفته امنمحات الثانى . وتفيدنا الكتابات الهيراطيقية المدونة على قطع الفخار المكتشفة ان الميناء استخدم فى عصر سنوسرت الثانى خليفة امنمحات الثانى .

ولكن رغم هذا التسلسل ، فانه ليس معناه ان الميناء استخدم باستمرار طوال عهود هؤلاء الملوك الثلاثة المتتابعين . ودليلنا على ذلك ناحيتان : اولهما تحويل مراس السفن التى قامت بالرحلة فى عصر سنوسرت الأول بعد عودتها إلى اجزاء لمقصورة عنخو (كما سنذكر بالتفصيل فيما بعد) ، وثانيهما وجود طبقات من الرمال بين المخلفات الأثرية التى عثرنا عليها فى اماكن اقامة الجماعات فوق سفح حافة وادى جواسيس كما ذكرنا .

والحقيقة ان ما تبقى من تواريخ على الآثار المكتشفة تؤكد هذا الاستنتاج . فانه يبدو مما تبقى من التاريخ المدون على مقصورة عنخو (السطر رقم ١ على الكتلة الخلفية شكل ٢٧ ب) ان الميناء لم يستخدم قبل السنة الرابعة

والعشرين من حكم الفرعون سنوسرت الأول (على الأقل) ، اى ليس قبل عام ١٩٤٧ ق . م . كما يتضح من نص لوحة خنتخاتى – ور ، ان الميناء استخدم فى السنة الثامنة والعشرين من حكم الفرعون امنمحات الثانى اى حوالى ١٩٠٠ ق . م . اما بالنسبة للفرعون سنوسرت الثانى فلدينا ثلاثة تواريخ ، ولكنها لاتدل بصفة مباشرة على استخدام الميناء فى عهده . ولذلك علينا ان نستعين بالأدلة غير المباشرة للوصول إلى هذا الهدف . وهذه الأدلة هى :

١ – ما ورد على لوحة خنم حتب التى وجدت فى وادى جاسوس (شكل ٢) من تاريخ يسجل السنة الأولى من حكم الفرعون سنوسرت الثانى . ورغم عدم وجود اشارة على هذه اللوحة إلى الميناء او إلى اى نشاط بحرى ، الا ان الرسوم التى عليها تشير إلى صلة مع شبه جزيرة سيناء . فقد رسم الاله «سبد» اله سيناء ووصف على اللوحة بأنه « رب ارض الكحل» (نب تا – شسمت) وارض الكحل هى سيناء (٣٣) وعلى نفس اللوحة كتب سطر راسى صغير فى اقصى اليسار يسجل اسم ولقب موظف يدعى «نفر – حتب» . وهذا السطر يقرا « حرى بر نفر حتب » اى «المشرف على البيت (ربما بيت خنوم حتب ، او هى وظيفة تفيد احياناً معنى «الوكيل») «نفر – حتب» .

٢ – إذا أخذنا هذه الشواهد وقارناها بما ورد فى مقبرة الأمير «خنوم – حتب» حاكم مقاطعة «منات خوفو» بالمنيا فى عهد الفرعون سنوسرت الثانى ، وهو صاحب المقبرة المعروفة فى بنى حسن بالمنيا ، فسوف نجد فى مقبرته منظراً (٣٤) يمثله وهو يستقبل جماعة تتكون من ٣٧ اسيوياً جاءوا اليه بهدايا من «الكحل» ويقدم هؤلاء الاسيويين إلى الأمير خنوم حتب ، كاتب اسمه «نفر – حتب» أيضاً . وهذا المنظر مؤرخ بالسنة السادسة من عصر الفرعون سنوسرت الثانى . وبالاضافة إلى كل ذلك فان من أهم

33. Gardiner, A. and Peet, T.E; The Inscriptions of Sinai, ed. by J. Cerny (1955) Vol. II p. 42.

34. Newberry, Beni Hassan Vol. I pl. XXX.

القاب الأمير خنوم - حتب المدونة على جدران مقبرته لقب «حاكم الصحراء الشرقية» (إميرا خاسوت إيابتت) (٣٥)

نستخلص من كل هذه الشواهد المتشابهة، أن هناك صلة بين خنوم - حتب صاحب لوحة وادى جاسوس وبين خنوم - حتب أمير مقاطعة منات خوفو بالمنيا ، فإما أن يكون الاثنان شخصاً واحداً ، أو يكون خنوم - حتب صاحب لوحة وادى جاسوس موظفاً كبيراً فى بلاط الأمير خنوم - حتب أمير مقاطعة منات خوفو نظراً لوجود عدة موظفين لدى هذا الأمير يحملون اسمه وبعضهم يحمل لقب «كبير الحجاب» (إميرا عخنوتى) (٣٦) الذى يحمله خنوم حتب صاحب لوحة وادى جاسوس (نهاية السطر الأيمن من اللوحة) .

ونستخلص كذلك من هذه الشواهد المتشابهة ، ان خنوم - حتب أمير بنى حسن كان له نشاط بارز فى الصحراء الشرقية ، ربما بحكم وظيفته كحاكم لهذه الصحراء ، كما كانت له صلات مع سيناء وسكانها ، وهذه الصلة ترمز لها هدايا الكحل التى يقدمها له الاسيويون ، كما يرمز لها ذكر اسم سيناء (أرض الكحل) على لوحة خنوم حتب فى وادى جاسوس .

أما علاقة كل ذلك بوجود نشاط فى الميناء فى عصر الفرعون سنوسرت الثانى فتتضح لنا عندما نحاول البحث عن حل لمشكلتين :

أولهما : كيفية وصول هذه الجماعة من الاسيويين إلى المنيا ، إذ ليس من المحتمل أن تكون هذه الجماعة قد جاءت من فلسطين (٣٧) إلى شرق الدلتا ومن هناك سارت جنوباً مارة بالدلتا وشمال الصعيد خلال مناطق

---

35. Ibid. pl. XXIV and p; 55

36 Ibid. pl. XXX.

(٣٧) اعتقد الرواد الأوائل من علماء المصريات فى القرن الماضى ، عندما شاهدوا صور هؤلاء الأسيويين ومعهم نساؤهم وأطفالهم ، أنهم يمثلون هجرة سيدنا ابراهيم إلى مصر .

تخضع لسيطرة امراء الاقطاع الآخرين بل خلال المنطقة التى توجد بها عاصمة الفرعون أى فى الفيوم ، وذلك لكى تصل إلى بنى حسن بالمنيا بالذات وتقدم الهدايا من الكحل إلى أميرها . ولكن الأكثر احتمالا ان تكون هذه الجماعة قد دخلت مصر عن طريق منطقة بعيدة عن سيطرة الآخرين وتخضع للاشراف المباشر للأمير خنوم — حتب الذى قصدت بلاطه هذه الجماعة . وهنا يبرز دور الصحراء الشرقية التى كان الأمير خنوم حتب حاكماً عليها ، كممر إلى مقاطعة منات خوفو بالمنيا مقر هذا الأمير . وكل هذه الاستنتاجات تجعلنا نرجح أن تكون هذه الجماعة الاسيوية قد جاءت إلى مصر من سيناء بطريق البحر ودخلتها عن طريق ميناء مرسى جواسيس ، ميناء الصحراء الشرقية الذى يسيطر عليه الأمير خنوم —حتب بحكم وظيفته .

ثانيهما : ما يستفاد من النصوص المصرية من أن المصريين كانوا فى عصر الدولة الوسطى يسافرون إلى سيناء بطريق البحر (علاوة على الطريق البرى عبر برزخ السويس) ، ودليلنا على ذلك ان القاب بعض رؤساء واعضاء البعثات التعدينية المصرية فى سيناء كانوا يحملون القاباً بحرية مثل «المشرف على السفن» (إميرا حعو) ورئيس البحارة (خرب عبرو) (٣٨) ، ثم ما جاء فى قصة الملاح الغريق التى ترجع إلى العصر الذى نحن بصدده (عصر الدولة الوسطى) ، من ان الملاح كان مسافراً بالبحر إلى «مناجم الملك» التى كانت تطلق فى النصوص المصرية على مناجم سيناء . ان الحل لهذه المشكلة ان المصريين كانوا يستخدمون احد موانى الصحراء الشرقية للسفر إلى سيناء بحراً ، وهنا يبرز دور ميناء مرسى جواسيس . وعلى ذلك فليس من المستبعد ان تكون الجماعة الاسيوية قد جاءت إلى مصر فى سفينة من تلك السفن المصرية التى كانت تتردد بين هذا الميناء وبين سيناء .

٣ — وإذا رجعنا إلى الكتابة الهيراطيقية التى تسجل السنة الخامسة وتذكر

---

38. Gardiner, and Peet; The Inscr. of Sinai ed. by J. Cerny, II p; 11

اسم المعبد الجنازى للفرعون سنوسرت الثانى (أو اسم المدينة التى سميت باسم معبده الجنازى) ، ولاحظنا أن زيارة الجماعة الاسيوية لبلاط الأمير خنوم – حتب مؤرخة بالسنة السادسة من حكم هذا الفرعون فان هذا التقارب فى التاريخين يرجح أن الميناء شهد نشاطاً فى أوائل عهد الفرعون سنوسرت الثانى ، وكان هذا النشاط مع شبه جزيرة سيناء كما تدلنا لوحة خنوم – حتب . (الاشارة للاله سبد رب أرض الكحل) ومع سكانها كما يدلنا منظر الاسيويين فى مقبرة الأمير خنوم حتب (احضار هدايا الكحل) .

ولقد سبق أن أوضحنا ان النصوص الهيروغليفية تشير إلى السنة الرابعة والعشرين من عصر الفرعون سنوسرت الأول (نص مقصورة عنخو) وإلى السنة الثامنة والعشرين من عصر الفرعون امنمحات الثانى (لوحة خنتخاتى ور) ، ومعنى ذلك ان هناك فترة انقطاع تقرب من خمسين عاماً بين التاريخين . فاذا أخذنا التاريخين المذكورين على أنهما مرحلتين فى استخدام الميناء ، فان ذلك يدل على عدم استخدام الميناء خلال هذه المدة الطويلة . وهذا بدوره يفسر لنا ظاهرتين ، أولاهما سبق أن أشرنا اليها وهى وجود طبقات من الرمال البحتة بين طبقات المخلفات الأثرية فوق المنحدر الممتد على الجانب الشمالى لوادى جواسيس (شكل ٤٧.) ولاشك ان هذا الفاصل الرملى تجمع خلال الفترة التى لا توجد خلالها جماعات من الناس وبالتالى لا توجد مخلفات أثرية . أما الظاهرة الثانية ، فهى تحويل مراس السفن التى استخدمت فى عصر سنوسرت الأول إلى أجزاء لمقصورة عنخو ، إذ ليس من المحتمل ان يترك المصريون السفن فى الميناء دون استخدام طوال هذه السنين ، وانما الأقرب احتمالا أنها فككت إلى أجزاء ونقلت إلى وادى النيل حيث يمكن الانتفاع بها فى الملاحة فى النيل . أما المراس الخاصة بها فقد استفيد بها بتحويلها إلى أجزاء لمقصورة عنخو نظراً لعدم فائدتها كثيراً للملاحة النهرية فى النيل ولثقل وزنها وصعوبة نقلها عبر الطرق الصحراوية الوعرة من ساحل البحر الأحمر إلى النيل .

ولعل هذه النقطة الأخيرة ترشدنا إلى حل لمشكلة هامة طالما أثارت جدلا بين المؤرخين ، وهى مشكلة قناة البحر الأحمر . التى كانت تربط النيل بالبحر الأحمر مخترقة شرق الدلتا فى بعض العصور التالية للعصر الفرعونى ، والتى من المؤكد أن حفرها تم فى العصر الفارسى ابان القرن الخامس قبل الميلاد (٣٩) . وينسب بعض المؤرخين أول مشروع لحفرها لاحد الفراعنة الذين يحملون اسم سنوسرت ، اعتماداً على ما رواه بعض الكتاب الكلاسيكيين بأن سيزوستريس Sesostris هو أول ملك حفر هذه القناة (٤٠) ، رغم اختلاط شخصية سيزوستريس فى روايات هؤلاء الكتاب . وعلى أى حال فان سيزوستريس هذا الذى حفر القناة كما جاء فى هذه الروايات لا يمكن ان يكون سنوسرت الأول ، إذ لو كانت القناة موجودة فى عهده لما اضطر المصريون لاستخدام ميناء فى منطقة صحراوية قاحلة مثل ميناء مرسى جواسيس ، وتجشموا عناء الانتقال عبر الطرق الوعرة فى الصحراء الشرقية وعناء نقل السلع وشحنها وتفريغها عدة مرات ، بل ولم يكن هناك ما يدعوهم إلى تحويل مراس السفن التى استخدموها فى الرحلة إلى منطقة بيا بونت ، إلى اجزاء لمقصورة عنخو ، إذ لو كانت القناة موجودة لأمكن للسفن الابحار رأساً بما بها من مراس إلى النيل .

وبالمثل يمكن القول ان القناة لم تكن موجودة فى عصر الفرعون سنوسرت الثانى لوجود شواهد كثيرة على استخدام الميناء فى عهده كما رأينا . أما عن عصر الفرعون سنوسرت الثالث ، فكما سبق أن قلنا ، ان احدى الكتابات الهيراطيقية تسجل اسم احد الموظفين الذى يعتقد انه عاش فى عصر هذا الفرعون ، ولكن لا يمكن القطع برأى فى هذا الصدد الا بعد تصوير هذه الكتابة وغيرها من الكتابات الهيراطيقية كما سبق أن ذكرنا .

(رابعاً) النشاط المصرى فى البحر الأحمر ومشكلة موقع منطقة «بيا بونت» :

---

(٣٩) سليم حسن ، مصر القديمة جـ١٣ ص ٧٢٣ .
(٤٠) نفس المصدر ص ٧١٦ .

يعتبر العثور على آثار فرعونية على شاطىء البحر الأحمر نفسه ، تتعلق بالنشاط المصرى الفرعونى فى البحر الأحمر وبالصلات مع بونت ، يعتبر ذلك حدثاً جديداً فى تاريخ علم الآثار المصرية . إذ منذ نشأة هذا العلم فى بداية القرن الماضى حتى الآن ، لم يعثر العلماء على مثل هذه الآثار ، مما كان سبباً فى نشأة الآراء المتطرفة التى ادعت ان المصريين لم يكن لهم نشاط بحرى قبل عصر الدولة الحديثة وانهم كانوا يصلون إلى بونت بطريق النيل ، إلى آخر هذه الآراء التى عرضناها فيما سبق . وبذلك دحضت الآثار المكتشفة هذه الآراء واثبتت بطلانها . وفى الوقت نفسه أكدت الآثار المكتشفة بصفة قاطعة وبما لا يدع مجالا للشك ، الرأى المعمول بأن بونت تقع على ساحل البحر الأحمر ، وكان هذا الرأى رغم وجاهته ، فى عداد الاحتمالات لعدم العثور على آثار من ساحل البحر الأحمر نفسه تؤكده كما ذكرنا .

ورغم ان الآثار المكتشفة حسمت الأمر بالنسبة لهاتين المشكلتين ، أى بالنسبة للنشاط المصرى فى البحر الأحمر ووقوع بونت (أو بيا بونت) على ساحل البحر الأحمر ، الا أنها لم تقدم حلولا حاسمة بشأن تحديد موقع بونت نفسها أو منطقة بيا بونت على أى جزء من هذا الساحل . وربما احتوت النقوش التى ضاعت بفعل التآكل على مثل هذه الحلول .

ولكن رغم هذا النقص ، فانه يمكننا باستخدام بعض الأدلة غير المباشرة سواء من الكشف نفسه أم من غيره ، يمكننا بذلك محاولة تحديد موقع منطقة - «بيا - بونت» التى ورد ذكرها فى النصوص المكتشفة .

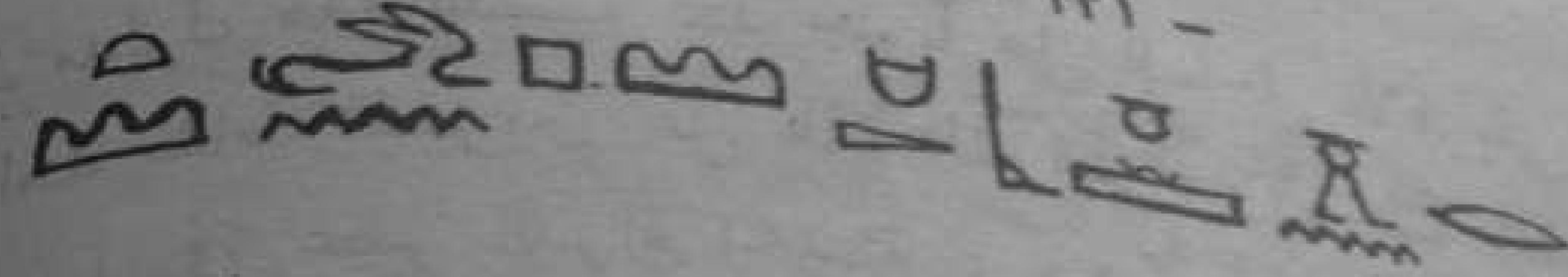
لا شك ان هذه المنطقة ، كما هو ظاهر من اسمها ، كانت تدخل فى نطاق منطقة بونت بمعناها الشامل ، وهذا المعنى الشامل يتفق بشأنه كثير من علماء الآثار المصرية ، على انه كان فى اذهان المصريين يشمل سواحل البحر الأحمر التى يحصلون منها على البخور ؛ وانهم أطلقوه فى بادىء الأمر على الشواطىء القريبة من مصر . أو على الشواطىء الجنوبية لمصر نفسها

ثم أخذ مدلول هذه التسمية يمتد جنوباً على الساحل الافريقى للبحر الأحمر كلما امتد نشاط المصريين على هذه الشواطىء واتسعت معلوماتهم عنها ، حتى وصل فى عصر الدولة الحديثة ، وهو عصر أوج النشاط المصرى الفرعونى الى رأس جردفوى على ساحل الصومال(٤١) . ورغم وجاهة هذا الرأى ، فان امتداد مدلول التسمية «بونت» من حدود مصر الجنوبية شمالا إلى ساحل الصومال جنوباً لا يفيد كثيراً فى التعرف على ماهية بلاد بونت وخصائصها ومعالمها . ولذلك يلزم التعرف بالضبط على مواقع المناطق من بونت التى ارتادتها البعثات المصرية والتى لدينا عنها معلومات أمدتنا بها النصوص المصرية مثل بعثة «حنو» فى عصر الدولة الوسطى وبعثتى حتشبسوت ورمسيس الثالث فى عصر الدولة الحديثة ، لأن ذلك هو الذى يفيدنا فى التعرف على ماهية بونت وخصائصها ومعالمها . وعلى هذا الأساس سنحاول البحث عن موقع منطقة «بيا – بونت» التى تكرر ذكرها فى النقوش المكتشفة .

فمن الملاحظ ان عبارة «بيا – بونت» قد تكررت على ثلاثة من الآثار المكتشفة هى لوحة « إى – مرو » التى وجدت فوق هضبة الميناء ، ومقصورة عنخو ، ولوحة انتيفوكر . وهذا التكرار فى ذكر الاسم ، فضلا عن انه يدل على الارتباط بين هذه الآثار ، فانه لم يحدث قبل ذلك على الآثار المصرية . إذ لم تذكر عبارة «بيا – بونت» فى النصوص المصرية قبل هذا الكشف سوى مرة واحدة ، وذلك فى قصة الرحالة «حرخوف» المدونة على مقبرته فى أسوان . وقد جاء ذكر الكلمة فى الخطاب الذى ارسله الملك الطفل «ببى الثانى» إلى حرخوف يطلب منه ان يكون يقظاً فى حراسة القزم الراقص الذى جلبه حرخوف فى احدى رحلاته التجارية فى السودان ، إذ يقول الملك لحرخوف فى هذا الصدد : «ان جلالتى يريد أن يرى هذا القزم ،

---

41. Gauthier, Dicrionnaire geog. II p. 46.



«اكثر من (كل) هدايا (بلاد) بيا بونت» (٤١/١)

ولقد اختلف العلماء فى تفسير عبارة «بيا — بونت» هذه ، فقال بعضهم أنها تدل على منطقتين هما «بيا» بمعنى «منجم» ، والمقصود بها سيناء لأنها فى نظرهم المنطقة التى اشتهرت بالمناجم ، وكان المصريون القدماء يقصدونها أساساً للتعدين ، والمنطقة الثانية هى «بونت» . وعلى ذلك ترجمها برستد «سيناء وبونت» (٤٢) كما ترجمها جاردنر على أنها منطقتين أيضاً وان كان قد وسع مدلول كلمة « بيا » (بمعنى منجم) بأن قرأها «بياو » فى صيغة الجمع أى بمعنى «مناجم» ، وهى فى رأيه المناجم الواقعة على سواحل البحر الأحمر الاسيوية والافريقية أى فى سيناء والصحراء الشرقية والسودان (٤٣) وعلى ذلك فقد ترجم عبارة «بيا — بونت» الواردة فى قصة حرخوف «بأرض المناجم وبوينى» (٤٤) (بوينى هى قراءة جاردنر لكلمة بونت كما سبق أن ذكرنا ، ص ٢ هامش رقم ٢) .

غير ان احد علماء المصريات وهو جولنشف فسر عبارة «بيا — بونت» الواردة فى قصة حرخوف هذه بأنها تعنى منطقة واحدة فقط وترجمها «منجم بونت» (٤٥) وبذلك كان أقرب العلماء إلى القراءة الصحيحة للكلمة .
وقد حسم النص المدون على لوحة «إى — مرو» (شكل ١٩ ب) الخلاف حول هذه المشكلة ، ذلك ان ورود الإسم فى هذا النص باداة الاضافة «ان»

41/1. Sethe. Urk. I 128.
42. Breasted, J.H; Ancient Records of Egypt; vol. I §353
43. C 43. Gardiner;A; A tomb of a much-travelled Theban official"
JEA IV p. 36. note 4. Cf. Gauthier, op. cit. II p. 12.
44. Gardiner, Egypt of the Pharaohs. p.59
45. Golénischeff, M. W; Le Conte de Naufragé (1912) p. 61.

(بيا — إن — بونت) حدد المدلول الجغرافى لهذا الاسم بمنطقة واحدة . وعلى ذلك تصبح الترجمة الصحيحة للاسم «منجم بونت» أو «مناجم بونت» وبعد أن عاونتنا الآثار المكتشفة فى حل احدى المشكلات المتعلقة بتحديد مدلول التسمية «بيا — بونت» ، لا شك ان السؤال الذى يتبادر الى الذهن الآن هو : أين تقع منطقة مناجم بونت هذه ؟

كما سبق أن قلنا ، فان الآثار المكتشفة ليس بها اشارة مباشرة ترشدنا إلى تحديد موقع هذه المنطقة ، ولكن سنحاول التوصل إلى ذلك باستخدام المعلومات المستمدة من الآثار الأخرى .

يدلنا النص الذى سبقت الاشارة اليه الوارد فى نصوص الرحالة حرخوف الذى يرجع للأسرة السادسة ، على أن منطقة بيا — بونت هذه كان يمكن الوصول اليها أو المتاجرة معها ، عبر المناطق النيلية فى السودان . وهذا معناه انها منطقة افريقية ولم تكن تبعد كثيراً عن السودان . ومن ناحية أخرى تدل الآثار المكتشفة على انه كان يمكن الوصول إلى هذه المنطقة بطريق البحر الأحمر ومن هذين الدليلين غير المباشرين يمكننا أن نستنتج ان منطقة بيا — بونت هذه كانت منطقة ساحلية تقع على ساحل السودان أو بالقرب منه .

وإذا استرشدنا بكلمة «بيا» أى «منجم أو مناجم» للبحث عن نوع المعادن التى تستخرج من المناجم التى تشير اليها الكلمة ، فاننا نجد ان أهم أنواع المعادن التى كان المصريون يجلبونها من بونت هو «الذهب» وعلى ذلك فان كلمة «بيا» (أو «بياو» بمعنى «مناجم») فى الاسم «بيا (و) — بونت» يشير إلى مناجم الذهب . ويزكى هذا الترجيح ان كلمة «بياو» بمعنى «مناجم الذهب» أطلقت فى بعض النصوص الهيروغليفية على مناجم الذهب الواقعة فى الجزء الجنوبى من الصحراء الشرقية ، وبالتحديد على صخور وادى معوض الواقع على الطريق الممتد من ادفو إلى مرسى علم على ساحل البحر الأحمر (الخريطة رقم ١) إذ سجل موظف مصرى نصاً ذكر فيه انه جاء إلى

منطقة «بياو» (أى منطقة المناجم) « لتعدين الذهب» (٤٦) وعلى ذلك يمكننا ترجمة التسمية «بيا (و) — بونت» بـ «مناجم (الذهب فى) بونت» .

وفضلا عن ذلك لدينا نص من عصر الدولة الوسطى نفسه (عصر النقوش المكتشفة) ، يدل على أن المصريين كانوا يرتادون المناطق الواقعة بالقرب من ساحل البحر الأحمر على مقربة من حدود السودان بحثاً عن الذهب . وقد سجل هذا النص موظف مصرى يدعى «جحوتى — حتب» وظيفته «كاتب الذهب» ، على صخور بئر «أبرق» الواقع على بعد حوالى ١٠٠ كيلو متر جنوب غرب ميناء راس بناس (الخريطة رقم ١) (٤٧) أى فى نطاق الصحراء المعروفة بصحراء «العتباى» التى تمتد من حدود مصر الجنوبية شمالا إلى شمال السودان جنوباً ، وقد اشتهرت هذه الصحراء بغناها بالذهب . فكان الجزء الشمالى منها الواقع ضمن حدود مصر الحالية والممتد إلى جنوب هذه الحدود يعرف فى النصوص المصرية باسم «صحراء الذهب» (خاست نبو) (٤٨) . بينما اشتهر الجزء الجنوبى من هذه الصحراء طوال عصور التاريخ وخاصة حول بور سودان وسواكن بمناجمه الغنية بالذهب حيث مازال المرء يشاهد فى هذه المنطقة آثار وبقايا تعدين للذهب واسع النطاق يرجع لمختلف العصور ابتداء من العصور القديمة (خريطة رقم ٤) (٤٨/١) حتى العصور الاسلامية والحديثة .

ولقد شهدت المنطقة الجنوبية من صحراء العتباى و كذلك المنطقة المتاخمة لها من الجنوب ، شهدت نشاطاً ملاحياً فى العصور اللاحقة للعصر الفرعونى

---

46. Green, F.W.; Notes on some inscrriptions in the Etbai District''. P.S.B.A. (1909); pl . XXXII. Cf. Golénischeff; op. cit., p. 61.
47. De Bruyn, P; "A graffito of the scribe Dhuthorpe, Reckoner of gold in the South -Eastern Desert of Egypt JEA 42 (1956) p. 121—122.
48. Gauthier; Dict. géogr. IVp. 162
48/. Ogden, J.M. JEA 62 (1976) p. 140 and Fig. 1.

وخاصة العصر البطلمى ، حين أسس بطلميوس الثانى أهم ميناء على ساحل البحر الأحمر جنوب مصر وهو الميناء المسمى فى كتابات المؤرخين الكلاسيكيين «بطوليمايس ثيرون» Ptolemais Theron أو بطوليمايس ابيثيراس » (Ptol. Epitheras) وربما يكون موقعه الحالى ميناء « عقيق » (٤٩) الذى يقع إلى الجنوب من سواكن على خليج يحميه من تيارات البحر ويوفر ملجأ آمناً للسفن (خريطة رقم ٤) . وكانت المنطقة التى يقع فى نطاقها هذا الميناء تسمى فى النصوص الهيروغليفية التى ترجع لأوائل العصر البطلمى باسم «أقصى الحد (الجنوبى) للسود » (بحو نحسيو) (٥٠)

وإذا قارنا بين هذه المعلومات وبين الشواهد المستمدة من الآثار المكتشفة نجد أولا ان عبارة «أقصى الحد (الجنوبى) للسود» غريبة بالنسبة للعصر البطلمى الذى اتسعت المعلومات فيه عن البحر الأحمر وتعدى نشاط الاغريق هذه المنطقة بكثير ، ولذلك يرجح ان تكون هذه التسمية من بقايا الماضى ولاسيما أنها وردت فى النصوص المصرية الهيروغليفية بالذات . وإذا بحثنا فى نصوص الآثار المكتشفة نجد عبارة تشبهها إلى حد ما وهى الواردة فى نقوش عنخو (شكل ٢٧ سطر ٣) التى تفيد الابحار «نحو أقصى الجنوب» (ص ٢٥) ، فهذا الاتفاق فى التعبير قد يكون نتيجة اتفاق فى المكان أو الموقع . وبالطبع لا يمكن الأخذ بهذه الشواهد بمفردها ، ولكن إذا أضفنا اليها الشواهد الأخرى فربما ترجح الاستنتاج الذى نحاول الوصول اليه . فقد مر بنا ان صحراء العتباى وخاصة الجزء الجنوبى منها اشتهر بمناجم الذهب . وان كلمة بيا — بونت ترمز إلى مناجم الذهب فى بونت وبذلك يمكن ان يتفق الاثنان فى الموقع . وقد ذكرنا أيضاً ان أهم ميناء على ساحل البحر الأحمر جنوب مصر وهو بطوليمايس ثيرون قد أسسه بطلميوس الثانى فى المنطقة التى نحن بصددها . ويلاحظ ان تأسيس الموانى فى عصر البطالمة وخاصة عصر بطلميوس الثانى قد تم فى بعض الأحيان فى مكان موانى ترجع

---

(٤٩) صلاح الدين الشامى ، الموانى السودانية ، دراسة فى الجغرافية التاريخية . العدد ٢٧٨ من مجموعة الألف كتاب ، القاهرة ١٩٦١ ص ٣١ - ٣٨ .

50. Gauthier; Dict. géogr; IV p. 177.

لعصور أقدم . ودليلنا على ذلك الميناء المكتشف نفسه فقد أسسه بطلميوس الثانى أيضاً باسم «فيلوتيرا»، ومن الواضح انه قام فى مكان ميناء الأسرة الثانية عشرة الفرعونية . وربما حدثت نفس الظاهرة على ساحل السودان أى أن بطوليمايس ثيرون أسست فى مكان ميناء شهد نشاطاً أقدم ربما يرجع للعصر الفرعونى وقد يكون عصر الأسرة الثانية عشرة مثل ميناء فيلوتيرا أى مرسى جواسيس . ويلاحظ أيضاً ان المنطقة الممتدة من بور سودان إلى عقيق تمتاز بظروف طبيعية ملائمة ، فقد كانت الغابة النوبية فى العصور القديمة تمتد فى الظهير الواقع وراءها ؛ (قبل تراجعها نحو الجنوب فى العصور اللاحقة) كما أن خور بركة يجرى فى منطقة الظهير هذه أو يقترب منها فى مواسم الفيضان العالى. وهذا كله يوفر المؤونه والمياه للأعداد الكبيرة من الناس التى تفد على موانى ذلك المكان مثل بعثة سنوسرت الأول هذه. وأخيراً فان هذه المنطقة تتصل بالداخل بطرق قديمة يمكن خلالها نقل السلع التى جاء المصريون فى طلبها وعلى رأسها «البخور» الذى توجد أشجار بعض أنواع منه فى المناطق الداخلية (٥١) .

وفضلا عن ذلك ، فان رواية احد الكتاب الكلاسيكيين ، وهو استرابون تفيد بوجود نوع من التطابق بين المنطقة التى أسس فيها ميناء بطوليمايس ثيرون فى العصر البطلمى ، وبين مجال نشاط الفرعون الذى أطلق عليه الكتاب الكلاسيكيون اسم «سيزوستريس» على ساحل البحر الأحمر . إذ يروى استرابون فى مجال حديثه عن منطقة بطوليمايس (ثيرون) ان سيزوستريس انشأ فى هذه المنطقة معبداً للآلهة ايزيس (٥٢) . فاذا صح ما يراه بعض المؤرخين بان «سيزوستريس» هذا هو أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة الذين يحملون الأسم المصرى «سنوسرت» ، فان هذا يؤكد استنتاجنا بوجود اتفاق بين موقع المنطقة التى ارتادتها بعثة سنوسرت الأول والتى تسميها

---

51. Kitchen, K.A; "Punt and how to get there". Orientalia, vol. 40 (1971) p. 203.
52. Strabo, Geography Book XVI §8 (Bohn Classical Library, Tr. by H.C. Hamilton and W. Falconer, 1889) p. 194.

الآثار المكتشفة «بيا – بونت» ، وبين موقع بطولمايس ثيرون (عقيق الحالية على الأرجح) التى أسسها بطلميوس الثانى فيما بعد. وفى هذه الرواية أيضاً يمكن أن نتلمس بعض الأصول المصرية ، وهى ان الاسم المصرى لسيزوستريس «سنوسرت» يشير إلى الاله ايزيس، إذ أن معنى الاسم «رجل (الاله) القوية » s-n - wsrt وكلمة «القوية» صفة للاله ايزيس التى قال استرابون (٥٣) ان سيزوستريس انشأ معبداً لها . وهكذا نجد فى رواية استرابون هذه (رغم ما فى رواياته الأخرى عن شخصية سيزوستريس من خلط) ، اشارة لنشاط سنوسرت (الأول) على ساحل البحر الأحمر مما يتفق مع ما ورد على الآثار المكتشفة ، ولعل هذا يرجع إلى أن هذه الآثار كانت ظاهرة فى العصر اليونانى الرومانى ، أو ربما كشفت اثناء انشاء ميناء فيلوتيرا فى عصر بطلميوس الثانى (كما كشفت لوحة خنتخاتى ور التى نقلت إلى المحطة الرومانية فيما بعد لدقة نقوشها وعدم تآكلها) وكان يمكن لمن يعرف الهيروغليفية فى العصر اليونانى الرومانى ممن يرتاد هذا المكان البعيد قراءة نصوصها ، ولكن ما أحاط بشخصية سيزوستريس من قصص اسطورية ، بالاضافة إلى بعد هذه الآثار ووجودها فى مكان متطرف موحش ، قد غلف بعض المعلومات الواردة عليها بشىء من الغموض كما طمس المعلومات الصحيحة الأخرى التى أخذت عنها ، وأضفى عليها مسحة اسطورية . ومن ذلك رواية ديودور بان «سيسوسيس» (Sesoosis) (وهو الاسم المرادف للاسم «سيزوستريس» فى كتابات ديودور) «قد أنفذ حملة مؤلفة من ٤٠٠ سفينة إلى البحر الأحمر» (٥٤) وبالطبع فان الرقم مبالغ فيه لأن طبيعة شواطىء البحر الأحمر القاحلة لا تسمح بتوفير المياه والمؤونة للحشد الهائل من البشر الذى يضمه هذا العدد الضخم من السفن ، ولأن امكانيات مصر الملاحية فى ذلك العهد لم تكن تسمح لها ببناء هذا العدد

---

(٥٣) سليم حسن ، مصر القديمة جـ ١٣ ص ٧١٨ – ٧١٩

(٥٤) وهيب كامل ، ديودور الصقلى فى مصر ، القاهرة (١٩٤٧) فقرة ٥٥ ص ١٠٣

الكبير من السفن ، وقد رأينا من عدد مراس السفن التى تركها المصريون فى الميناء واستخدموها فى بناء قاعدتى عنخو وانتيفوكر ، ان عدد السفن التى قامت بالرحلة فى البحر الأحمر لا يتعد ثمان أو تسع سفن . ولعل منشأ رواية الاربعمائة سفينة هذه التى رددها ديودور ان يكون الأمر قد اختلط على من قرأ عدد شباب المجندين المدون على مقصورة عنخو ، (شكل ٢٧ سطر ٨) وهو ٤٠٠ أيضاً ، فحرف إلى عدد السفن نتيجة لما تناقلته الأجيال عن شخصية سيزوستريس من روايات أسطورية فضلا عن بعد المكان الذى به هذه السجلات وتطرفه كما سبق أن قلنا .

ومهما يكن من الأساطير التى رددتها الروايات المتواترة عن أعمال سيزوستريس فى كتابات المؤرخين الكلاسيكيين ، فان بعض هذه الروايات لها أصل من الحقيقة رغم غموضها ، كما أوضحنا بالنسبة لرواية استرابون التى يرجح منها ان شخصية سيزوستريس المقصودة فى هذه الرواية أى التى ينسب اليها انشاء معبد لايزيس فى منطقة بطوثمايس ثيرون ، هى شخصية الفرعون سنوسرت الأول الذى أرسل البعثة (والحملة) إلى منطقة بيا - بونت كما جاء على الآثار المكتشفة .

نستنتج من كل ذلك ان المنطقة التى أطلقت عليها النقوش المكتشفة فى وادى جواسيس اسم «بيا - بونت» أو بيا - ان - بونت» يرجح أنها الجزء الجنوبى من صحراء العتباى والمنطقة المتاخمة لها جنوباً أى المنطقة الممتدة من بور سودان وسواكن شمالا إلى عقيق جنوباً على وجه التقريب . وهذا التحديد بدوره يرجح أن تكون حدوود بونت نفسها (التى تقع منطقة بيا - بونت فى نطاقها كما سبق أن ذكرنا) ، بالنسبة لعصر الدولة الوسطى ، لا تبعد كثيراً عن مصر . ويؤكد هذا الاستنتاج ما ورد فى قصة الملاح الغريق بأن العاصفة دفعت سفينته عندما كان مسافراً إلى مناجم الملك أى إلى سيناء وأغرقتها بينما وصل الملاح إلى جزيرة الثعبان «حاكم بونت» متشبثاً بقطعة خشب . وهذا معناه أن بونت فى ذلك العصر (عصر الدولة الوسطى أيضاً

الذى ألفت فيه قصة الملاح الغريق) ، لم تكن بعيدة جداً عن الطريق إلى سيناء . كما يؤكد هذا الاستنتاج ماورد فى نفس القصة من أن الملاح قطع المسافة (بحراً وبراً) من جزيرة الثعبان حاكم بونت إلى العاصمة (اللشت فى الفيوم فى ذلك العصر) فى شهرين.(٥٥) ولا يستبعد أن يكون مرسى جواسيس ، إذا كان للقصة أساس تاريخى ، هو الميناء الذى دخل منه هذا الملاح إلى مصر .

هذه الشواهد كلها التى تشير إلى قرب منطقة بونت من مصر فى عصر الدولة الوسطى ، تدحض الآراء المتطرفة لبعض الباحثين التى ذهبت إلى تحديد موقع جزيرة الثعبان التى لجأ اليها الملاح بمنطقة بعيدة جداً عن مصر لدرجة أن بعضهم حدد هذا الموقع فى احدى جزر المحيط الهندى(٥٦)

(خامساً) العثور على أمثلة للمرساة المصرية لأول مرة على الساحل المصرى :

من النتائج الهامة للكشف ، العثور على نماذج للمرساة (الهلب) المصرية على ساحل مصر نفسه لأول مرة فى تاريخ علم الآثار المصرية . وقد ساعد هذا الكشف على التعرف على صور هذه المرساة فى رسوم السفن على الآثار المصرية . كما ساعد على توكيد الاحتمال بشأن المراس التى عثر عليها فى ببلوص بلبنان(٥٧) بأنها مراس مصرية . ذلك ان هذه المراس لها نفس شكل ومقاسات المراس المكتشفة .

---

55. Golénischeff, Le Conte de Naufragé, p. 9 L.173 — 174.
56. Schoff, W. H; The Periplus of the Erythraean Sea (1912(p. 134.

(٥٧) هذه المراس التى عثر عليها فى ميناء ببلوص بلبنان مصنوعة من الحجر الرملى ، وعلى إحداها علامة « نفر » الهيروغليفية ، ولكن ليس عليها أية أشارة تفيد فى تحديد تاريخها ، وإن كان مكتشفوها قد حددوا تاريخهابالقرن الثالث والعشرين قبل الميلاد أى قبل عصر المراس المكتشفة فى وادى جواسيس بحوالى ٤٠٠ سنة. ولكن هذا التاريخ تخمينى اعتمد على ظواهر وقرائن ولم يعتمد على أدلة تاريخية محددة كما هو الحال بالنسبة للمراس المكتشفة، وتتشابه بعض هذه

ويتبين من الوصف الذى سبق أن ذكرناه للمراس المكتشفة (ص ٣١ و ٣٧)، ان جميعها مصنوعة من الحجر الجيرى، وتتفق مقاساتها مع بعضها تقريباً، كما تتفق فى وجود الثقب العلوى الذى كان يستخدم فى ربط الحبال التى تدلى منها المرساة فى المياه. ولكنها تختلف فيما بينها فى وجود الثقب السفلى أو فى موضعه، كما تختلف فى شكل هذا الثقب فهو على الأشكال الآتية :

١ – مربع الشكل مزدوج ينفذ من واجهة المرساة إلى جانبها فى شكل زاوية قائمة (شكل ٣٧، ٣٩).

٢ – مربع الشكل مسدود محفور فى أسفل المرساة فقط (شكل ٣٤، شكل ٣٦ أ).

وهذه الأشكال من الثقوب المربعة توجد فى المرساتين العلويتين أسفل مقصورة عنخو (شكل ٣٦ أ – ب)

٣ – مستدير الشكل مزدوج ينفذ من واجهة المرساة إلى أسفلها فى شكل زاوية قائمة (شكل ٣٦ جـ).

٤ – مستدير الشكل مزدوج ينفذ من واجهة المرساة إلى جانبها فى شكل زاوية قائمة (شكل ٣٨).

وهذه الثقوب المستديرة توجد فى المرساتين السفليتين، أسفل مقصورة عنخو (شكل ٣٦ جـ – د)

= المراس مع المراس المكتشفة فى وجود ثقب سفلى مزدوج على شكل زاوية قائمة وهى فى ذلك تشبه مراس مقصورة عنخو. كما أن بعضها لا يوجد به ثقب سفلى وهو فى ذلك يشبه مرساة قاعدة اينفوكر. هذا وقد عثر أيضاً فى أوجاريت بشمال سوريا على مراس تشبه مراس بيلوص و لكن حجمها ضعف حجم مراس بيلوص أنظر

Nibbi.A; "Egyptian Anchors", JEA vol. 61 (1975) pp; 38—41. Cf. Frost, ,Bronze Age Stone-Anchors from the Eastern Mediterranean ,,Marriner's Mirror 56, 4 (1970) p.383f.

وقد ذكرنا فيما سبق أيضاً ان الثقب السفلى فائدته ادخال حبال اضافية لتخليص المرساة من الصخور فى قاع البحر عند اقلاع السفينة . غير أن المرساة المحفور فى أسفلها الثقب المربع المسدود نحير نا امرها ، إذ لا يمكن ربط حبال فى هذا الثقب . ولعل تفسير ذلك انه كان يثبت فى هذا الثقب المسدود وتد من الخشب تربط فيه الحبال .

وكما سبق أن قلنا أيضاً (ص ٣٧) فان المرساة التى تكون قاعدة لوحة انتيفوكر ، ليس لها ثقب سفلى . وقد استعيض عن ذلك بعمل ثمانية حزوز فى صفين على حواف المرساة وذلك فى الغالب لربط الحبال التى تساعد على تخليص المرساة من الصخور فى قاع البحر (شكل ٤١) . كما أن هذه المرساة تنفرد بوجود القناة التى تمتد بطولها (شكل ٤٠) وتنطبق مقاساتها على مقاسات لوحة انتيفوكر التى كانت مثبتة فوقها .

أما المرساتان اللتان لم يتم صنعهما (شكل ٥٦) ، اللتان وجدتا فى الموقع رقم ٢٤ أسفل الصخرة الكبيرة ، فيقل ارتفاعهما عن متوسط ارتفاع مراس عنخو وانتيفوكر بحوالى ١٠ سم . كما يقل سمكهما عن سمك هذه المراس أيضاً إذ لا يزيد سمك احداهما عن ١٦ سم والأخرى عن ١٣ سم .

وبالنسبة للمرساة الصغيرة (شكل ٥٥) التى رجحنا أنها مرساة القارب الذى كان يظهر فى الرسوم مصاحباً للسفن الكبيرة ، (ربما كان يستخدم كقارب للنجاة) ، فهى مهشمة ولم يبق منها غير جزئها العلوى ، ويبلغ عرض المرساة فى هذا الجزء حوالى ٢٥ سم .

هذه الأمثلة المتعددة من المراس التى تم العثور عليها لأول مرة على الساحل المصرى نفسه ، مكنتنا من التعرف على صور المرساة على الآثار المصرية من ناحية ؛ كما ساعدتنا على التعرف على الطريقة التى اتبعها المصريون فى اعداد السفن المسافرة فى البحر الأحمر ، من ناحية أخرى . فبالنسبة للنقطة الأولى ، كان علماء المصريات يشاهدون فى رسوم السفن على الآثار المصرية

أشكالا مخروطية مرسومة فوق مقدمات هذه السفن (شكل ٤٢) ، وإلى جوارها أشكال لبعض الأوانى التى كانت تستخدم فى تقديم قرابين السوائل فى الطقوس الدينية المصرية ، وخلفها يقف أشخاص يرفعون أيديهم إلى أعلى فى وضع التعبد والابتهال المألوف فى الرسوم الدينية المصرية (شكل ٤٢ ، شكل ٤٣) . وقد دعا ذلك بعض علماء المصريات إلى الاعتقاد بأن هذه الأشكال المخروطية هى قرابين من الخبز . غير أن قليل منهم من فطن إلى أن هذه الأشكال المخروطية هى صور مراس سفن (٥٨) ولكن استنتاجهم ظل فى عداد الاحتمالات إذ كان يعوزه الاثبات بالأدلة الأثرية ، أى العثور على نماذج حقيقية للمرساة المصرية على الساحل المصرى نفسه ، فجاء الكشف عن هذه النماذج فى موقع الميناء المكتشف دليلا حاسماً على أن الأشكال المخروطية المرسومة على مقدمات السفن المصرية هى لمراس سفن وليست لقرابين من الخبز .

أما عن النقطة الثانية وهى فائدة هذه المراس فى ارشادنا للتعرف على طريقة اعداد السفن المصرية المستخدمة فى رحلات بونت . فان ذلك يتضح من دراسة الاجزاء التى تكون مقصورة عنخو ، أى المصراعين والكتلة الخلفية ، (شكل ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣) وقد سبقت الاشارة لذلك (ص ٣١) فان كلا منها اتخذ من مرساة ، وهذا معناه ان المصريين حولوا مراس السفن بعد عودتها من رحلتها إلى منطقة بيا - بونت ، إلى أجزاء للمقصورة . وهذا بدوره يدعونا للتساؤل عن مصير السفن نفسها . ويفيدنا فى هذا الصدد النص الوارد على لوحة انتيفوكر الذى أطلق على هذه السفن «سفن ترسانة قفط» (شكل ٤٦ سطر ٣ - ٤) . وكل ذلك يجعلنا نستنتج ان المصريين صنعوا السفن فى ترسانة قفط على شاطىء النيل ثم فككوها إلى أجزاء ونقلوها فوق أكتاف الرجال أو فوق ظهور الدواب إلى ساحل البحر الأحمر عند ميناء مرسى جواسيس حيث ركبوا أجزاءها فى خليج الميناء . ولعل بقايا

---

58. Landstrom, Björn; Ships of the Pharaohs, (1970) p. 65.

كتل الخشب ذات التعشيقات والثقوب (شكل ٥٣) ان تكون مما تخلف عن هذه العملية . وبالطبع لا تشير النصوص إلى عملية التركيب هذه اشارة واضحة ، ولكن كلمة « سب — سن » الواردة فى نص لوحة انتيفوكر (سطر ٦) يمكن أن تشير إلى عملية التركيب هذه (أو اعادة البناء) بطريقة غير مباشرة إذا ترجمنا هذه الكلمة بمعناها الثانى وهو «مرتين» بدلا من « جدا» أو «عظيمة» كما سبق أن ذكرنا (ص ٣٦) فبذلك تصبح ترجمة العبارة التى وردت فيها الكلمة المذكورة كما يلى :

[٦] انه (انتيفوكر) قام بمهمته بكفاءة مرتين (سب —سن) طبقاً لما أمر به من جلالة القصر (الفرعون) . تأمل ، لقد كان المنادى امينى بن [٧] منتوحتب على شاطىء الأخضر العظيم (واج—ور) يقوم ببناء (أواعادة بناء أو تركيب) هذه السفن وكان معه [٨] رؤساء مجلس مقاطعة ثينة الجنوب .. الخ»

فطبقاً لهذه الترجمة ، يمكن اعتبار كلمة «مرتين» بأنها تشير لعمليتين متتابعتين ، احداهما هى عملية البناء نفسها أى صناعة السفن من الخشب وهذه العملية تمت فى ترسانة قفط على النيل حيث تتوفر الأشجار اللازمة ، بينما لا تتوفر مثل هذه الأشجار على ساحل البحر الأحمر القاحل أو فى الظهير الممتد وراءه الذى لم يكن فى تلك العصور أحسن حالا بكثير عما هو عليه الآن . كما تدل على ذلك النقوش الصخرية الهيروغليفية فى مناطق التعدين المتناثرة فى الصحراء الشرقية . أما العملية الثانية التى تشير اليها كلمة «مرتين» هذه فربما تكون عملية التركيب أواعادة البناء التى تمت على شاطىء البحر الأحمر (الأخضر العظيم ، واج — ور) بعد نقل اجزاء السفن مفككة من ترسانة قفط إلى ميناء مرسى جواسيس . ويبدو من النص ان هذه العملية الثانية قد اسند «تنفيذها» إلى المنادى امينى بن منتوحتب(٥٩)وعاونه فى ذلك رؤساء

---

(٥٩) يبدو أن المنادى أمينى هذا كانت لديه خبرة بالمشروعات الكبرى فى الصحراء الشرقية إذ يغلب أنه صاحب المشروع الضخم الخاص بقطع الأحجار من وادى الحمامات فى عصر الفرعون

بمجلس مقاطعة ثينة كما ورد فى النص . وقد يكون دور الوزير أنتيفوكر هو الاشراف المباشر على العملية الأولى أى عملية تصنيع السفن التى تمت على شاطىء النيل وهى الأهم ، ثم الاشراف غير المباشر على العملية الثانية التى تمت على ساحل البحر الأحمر . ولعل هذا يفسر عبارة أنه «قام بمهمته بكفاءة مرتين» .

والاعتراض الوحيد الذى يمكن أن يثار فى وجه هذا التفسير ، ان كاتب النص لم يستخدم كلمتين مختلفتين ليعبر باحداهما عن العملية الأولى أى عملية البناء الفعلية على شاطىء النيل، وليعبر بالأخرى عن العملية الثانية أى عملية التركيب أو اعادة البناء ، بل انه استخدم كلمة واحدة هى كلمة «مجح» التى تعنى «النجارة» «والتنجير» كما تعنى «بناء السفن» . استخدمها كاتب النص فى الموضعين (سطر ٣ ، وسطر ٦) . فلو انه قصد الاشارة إلى عمليتين لاستخدم فى الموضع الثانى كلمة تختلف عن كلمة «مجح» التى استخدمها فى الموضع الأول .

وللرد على هذا الاعتراض نقول اننا إذا رجعنا إلى النصوص الهيروغليفية الأخرى التى استخدمت فيها كلمات تشير لبناء سفن على ساحل البحر الأحمر نجد حالتين اثنتين فقط (٦٠) احداهما من عصر الأسرة السادسة ، والأخرى

= سنوسرت الأول نفسه ، وكان تحت إمرته فى هذا المشروع ١٧٠٠٠ رجل . وقد سجل ذلك على لوحه منحوتة فى الصخر فى محاجر الشست فى وادى الحمامات راجع :

Goyon, G, Nouvelles Inscriptions Rupestres du Wadi Hammamat, (1975), pp. 17, 82, no. 61.

(٦٠) هناك حالة ثالثة وقد استخدمت فيها كلمة «مجح» الواردة فى نص انتيفوكر لتدل على عملية بناء سفن وذلك فى نصوص بردية هاريس التى تروى أخبار البعثة التى أرسلها رمسيس الثالث إلى بونت ، ولكن نظراً لعدم وضوح المكان الذى بنيت فيه هذه السفن (إذ يعتقد بعض علماء المصريات أنه شاطىء الفرات) . فسوف نستبعد هذا النص من مناقشتنا لهذا الموضوع ، راجع :

Erichsen; W; Biliotheca Aeyptiaca V, Papyrus Harris I p. 94pl. 77 L.8.

من عصر الأسرة الحادية عشرة . ففى نص الأسرة السادسة وهو النص الوارد فى مقبرة «بيبى — نخت» (٦١) بأسوان استخدمت كلمة «سبت» (Spt) ومعناها أقرب إلى «تركيب أو تجميع أجزاء السفينة» (٦٢) منه إلى عملية النجارة والبناء» بينما فى نص الأسرة ١١ ، وهو المعروف بنص «حنو» المدون على صخور وادى الحمامات ، (٦٣)استخدمت كلمة أخرى هى «إرى» (iry) بمعنى«يصنع أو يعمل» وهى كلمة ذات معنى عام ولا تخصص فقط لعملية بناء السفن . ومن ذلك نرى ان النصوص المصرية لم تستخدم كلمة موحدة لعملية بناء (أو اعادة بناء) السفن على ساحل البحر الأحمر ولذلك يحتمل أن يكون كاتب لوحة انتيفوكر قد استخدم كلمة «محح» دون تمييز بين المعنيين أى لتدل على عمليتى البناء على شاطىء النيل وعلى عملية التركيب أو اعادة البناء على شاطىء البحر الأحمر ، وربما الذى دعاه لذلك ان العمليتين متشابهتين فى طبيعتهما .

ويبدو ان عملية تركيب أو اعادة بناء السفن فى خليج وادى جواسيس قد صاحبتها فى نفس الوقت عملية صنع المراس اللازمة لهذه السفن ، أى أن المصريين صنعوا هذه المراس فى موقع الميناء كما تدل على ذلك المرساتان

اللتان لم يتم صنعهما ، واللتان عثرت عليهما البعثة فى الموقع رقم ٢٤ أسفل الصخرة الكبيرة ، ويتضح ذلك من شكلهما الخشن ومن عدم نفاذ الثقب العلوى فى احداهما (شكل ٥٦) .

ولعل سبب صنع هذه المراس فى الميناء وعدم صنعها مع السفن فى ترسانة قفط ، هو ثقل وزنها (حوالى ٢٥٠ كيلو جرام للمرساة الواحدة تقريباً) مما يشكل عبئاً كبيراً أثناء نقلها عبر الطريق الصحراوى الوعر

---

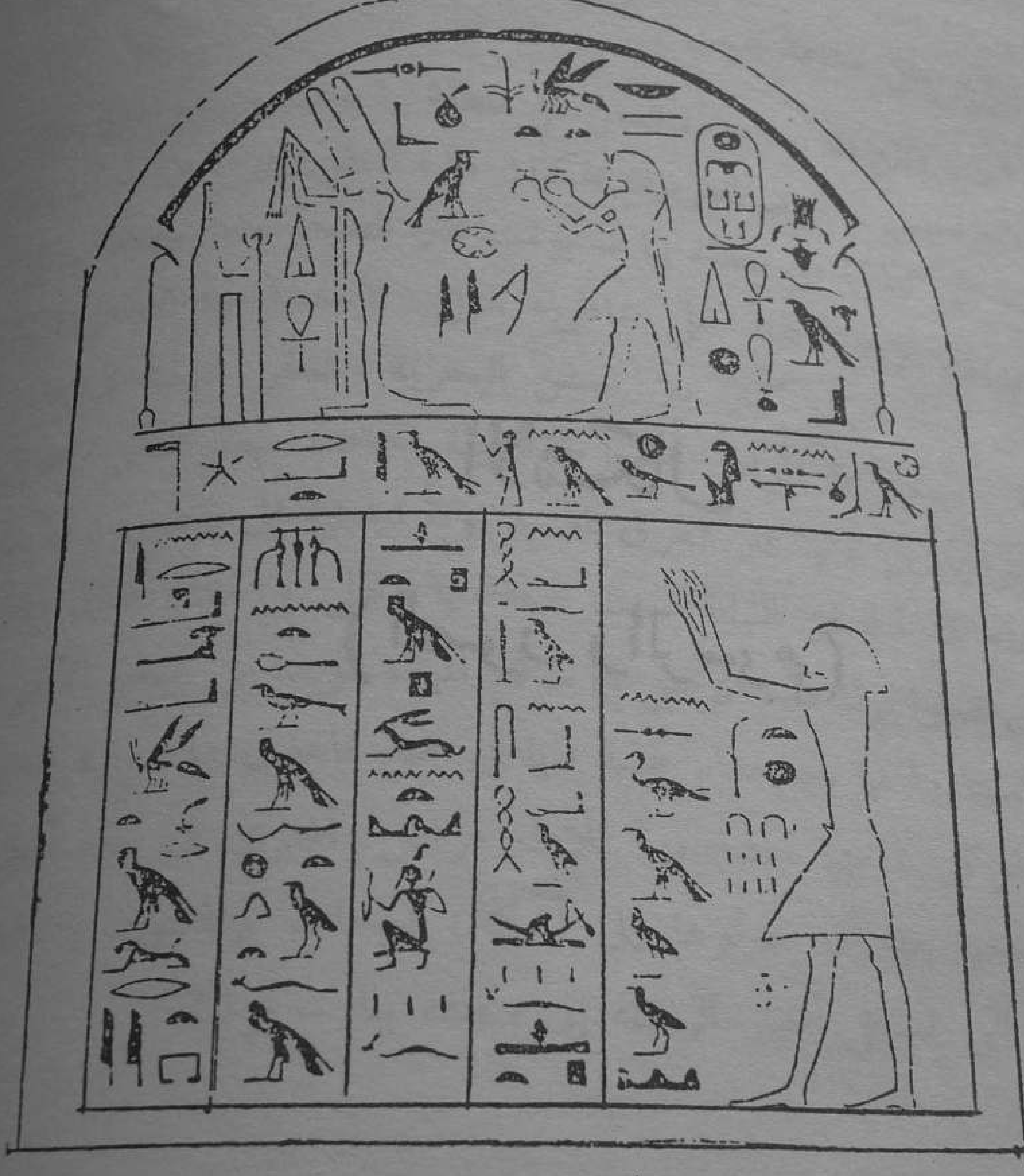
61. Sethe, Urk. I 134 and B.A.R. I §360.
62. Newberry, P; ,,Notes on Sea-going Ships'', JEA vol. 28 (1942) p. 66.
63. Couyant and Montet; Les Inscrip .Hiérogl. et Hiérat, du Ouadi Hammamat. (1912) p. 83. L.14.

الممتد من النيل إلى ساحل البحر الأحمر ، ولاسيما ان الحجر الجيرى الذى صنعت منه هذه المراس يوجد فى منطقة الميناء كما أن صناعتها لا تحتاج إلى جهد كبير مثل صناعة السفن .

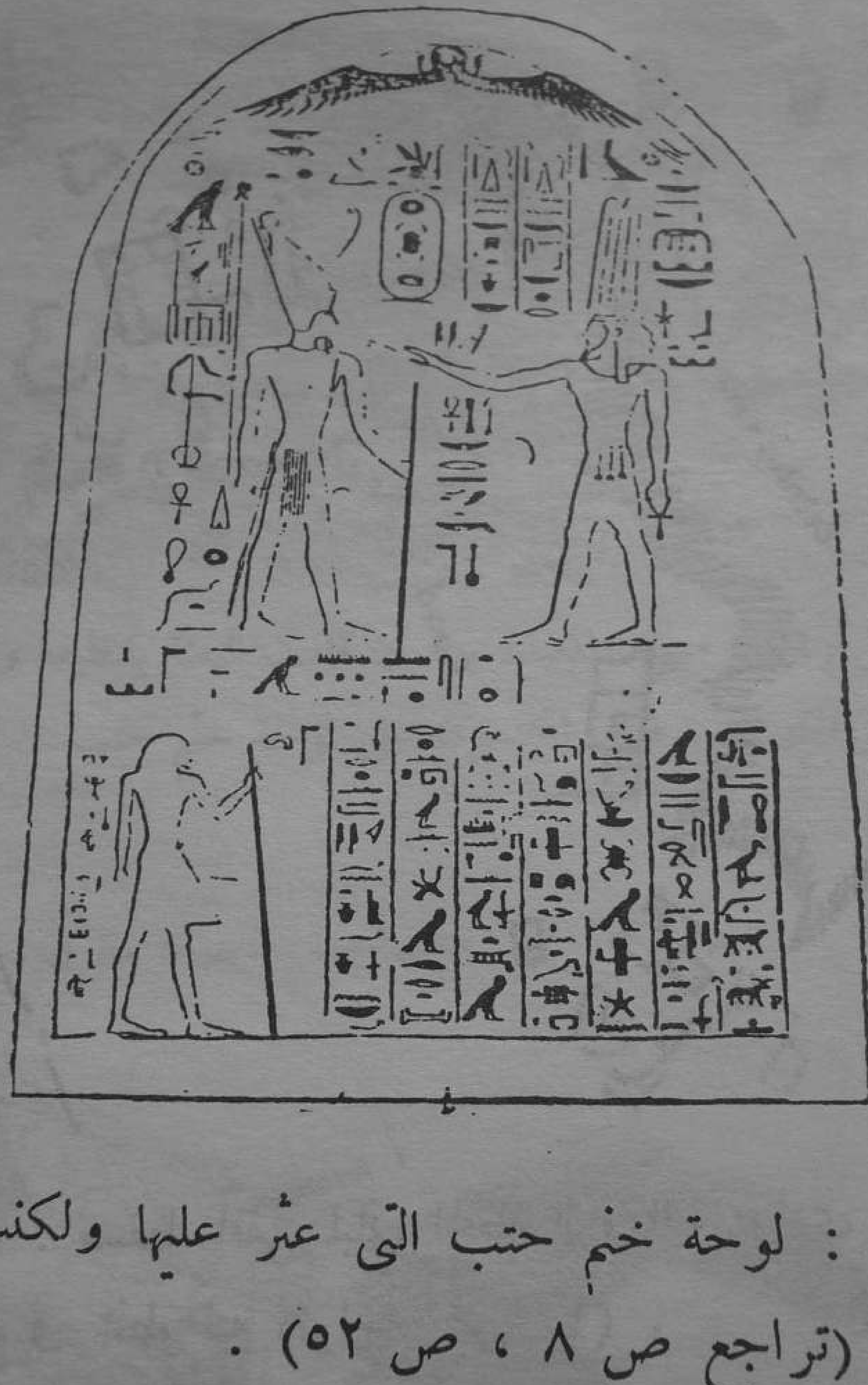
وأغلب الظن انه بعد عودة السفن من منطقة بيا بونت ورسوها فى ميناء مرسى جواسيس ، اعاد المصريون تفكيك هذه السفن إلى أجزاء ونقلوها مع السلع التى جلبتها من منطقة بيا - بونت عبر الصحراء من ميناء مرسى جواسيس إلى ترسانة قفط على شاطىء النيل لاستخدامها كسفن نيلية إذ لم يكن هناك فارق كبير بين السفن البحرية والسفن النيلية فى مصر الفرعونية . ويبدو ان المراس الحجرية الثقيلة الخاصة بهذه السفن كانت تشكل عبئاً ثقيلا فى نقلها عبر الطرق الصحراوية الجبلية إلى قفط ، وخاصة أنها لا تصلح كثيراً للسفن النيلية بسبب ضخامتها وثقل وزنها . لذلك يبدو ان المصريين فضلوا ترك هذه المراس فى موقع الميناء على ساحل البحر الأحمر ، غير أنهم استفادوا بها باستخدام خمسة منها فى عمل قاعدتى مقصورة عنخو ولوحة انتيفوكر ، بينما استخدموا ثلاث مراس أخرى فى بناء أجزاء مقصورة عنخو بعد أن حولوها إلى أشكال لوحات ونقشوها بالكتابة الهيروغليفية التى تسجل أخبار الرحلة إلى منطقة بيا - بونت .

الاشكال

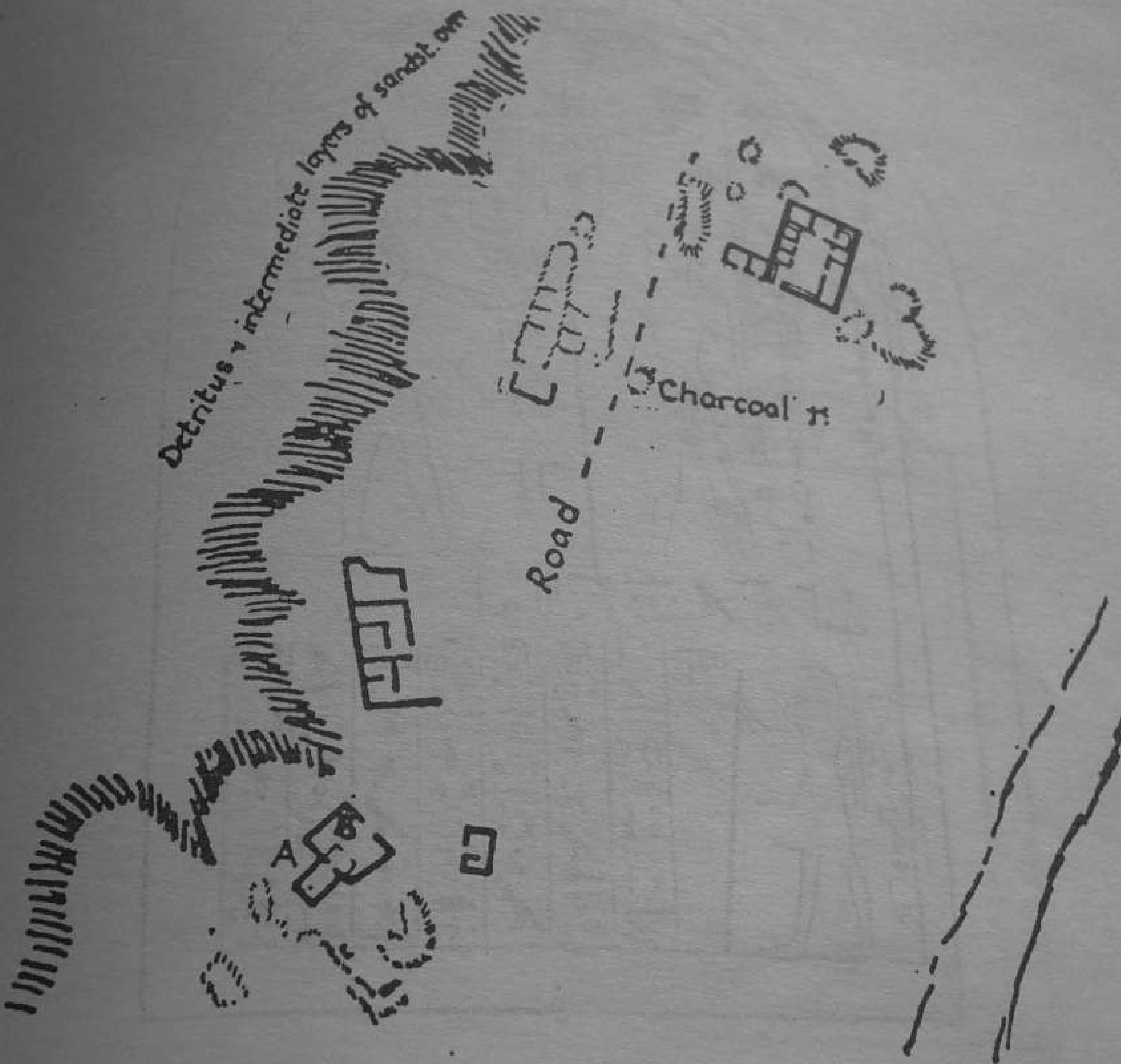
(الصور والرسوم)



شكل(١) لوحة خنتخاتى — ور التى عثر عليها بيرتون فى المحطة الرومانية بوادى جاسوس وورد عليها اسم الميناء (تراجع ص ٧ ، ص ٤٩) .



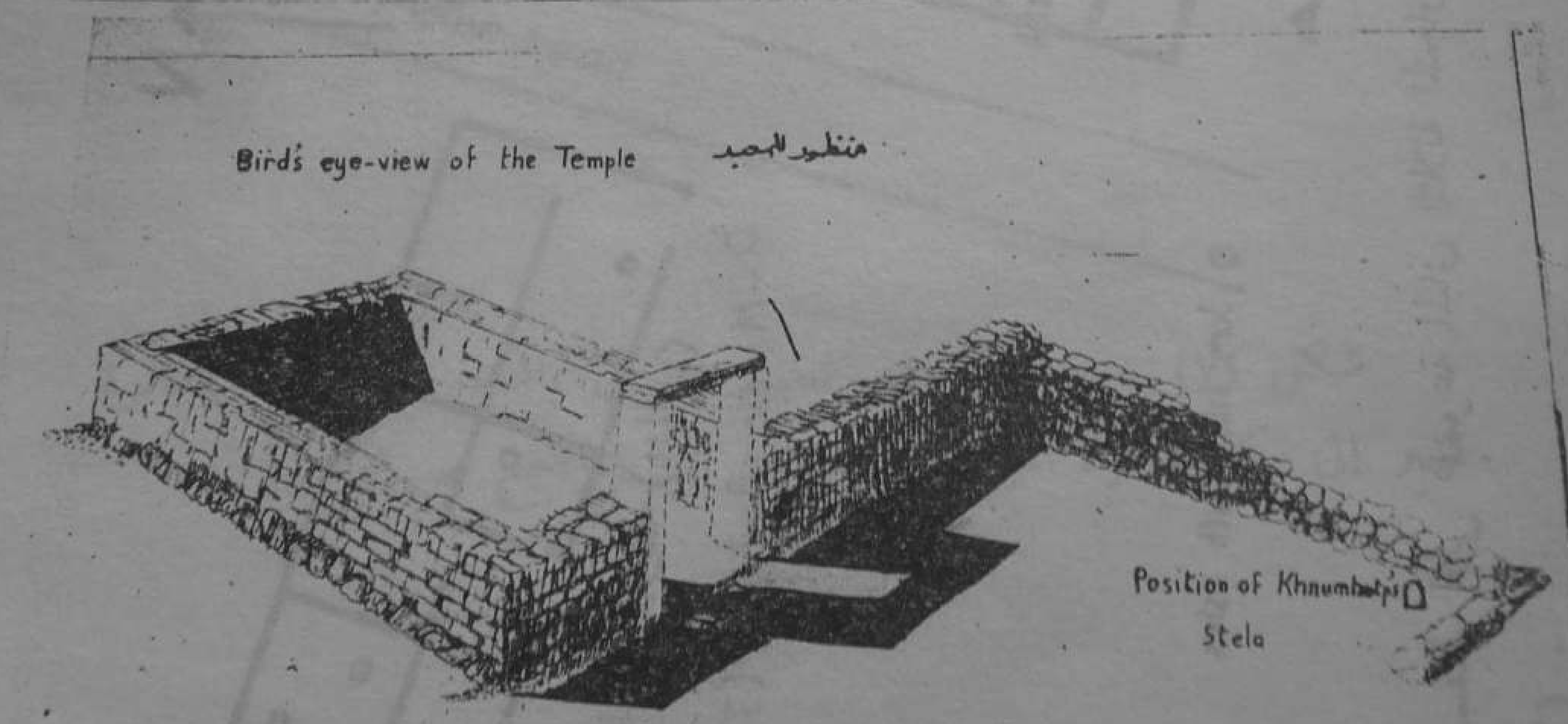
شكل (٢) : لوحة خنم حتب التى عثر عليها ولكنسون فى «المعبد
بالمحطة الرومانية (تراجع ص ٨ ، ص ٥٢) .



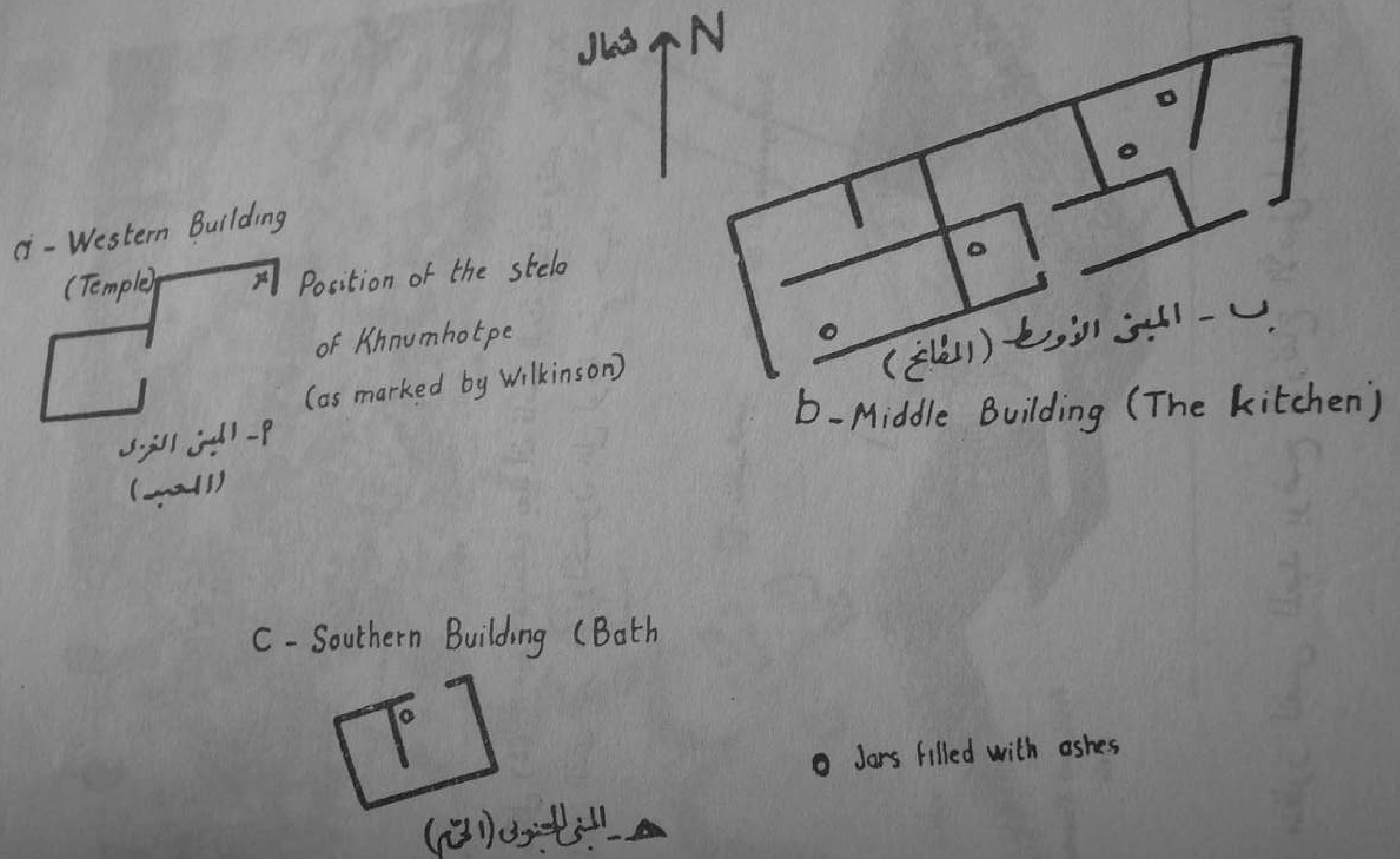
شكل (٣) : مسقط افقى لمبانى المحطة الرومانية بوادى جاسوس كما رسمه ولكنسون فى مخطوطته (تراجع ص ١٠) .



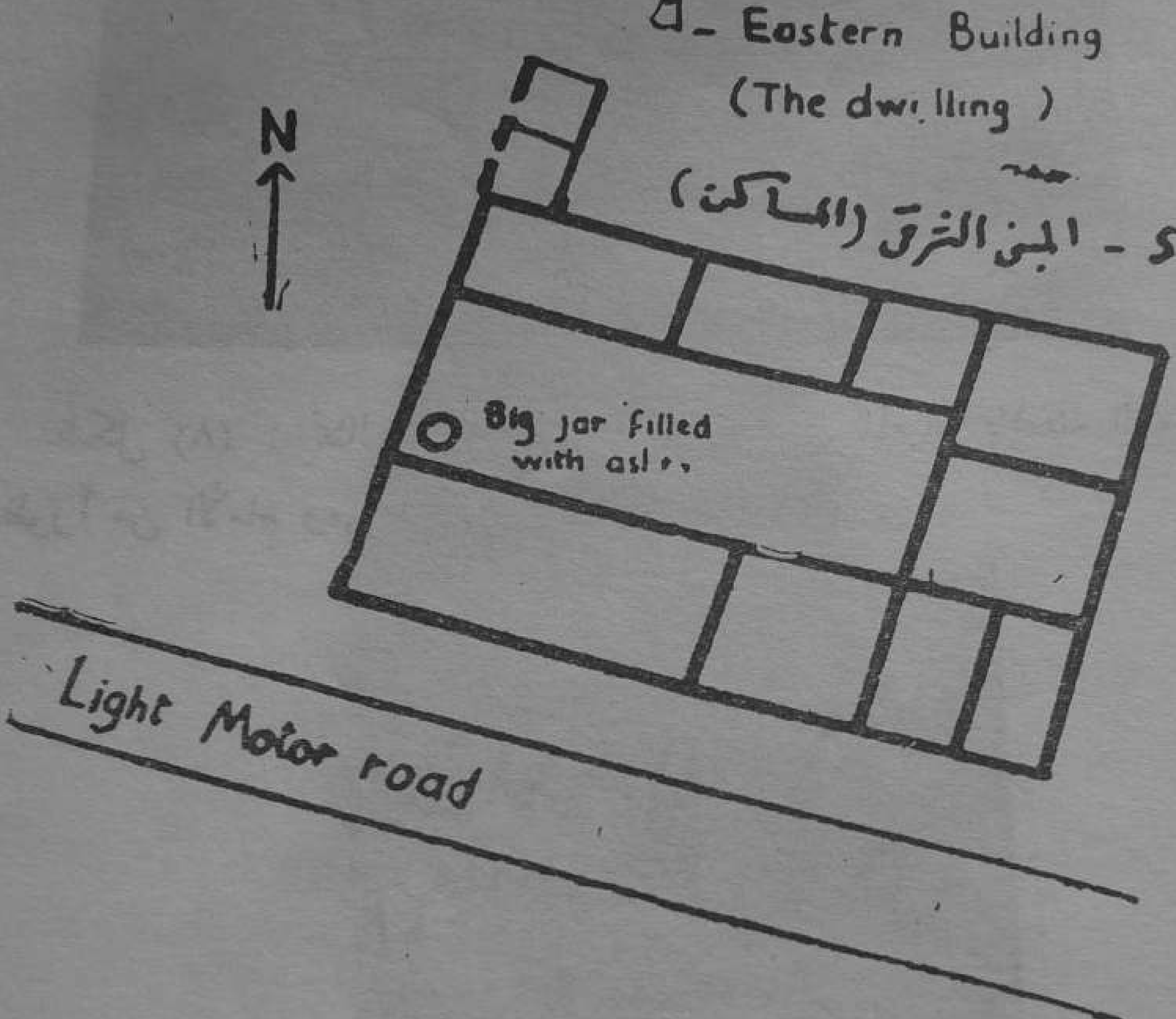
شكل (٤) : مبنى «المعبد» بعد أن قامت البعثة بتنظيفه وتشير علامة ×
إلى المكان الذى عثر فيه ولكنسون على لوحة ختم حتب .



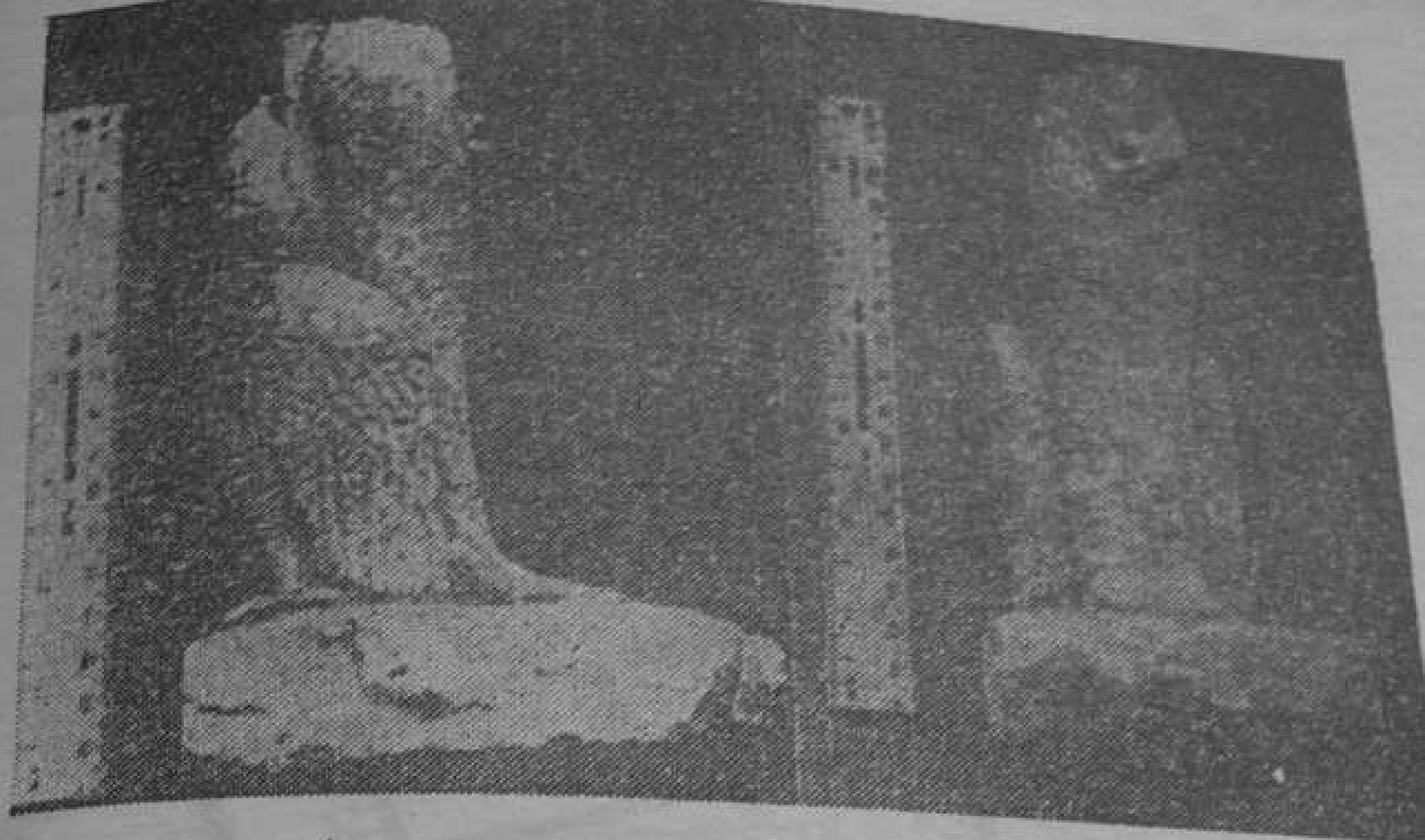
ل (٥) : منظور لنفس المعبد يوضح الارتفاع الأصلى لبوابته وامتداد السور



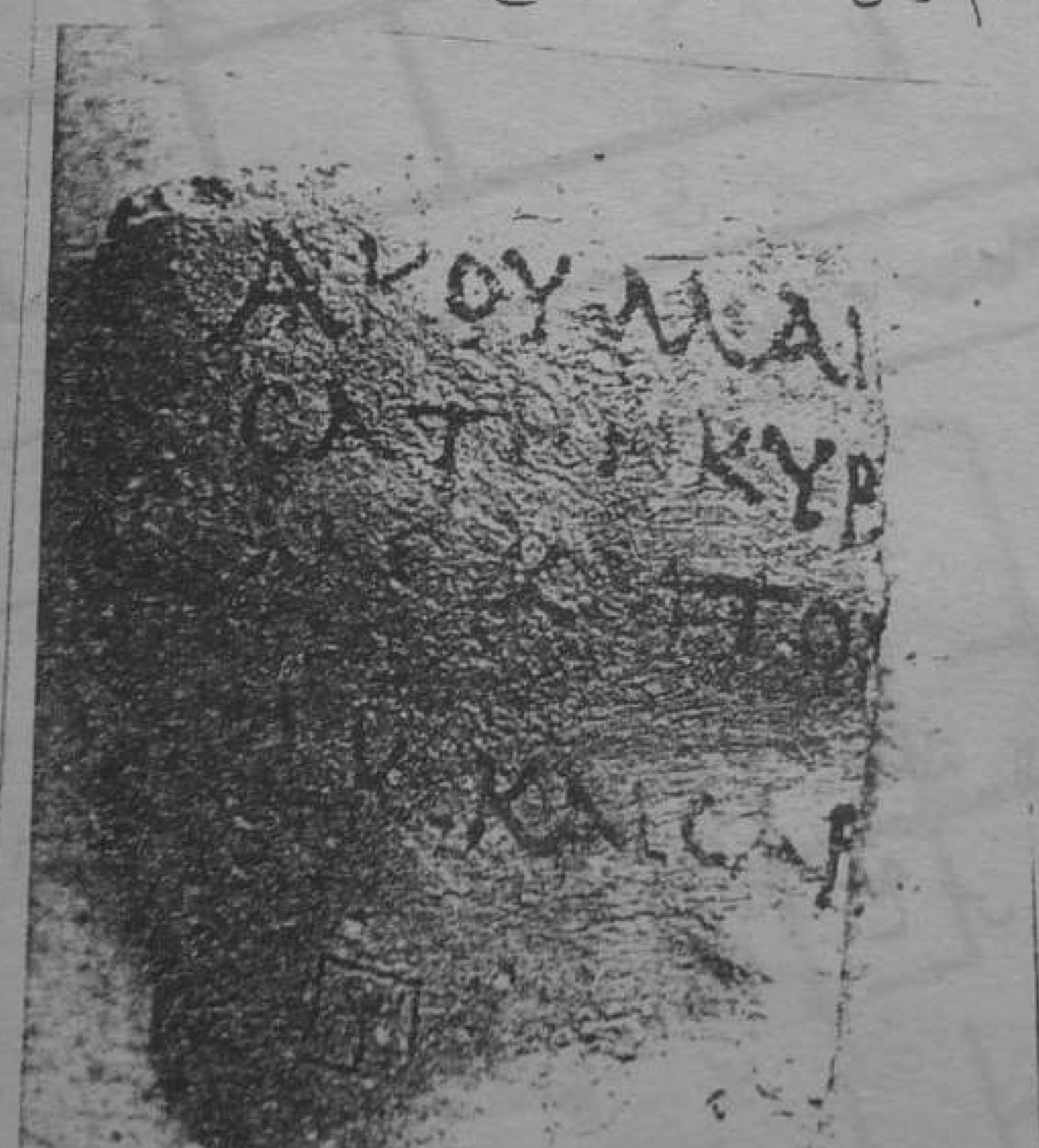
شكل (٦) : مسقط افقى لمجموعة المبانى الثلاثة المتجاورة فى المحطة الرومانية بعد أن كشفت البعثة عن أساساتها (تراجع ص ١٣) .



شكل (٧) : مسقط افقى للمبنى الشرق بالمحطة الرومانية والدائرة تشير إلى مكان الجرة الموضحة فى شكل ١٢ (تراجع ص ١٣) .



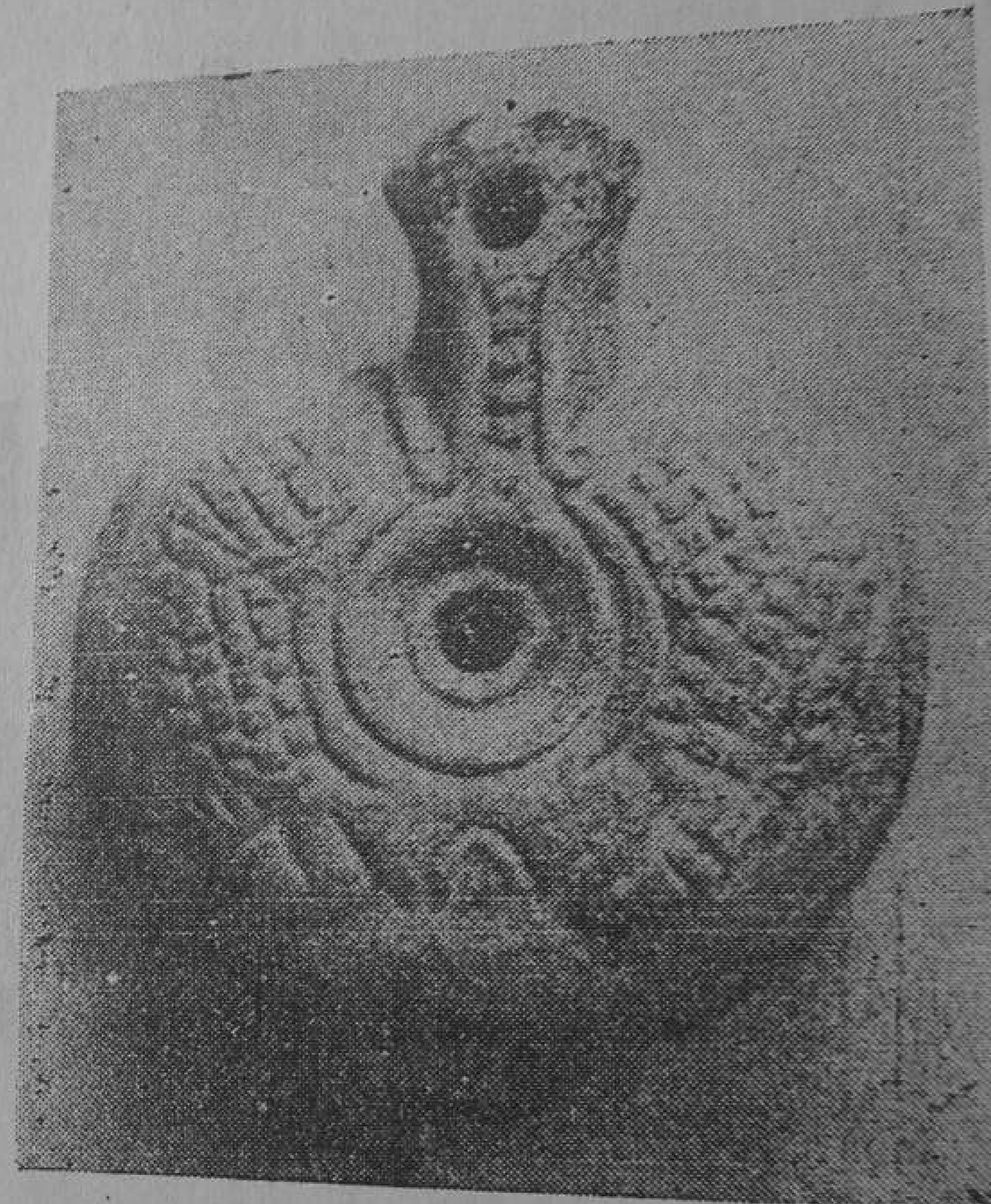
شكل (٨) : تمثال الاله مين الذى وجد فى المعبد بالمحطة الرومانية منظوراً من الأمام ومن الجانب (تراجع ص ١١) .



شكل (٩) : استراكا من الفخار عليها كتابة يونانية وجدت فى المعبد ويبلغ ارتفاعها ١١ سم .



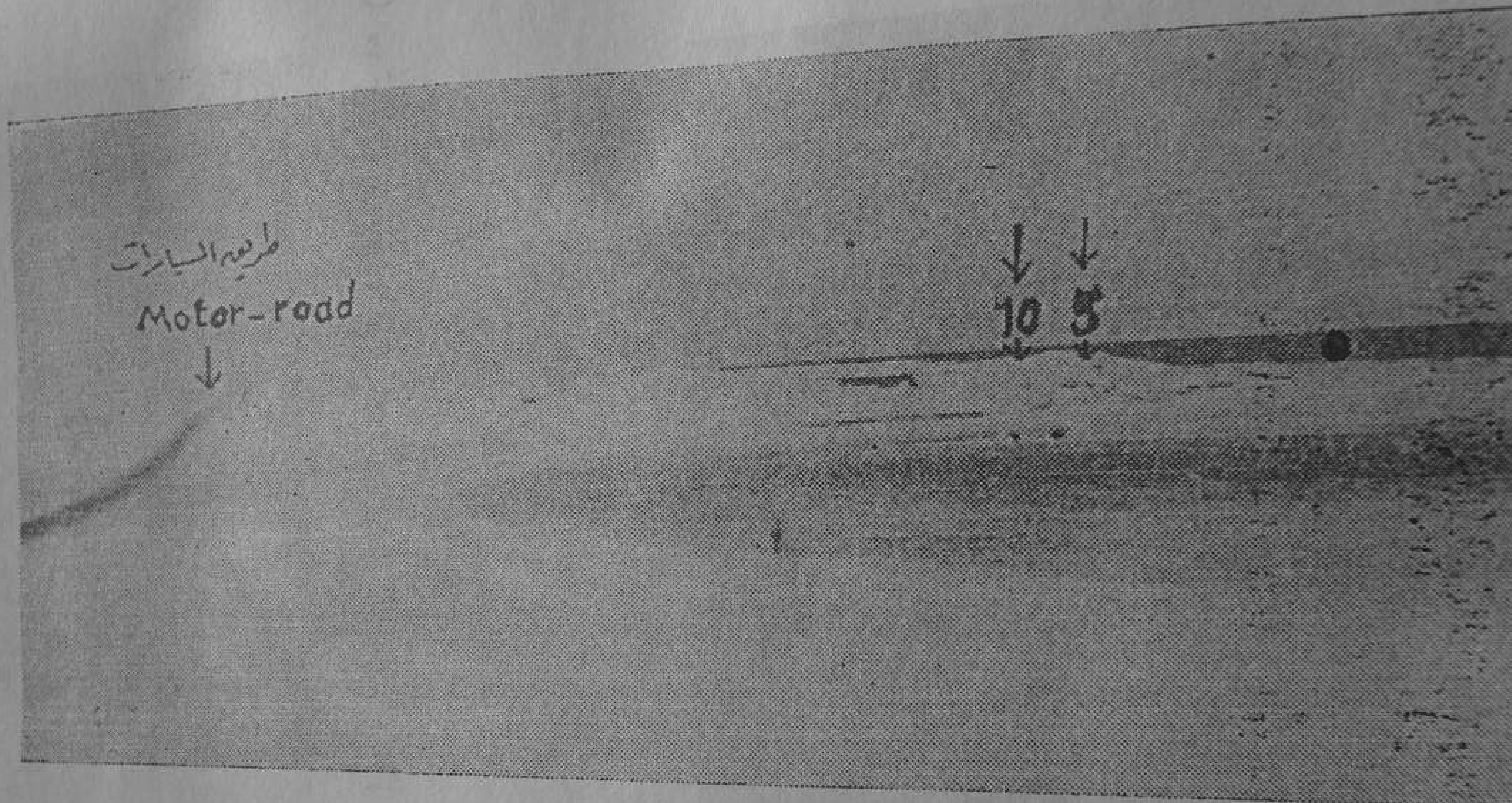
شكل (١٠) : استراكا من الفخار ارتفاعها ١٢ سم عليها كتابة
ديموطيقية وجدت فى المبنى الأوسط بالمحطة الرومانية (تراجع ص ١٤) .



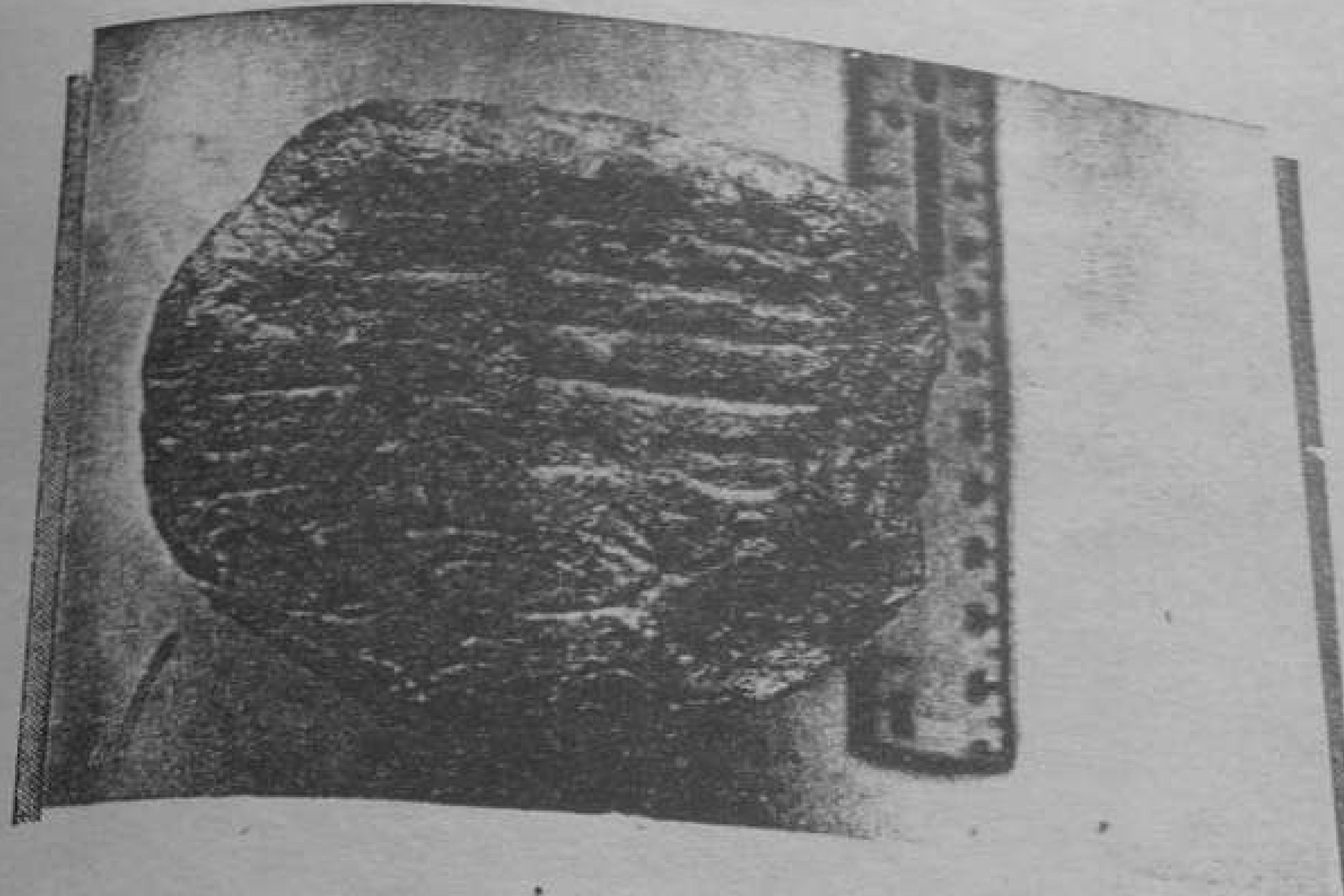
شكل (١١) : مسرجة من الفخار يبلغ قطرها ١٠ سم
وجدت فى المبنى الشرقى بالمحطة الرومانية .



شكل (١٢) : بقايا جرة من الفخار كانت مملوءة
بالرماد وجدت مثبتة فى الأرض فى ملاصقة الجدار الغربى
للمبنى الشرقى (تراجع ص ١٢) وشكل ٧) .



شكل (١٣) : منظر عام لخليج وادى جواسيس تظهر فيه الهضبة الواقعة إلى الشمال منه . وقد حددت فوقها المواقع التى وجدت بها الآثار برقمى ٥ ، ١٠ (تقارن الخريطة رقم ٣) .



شكل (١٤) أول نقش هيروغليفي تعثر عليه البعثة في الميناء (تراجع ص ١٧) .



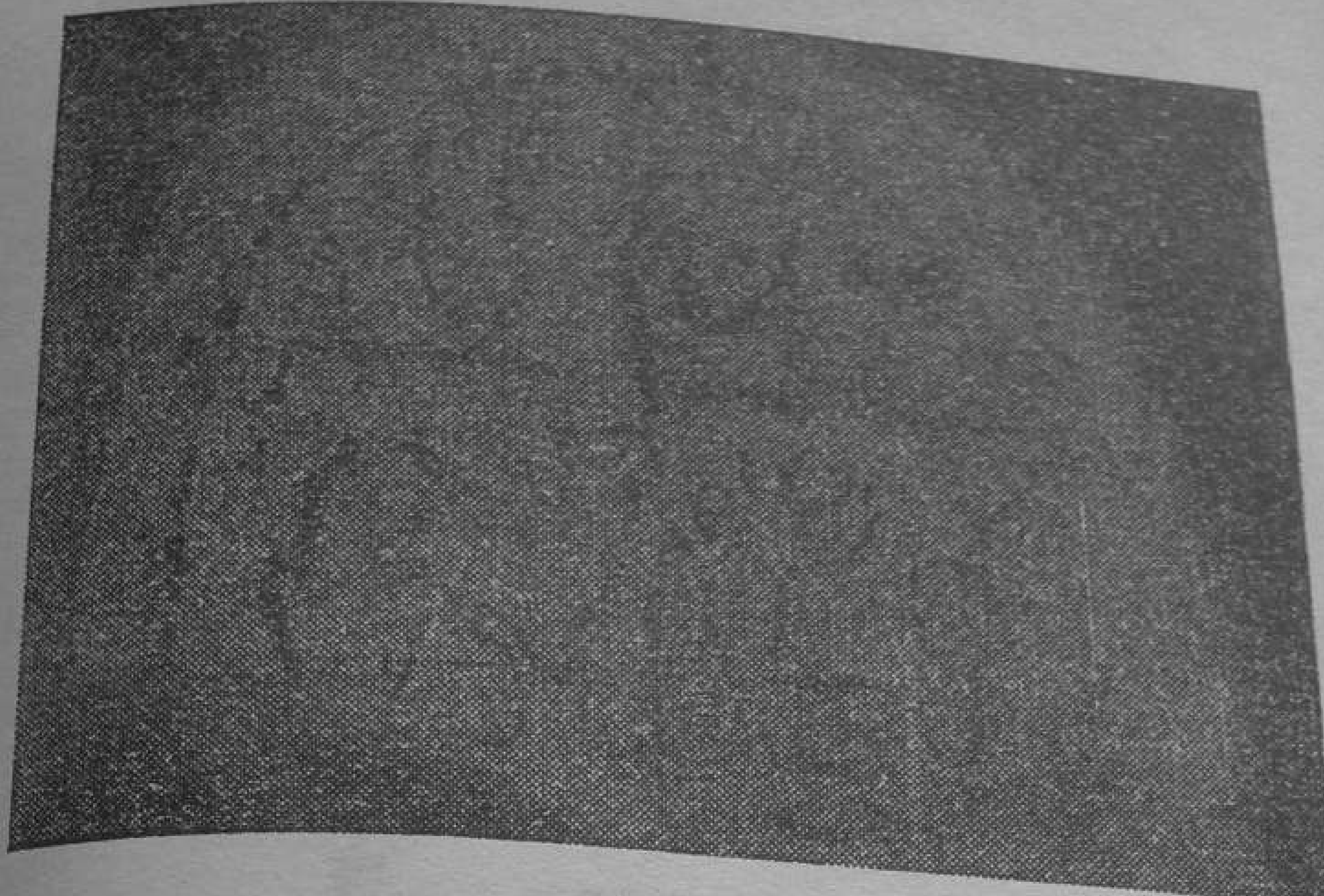
شكل (١٥) : شطفة حجرية وجدت في الميناء عليها بقايا خرطوشي الفرعون سنوسرت الأول (تراجع ص ١٨) .



شكل (١٦) : مجموعة اللوحات الصغيرة التى وجدت فى الميناء (تراجع ص ١٨) .



شكل (١٧) : احدى اللوحات الصغيرة يظهر بها التآكل الشديد ولم يبق منها الا رسم شخص واقفاً يتعبد (تراجع ص ١٨) .



شكل (١٨) : أصغر لوحة وجدت فى الميناء إذ لا يزيد عرضها على ٨ سم . وقد ضاع جزؤها السفلى . ويظهر فى الجزء العلوى المنظر المألوف فى هذه اللوحات التذكارية وهو شكل صاحب اللوحة فى وضع التعبد ، ربما شكراً للآلهة على العودة السالمة من الرحلة الخطرة فى البحر الأحمر .



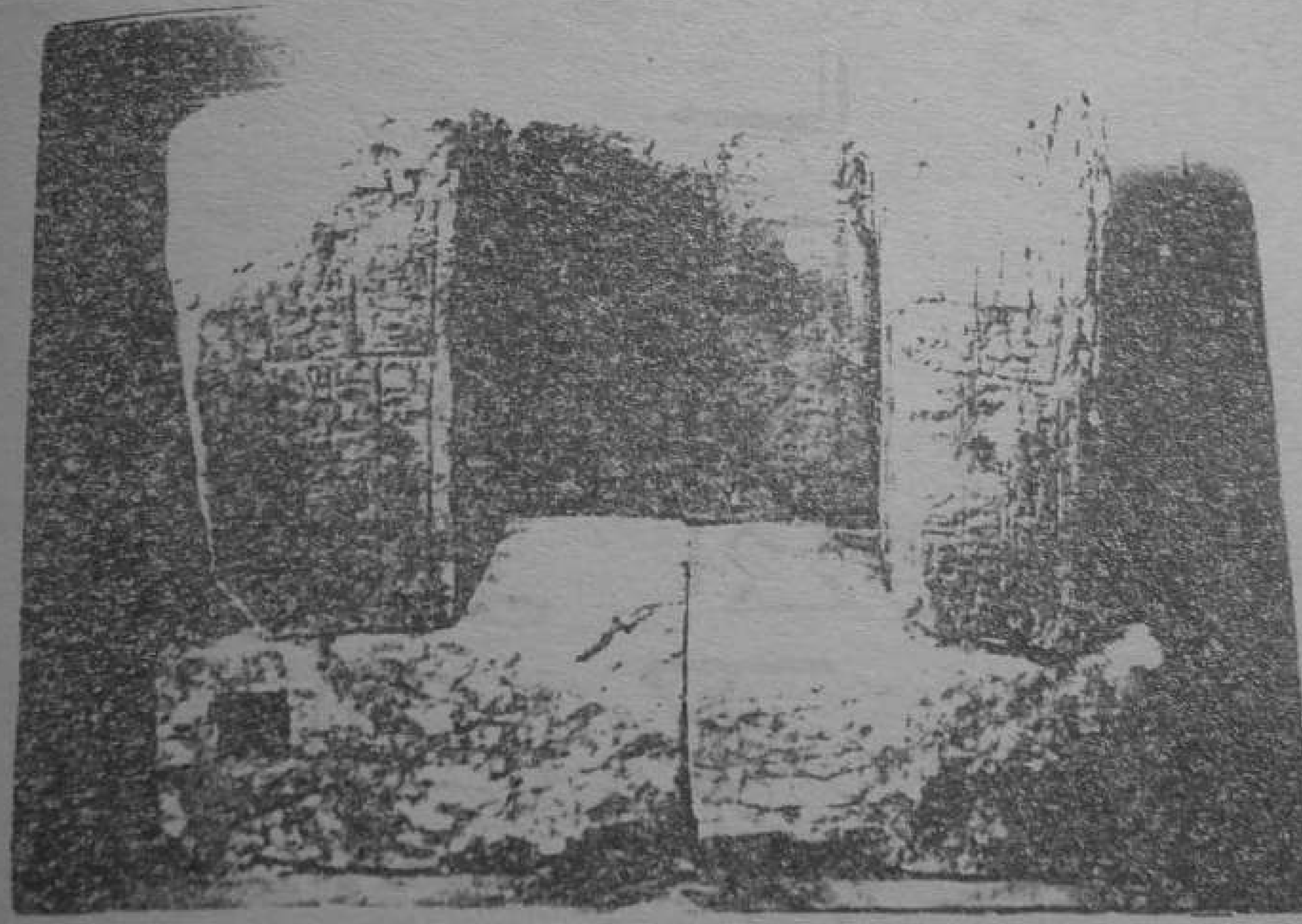
شكل (١٩أ) : لوحة إى - مرو وقد تآكلت نقوشها ولم تبق بها الا نقوش الجزء الأسفل ومن بينها نص هيروغليفى فى سطرين رأسيين .



شكل (١٩ ب) : تفصيل النص الهيروغليفى على لوحة إى - مرو تظهر فيه بوضوح عبارة بيا - ان - بو ن(ت)»(تراجع د ١٩، ص ٥٩) .



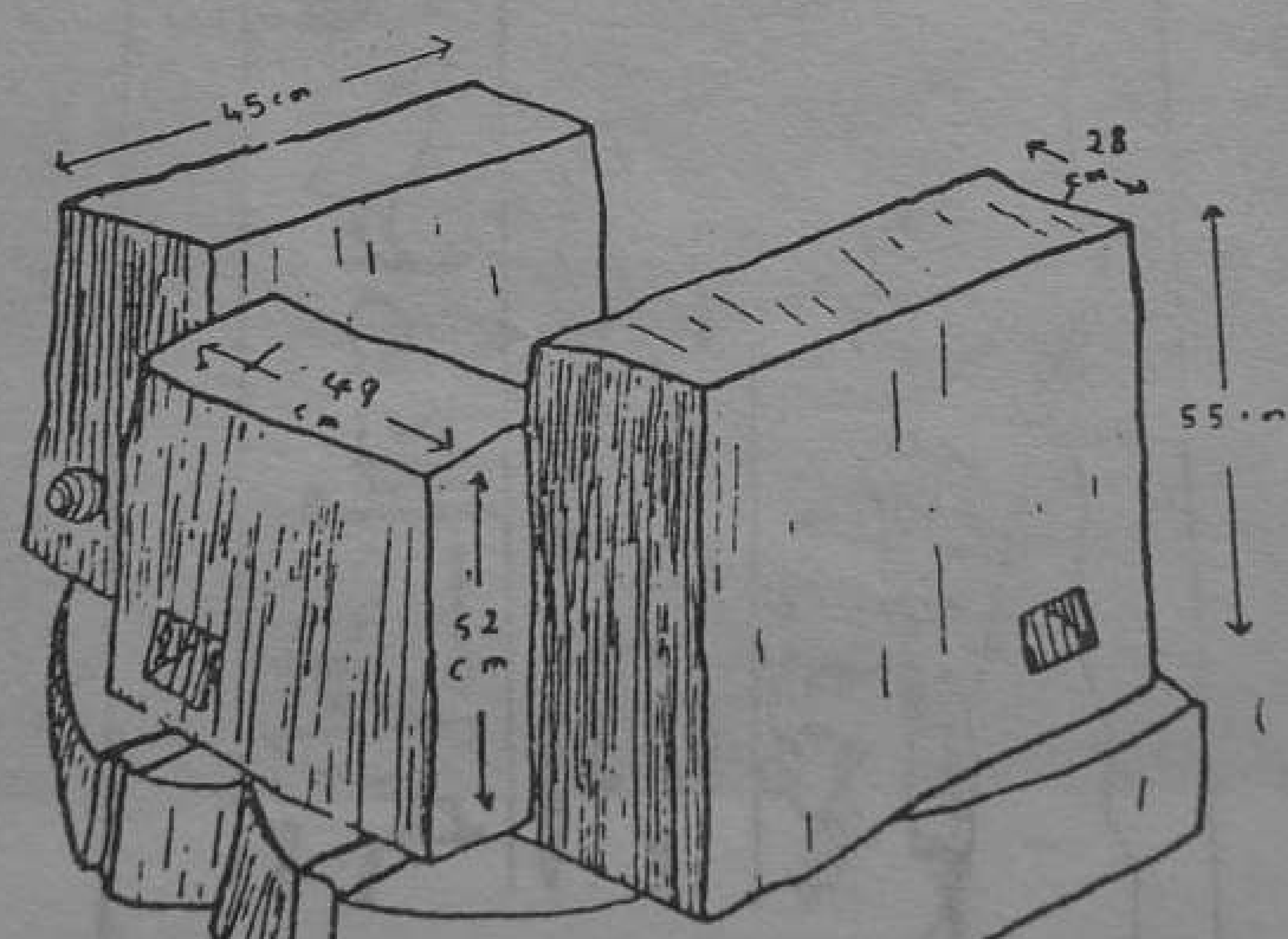
شكل (٢٠) : مقصورة عنخو عقب الكشف عنها مباشرة (تراجع ص ٢٠)



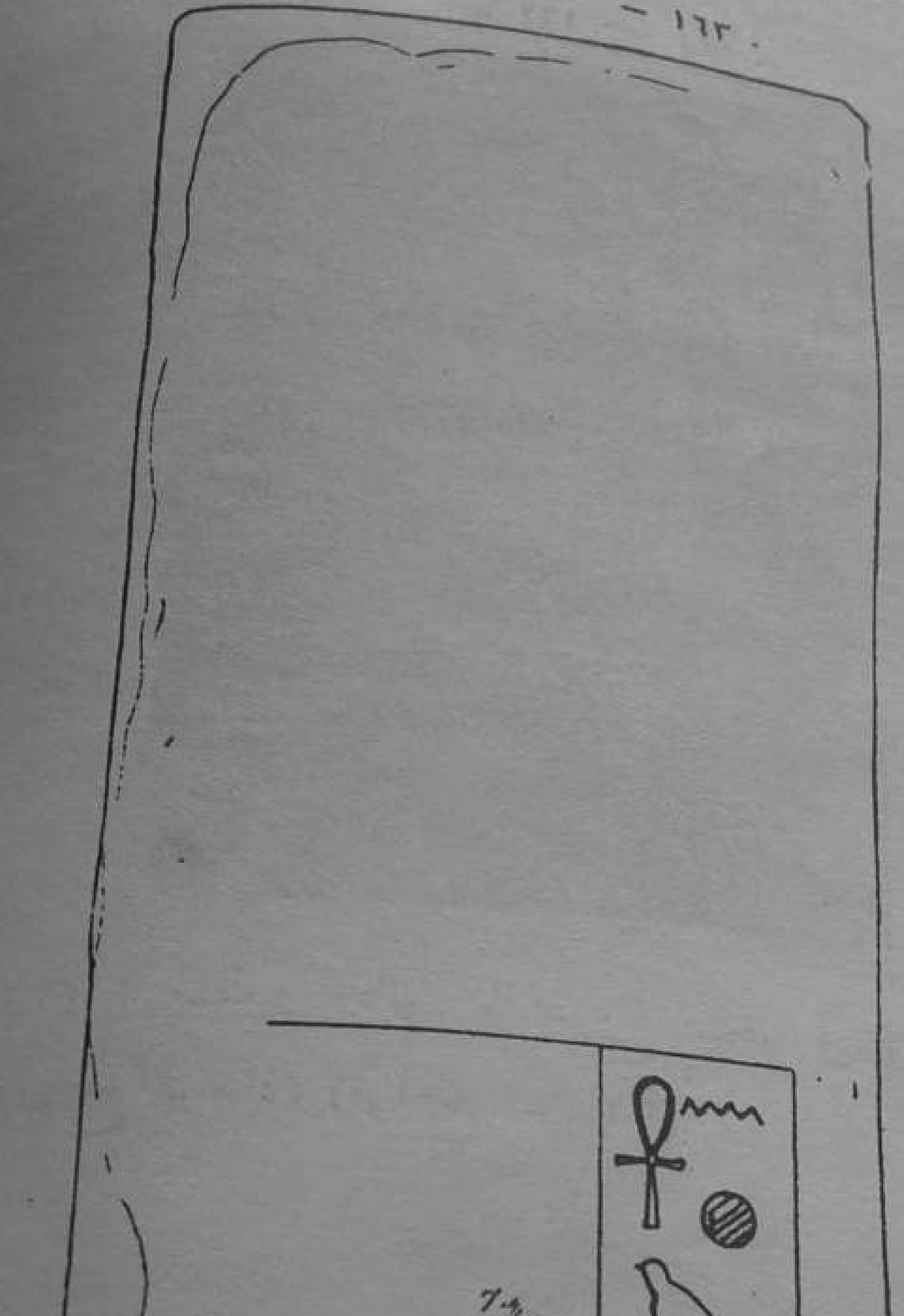
شكل (٢١) مقصورة عنخو كما تبدو الآن في متحف الكلية بعد ترميمها



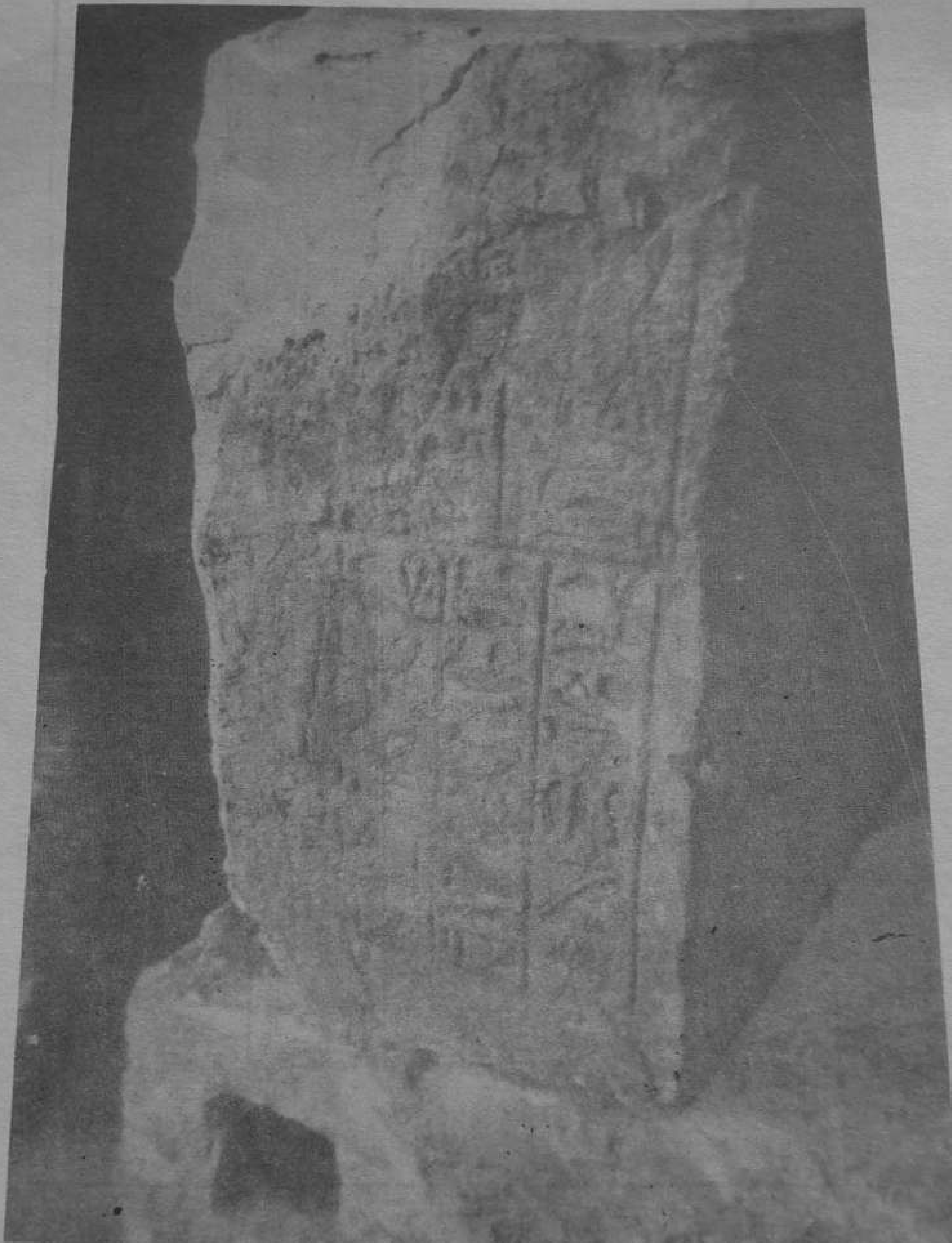
شكل (٢٢) : منظور جانبي لمقصورة عنخو في الموقع تلاحظ فيها
ثقوب المراسى (جمع مرساة) (تراجع ص ٣٢) .



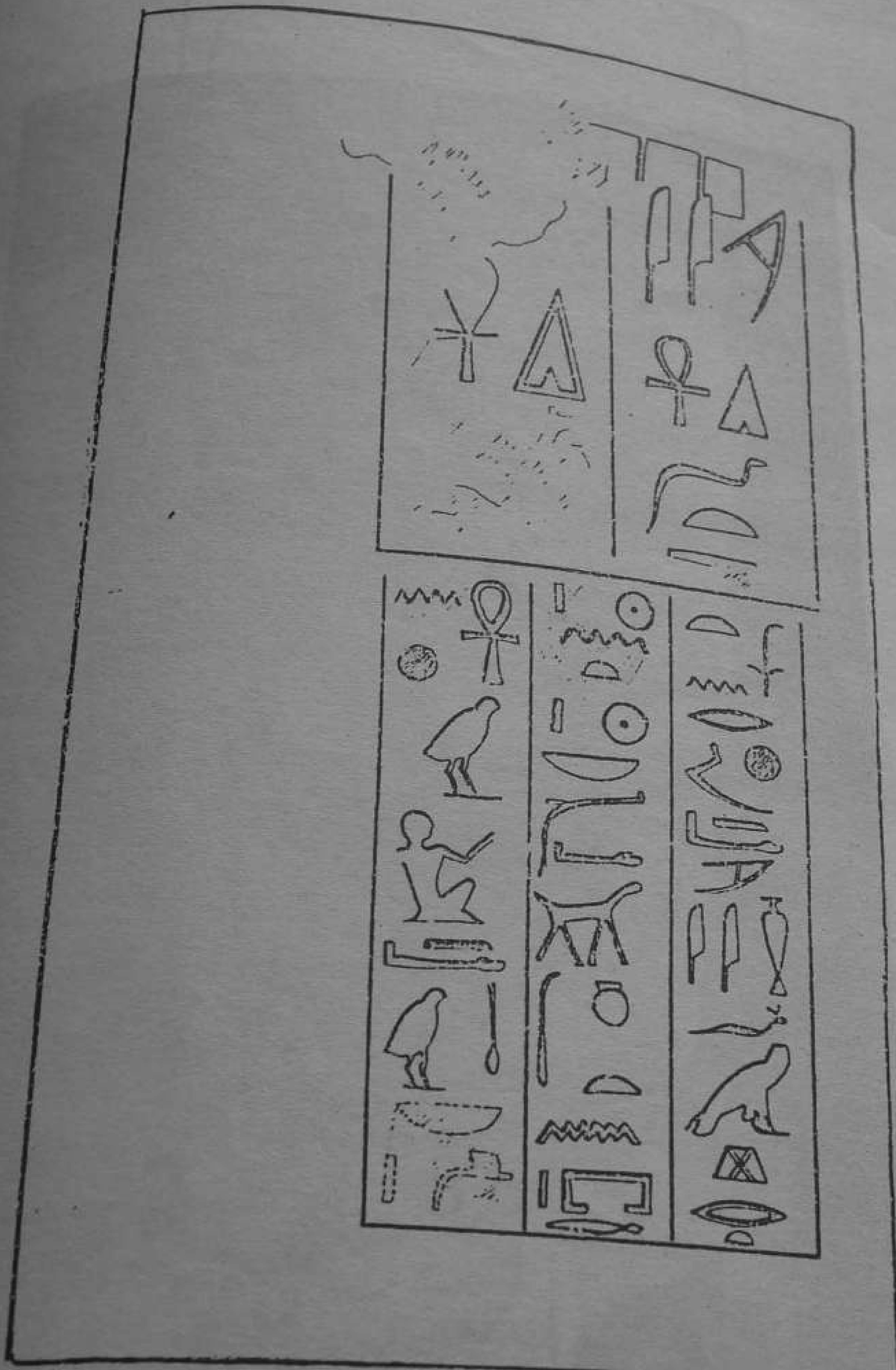
شكل (٢٣) : منظور خلفي لمقصورة عنخو تبدو فيه المرساتان العلويتان
من المراسى الأربع التي تكون قاعدة المقصورة



شكل (٢٤) رسم بالخط لواجهة المصراع الشرقى لمقصورة عنخ
والنقوش الهيروغليفية التى تبقت عليها (تراجع ترجمة النص الهيروغليفى
ص ٢٢) .



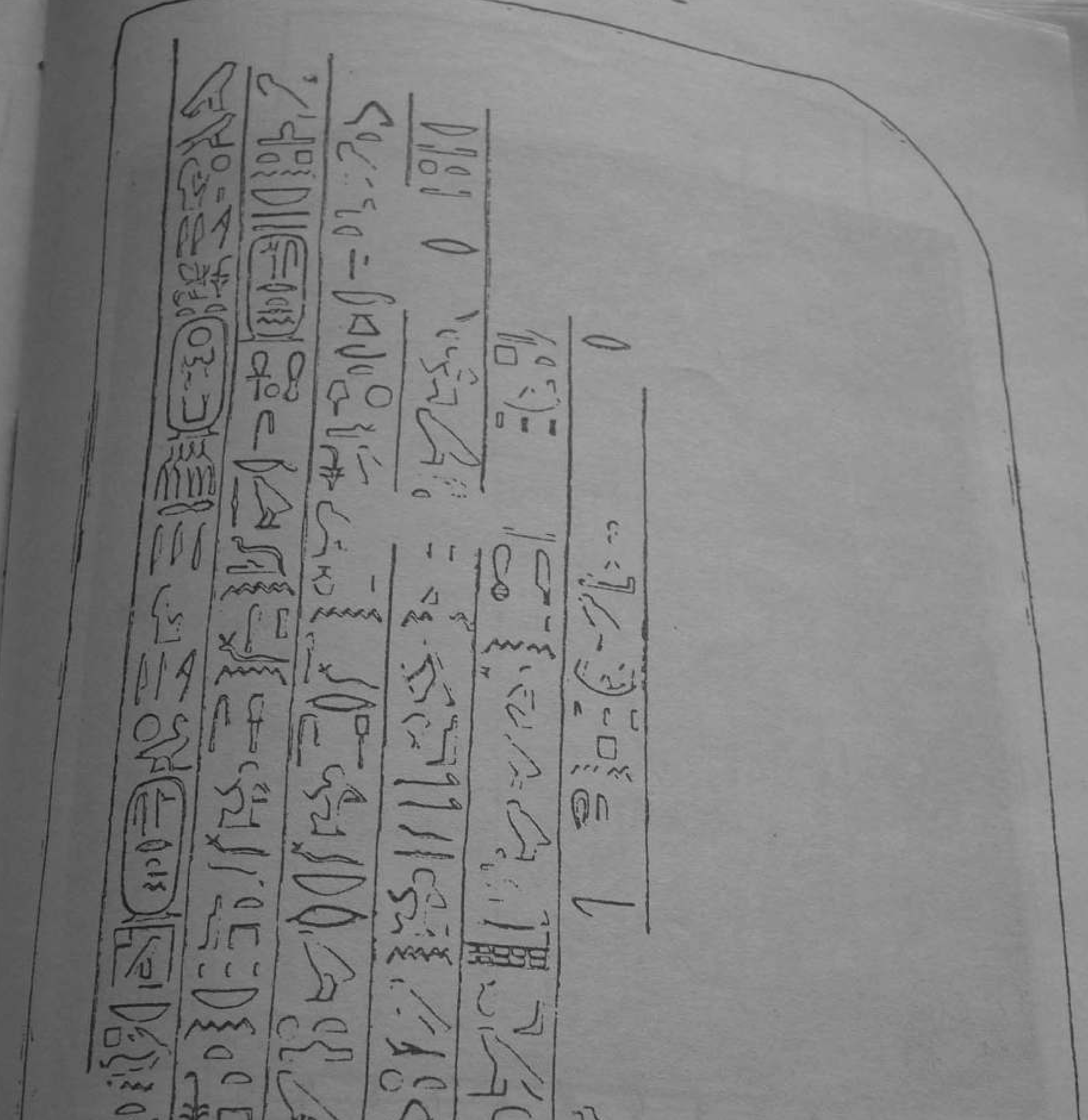
شكل (٢٥أ) : واجهة المصراع الغربى لمقصورة عنخو (يقارن الشكل التالى)



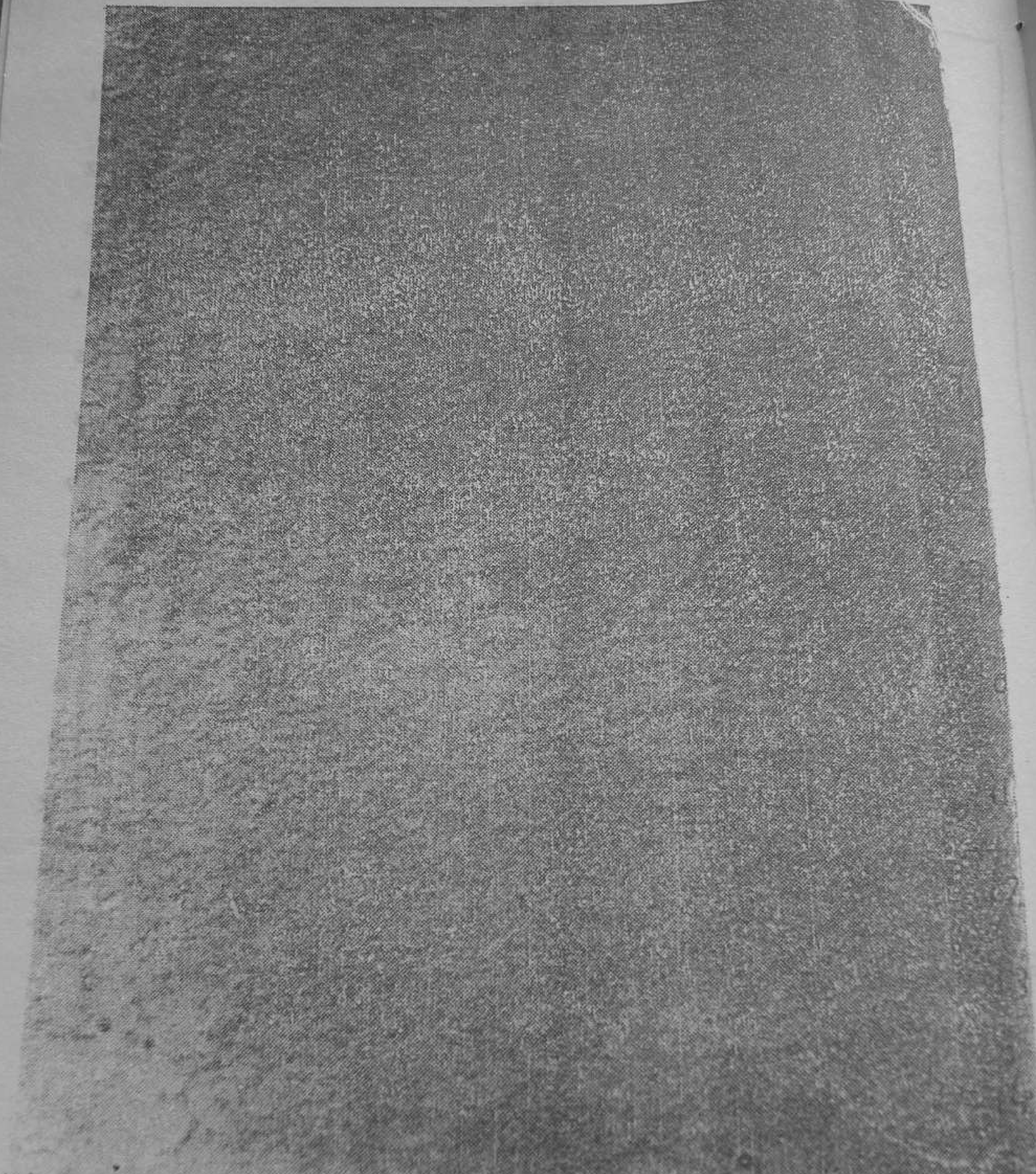
شكل (٢٥ ب) : رسم بالخط لواجهة المصراع الغربى تظهر فيه النقوش الهيروغليفية أكمل من نقوش واجهة المصراع الشرقى (تراجع ترجمة النص ص ٢١)



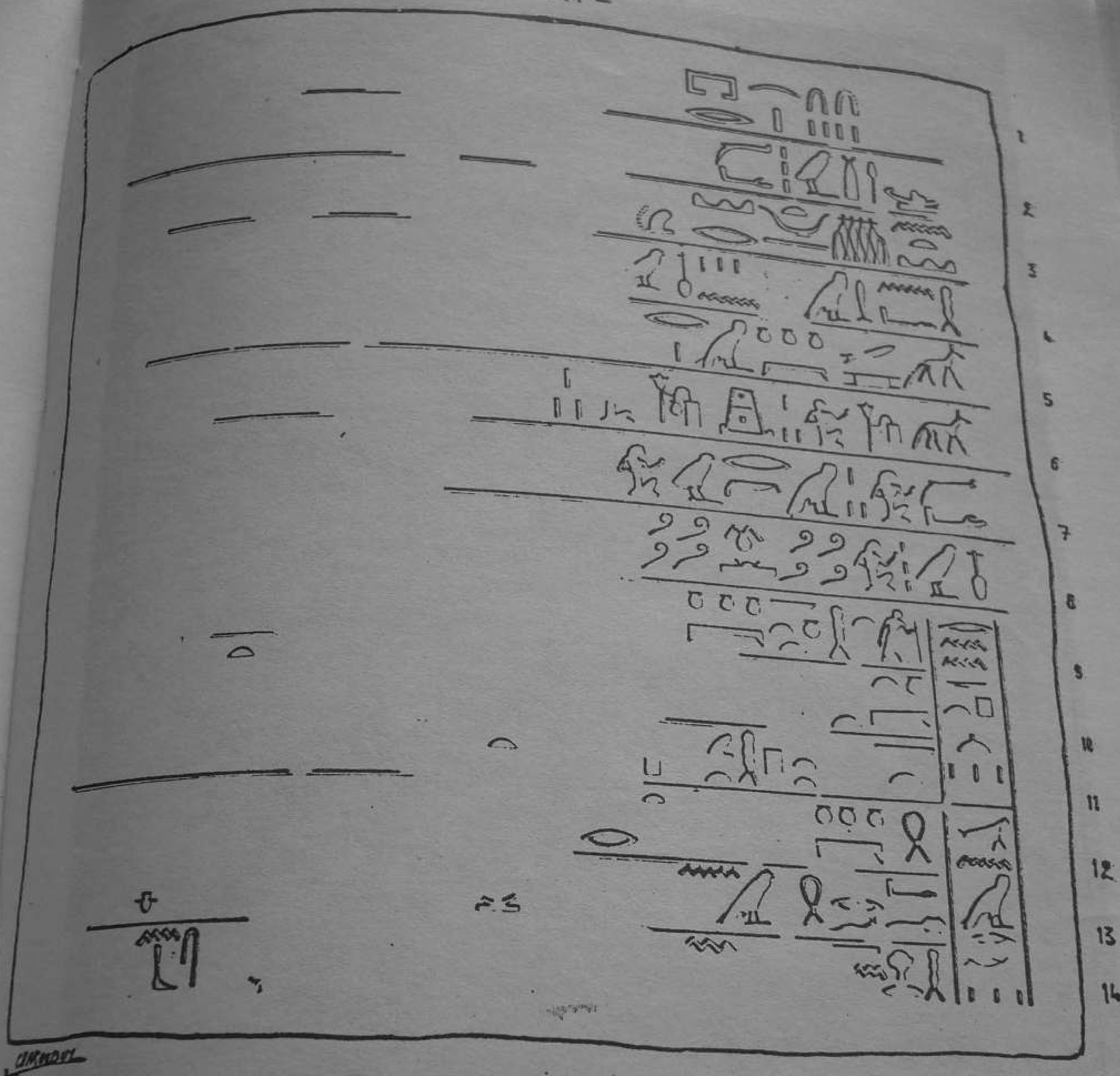
شكل (٢٦ أ) : النقوش الداخلية على المصراع الشرقى لمقصورة عنخو
(قارن الشكل التالى) .



شكل (٢٦ب) : رسم بالخط للنقوش الداخلية التى تبقت على المصراع الشرقى لمقصورة عنخو (تراجع ترجمة النص ص ٢٤) .



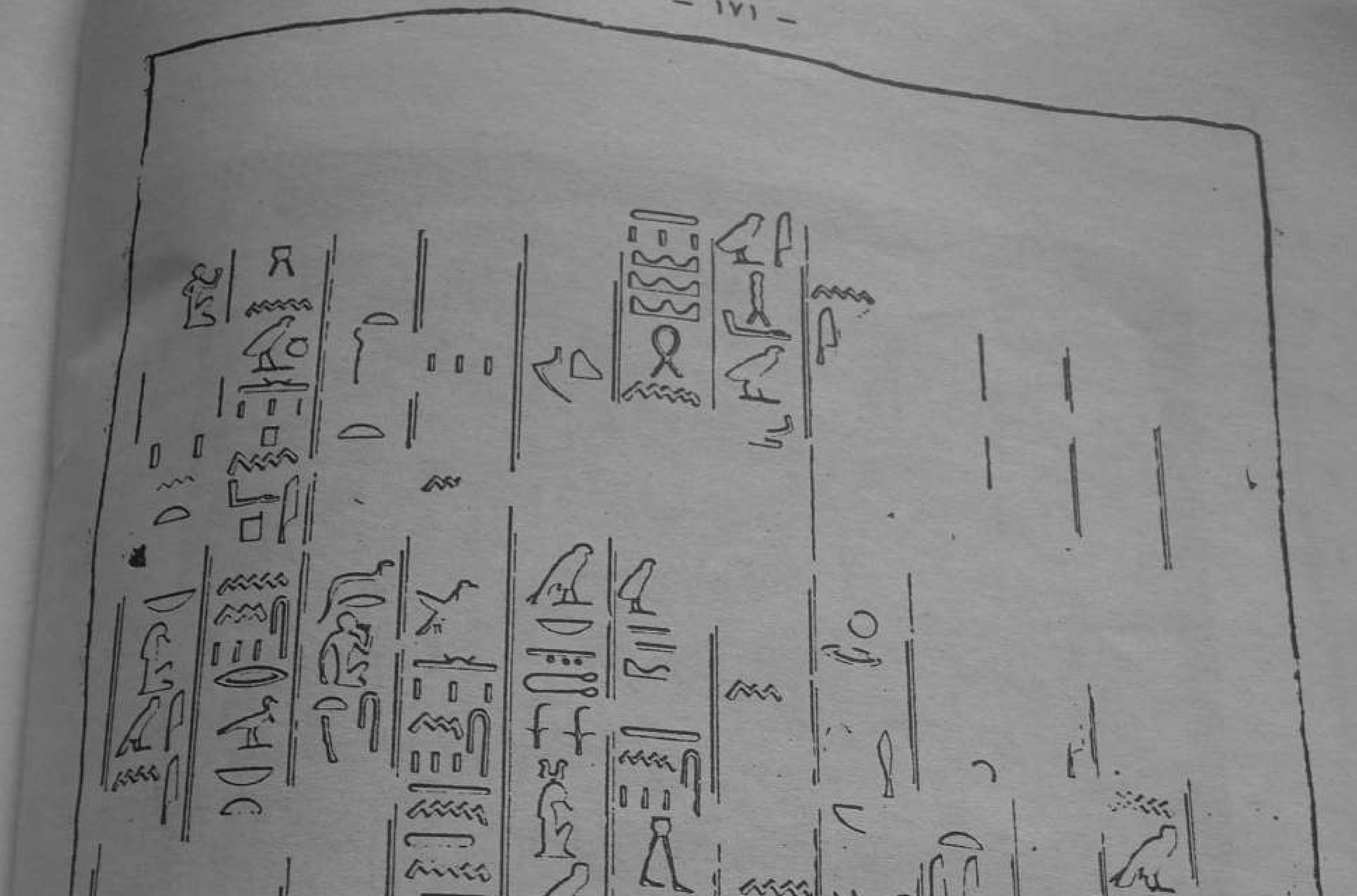
شكل (١٢٧) : نقوش الكتلة الخلفية لمقصورة عنخو ويلاحظ أنها أكثر النقوش تآكلا (يقارن الشكل التالى)



شكل (٢٧ ب) : رسم بالخط للنقوش التى تبقت على الكتلة الخلفية لمقصورة عنخو (تراجع ترجمة النص ص٢٦) .



شكل (٢٨ ا) : النقوش الداخلية على المصراع الغربى لمقصورة عنخو (يقارن الشكل التالى) .



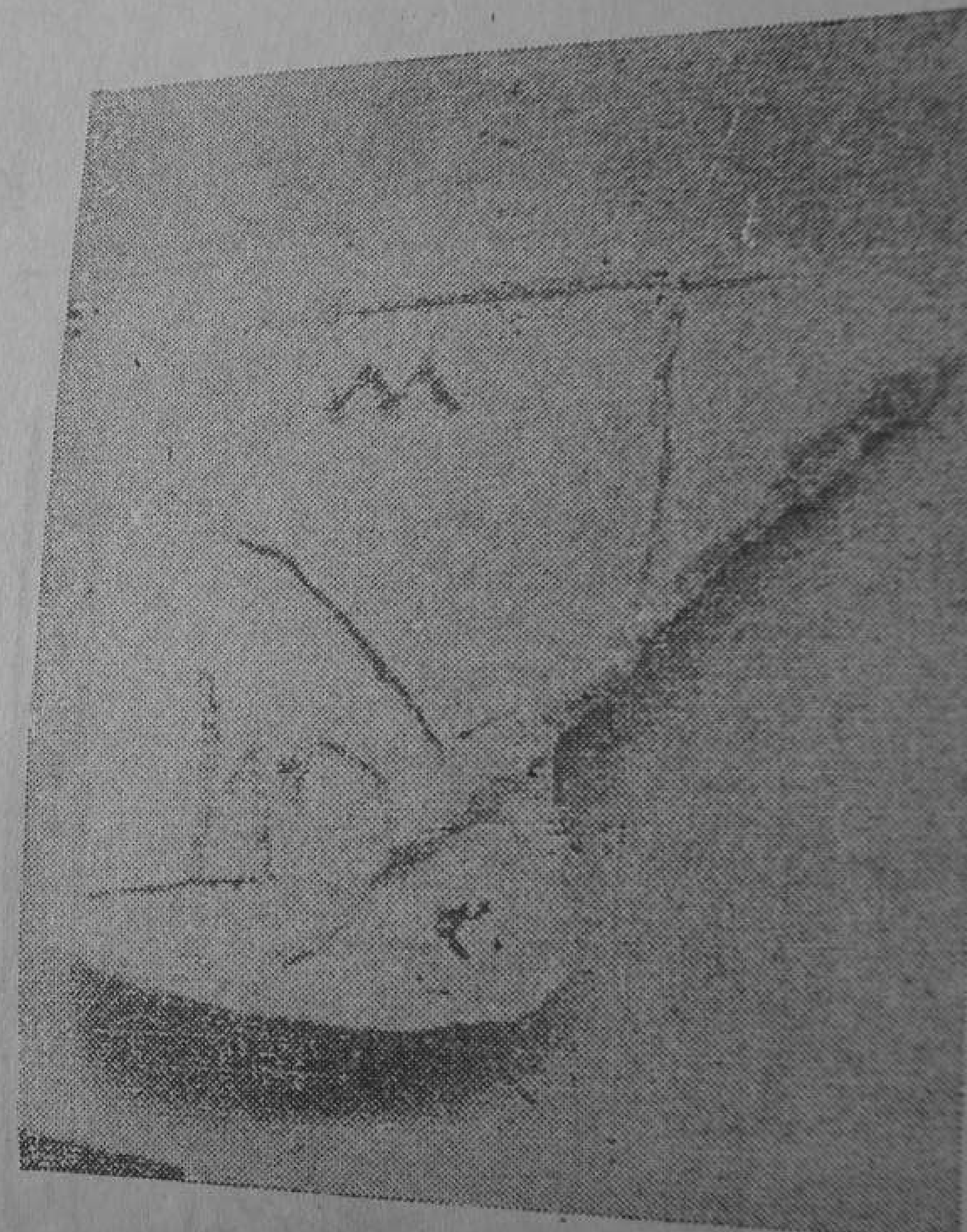
شكل (٢٨ ب) : رسم بالخط للنقوش الداخلية التى تبقت على المصراع الغربى لمقصورة عنخو (تراجع ترجمة النص ص ٢٩) .



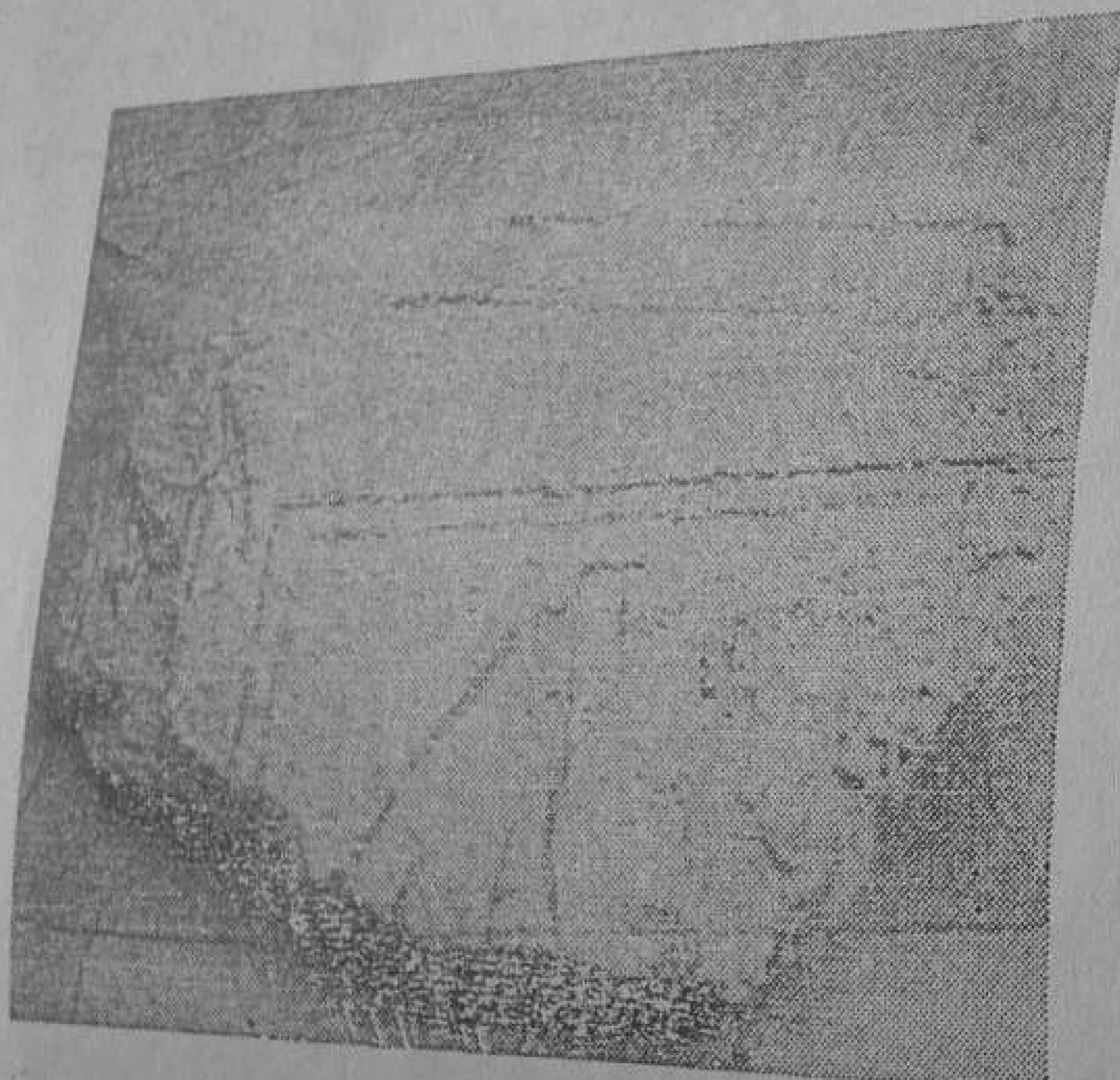
شكل (٢٩) : كسرة الحجر التى وجدت أعلى مقصورة عنخو وقد حفرت عليها كلمة .بونت (تراجع ص ٢٠) .



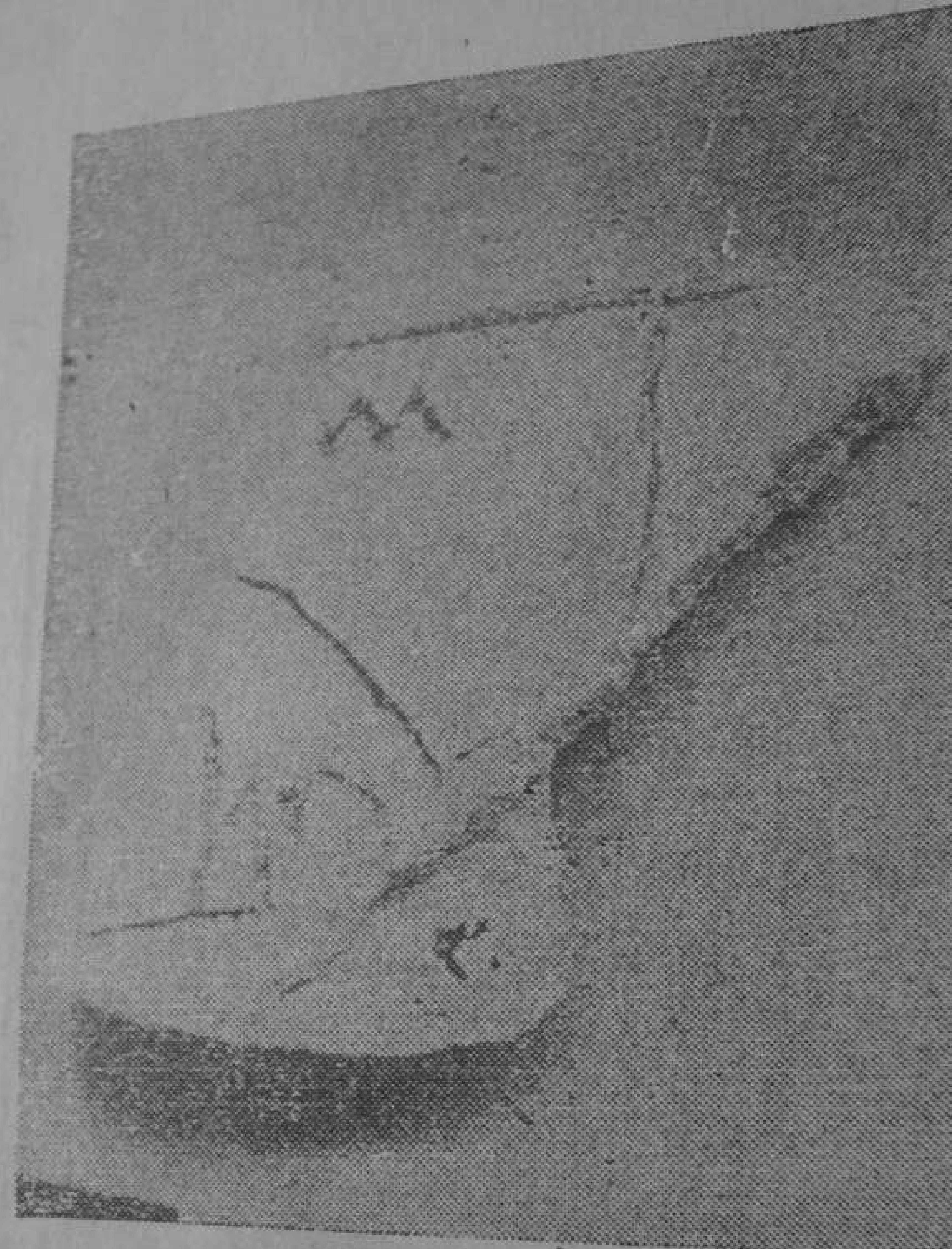
شكل (٣٠) : احدى كسر الحجر التى وجدت فى رديم مقصورة عنخو وقد حفر عليها رسم ذراع الاله مين (تراجع ص ٣٣) .



شكل (٣١) : كسرة أخرى من الحجر وجدت فى ردیم مقصورة عنخو وقد حفر عليها شكل الاله حورس (تراجع ص ٣٣) .



شكل (٣٢) : كسرة ثالثة من الحجر عليها رسم نسر وعلامة «واس»



شكل (٣١) : كسرة أخرى من الحجر وجدت فى ردیم مقصورة عنخو وقد حفر عليها شكل الاله حورس (تراجع ص ٣٣) .



شكل (٣٢) : كسرة ثالثة من الحجر عليها رسم نسر وعلامة «واس»



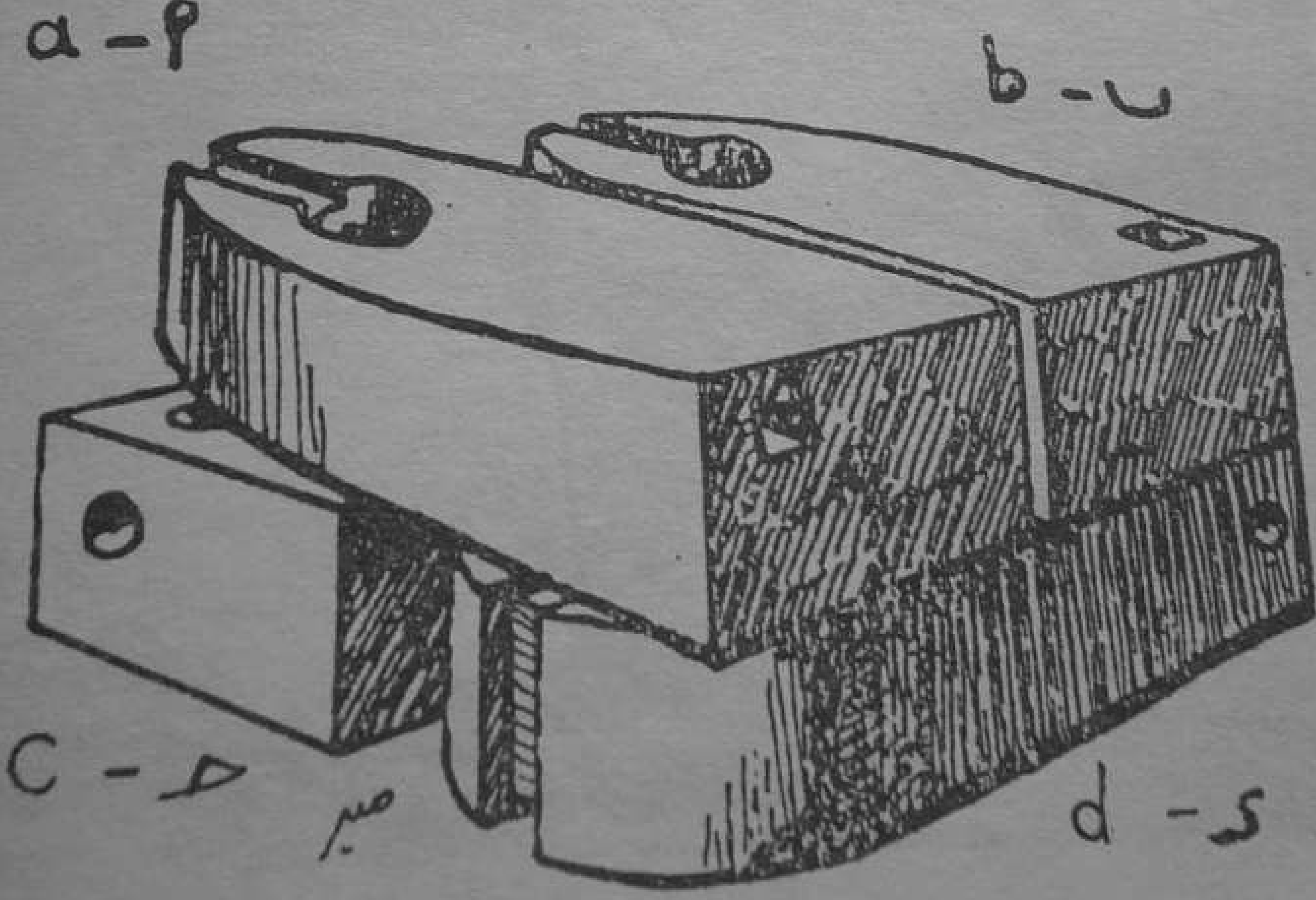
شكل (٣٣) : قاعدة مقصورة عنخو فى الموقع بعد فك المقصورة وتظهر فيها المرساتان الدلوبتان (تراجع ص ٣١) .



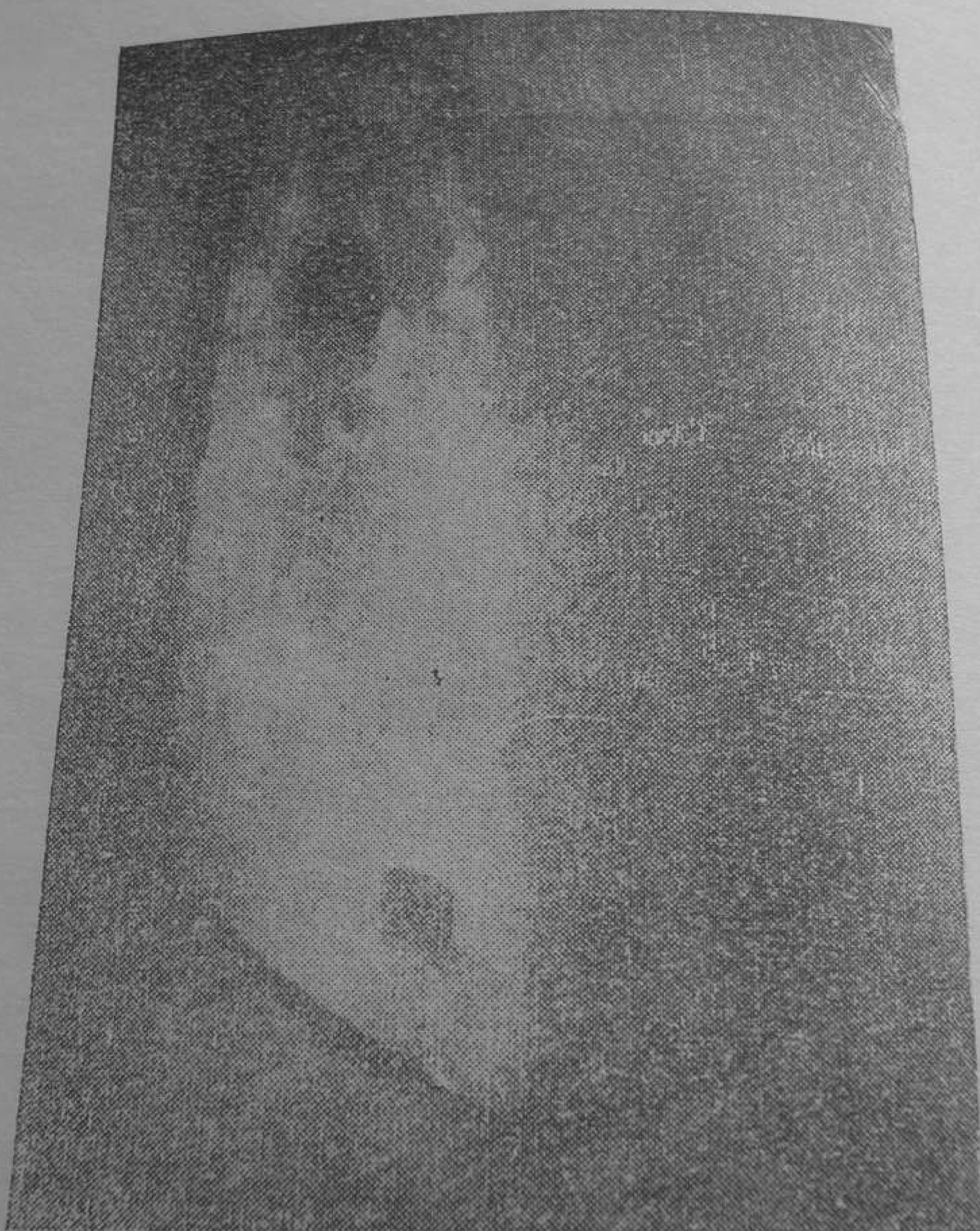
شكل (٣٤) : قاعدة مقصورة عنخو بعد ترميمها ونقلها إلى متحف الكلية وتظهر فيها ثقوب المرساتين (تراجع ص ٣٢) .



شكل (٣٥) المراسى الأربعة (بعد فك احداها) التى تكون قاعدة مقصورة عنخو فى وضعها الأصلى (تراجع ص ٣٢) .



شكل (٣٦) : رسم بالخط لنفس المراسى يوضح أشكال ثقوبها (تراجع ص ٦٧) .

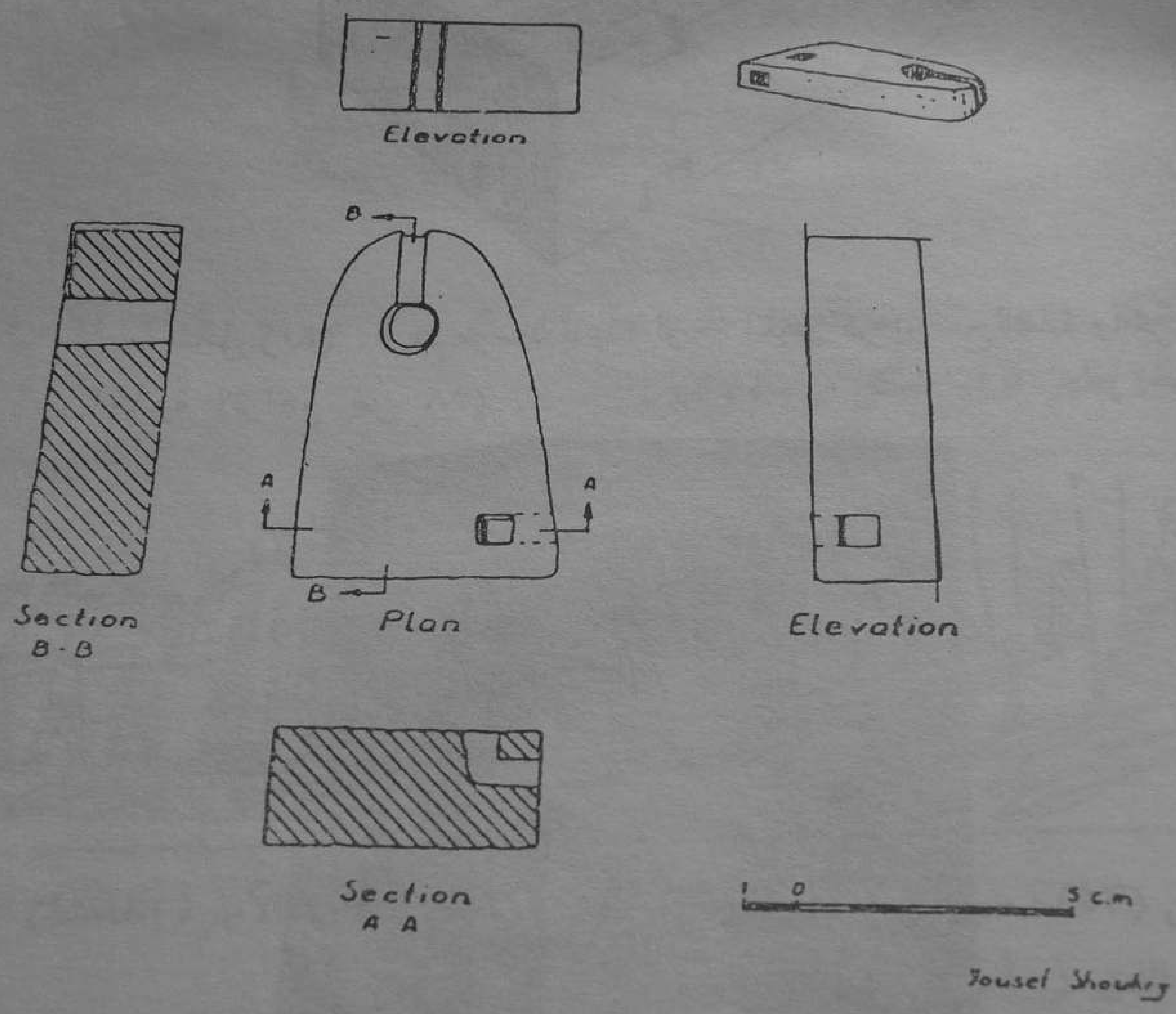


شكل (٣٧) : مرساة (هـ.ب) ذات ثقب سفلى مربع ، من الصف
وى لقاعدة مقصورة عنخو (تراجع ص ٦٧) .

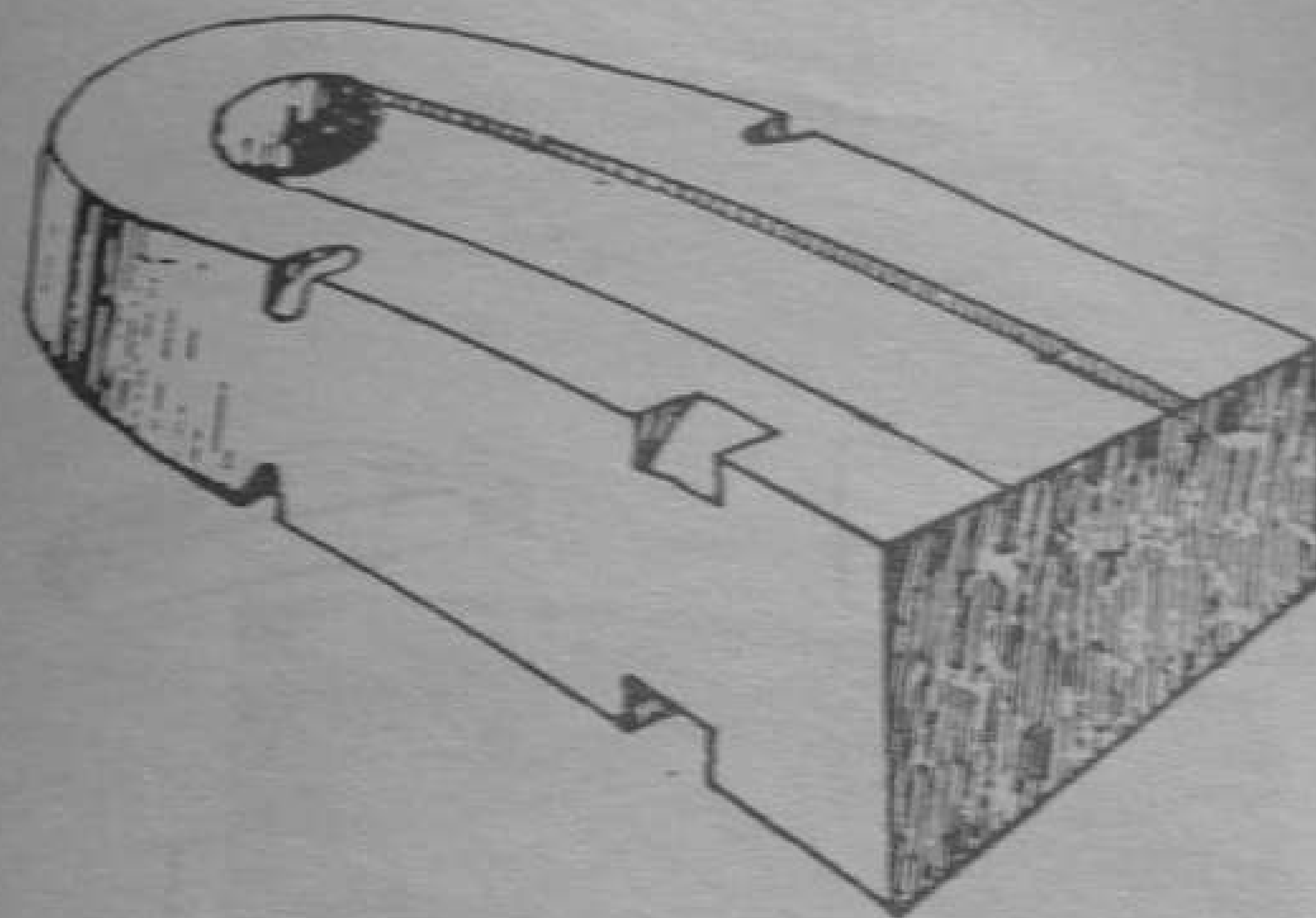


ش ٢٨

شكل (٣٨) : مرساة ذات ثقب سفلى مستدير . من الصف الأسفل
لقاعدة مقصورة عنخو (تراجع ص ٦٧) .



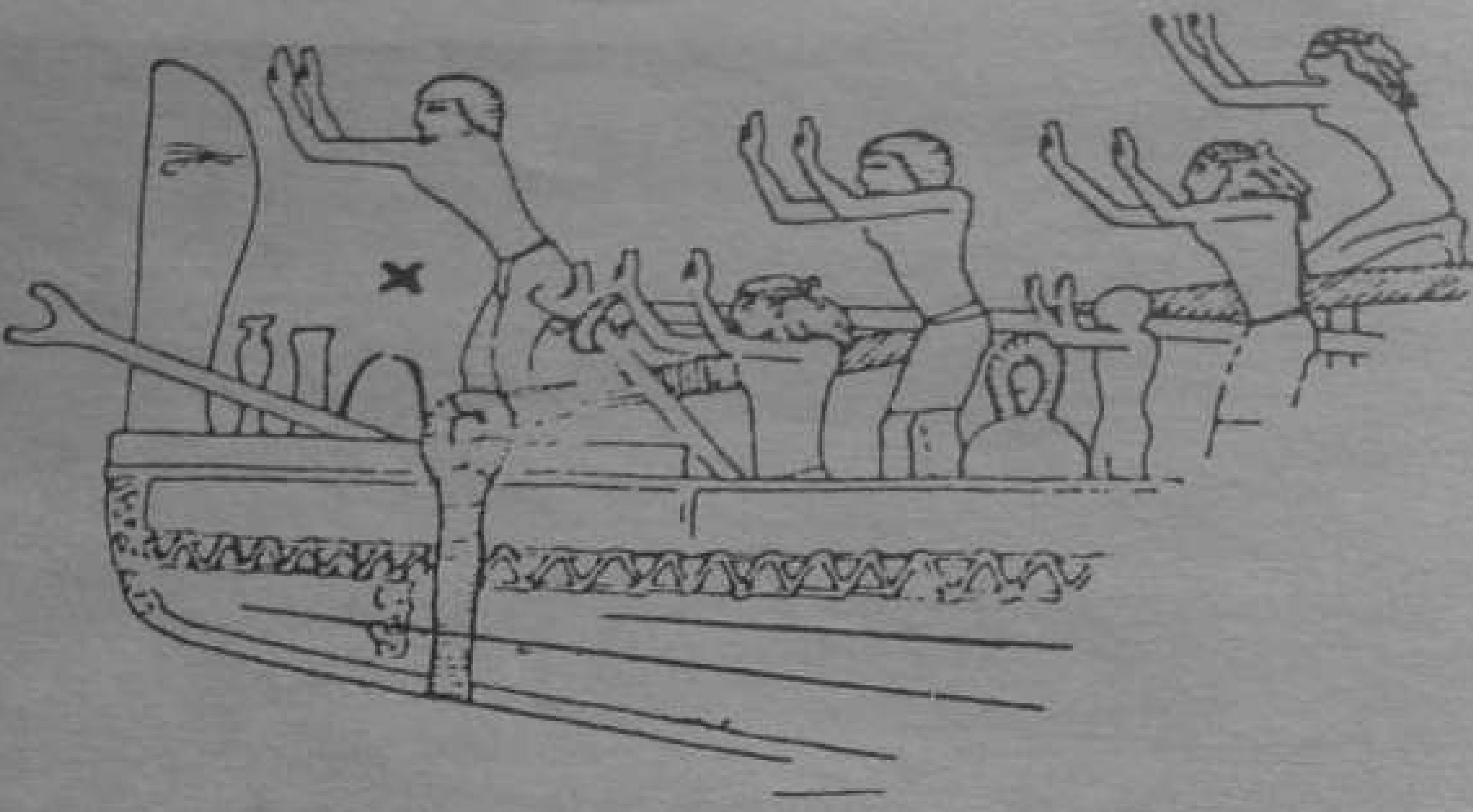
شكل (٣٩) رسوم لقطاعات مختلفة فى احدى مراسى قاعدة مقصورة عنخو (ذات الثقب المربع) (تراجع ص ٣٢ ، ص ٦٧) .



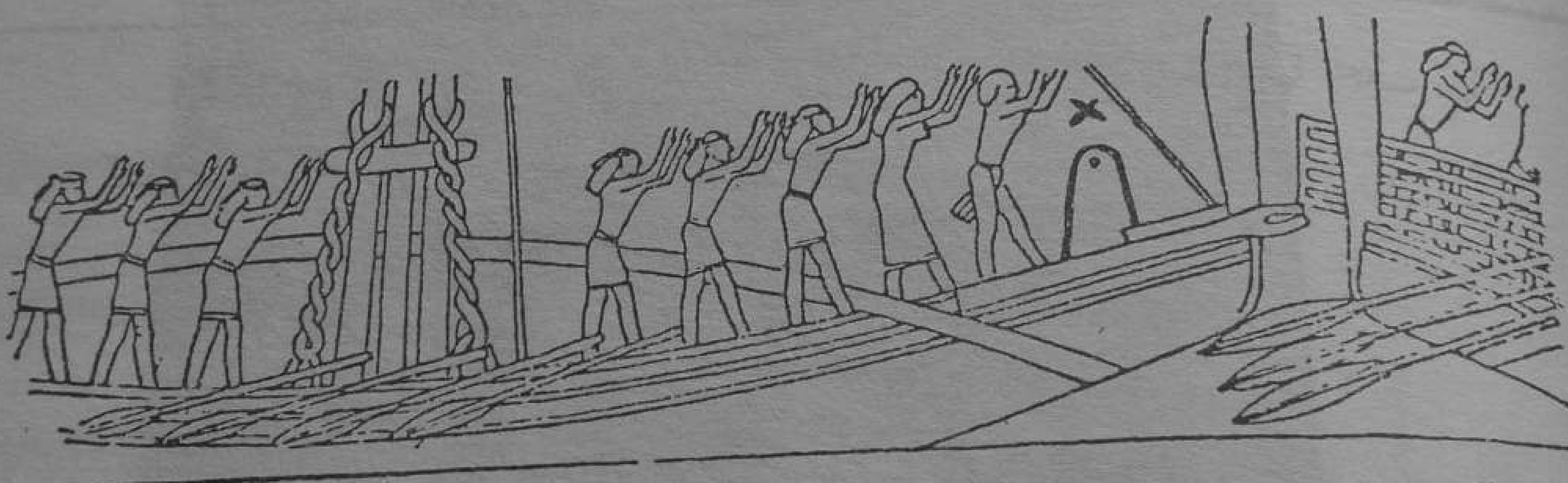
شكل (٤٠) : رسم لمرساة قاعدة لوحة انتيفوكر يوضح القناة والحزوز الجانبية (تراجع ص ٣٨) .



شكل (٤١) : صورة لنفس المرساة من الجانب توضح عمق الحزوز
اجع ص ٦٧) .



شكل (٤٢) : رسم لمقدمة سفينة على آثار الفرعون سحورع (أوائل الأسرة الخامسة) يظهر فوقها شكل مرساة (×)



شكل (٤٣) رسم مشابه على آثار الفرعون أوناس (آخر الأسرة الخامسة) يظهر به الثقب الذى فى أعلى المرساة (تراجع ص ٦٩) .



شكل(٤٤) : لوحة الوزير انتيفوكر على أثر الكشف عنها تحف بها كتلتان من الحجر (تراجع ص ٣٤) .

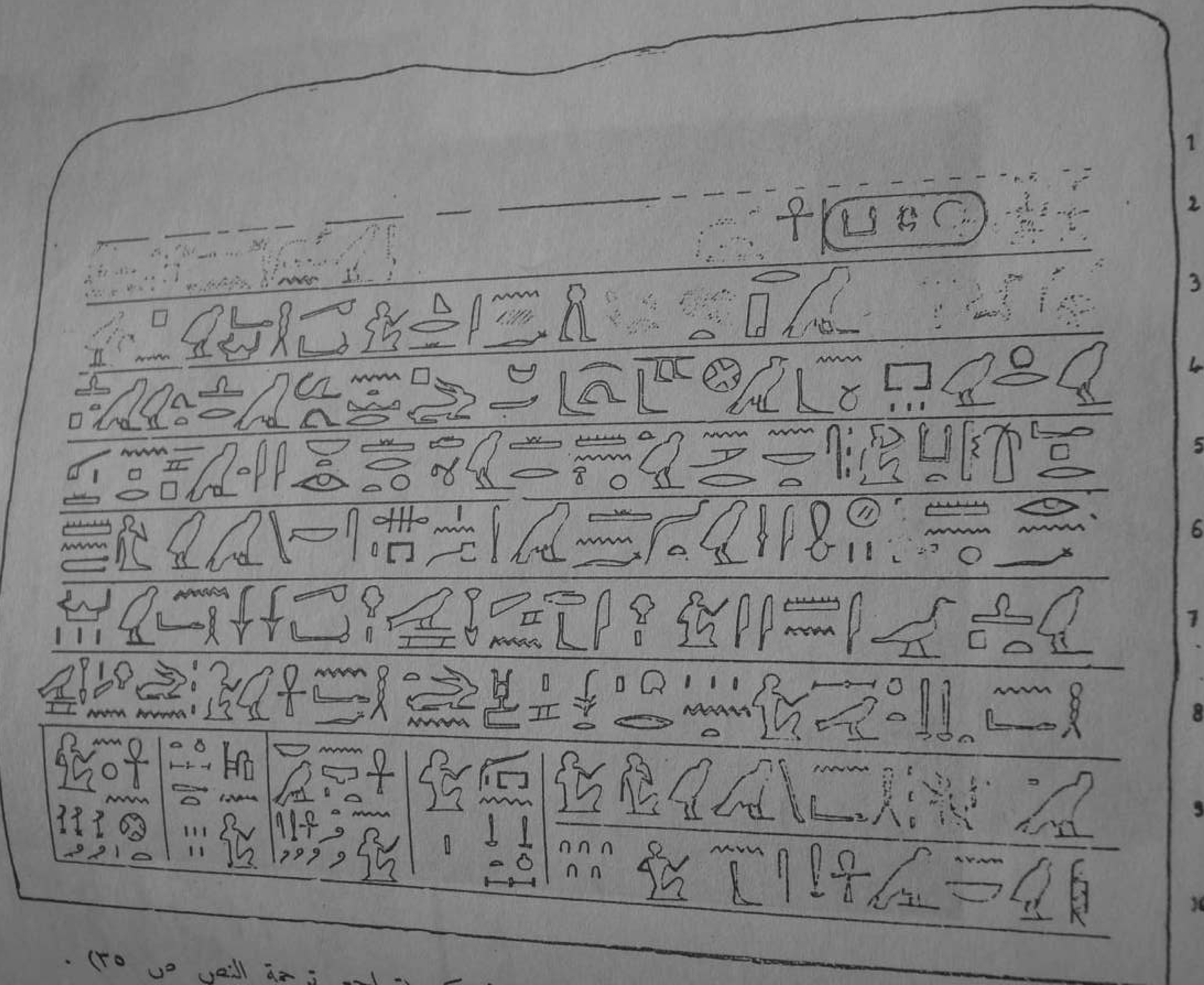


شكل (٤٥) : منظور جانبي لنفس اللوحة تظهر فيه قاعدتها واحدى الكتل الجانبية .

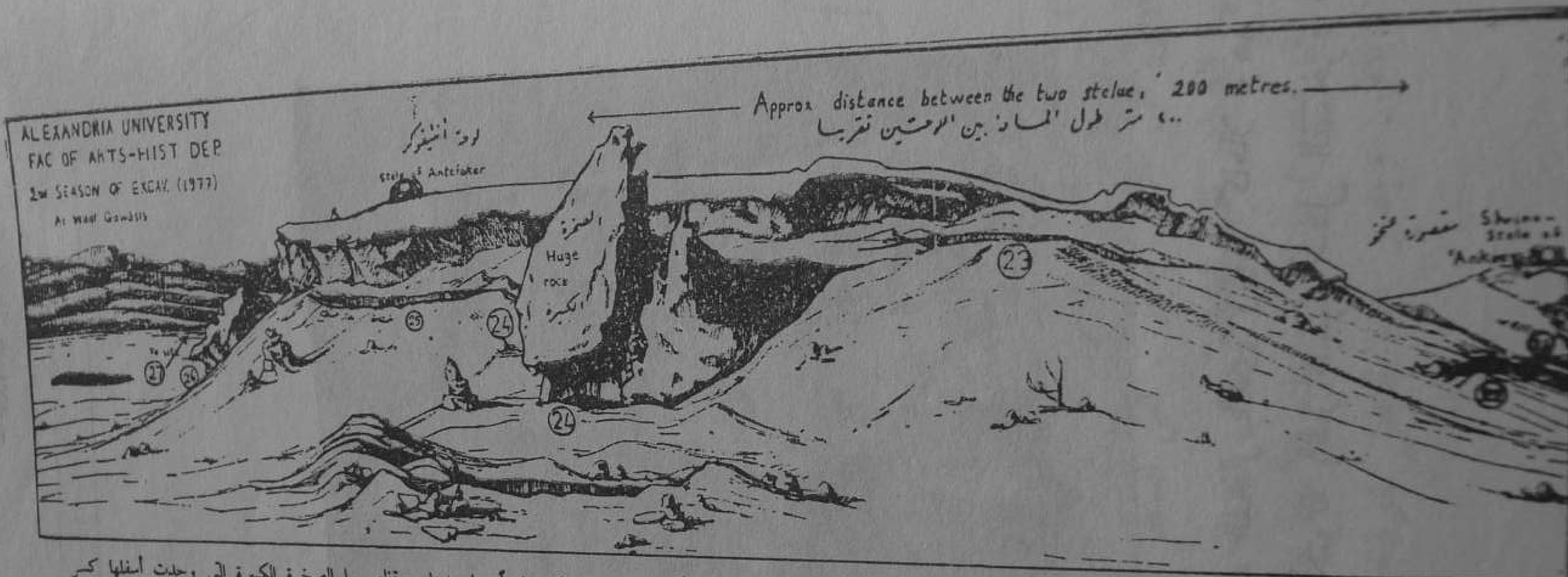




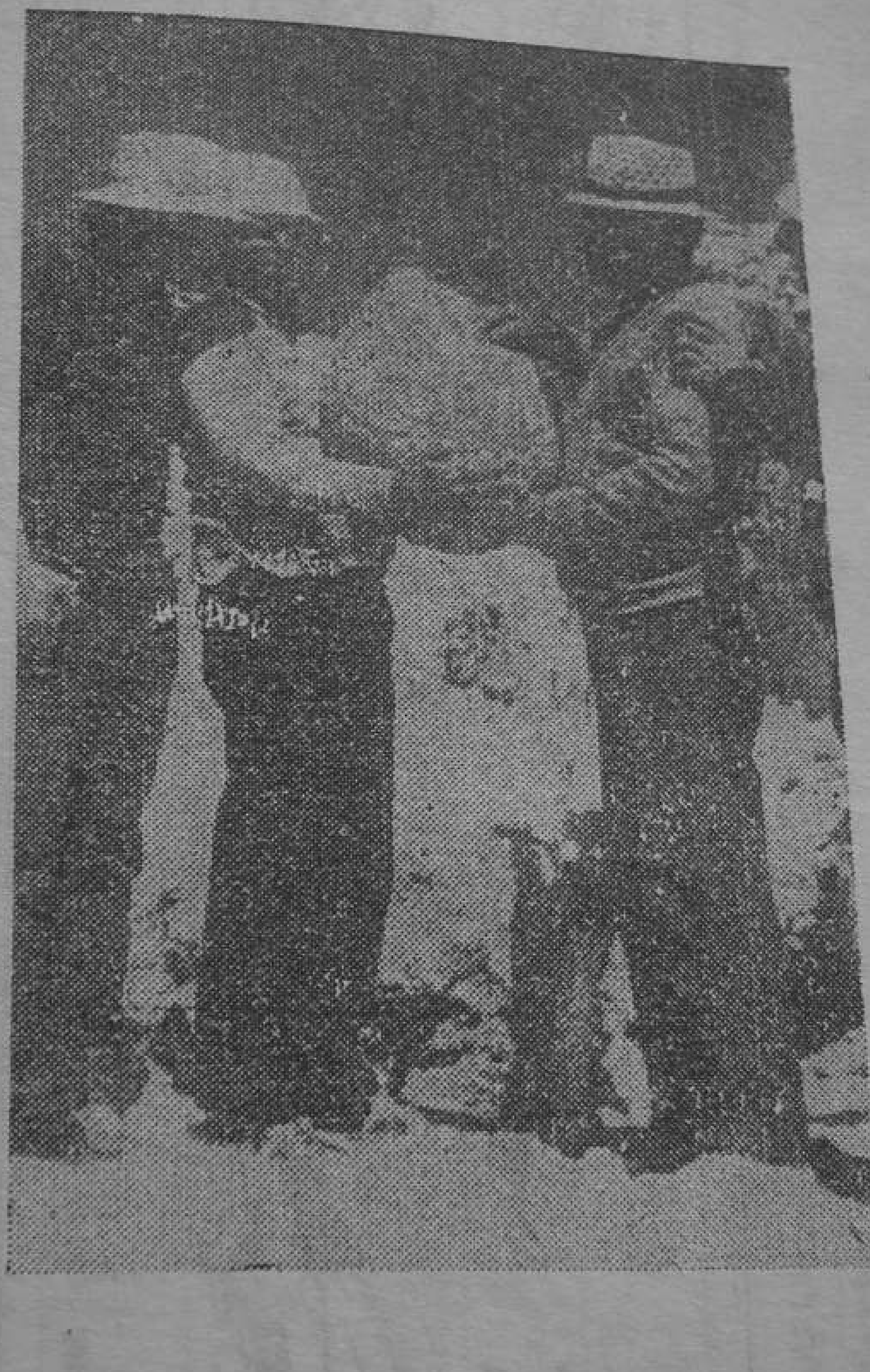
شكل (٤٦ أ) : نقوش لوحة الوزير انتيفوكر (يقارن الشكل التالى) ،



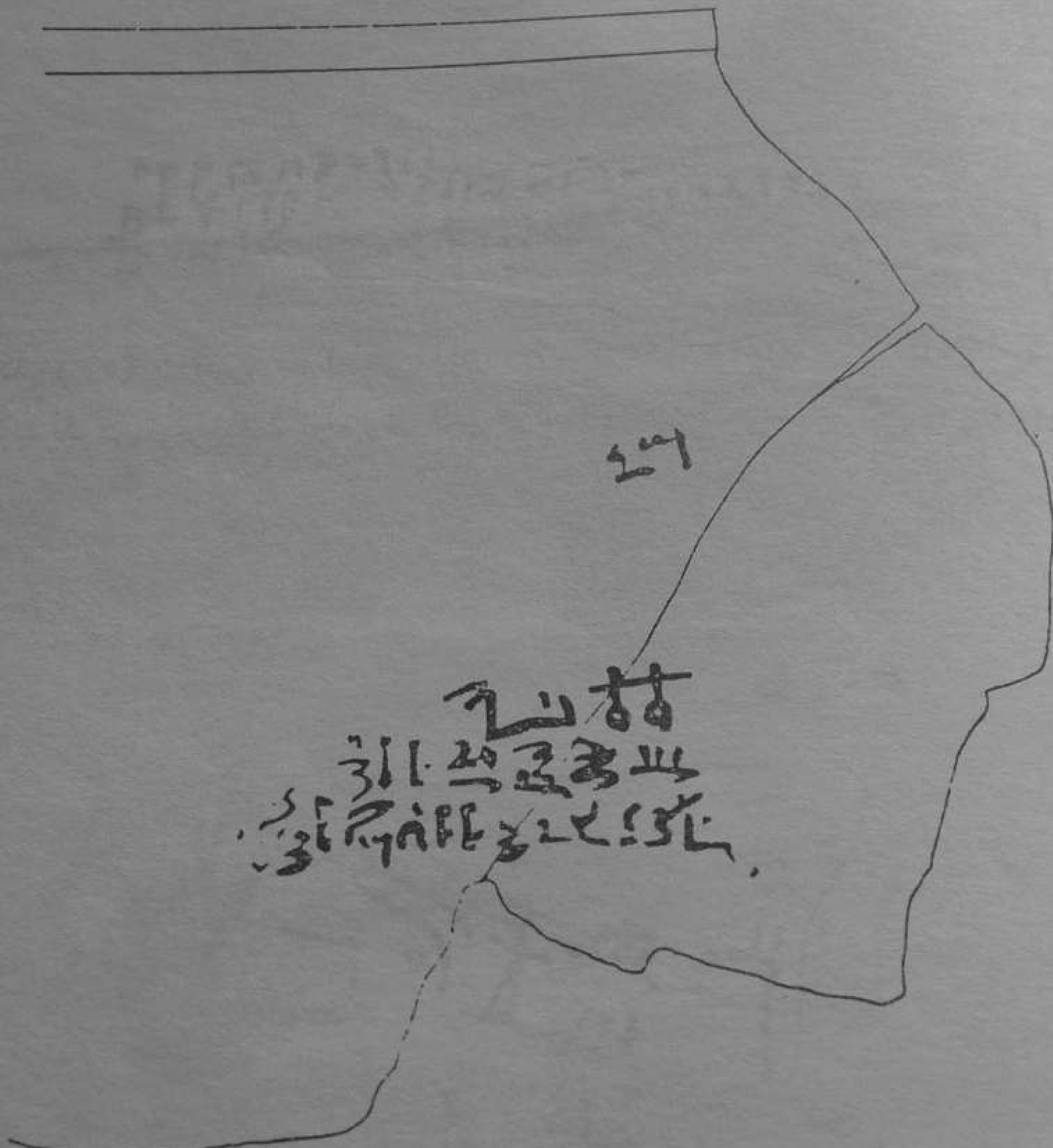
شكل (٤٦ ب) : رسم بالخط لنقوش لوحة الوزير انتيفوكر (تراجع ترجمة النص ص ٣٥) .



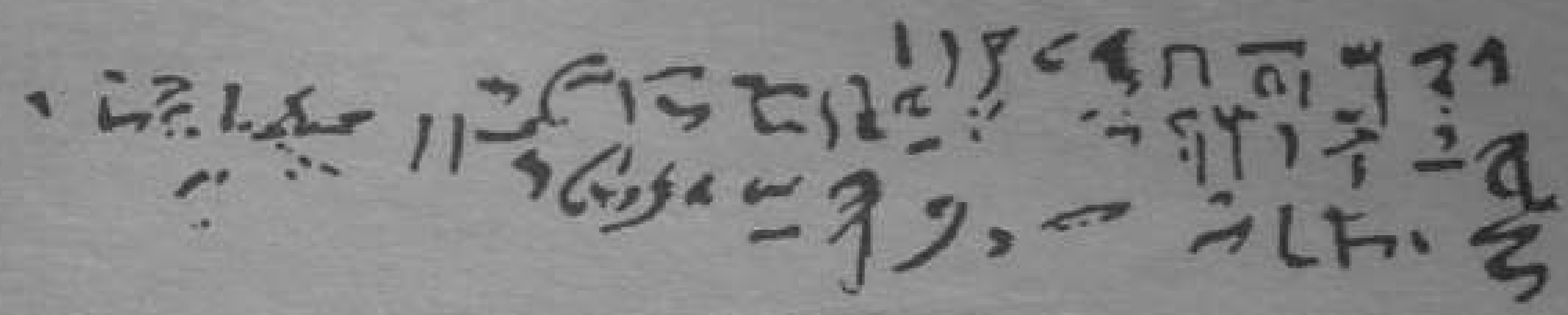
شكل ٤٧) : بانوراما للحافة الشمالية لوادى جواسيس فى المنطقة الممتدة من مقصورة عنخو شرقاً إلى لوحة انتيفوكر غرباً وما بعدها . وتظهر بها الصخرة الكبيرة التى وجدت أسفلها كسر الفخار المكتوبة بالهيراطيقية والأرقام توضح أماكن المجسات والحفائر (تقارن الخريطة رقم ٣ وتراجع ص ٤١ — ص ٤٣) .



شكل (٤٨) : اناء الفخار الذى وجد كاملا وهو نموذج للأوانى التى وجدت اجزاؤها مكتوبة بالهيراطيقية أسفل الصخرة الكبيرة (تراجع ص ٤١) .



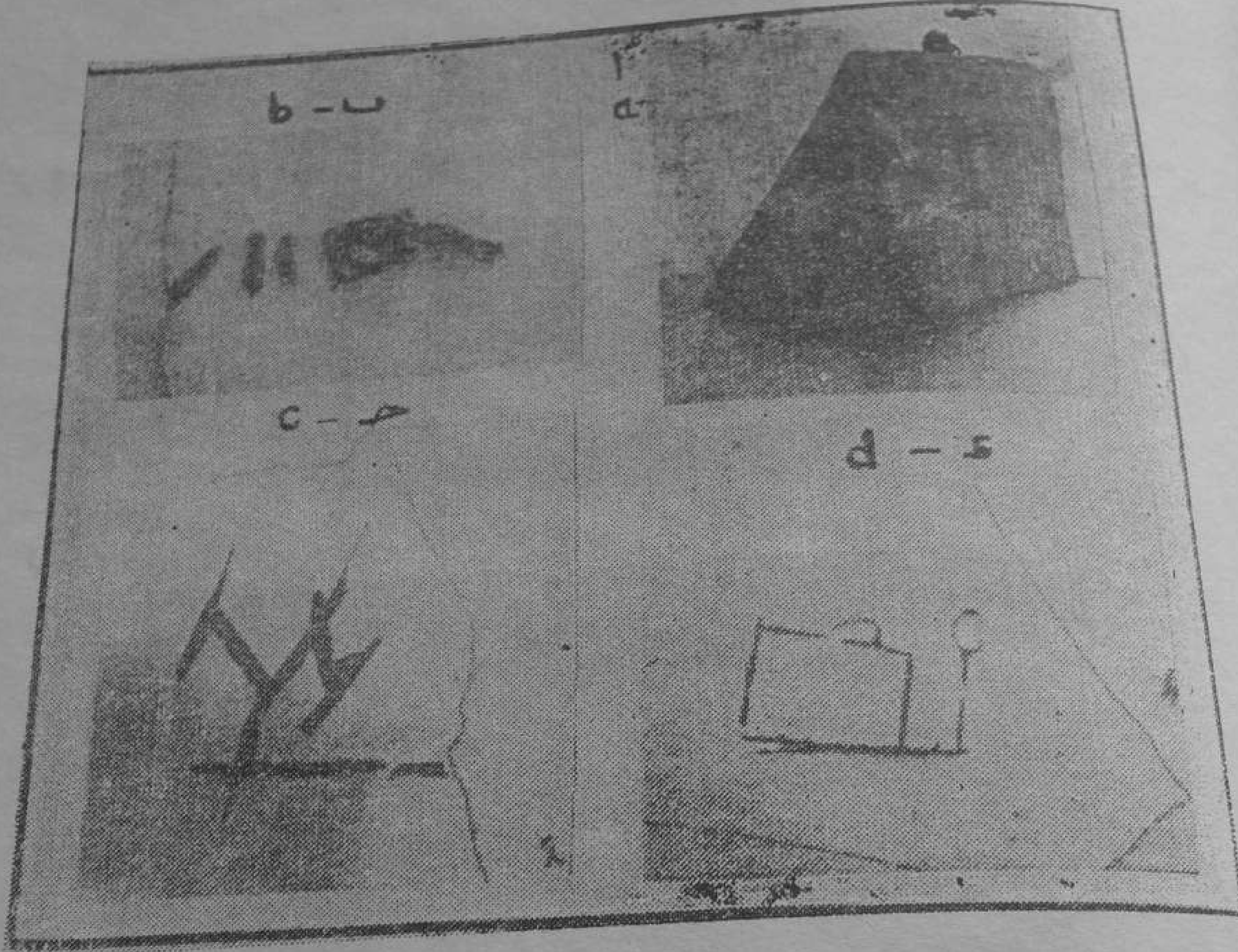
شكل (٤٩) : جزء من اناء من الفخار وجد أسفل الصخرة الكبيرة عليه نص هيراطيقى من ثلاثة أسطر . ففى السطر العلوى اسم نوع الطعام وفى الأوسط الجهة الصادر اليها الطعام وهى «بونت» . وفى الصف الأسفل الجهة الوارد منها (فى مصر) . وأعلى هذه الأسطر علامتان تدلان على كمية الطعام أو سعة الاناء . ويعتبر هذا النص نموذجاً للنصوص الهيراطيقية المكتشفة .



شكل (٥٠) : نص هيراطيقي آخر على احدى كسر الفخار وله أهمية كبيرة لأنه يذكر اسم المعبد الجنازي للفرعون سنوسرت الثاني (تراجع ص ٥٥).



شكل (٥١) : كتابة بالخط الهيروغليفي السريع على احدى كسر الفخار (تراجع ص ٤١) .



شكل (٥٢) : نماذج للعلامات المحفورة على كسر الفخار (تراجع . ص ٤٢) وهى :

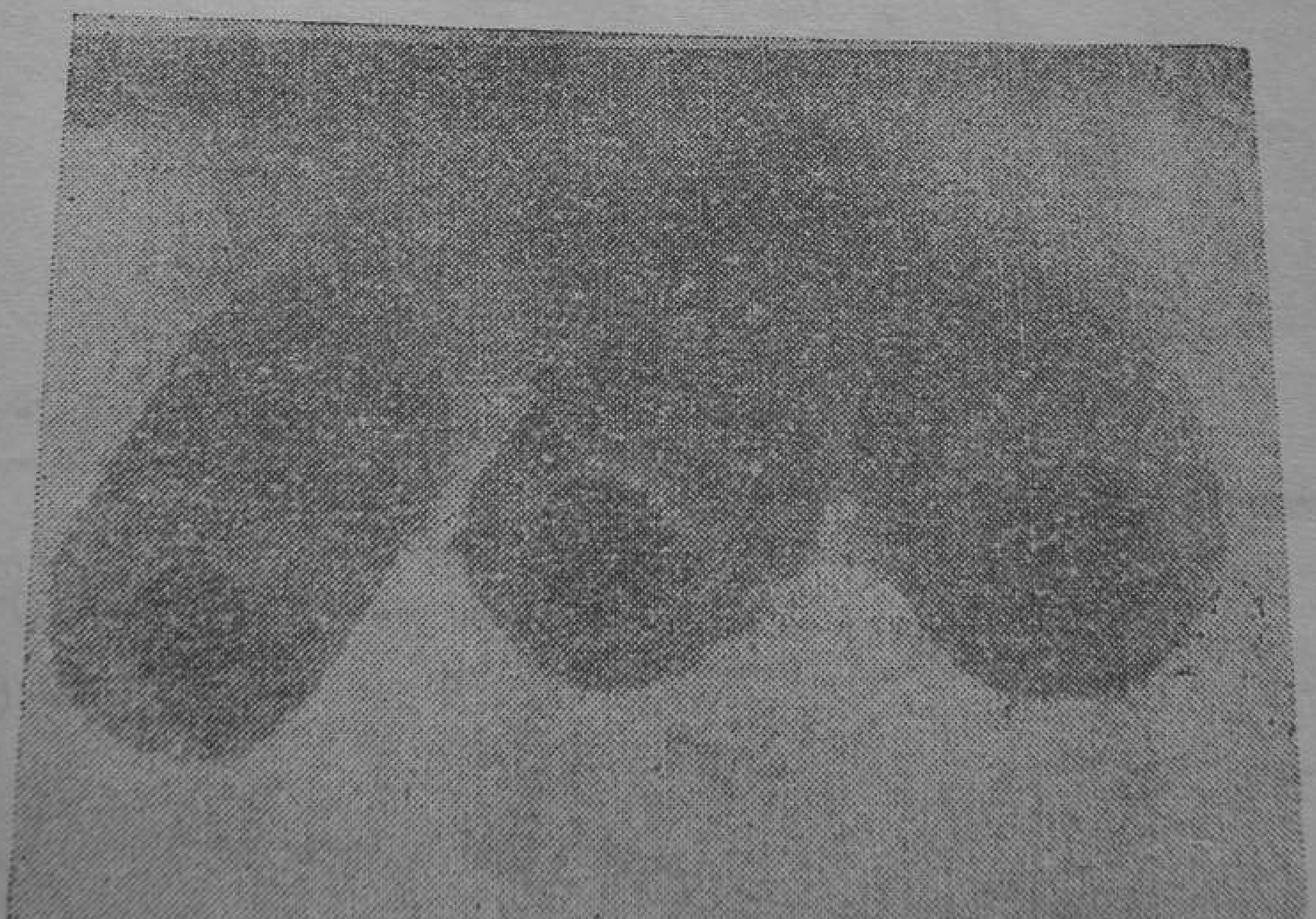
(أ) علامة «چد» الهيروغليفية .

(ب) علامة هيراطيقية تدل على فخذ ثور وربما تشير إلى محتويات الاناء .

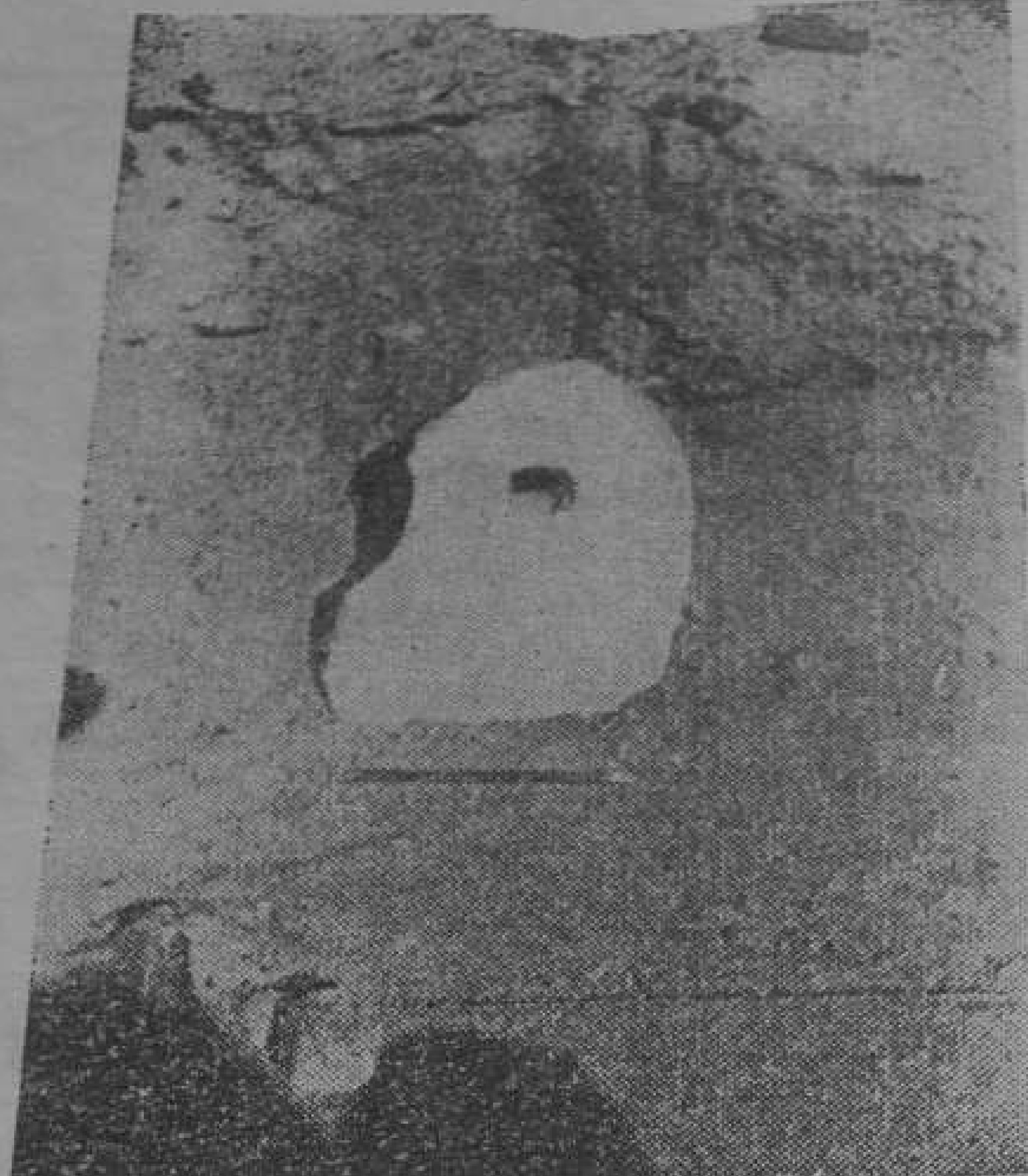
(جـ ، د) علامات غير محددة ربما كانت علامة صانع الاناء أو مالكه



شكل (٥٣) : بقايا قطع خشبية بها ثقوب وتعشيقات (تراجع ص ٤٣)



شكل (٥٤) : أنابيب من الفخار ربما كانت تستخدم فى اشعال النيران (تراجع ص ٤٢) .



شكل (٥٥) : مرساة (هلب) صغيرة من الحجر الجيرى يبدو أنها لقارب نجاة (تراجع ص ٤٢) .



شكل (٥٦) : احدى المرساتين اللتين لم يتم صنعهما واللتين وجدتا بجوار الصخرة الكبيرة (تراجع ص ٤٢) .

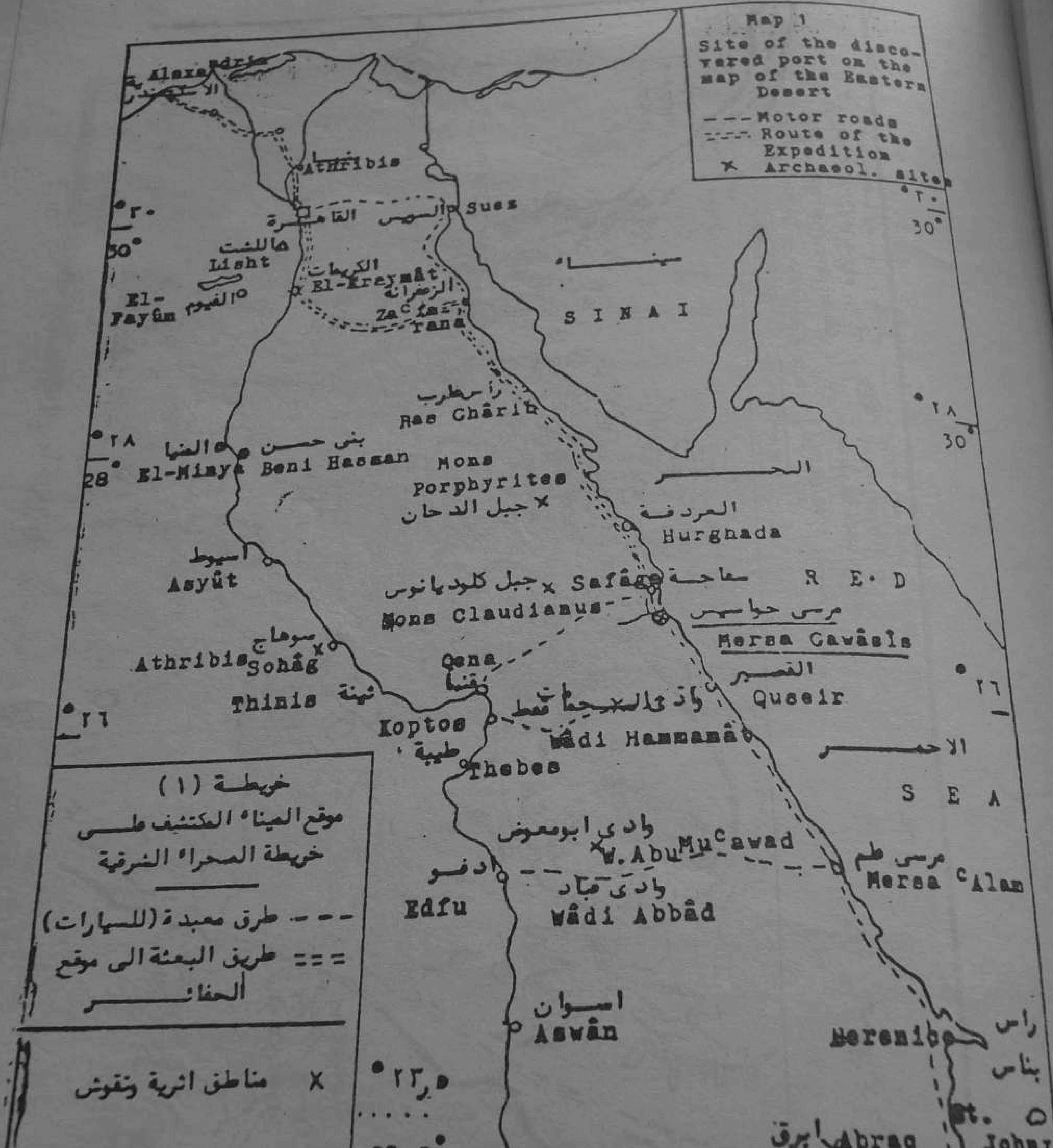
الخرائط

خريطة رقم (١) : موقع الميناء المكتشف على خريطة الصحراء الشرقية

خريطة رقم (٢) : الواديان أو وادى جاسوس ووادى جواسيس ، والمعالم الأثرية بهما (مقياس الرسم ١ : ٦٥,٠٠٠) .

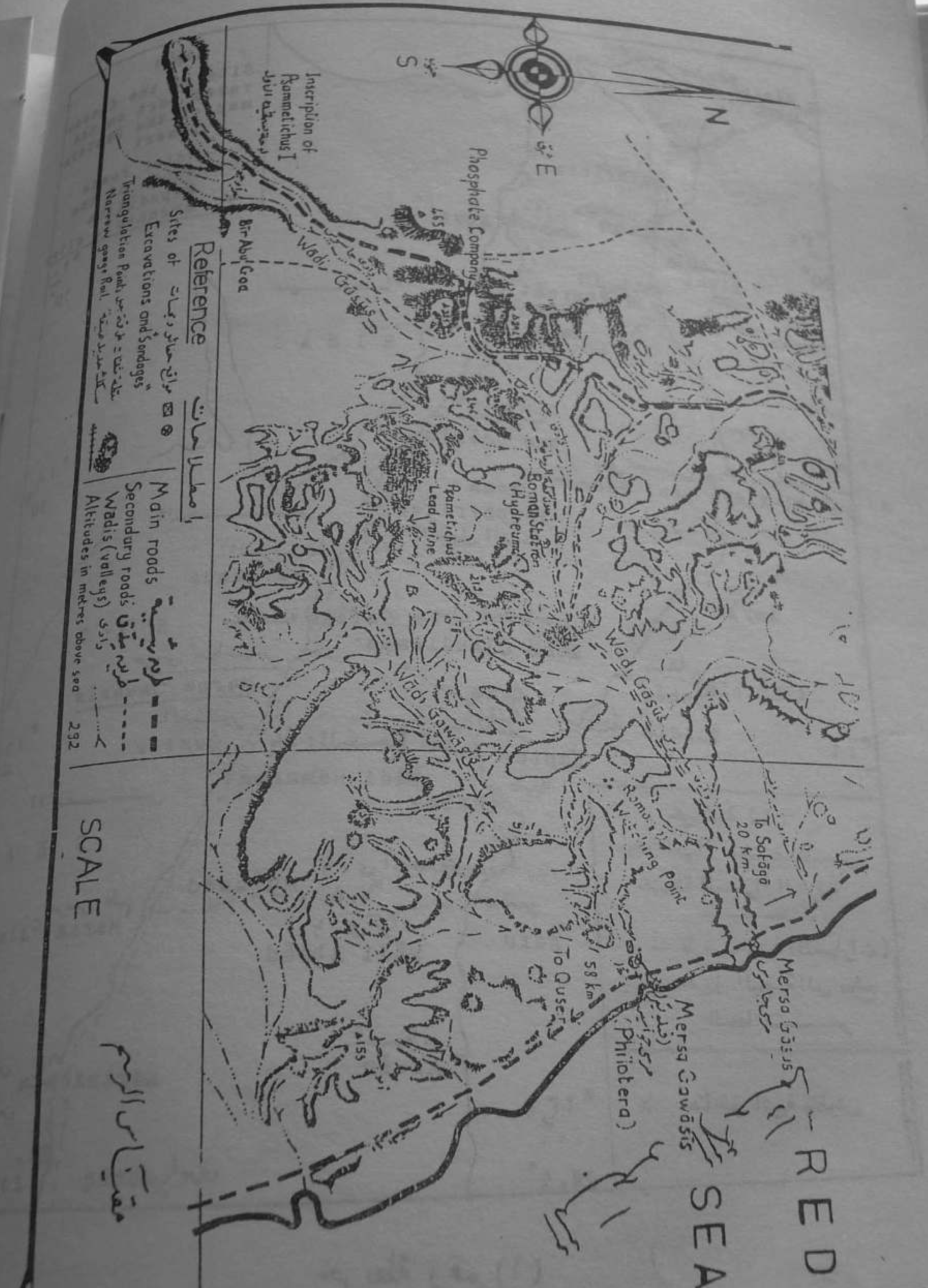
خريطة رقم (٣) : خريطة كنتورية لمواقع حفائر البعثة فى وادى جواسيس (مقياس الرسم ١ : ٢٥٠٠) .

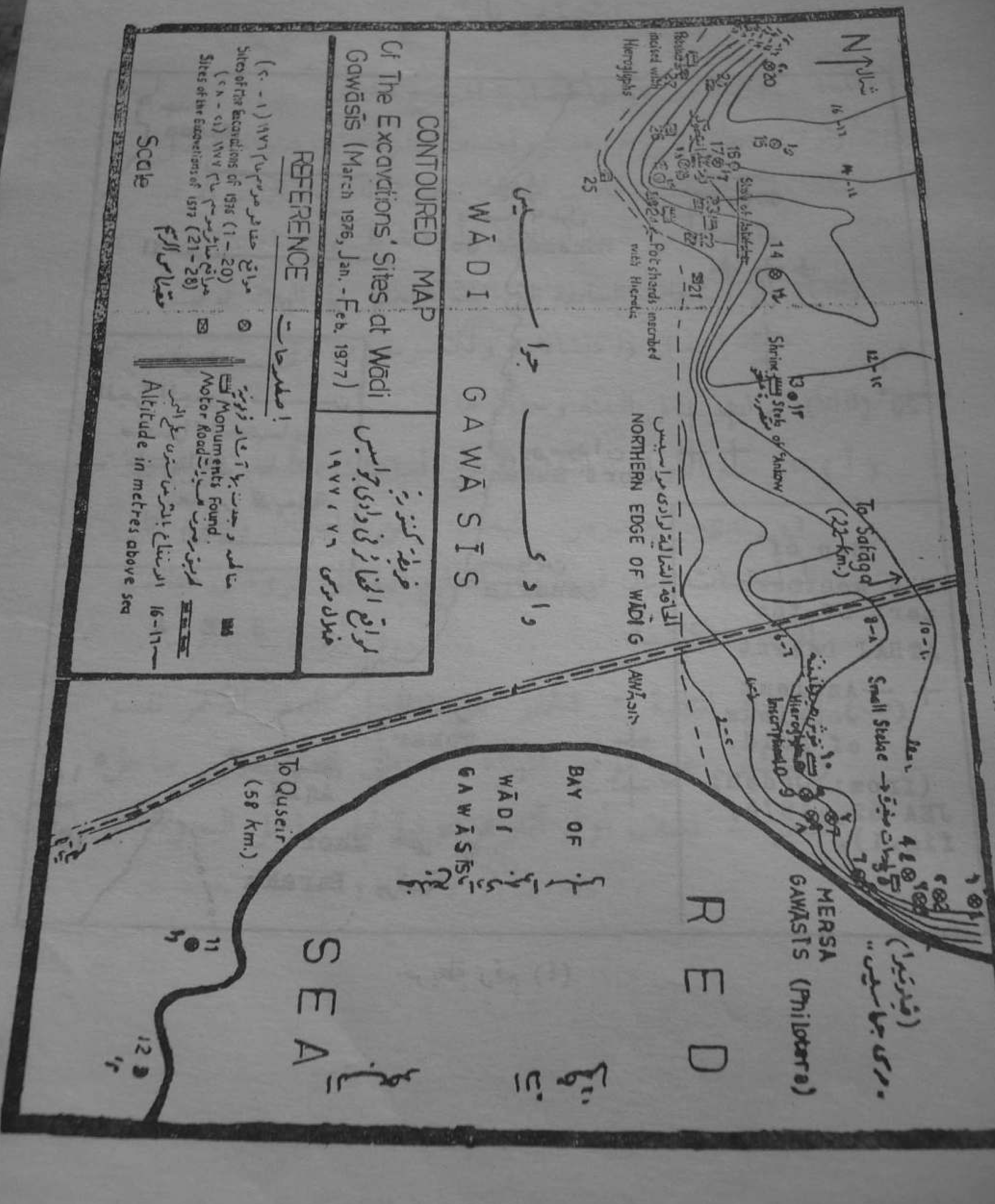
خريطة رقم (٤) : الجزء الجنوبى من صحراء العتباى .



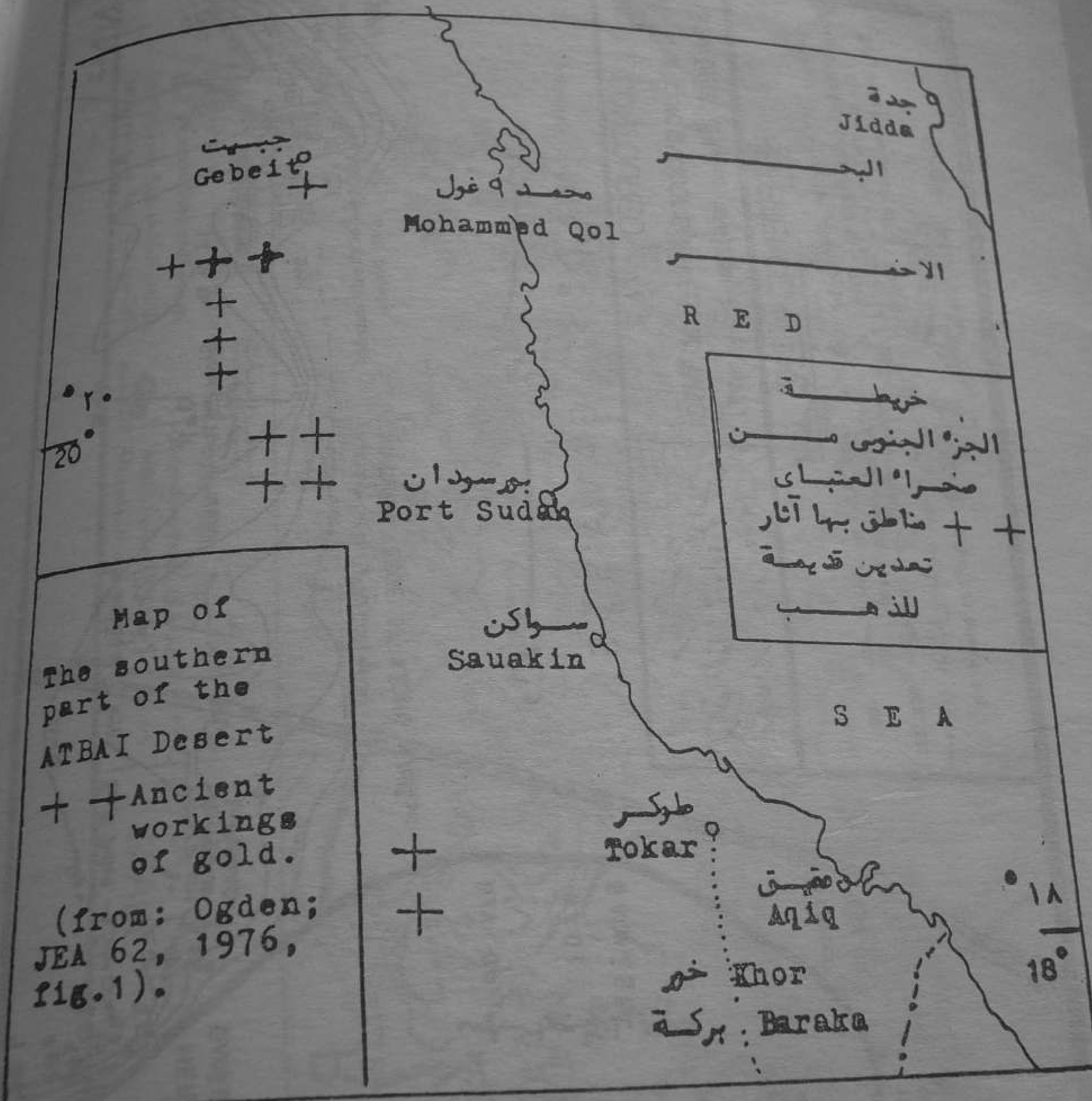
Map 1
Site of the discovered port on the map of the Eastern Desert
Motor roads
Route of the Expedition
Archaeol. sites
Alexandria
الاسكندرية
Athribis
القاهرة
السويس
Suez
اللشت
Licht
الكريمات
El-Kreymât
الزعفرانة
Zaᶜfarana
El-Fayûm
الفيوم
سيناء
SINAI
رأس غارب
Ras Ghârib
المنيا
بنى حسن
El-Minya
Beni Hassan
Mons Porphyrites
جبل الدخان
البحر
الغردقة
Hurghada
أسيوط
Asyût
جبل كلوديانوس
Mons Claudianus
Safâga
سفاجة
RED
مرسى جواسيس
Mersa Gawâsîs
سوهاج
Athribis
Sohâg
Qena
قنا
القصير
Quseir
ثينة
Thinis
وادى الحمامات
قفط
Koptos
Wâdi Hammamât
الاحمر
طيبة
Thebes
SEA
وادى ابومعوض
W. Abu Muᶜawad
مرسى علم
Mersa ᶜAlam
ادفو
Edfu
وادى عباد
Wâdi Abbâd
اسوان
Aswân
Berenice
راس بناس
St. John I
ابرق
Abraq
خريطة (١)
موقع الميناء المكتشف على خريطة الصحراء الشرقية
طرق معبدة (للسيارات)
طريق البعثة الى موقع الحفائر
مناطق اثرية ونقوش

خريطة رقم (١)


N
S
E
RED SEA
Mersa Gāsūs
Mersa Gawāsīs
(Philotera)
To Safāga 20 km.
58 km. To Quseir
Roman Watching Point
Wādi Gāsūs
Wādi Gawāsīs
Roman Station (Hydreuma)
Psammetichus Lead mine
Phosphate Company
Bir Abu Gea
Inscription of Psammetichus I
Reference
Sites of Excavations and Sondages
Triangulation Points
Narrow gauge Rail
Main roads
Secondary roads
Wadis (valleys)
Altitudes in metres above sea 232
SCALE
مقياس الرسم



CONTOURED MAP
Of The Excavations' Sites at Wādi Gawāsīs (March 1976, Jan.-Feb. 1977)
خريطة كنتورية
لمواقع الحفائر في وادي جواسيس
خلال مارس ١٩٧٦، ٧٧ ١٩
WĀDI GAWĀSĪS
وادي جواسيس
REFERENCE
مصطلحات
Sites of the Excavations of 1976 (1-20)
Sites of the Excavations of 1977 (21-28)
Monuments Found.
Motor Road.
Altitude in metres above sea
Scale
N
شمال
NORTHERN EDGE OF WĀDI GAWĀSĪS
الحافة الشمالية لوادي جواسيس
To Safāga (22 km.)
To Quseir (58 km.)
Small Stelae
Stela of 'Ankhow
Shrine
Potsherds inscribed with Hieratic
Incised with Hieroglyphs
Hieroglyphic Inscription
BAY OF WĀDI GAWĀSĪS
MERSA GAWĀSĪS (Philotera)
RED SEA


جدة
Jidda
جبيت
Gebeit
محمد قول
Mohammed Qol
البحر الاحمر
RED SEA
٢٠
20
خريطة
الجزء الجنوبى من
صحراء العتباى
+ + مناطق بها آثار تعدين قديمة للذهب
بورسودان
Port Sudan
Map of
The southern part of the ATBAI Desert
+ + Ancient workings of gold.
(from: Ogden; JEA 62, 1976, fig.1).
سواكن
Sauakin
طوكر
Tokar
عقيق
Aqiq
١٨
18°
خور
Khor
بركة
Baraka

خريطة رقم (٤)

المحتويات

مقدمة : الأهمية التاريخية والحضارية لمشروع الحفائر ١

(أولا) خطة مشروع الحفائر وأهداف المشروع – محاولة التوصل إلى حلول لمشكلات النشاط المصرى القديم فى البحر الأحمر بالبحث عن نقطة انطلاق هذا النشاط أو الميناء... ... ٤

(ثانياً) الاكتشافات السابقة التى استرشدت بها البعثة لوضع خطة الحفائر (اكتشافات ولكنسون وبيرتون) ٧

(ثالثاً) مراحل عمل البعثة وحفائرها

(أ) المرحلة الأولى : الكشف عن أساسات المحطة الرومانية فى وادى جاسوس للبحث عن امكان وجود آثار أوأساسات مبان فرعونية – الطابع اليونانى الرومانى البحث للآثار المكتشفة ١٠

(ب) المرحلة الثانية : الحفر على ساحل البحر الأحمر نفسه والكشف عن موقع الميناء. مناطق العمل على ساحل البحر – كشف أول آثار فرعونية على ساحل البحر الأحمر

فى مرمى جواسيس . كشف مجموعة من اللوحات
التذكارية الصغيرة — الأهمية التاريخية للوحة «إى — مرو» ١٥

(ج) المرحلة الثالثة : تتبع الطريق نحو الداخل والكشف عن
مقصورة «عنخو» — موضوعات نقوش المقصورة — نقوش
الواجهة — نقوش المصراع الشرقى — نقوش الكتلة
الخلفية — نقوش المصراع الغربى — قاعدة مقصورة
عنخو وخصائصها الفريدة — مراس السفن التى تتكون
منها مقصورة عنخو — الآثار الأخرى التى وجدت حول
مقصورة عنخو ١٩

(د) تتمة المرحلة الثالثة : استكمال تتبع الطريق نحو الداخل
والكشف عن لوحة انتيفوكر — الحالة التى وجدت
عليها اللوحة — نص اللوحة ٣٣
الظواهر المشتركة بين نقوش مقصورة عنخو ولوحة
انتيفوكر ٣٨

ما استجد من كشوف فى موسم عام ١٩٧٧

الحفر على سفح الحافة الشمالية لوادى جواسيس أسفل مقصورة
عنخو ولوحة انتيفوكر — العثور على كسر فخارية عليها كتابات
هيراطيقية وعلامات محفورة — الآثار التى وجدت فى هذه المواقع
وارتباطها بالآثار التى سبق اكتشافها فى موسم عام ١٩٧٦ ... ... ٤٠

الأهمية التاريخية للكشف

(أولا) تحديد موقع ميناء الأسرة الثانية عشرة تحديداً قاطعاً نتيجة العثور على الآثار فى اماكنها الأصلية ٤٦

(ثانياً) الميناء المكتشف هو المكان الأصلي للآثار السابق العثور عليها فى بداية القرن الماضى (لوحة خنتخاتى — ور ، لوحة خنم حتب) — مقارنة بين اسم الميناء الوارد على الآثار المكتشفة وبين الأسماء الواردة على الآثار الأخرى ٤٧

(ثالثاً) تاريخ استخدام الميناء وعلاقته بمشكلة قناة البحر الأحمر ٥١

(رابعاً) النشاط المصرى القديم فى البحر الأحمر ومشكلة موقع منطقة «بيا — بونت» (مناجم بونت. أهمية لوحة «إى — مرو» فى تحديد المدلول الجغرافى لهذا الاسم — مقارنة بين هذا المدلول وبين ماورد على الآثار الأخرى من شواهد — صحراء العتباى كموقع مرجح لمنطقة بيا — بونت وادلة ذلك ٥٦

(خامساً) العثور على أمثلة للمرساة المصرية لأول مرة على الساحل المصرى وأهميته فى التعرف على صور هذه المرساة على الآثار المصرية ٦٦

الأشكال : من شكل ١ إلى شكل ٥٦ .

الخرائط من رقم ١ إلى رقم ٤

قناة النيل - البحر الأحمر المسماة "قناة سيزوستريس" وأدلة عدم وجودها فى العصر الفرعونى*

أ.د/ عبد المنعم عبد الحليم سيد

كثيراً ماتتردد فى المؤلفات العربية، معلومة مؤداها أن القناة التى يسميها بعض الباحثين «قناة البحر الأحمر» أو «قناة السويس»(١)، حفرها أحد فراعنة الأسرة الثانية عشرة المسمى «سنوسرت» على أساس أنه الإسم المصرى القديم الذى كتبه مؤرخو اليونان والرومان «Sesostris» وقالوا عنه أنه أول من حفر هذه القناة.

وكان المؤرخ هيرودوت هو أول من أشار إلى حفر هذه القناة ولكنه لم يذكر إسم سيزوستريس وإنما ذكر إسم «الملك نخاو» (٦١٠ - ٥٩٤ ق.م) كأول فرعون حفر هذه القناة ولكنه قال أنه لم يتمها(٢).

أما أول من ذكر إسم سيزوستريس من كتاب اليونان كأول فرعون حفر هذه القناة، فهو أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) ولكنه قال أنه لم يتمها أيضاً(٣).

ثم ردد المؤرخ ديودور (ألف كتابه مابين ٥٩ - ٥٧ ق.م) نفس رواية هيرودوت تقريباً أى لم يذكر إسم سيزوستريس وإنما أشار إلى الفرعون نخاو كأول من حفرها ولم يتمها(٤).

---

* هذه ترجمة للبحث الجارى نشره بالأنجليزية بعنوان Abdel Monem A.H. Sayed On the non-existence of the Nile-Red sea canal (so called canal of Sesostris) during the Pharaonic times.

وذلك فى المجلة التى تصدر فى واشنطن بعنوان
Journal of the American Research Center in Egypt.
وفى الترجمة بعض التصرف لتلائم القارئ المصرى.

(١) سليم حسن، مصر القديمة جـ١٢ ص٦٩٥. ص٧٠٢ والأفضل تسميتها «قناة النيل - البحر الأحمر» لكى لايحدث خلط مع تسمية «قناة السويس».

(٢) محمد صقر خفاجة وأحمد بدوى، هيرودوت يتحدث عن مصر، القاهرة، ١٩٦٦، فقرة ١٥٨.

(٣) Aristotle, Meteorologica, I chap. XIV § 27.

(٤) وهيب كامل، ديودور الصقلى فى مصر فقرة ٣٣.

وكان الجغرافى استرابون (ألف كتابه حوالى سنة ٧ ق.م) هو أول كاتب كلاسيكى ينسب حفر هذه القناة وإتمامها إلى الفرعون سيزوستريس وحدد زمن حفرها قبل الحرب الطروادية أى قبل القرن الثانى عشر قبل الميلاد(٥). ويدل إختلاف روايات الكتاب الكلاسيكيين على الفرعون الذى بدأ حفر هذه القناة (سيزوستريس أو نخاو) على عدم إستناد هذه الروايات إلى أساس تاريخى سليم.

والحقيقة التاريخية التى ثبتت من الحفائر التى قامت بها بعثة قسم التاريخ على ساحل البحر الأحمر أن هذه القناة لم تكن موجودة طوال عصر الأسرة الثانية عشرة الفرعونية حتى عصر الفرعون سنوسرت الثالث(٦) بدليل إستخدام ميناء مرسى جواسيس خلال هذا العصر، فقد تبين من دراسة مقصورة من الحجر من عصر الفرعون سنوسرت الأول وجدتها البعثة فى مدخل وادى جواسيس بالقرب من الميناء، أن السفن التى إستخدمت فى الرحلة إلى منطقة «مناجم بونت» (ساحل السودان) لم تواصل رحلتها إلى خليج السويس بعد عودتها من هذه المنطقة، بل توقفت فى ميناء مرسى جواسيس. وكانت هذه السفن ذات قابلية للفك والتركيب. فقد ثبت من دراسة أحد النصوص الواردة على الآثار المكتشفة أن السفن كانت تبنى فى ترسانة قفط على شاطئ النيل ثم تفكك وتنقل إلى ساحل البحر الأحمر حيث تركب(٧) وبعد عودة السفن من رحلتها كانت تفكك مرة أخرى وتنقل بالبر مع شحنتها إلى وادى النيل والغالب أنها كانت تستخدم كسفن نيلية فلم يكن هناك فرق كبير بين السفن البحرية والسفن النيلية فى مصر الفرعونية، والدليل على توقف سفن بعثة سنوسرت الأول فى ميناء مرسى جواسيس وعدم إستمرارها فى الإبحار إلى رأس خليج السويس، أن مراسى هذه السفن (جمع مرساة بمعنى هلب) وجدت فى منطقة الميناء أى لم يتم نقلها إلى وادى النيل مع أجزاء السفن بسبب ثقل

---

(٥) وهيب كامل. استرابون فى مصر فقرة ٢٤ والحقيقة أن استرابون لم ينص صراحة على أن سيزوستريس أكمل هذه القناة ولكنه لم يذكر أن سيزوستريس لم يتمها بينما ذكر فى نفس العبارة أن الفرعون نخاو بدأ حفرها (ربما يقصد إعادة حفرها) ولم يتمها.

(٦) عبد المنعم عبد الحليم سيد. الكشف عن موقع ميناء الأسرة الثانية عشرة الفرعونية فى منطقة وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر. مطبعة جامعة الأسكندرية. ١٩٧٨ ص٥١-٥٢.

(٧) عبد المنعم عبد الحليم. نفس المصدر ص٧٠-٧٢

وزنها، فالمرساة الواحدة عبارة عن كتلة ضخمة من الحجر الجيرى يبلغ وزنها حوالى ٢٥٠ كيلوجراماً فضلا عن عدم صلاحيتها للإستخدام فى النيل. وقد ثبت من العثور على مراسى من هذا النوع غير تامة الصنع بالقرب من الميناء (فى وادى جواسيس) أن المصريين لم يكونوا يجلبونها معهم مع السفن المفككة من وادى النيل إلى ساحل البحر الأحمر بل كانوا يصنعونها فى منطقة الميناء(٨).

وقد إستفاد المصريون بمراسى السفن بعد العودة من رحلتها بتحويلها إلى لوحات بعد قطع الأجزاء العليا التى كانت بها الثقوب التى تدخل فيها الحبال لإنزال المراسى فى المياه أو رفعها منها - ورتبوا هذه اللوحات الثلاث على هيئة مقصورة فوق قاعدة مكونة من أربع مراسى أخرى تركوها كاملة (دون قطع أجزائها العليا). ثم نقشوا الأسطح الداخلية الثلاثة لهذه المقصورة بكتابة هيروغليفية تسجل أخبار بعثة الملك سنوسرت الأول إلى منطقة مناجم بونت التى قادها صاحب هذه المقصورة المسمى «عنخو»(٩).

فلو أن قناة النيل - البحر الأحمر كانت موجودة فى ذلك العصر لكان أيسر على السفن بعد عودتها من رحلتها، مواصلة الإبحار حتى رأس خليج السويس ثم المرور فى هذه القناة إلى النيل، ومن هنا يمكن القول أن إستخدام المصريين القدماء لهذا الميناء يعتبر دليلا على عدم وجود قناة النيل - البحر الأحمر خلال عصر الأسرة الثانية عشرة (إستخدم هذا الميناء من عصر سنوسرت الأول إلى عصر سنوسرت الثالث بإستمرار كما ثبت من الحفائر) ويمكن أن تنطبق هذه الظروف على عصر الدولة الوسطى بوجه عام فلم يرد من عصر هذه الأسرة إشارة واحدة إلى وجود هذه القناة. وبالتالى فإن الإسم سيزوستريس المذكور فى روايات الكتاب الكلاسيكيين لاينطبق على أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة المسمى «سينوسرت».

وإذا إنتقلنا إلى عصر الدولة الحديثة نجد أن بعض الباحثين إتخذوا من أحد النصوص الواردة ضمن نقوش بعثة حتشبسوت (حوالى ١٤٩٥ ق.م) دليلا على أن أسطول هذه الملكة عبر عند عودته قناة النيل - البحر الأحمر. وهذا النص يقرأ «الإبحار، الوصول بسلام، رحيل جنود رب الأرضين وزعماء هذا البلد

---

(٨) عبد المنعم عبد الحليم، نفس المصدر ص٣١-٣٢.

(٩) نفس المصدر ص٣٢.

(بونت) وراءهم إلى طيبة بقلب فرح»(١٠) وهذا النص مدون فوق منظر يمثل سفينتين إحداهما مازالت راسية فى الميناء البونتى وقد أنزلت أشرعتها، والأخرى منشورة الأشرعة وهى التى دون النص فوقها مباشرة. ومن هنا، بالإضافة إلى عدم وجود رسوم لعملية نقل بالبر، يرى هؤلاء الباحثون أن منظر هذه السفن يمثلها فوق مياه النيل(١١) (شكل ١).

ولكن إذا دققنا النظر فى هذا المنظر لوجدنا أن السفينة ذات الأشرعة المنشورة أى التى كتب النص فوقها لايمكن أن تكون فى مياه النيل وإنما مازالت فى البحر الأحمر، والدليل على ذلك أن أنواع الأسماك الممثلة أسفلها ليست من أنواع أسماك المياه العذبة (النيلية) بل هى أنواع أسماك المياه الملحة فهى تشبه تماماً الأسماك الممثلة أسفل السفينة المجاورة لها الراسية فى الميناء البونتى. وعلى هذا فإن عبارة «الوصول بسلام ... إلى طيبة» لاتدل على الوصول الفعلى إلى عاصمة مصر (طيبة)، وإنما هى من قبيل التمنى والرجاء فى العودة السالمة. والواقع، أنه فى مقابل عدم وجود أى دليل على وجود قناة النيل - البحر الأحمر فى عصر الدولة الحديثة، توجد أدلة قوية، وإن كانت غير مباشرة، على عدم وجود هذه القناة فى ذلك العصر.

فقد ثبت من التحليل الكربونى للمواد العضوية التى وجدت فى موقع الميناء (شكل ٢)(١٢) أن عينتين من هذه المواد ترجعان إلى عصر الدولة الحديثة وهما العينة رقم BM_1844R وهى قطعة من حبل سميك ربما كان الحبل الذى يربط فى المرساة، والعينة رقم BM_1846R وهى قطعة من نبات الحلفا ربما كانت جزءاً من حصير. والعينة الأخيرة تغطى فترة زمنية تمتد من عام ١٥٢٠ إلى عام ١١٠٥ ق.م أى تشمل تقريباً عصر الدولة الحديثة بأكمله، وهذا المدى الزمنى الطويل يجعل من غير المقبول الإعتماد على هذه النتائج الكربونية وحدها لتحديد تاريخ إستخدام الميناء.

---

(١٠) J.H. Breasted, Ancient Records of Egypt, Vol. II § 260.

(١١) Ibid, note d.

(١٢) تم هذا التحليل فى معمل المتحف البريطانى بلندن وقد تلقيت النتيجة النهائية بعد إتمام عملية الـ Calibration فى ١٩٩٢/١٠/٢٢ (أنظر شكل ٢)

ولذلك كان لابد من الرجوع إلى الآثار المصرية القديمة التى ترجع لهذا العصر ومن حسن الحظ لدينا ثلاثة أدلة من عصر الدولة الحديثة تشير إلى عملية نقل بالبر للسلع الواردة من بونت من ميناء على ساحل البحر الأحمر إلى وادى النيل أى تشير من ناحية أخرى إلى عدم وجود قناة النيل - البحر الأحمر فى ذلك العصر وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة وهذه الأدلة هى :-

أولا : المنظر الممثل فى المقبرة رقم ١٤٣ فى طيبة (من عصر الفرعون امنحتب الثانى ١٤٣١ - ١٤٠٥ ق.م، فى الغالب) ويظهر فيه إستقبال سلع بونت فى الميناء على ساحل البحر الأحمر (شكل ٣) ونقلها على ظهور الدواب إلى وادى النيل. وقد ظهر الموظف المصرى المختص بهذه المهمة بعربته الحربية بينما مثل أتباعه يسيرون على أقدامهم وهم يدفعون أمامهم الحمير المحملة بالسلع. وظهرت شجرة كندر (لادن - بخور) يحملها رجلان. ومن أهم الرسوم فى هذا المنظر الرسم الذى يمثل سفينتين شراعيتين على شكل طوف له شراع مثلث. ويرى بعض الباحثين أنها خاصة بنقل السلع من بونت إلى مصر(١٣) ولكن يبدو هذا بعيد الإحتمال لأن بونت كانت فى ذلك الوقت (منذ بعثة حتشبسوت) تقع على الساحل الشمالى الشرقى للصومال(١٤). ولذلك يرجح أن مهمة هذه السفن الخفيفة إما نقل السلع بين الشاطئ وبين سفن الشحن البونتية الكبيرة الراسية فى عرض البحر فى المياه العميقة بعيداً عن المياه الضحلة القريبة من الشاطئ، أو أنها كانت لنقل السلع من المستوطنات البونتية التجارية القريبة من مصر التى كانت مراكزاً(١٥) للوسطاء الذين تشير إليهم نصوص حتشبسوت.

ثانياً : المنظر الممثل فى مقبرة «آمون-مس» فى طيبة (شكل ٤) التى ترجع إلى عصر الملك تحتمس الرابع (١٤٠٥ - ١٣٩٥ ق.م) وهو يصور أيضاً عملية نقل السلع البونتية من الميناء المصرى على ساحل البحر الأحمر إلى وادى النيل. وهو يشبه منظر المقبرة رقم ١٤٣ السابق وصفه فقد ظهرت قافلة الحمالين وهم

---

(١٣) T.Save Soderbergh, The Navy of the 18th Egyptian Dynasty, Uppsala, 1946 p.23

(١٤) عبد المنعم عبد الحليم سيد، محاولة لتحديد موقع بونت، نشرة جمعية الآثار بالأسكندرية، بعنوان «دراسات أثرية وتاريخية» العدد الخامس، ١٩٧٤، ص٣٢.

(١٥) Abdel Monem A.H.Sayed, „Were there direct relationships between Pharaonic Egypt and Arabia?„ PSAS Vol. 19 (1989) p. 158-159.

يسيرون عبر الصحراء فى طريقهم من شاطئ البحر الأحمر إلى وادى النيل وقد حملت الحمير بالسلع الثقيلة بينما حمل الرجال السلع الخفيفة مثل قطع الخشب العطرية(١٦)

ثالثاً : النص الوارد فى بردية هاريس الذى يسجل إرسال بعثة الى بونت وعودتها إلى مصر فى عصر الفرعون رمسيس الثالث (١١٨٨ – ١١٥٧ ق.م). وهو ذو أهمية كبيرة لأنه يدل بوضوح على عدم وجود قناة النيل – البحر الأحمر فى ذلك العصر إذ يقول النص (شكل ٥) فى وصف رحلة العودة ونقل السلع فى داخل مصر ما يلى :-

«لقد وصلوا (رجال البعثة) فى سلام إلى مرتفعات (أو صحراء) قفط (خاست جبتيو). وقد رسوا فى سلام حاملين الأشياء التى أحضروها. وقد نقلت على ظهور الحمير والرجال إلى ميناء قفط حيث شحنت فى سفن بالنيل أبحرت شمالا إلى العاصمة(١٧).

ولاشك أن هذا النص ينفى بوضوح وجود قناة النيل – البحر الأحمر. فلو كانت موجودة لما تجشم المصريون مشاق نقل السلع من الميناء المصرى عبر الطرق الوعرة فى الصحراء الشرقية إلى مدينة قفط على النيل حيث أعيد شحنها فى السفن التى نقلتها إلى أقصى الشمال فى شرق الدلتا حيث كانت توجد العاصمة الشمالية المسماة «بر–رمسيس» (قنتير الحالية شمال شرق تل بسطة) التى كان من المفروض أن قناة النيل – البحر الأحمر – إن كانت موجودة فى ذلك الوقت – تبدأ بالقرب منها (من تل بسطة بالقرب من الزقازيق) وتأخذ من الفرع البلوزى (بحر شبين حالياً تقريباً). ولذلك لم يكن من المعقول أن يترك المصريون هذا الطريق السهل المباشر لمرور السفن من البحر الأحمر إلى القناة والوصول إلى قرب «بر–رمسيس» فى شرق الدلتا، ويفضلوا عليه الطريق الشاق غير المباشر ومايتطلبه من تفريغ وشحن ليصلوا إلى «بر–رمسيس»!!

---

(١٦) Söderbergh, op. cit. p25 and fig. 7

(١٧) W.Erichsen, Bibliotheca Aegyptiaca, Papyrus Harris (1933) pl. 77–8, 78 and Breasted, ARE IV § 407

وهكذا يتبين من هذه الأدلة التى تشير إلى إستخدام ميناء على ساحل البحر الأحمر فى رحلات بونت وفى نقل سلعها، أن قناة النيل - البحر الأحمر لم تكن موجودة فى عصر الدولة الحديثة.

والحقيقة أن أقدم رواية صحيحة عن إتمام حفر القناة لأول مرة، هى التى رددها هيرودوت التى ينسب فيها هذا العمل إلى الملك دارا الأول الفارسى (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م) والدليل على صحة رواية هيرودوت أنه لم يذكر إسم الفرعون سيزوستريس وبذلك كانت روايته بعيدة عن الأساطير. ولعل السبب فى صحة رواية هيرودوت أن زيارته لمصر (مابين ٤٥٠ - ٤٤٨ ق.م) كانت قريبة العهد بحفر القناة. وقد وصف هيرودوت مسار هذه القناة بأنها كانت تأخذ من النيل (يقصد الفرع البلوزى الذى يجرى مكانه الآن بحر شبين تقريباً كما ذكرنا) ثم تتجه إلى الجنوب قليلا من مدينة Bubastis (تل بسطة بالقرب من الزقازيق) شرقاً إلى بلدة Patumus (هى بر-أتوم الفرعونية ومكانها تل الرطابة أو تل المسخوطةالحالية) ومنها إلى ماأسماه بالخليج العربى وهو خليج السويس حالياً(١٨).

وقد أكدت الكشوف صحة رواية هيرودوت عن حفر دارا الأول للقناة وعن مسار هذه القناة، فقد عثر على بقايا عدة لوحات أقامها دارا الأول على طول الشاطئ الجنوبى/للقناة فى مناطق تل المسخوطة وكبريت والكوبرى (خريطة رقم ١) وقد سجل دارا على هذه اللوحات بالخطين الهيروغليفى والمسمارى حفر هذه القناة، فعلى إحدى اللوحات المنقوشة بالهيروغليفية وهى التى كانت مقامة فى منطقة كبريت،يقول دارا «لقد حفرت القناة لنقل المياه إلى الرمال .... لقد جهزت أربعاً وعشرين سفينة تحمل ... نحو بلاد فارس»(١٩)

وفى النص المسمارى المنقوش على ظهر لوحة تل المسخوطة يؤكد دارا إتمام مشروعه قائلا «لقد أمرت بحفر قناة من نهر مصر وإسمها بيرو Piru إلى البحيرات المرة. وقد حفرت طبقاً لأوامرى وأبحرت السفن فيها من مصر إلى بلاد فارس»(٢٠)

---

(١٨) أحمد بدوى، هيرودوت، فقرة ١٥٨

(١٩) André Servin, „Stèles de l'Isthme de Suez„ BSEIS T.III (1949-1950) p.81

(٢٠) M.V. Scheil, „Inscription de Darius à Suez„ BIFAO, T. XXX (1930) p.293

وقد ذكر «أندريه سيرفن» أن الإسم بيرو Piru الوارد فى النص المسمارى هو الإسم المصرى  Pwhr(٢١) الوارد فى نقش من عصر الملك رمسيس الثانى عثر عليه فى منطقة السرابيوم شمال البحيرات المرة (خريطة رقم ١) وهو محفوظ الآن فى متحف الإسماعيلية(٢٢). وقد ترجم «سيرفن» هذا النص كما يلى : «إننى (رمسيس الثانى) حفرت» نهر بوهر Pwhr الخاص (بمنطقة) ثكو(٢٣) لكى يأتى الفيضان بسبب قوتى».

وقد إستخلص «سيرفن» من ذلك أن رمسيس الثانى أتم حفر القناة التى بدأ حفرها (فى رأيه) فى عصر الدولة الحديثة حتى منطقة «ثكو» ثم أكملها نخاو إلى منطقتى السبع أبيار وجبل مريم حتى أوصلها دارا الأول إلى البحيرات المرة(٢٤).

ورغم عدم إستناد سيرفن فى رأيه هذا بشأن مراحل حفر القناة لأدلة أثرية (فيما عدا مايتصل برمسيس الثانى) فإن رأيه هذا يؤكد أن القناة لم يتم حفرها فى العصر الفرعونى كممر مائى مستمر يربط بين النيل والبحر الأحمر.

وفى رأيى أن القناة التى حفرها رمسيس الثانى كما يشير لذلك نقش متحف الإسماعيلية لم يكن الهدف من حفرها ربط النيل بالبحر الأحمر، وإنما كانت لإيصال المياه العذبة لأغراض الرى إلى المراكز الدينية فى منطقة وادى الطميلات وخاصة أراضى معابد الأله اتوم فى منطقة بيتوم-ثكو (تل المسخوطة).

ولعل النقش المذكور الذى يسجل حفر رمسيس الثانى لهذه القناة العذبة يقدم أساساً تاريخياً للرواية التى رددها الكتاب ألكلاسيكيون عن حفر الفرعون سيزوستريس لقناة النيل-البحر الأحمر.

---

(٢١) Servin, op. cit. p.95

(٢٢) A. Bruyère «Un monument de Ramses II à Serapeum» BSEIS Tome III (1949 - 1950) p. 57 - 74

(٢٣) «ثكو» Thekw هو إسم مصرى قديم آخر لمدينة بيتوم-تل المسخوطة أنظر P. Monter Geographie de L'Egypt Ancienne, Premiere Partie (1957) p.213 أو أنه إسم للمنطقة التى بها مدينة بيتوم طبقاً لرأى آخر، أنظر باسكال فيرنوس وجان يويوت، موسوعة الفراعنة، ترجمة محمود ماهر طه، القاهرة، (١٩٩٠) ص٩٨.

(٢٤) Servin, op. cit. p.95

والواقع أن شخصية سيزوستريس فى روايات هؤلاء الكتاب مركبة متعددة الصفات تتسم أعمالها بالبطولة الأسطورية، ولكن إذا حللنا هذه الروايات نجد أنها تنطبق على أعمال ثلاثة من الفراعنة. أولها الروايات عن نشاط سيزوستريس البحرى الحربى فى البحر الأحمر طبقاً لرواية ديودور الذى يسميه Sesoosis(٢٥) وهى تنطبق على بعثة أو حملة الملك سنوسرت الأول إلى منطقة مناجم بونت(٢٦). وثانيها نشاطه الحربى فى النوبة وهى تنطبق على أعمال سنوسرت الثالث(٢٧) الذى أقام لوحته المشهورة عند حدود مصر الجنوبية التى يهدد فيها كل من يعتدى على حدود مصر وثالثها نشاطه المعمارى فى منف وبناء معبد بتاح وإقامة التماثيل الضخمة أمامه وهو ينطبق على نشاط رمسيس الثانى فى هذا المجال(٢٨)

ومن بين هؤلاء الفراعنة الثلاثة فإن رمسيس الثانى هو الفرعون الذى يمكن أن ينطبق عليه نشاط سيزوستريس فى وادى طميلات وحفر القناة لوجود ظل من الحقيقة التاريخية لهذا النشاط، هو حفر رمسيس الثانى قناة المياه العذبة لإيصال مياه الرى إلى منطقة بيتوم-تل المسخوطة كما سبق أن ذكرنا، ولكن المصريين (الذين إستمد منهم الكتاب الكلاسيكيون معلوماتهم) ضخموا عمل رمسيس الثانى (سيزوستريس) من حفر قناة محدودة للرى إلى حفر قناة كبرى تربط بين النيل والبحر الأحمر بهدف الإقلال من شأن هذا العمل الضخم الذى أنجزه ملوك الفرس المحتلين لبلادهم(٢٩)

---

(٢٥) وهيب كامل، ديودور الصقلى فقرة ٥٥

(٢٦) عبد المنعم عبد الحليم، الكشف عن موقع ميناء الأسرة ١٢ ص٦٤

(٢٧) ديودور الصقلى فقرة ٥٥

(٢٨) هيرودوت فقرة ١٠٨ - ١١٠ وديودور فقرة ٥٨

(٢٩) ظهر رأى بين الباحثين بأن المصريين إخترعوا هذه الروايات عن سيزوستريس إختراعاً (كأحد فراعنتهم القدماء) لتصغير أعمال ملوك الفرس أى ليس لها أساس تاريخى أنظر Alan B. Lloyd ;Necho and the Red sea, some considerations JEA 63 (1977) p.152 ولكن كما سبق أن ذكرنا، ثبت من الآثار التى وجدت فى كل من وادى جواسيس وبرزخ السويس وجود ظل من الحقيقة التاريخية لما رواه الكتاب الكلاسيكيون (نقلا عن المصريين) عن نشاط الفرعون سيزوستريس فى البحر الأحمر ووادى طميلات. عن تفاصيل نشاطه فى البحر الأحمر أنظر

Abdel Monem A.H. Sayed „New light on the recently discovered port on the Red sea shore„ CdE, 58 (1983) p.32.

من كل ماتقدم يتبين أن قناة النيل - البحر الأحمر لم تكن موجودة طوال عصر الدولة الحديثة بدليل أن المصريين كانوا ينقلون السلع الواردة من مناطق البحر الأحمر بالطريق البرى من ميناء على ساحل الصحراء الشرقية إلى النيل.

والسؤال الآن، أين يوجد هذا الميناء، هل هو ميناء الدولة الوسطى المسمى «سوو» أو «ساوو» وهو مرسى جواسيس؟ أم ميناء آخر؟

إن العبارة السابق الإشارة إليها الواردة فى نص بردية هاريس (التى ترجع لعصر رمسيس الثالث) التى تصف المنطقة التى رست عندها بعثة هذا الملك بعد عودتها من بلاد بونت بانها «مرتفعات (صحراء) قفط» (خاست جبتيو) هذه العبارة تشبه إلى حد كبير العبارة الواردة على الآثار المكتشفة فى منطقة وادى جواسيس السابق الإشارة إليها أيضاً والتى تصف ميناء مرسى جواسيس بأنه ميناء «سوو (فى) (مرتفعات صحراء) مقاطعة قفط»(٣٠). هذا التشابه يدل على أن ميناء مرسى جواسيس هو الذى رست عنده بعثة رمسيس الثالث بعد عودتها من بونت أى أنه كان الميناء المستخدم فى عصر الدولة الحديثة الذى كانت قوافل نقل السلع المصورة فى المقبرة رقم ١٤٣ وفى مقبرة آمون - مس (المذكورين فيما سبق) تبدأ رحلتها منه نحو وادى النيل.

وربما يثار إعتراض على هذا الإستنتاج بأن وصف المنطقة التى رست عندها بعثة رمسيس الثالث بأنها «مرتفعات (صحراء) قفط» ينطبق على منطقة ميناء القصير أيضاً لأنه يقع عند نهاية طريق وادى الحمامات القادم من قفط.

والرد على ذلك أن الحفائر المنظمة التى أجرتها بعثة جامعة شيكاغو الأمريكية لثلاثة مواسم متتالية فى ميناء القصير القديم (الواقع شمال مدينة القصير بحوالى ثمانية كيلومترات) لم تسفر عن العثور على أية آثار ترجع للعصر الفرعونى، بل كل ماوجدته من آثار ترجع إما إلى العصر اليونانى الرومانى أو إلى العصر الإسلامى(٢١) وبالمثل لم يعثر فى مدينة القصير نفسها

---

(٣٠) عبد المنعم عبد الحليم، الكشف عن موقع ميناء الأسرة ١٢ ص٤٩.

(٢١) D.S. Whitcomb and J. Johnson, Quseir al_Qadim 1978, 1980, ARCE. cf. Abdel Monem A.H. Sayed, „Review of Quseir al_Qadim 1980„ CdE Tome 59 (1984) p. 293_294

على أية آثار من العصر الفرعونى. وقد وجد ويجال Weigall فى بداية القرن الحالى عدة قطع حجرية عليها نقوش هيروغليفية تبين أنها ترجع للعصر البطلمى(٣٢) وبهذا يكون ميناء مرسى جواسيس هو الميناء الوحيد على ساحل البحر الأحمر الذى ثبت إستخدام المصريين له فى نشاطهم البحرى من الآثار التى وجدت به وعلى ذلك فهو الميناء الذى إستخدمه المصريون القدماء فى عصر الدولة الحديثة.

وقد يثار تساؤل عن سبب تفضيل المصريين القدماء لهذا الميناء على ميناء القصير رغم أن الطرق بين قفط وميناء مرسى جواسيس أكثر وعورة وأطول مسافة من الطرق المؤدية إلى ميناء القصير.

والرد على هذا التساؤل يمكن التوصل إليه بدراسة خريطة بردية تورين(٣٣) (خريطة ٢أ) وقد رسمت على هذه الخريطة الطرق المؤدية من النيل إلى ساحل البحر الأحمر المسمى «يم» على الخريطة(٣٤). وحول الطريق الرئيسى

---

(٣٢) A. Weigall, Travels in the Upper Egyptian Deserts (1913), p.81 and pl.x

ورغم أن الميناءين القديمين الآخرين الواقعين على ساحل البحر الأحمر وهما ميناء القلزم - السويس، وميناء برنيس - رأس بناس بعيدان عن منطقة «صحراء قفط» الواردة فى نص بردية هاريس مما يجعل من المستبعد إنطباق هذه التسمية على منطقتيهما، إلا أنهما بدورهما لم تكشف الحفائر أو الدراسات التى أجريت فيهما عن أية آثار بهما من العصر الفرعونى تشير إلى نشاط بحرى راجع B. Bruyère, Fouilles de Clysma - Qolzom (Suez) 1930 - 2 IFAOC, 1966; Golenischeff, Une excursion à Berenice:, Rec. de Trav. XIII (1913) p. 87fcf. PM. VII p.326

(٣٣) تنسب هذه الخريطة إلى متحف تورين بإيطاليا وهى مرسومة بالألوان ومكتوب عليها بيانات بالخط الهيراطيقى وتعتبر أقدم خريطة طبوغرافية جيولوجية فى العالم وترجع إلى عصر الفرعون رمسيس الثانى وقد وجدت مفصوله إلى جزئين، الجزء الأصغر رسمت عليه مواقع مناجم الذهب والطرق المؤدية إليها والجزء الأكبر رسمت عليه جبال محاجر الشست.

(٣٤) أجمع علماء المصريات على ترجمة كلمة «يم» هذه بالبحر الأحمر «فيما عدا العالم الفرنسى جورج جويون الذى ترجمها إلى «النيل» مما جعله يحدد البئر المرسوم على الخريطة بـ«بئر الحمامات» بدلا من «بئر الفواخير» (رقم ٤ على الخريطة ٢أ، ٢ب) الذى يقع وسط مناجم الذهب، كما حدد رسوم الخريطة بأنها للمنطقة الواقعة إلى الجنوب من وادى الحمامات المجاورة لبئر الحمامات رغم وعورة طرق هذه المنطقة -

المرسوم على الخريطة الذى حدده الباحثون بوادى الفواخير(٣٥) الواقع فى منتصف وادى الحمامات تقريباً (رقم ١ فى الخريطتين ٢أ، ٢ب) والطرق المتفرعة منه (وادى عطا الله رقم ٣ ووادى السد) - حول هذه الطرق تنتشر مناجم الذهب ومحاجر الشيست (أو حجر الجرايوكة Graywacke كما يسمى علمياً)(٣٦)

ورغم أن الغرض من الخريطة (كما رسمها المصرى القديم) أن تكون دليلا لمواقع مناجم الذهب ومحاجر الشيست فى وادى الفواخير وماحوله، فإن الطرق المتفرعة منه على الخريطة كتب عليها مايدل على أنها تؤدى إلى البحر (الأحمر) وإلى ميناء يقع على ساحله. وسبب هذا الجمع بين الطرق المؤدية إلى ساحل البحر وبين مواقع مناجم الذهب ومحاجر الشيست يرجع إلى أسلوب المصريين القدماء فى الإستفادة من القوى البشرية المستخدمة فى مشروعات الصحراء الشرقية، فقد كانوا يجمعون بين مشروعين أو أكثر من هذه المشروعات ليمكنهم إستثمار هذه القوى البشرية قدر المستطاع. ومثال ذلك الجمع بين بناء السفن فى الميناء الواقع على ساحل البحر الأحمر (أو تركيب هذه السفن بتعبير أدق)(٣٧)، وبين قطع الأحجار من محاجر الشيست كما يدل على ذلك نقش كل من حنو(٣٨) وأمينى(٣٩)، أو الجمع بين تركيب السفن وبين إستخراج الذهب من

= المؤدية إلى مدينة الأقصر، فهو يرى أن هذه الطرق تتجه إلى هذه المدينة تمشياً مع رأيه بأن كلمة «يم» تعنى «النيل» وليس «البحر». وبذلك تجاهل ج.جويون المنطقة الواقعة إلى الشمال من وادى الحمامات المجاورة لوادى الفواخير والتى يمر بها وادى عطا الله وتخترقها طرق أقل وعورة وتنتشر فيها مناجم الذهب. أنظر

G.Goyon «Le papyrus de Turin dit des mines d'or et le Wadi Hammamat» ASAE, Tome XLIX (1949) pp. 337 - 392

(٣٥) G.W. Murray, «The gold mines of the Turin Papyrus» in John Ball, Egypt in the classical geographers (1942) p. 180 - 2.

(٣٦) ألفريد لوكاس، المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة زكى أسكندر ومحمد زكريا غنيم، القاهرة، ص٦٧٢.

(٣٧) سبق أن ذكرنا أن المصريين القدماء كانوا يبنون السفن فى مدينة قفط على شاطئ النيل ثم ينقلونها مفككة إلى ساحل البحر الأحمر حيث يركبونها (أنظر ص)

(٣٨) Breasted, ARE I § 432.

(٣٩) Sayed CdE 58 p. 27 - 28.

الوديان المؤدية إلى هذا الميناء ومثال ذلك بعثة الملك رمسيس الثالث إلى بونت(٤٠).

وقد كتب فى الخريطة على أول هذه الطرق عبارة «الطريق المؤدى إلى اليم» (رقم ١ على الخريطة رقم ٢أ)، وطبقاً لرأى ج.مرى(٤١) فإن هذا الطريق يطابق ذلك الجزء من وادى الحمامات الممتد من بئر الفواخير إلى الشمال الشرقى نحو القصير (رقم ١ على الخريطتين ٢أ، ٢ب). والطريق الثانى (رقم ٢) كتب عليه طريق آخر يؤدى إلى اليم (البحر الأحمر). وقد حدده ج.مرى بوادى أم عش الزرقاء المتفرع من وادى عطا الله(٤٢) والطريق الثالث (رقم ٣ فى

(٤٠) Breasted, ARE IV § 228.

(٤١) Murray, op. cit. p. 180 – 2

يعتبر رأى ج.مرى بشأن مطابقة خريطة تورين على الطبيعة أكثر آراء الباحثين فى هذا الصدد منطقية وأقربها إلى الواقع رغم أنه أقدم هذه الآراء (نشر عام ١٩٤٢). وقد سبق أن أوضحت نقاط الضعف فى رأى ج.جويون (أنظر ص) وفى السنوات الأخيرة (١٩٨٨) ظهر رأى لباحثة أمريكية تدعى لويز برادبرى مؤداه أن الخريطة يجب أن تقرأ بتوجيه حافتها العليا نحو الجنوب (وليس نحو الشمال كما قرأها ج.جويون أو نحو الشرق كما قرأها ج.مرى) وقد نجحت هذه الباحثة فى مطابقة خريطة مناجم الذهب (الخريطة الصغيرة) على الطبيعة بوجه عام، ولكنها فشلت فى مطابقة مناجم الشيست (الخريطة الكبيرة) إذ إفترضت أن تكون هذه الخريطة لمنطقة صخور الدولوميت الداكنة فى وادى حمامة فى الواقع شمال وادى الحمامات بحوالى خمسين كيلومتراً وهو خطأ كبير لأن المعروف أن محاجر الشيست تنتشر على صخورها مئات النقوش الهيروغليفية التى تصف عمليات قطع كتل الشيست من هذه المحاجر بينما تخلو المنطقة التى حددتها برادبرى فى وادى حمامة من هذه النقوش أنظر

Louise Bradbury, «Reflections on travelling to God's Land and Punt in the Middle Kingdom», JARCE XXV (1988) p.150.

(٤٢) هذه إحدى نقطتى الضعف فى رأى ج.مرى لأن وادى أم عش الزرقاء يجب أن يتفرع من وادى الفواخير مباشرة طبقاً للرسم على الخريطة القديمة وليس من وادى عطا الله كما هو فى الواقع (قارن رقم ٢ على الخريطتين ٢أ، ٢ب). أما نقطة الضعف الأخرى فهو إختلاف شكل أرضية وادى الفواخير (خريطة ٢أ) فهو يبدو كطريق ممهد فى أجزائه الشمالية بينما يظهر كطريق وعر (الدوائر الضيقة التى قد تدل على إنتشار قطع الحجارة) فى جزئه الجنوبى. كذلك تبدو أرضية وادى السد (فى الخريطة ٢أ) مطابقة لأرضية وادى الفواخير رغم وعورة وادى السد. ولكن رغم ذلك، فإن نقاط الضعف هذه أقل أهمية من نقاط الضعف فى آراء كل من ج.جويون ول.برادبرى وقد يكون مسببها أن رسام الخريطة رسمها من الذاكرة.

الخريطتين ٢أ، ٢ب) كتب عليه «الطريق إلى تنت-با-مر Tent_p3_Mer». وقد ظل هذا الإسم مصدر حيرة علماء المصريات فترجمه جاردنر «طريق الخازن أو أمين الخزانة»، ورغم أن ج.جويون لم يقبل هذه الترجمة إلا أنه تركه بدون ترجمة(٤٢). وأخيراً ترجمته لويز برادبرى ترجمة مقنعة وهى «الطريق الخاص بالميناء». وحددت هذا الميناء بأنه مرسى جواسيس(٤٤). وهذا التحديد يتفق مع رأى ج.مرى بأن هذا الطريق هو وادى عطا الله(٤٥). وهذا الوادى يؤدى إلى وادى ساقى ومنه إلى وادى جواسيس الذى يقع ميناء مرسى جواسيس عند نهايته على ساحل البحر الأحمر.

وعلى هذا الأساس، يوجد طريقان مرسومان على الخريطة يؤديان إلى ميناء مرسى جواسيس بعد مرورهما بوادى ساقى حيث تنتشر مناجم الذهب التى إستغلتها البعثات المصرية التى كانت تقصد ميناء مرسى جواسيس للإعداد للرحلات المسافرة إلى بونت. والدليل على ذلك، وجود نقوش على جوانب هذه الوديان وردت بها أسماء الملوك الذين أرسلوا هذه البعثات. فعند إلتقاء وادى عطا الله بوادى ساقى، حفرت أسماء (خراطيش) الملكين سنوسرت الأول ورمسيس الثالث(٤٦). وكما سبق أن ذكرنا، فمن الثابت أن بعثتى هذين الملكين إلى بونت (بيا-بونت بالنسبة للأول) إستخدمتا ميناء مرسى جواسيس (بصفة قاطعة بالنسبة لبعثة سنوسرت الأول وبصفة مرجحة إلى حد كبير بالنسبة لبعثة رمسيس الثالث).

كذلك وردت إشارة لإستغلال مناجم ذهب الصحراء الشرقية ضمن المنظر المرسوم فى المقبرة رقم ١٤٣ بطيبة المذكور سابقاً (شكل ٣) والذى يمثل نقل السلع الواردة من بونت عبر الصحراء، ففى هذا المنظر سجل نص يذكر أن من بين السلع التى جلبها الموظف مع السلع الواردة من بونت ماأطلقت عليه النقوش

---

(٤٢) Goyon, op. cit. p. 379.

(٤٤) Bradbury, op. cit. p. 182.

(٤٥) Murray, op. cit. p.182 and Bradbury op. cit. p.150.

(٤٦) F.W. Green, «Notes on some inscriptions in the Etbai district» P.S.B.A. 31 (1909) pl. LIV no4.

«ذهب جبال (صحراء) قفط)(٤٧). وهى إشارة غير مباشرة إلى الجمع بين مشروع جلب منتجات بونت وبين مشروع إستخراج الذهب من المناجم الواقعة على جوانب الطرق المؤدية إلى الميناء.

وبالمثل ورد ضمن نقوش بعثة حتشبسوت إلى بونت نص ترجمته «الألكترم (الذهب الفضى) من أجود (منتجات) المرتفعات (أو الصحراء) يوزن مع منتجات بونت»(٤٨).

ورغم عدم ورود كلمة «قفط» فى هذا النص إلا أن ذلك لاينفى أن مكان إستخراج هذا الذهب هو وديان الصحراء الشرقية المؤدية إلى ميناء مرسى جواسيس حيث رست سفن حتشبسوت بعد عودتها من رحلتها إلى بونت لأن كلمة مرتفعات أو صحراء (خاست) تلازم كلمة «قفط» فى النصوص المصرية عند إشارتها إلى إستخراج الذهب من المناطق الممتدة من قفط إلى ساحل البحر.

من الأدلة المذكورة سابقاً يتبين أن الطريق البرى كان هو الطريق الذى إتبعه المصريون القدماء فى عصر الدولة الحديثة فى نقل سلع بونت من ميناء مرسى جواسيس إلى وادى النيل، وبالتالى كان هذا الميناء هو نقطة الإنطلاق للسفن المصرية المتجهة إلى بونت مما يدل على عدم وجود قناة النيل البحر الأحمر فى عصر هذه الدولة.

وبعد أن أثبتنا عدم وجود هذه القناة فى عصر الدولتين الوسطى والحديثة، قد يثار تساؤل عن هذه القناة بالنسبة للدولة القديمة. والحقيقة أنه يوجد دليل قوى على عدم وجود هذه القناة فى عصر الدولة القديمة وهو النص المدون فى مقبرة ببى نخت بأسوان (عصر الملك ببى الثانى ٢٢٤١ - ٢١٤٨ ق.م الأسرة السادسة) الذى يشير إلى بنــاء (أو تركيـب)(٤٩) سفينـة على سـاحل البحر

---

(٤٧) B. Cumming, Egyptian historical records of the later Eighteenth dynasty Fasc. 2 (1984) no 1473.

(٤٨) Breasted ARE II § 373

(٤٩) إستخدمت كلمة «سبت Spt» فى هذا النص للتعبير عن «بناء» (تركيب) هذه السفينة والمعنى الدقيق للكلمة هو «تثبيت ألواح السفينة بالحبال» وقد ظهرت الكلمة بهذا المعنى فى منظر فى مقبرة رع حتب فى ميدوم أنظر C. Boreux Etudes de nautique Egyptianne (1925) fig 74 a (يلاحظ التشابه بين هذه الكلمة وبين -

الأحمر لإرسالها إلى پونت(٥٠).

أما عن تحديد الميناء الذى كانت هذه السفينة تبنى (تركب) فيه فإن هذا التحديد ليس واضحاً بنفس درجة وضوحه فى عصر الدولتين الوسطى والحديثة ولكن يمكن التوصل إلى ذلك بالقياس بأدلة تحديد ميناء مرسى جواسيس فى عصر الدولتين الوسطى والحديثة وهذا هو السبب فى أننا أخرنا دراستها إلى مابعد دراسة الأدلة فى عصر هاتين الدولتين.

فمن عصر الدولة القديمة يوجد إسم الفرعون سحورع (٢٤٤٤ - ٢٤٣٣ ق.م - الأسرة الخامسة) منقوشاً على صخور وادى حمامة(٥١)الذى يمر به طريق شمالى عبر وادى الجضامى ومنطقة سمنة إلى وادى ساقى ومنه إلى وادى جواسيس وهو طريق غنى بمناجم الذهب. وقد سجل حجر بلرمو أنه فى عصر الملك سحورع جلب من بونت ٨٠,٠٠٠ مكيال من الكندر (اللادن - البخور) المسمى «عنتيو»(٥٢) وكان المصريون فى عصر الدولتين القديمة والوسطى يميزون البخور المجلوب بطريق البحر الأحمر بهذا الإسم(٥٣)وهذا معناه أن بعثة

= الكلمة المصرية الدارجة «سبت» بمعنى سلة ربما لأن عمل السلال يتم بنفس الطريقة) مما يرجح أن عملية سبت» هذه هى تركيب ألواح السفينة وهى العملية التى كانت تجرى على ساحل البحر الأحمر بعد بناء السفينة على شاطئ النيل ثم فكها ونقل أجزائها إلى ساحل البحر الأحمر حيث تركب كما سبق أن ذكرنا (راجع ص).

(٥٠) Breasted, ARE I § 360

(٥١) Green, op. cit p. 321 no 34.

(٥٢) Breasted, ARE, I § 161

(٥٣) فى عصر هاتين الدولتين كان المصريون يطلقون على البخور الذى كانوا يجلبونه بطريق النوبة إسماً آخر هو «سنتر» كما تدل على ذلك نصوص مقابر إمراء أسوان. فقد روى كل من حرخوف Herkhuf (Breasted ARE I § 339) وسبنى Sebeni (Ibid, I § 369) أنه حصل على بخور «سنتر» ويبدو أن هذا النوع كان أقل جودة من النوع المسمى «عنتو» الذى كان يجلب بالطريق البحرى عبر سواحل البحر الأحمر بدليل ماورد فى قصة الملاح الغريق حين تفاخر الملك الثعبان أمير بونت وهو يخاطب الملاح بأن نوع البخور الذى لديه هو «عنتيو» بينما مايوجد فى مصر لدى الملاح هو من نوع «سنتر» أنظر M.W. Golenischeff, Le conte de Noufragé (Bibl. d'Etude Tome II (1912) p.169) ولكن يلاحظ أنه منذ عصر الدولة الحديثة أصبح الإسم «سنتر» يطلق أيضاً على البخور المجلوب بطريق البحر الأحمر كما

الملك سحورع إلى بونت سافرت بطريق البحر الأحمر من ميناء مرسى جواسيس الذى يقع عند نهاية الطرق القادمة من وادى حمامة حيث نقش خرطوش الملك سحورع. وهذا يشير إلى إقتران مشروع إرسال البعثة إلى بونت بمشروع إستخراج الذهب من الوديان المؤدية إلى مرسى جواسيس.

أما عن بعثة الملك بيبى الثانى إلى بونت التى يشير إليها النص السابق ذكره، فإن إسم هذا الفرعون لم يعثر عليه حتى الآن على صخور هذا الطريق الشمالى الممتد من وادى حمامة شرقاً إلى وادى ساقى ووادى جواسيس. وقد إفترض بعض علماء المصريات أن بناء (أو تركيب) السفينة قد تم فى ميناء القصير(٥٤)ولكن كما سبق أن ذكرنا لم يعثر فى ميناء القصير على أى دليل على إستخدام المصريين القدماء له (أنظر ص). وعلى هذا فإن الميناء المرجح لبناء هذه السفينة هو ميناء مرسى جواسيس لأنه الميناء الوحيد على ساحل البحر الأحمر الذى ثبت إستخدام المصريين له بالأدلة الأثرية التى وجدت فى الموقع نفسه.

بهذه النتائج يتبين أن المصريين القدماء فى عصر الدولة القديمة أستخدموا فى رحلاتهم فى البحر الأحمر ميناء مرسى جواسيس فى أغلب الإحتمالات، وإذا أضفنا إلى هذه النتيجة ماتوصلنا إليه من إستخدام هذا الميناء فى عصر الدولتين الوسطى والحديثة فإن المحصلة النهائية لذلك أن قناة النيل - البحر الأحمر لم تكن موجودة طوال هذه العصور الثلاثة.

أما بالنسبة للعصر المتأخر فقد أجمع الكتاب الكلاسيكيون تقريباً على أن الملك «نخاو» (الثانى) بن بسماتيك بدأ حفر هذه القناة ولكنه لم يتمها(٥٥).

وعلى هذا فإن هذه القناة لم تكن موجودة طوال العصر الفرعونى وكان أول من حفرها وأتمها هو الملك دارا الأول الفارسى كما سبق أن فصلناه.

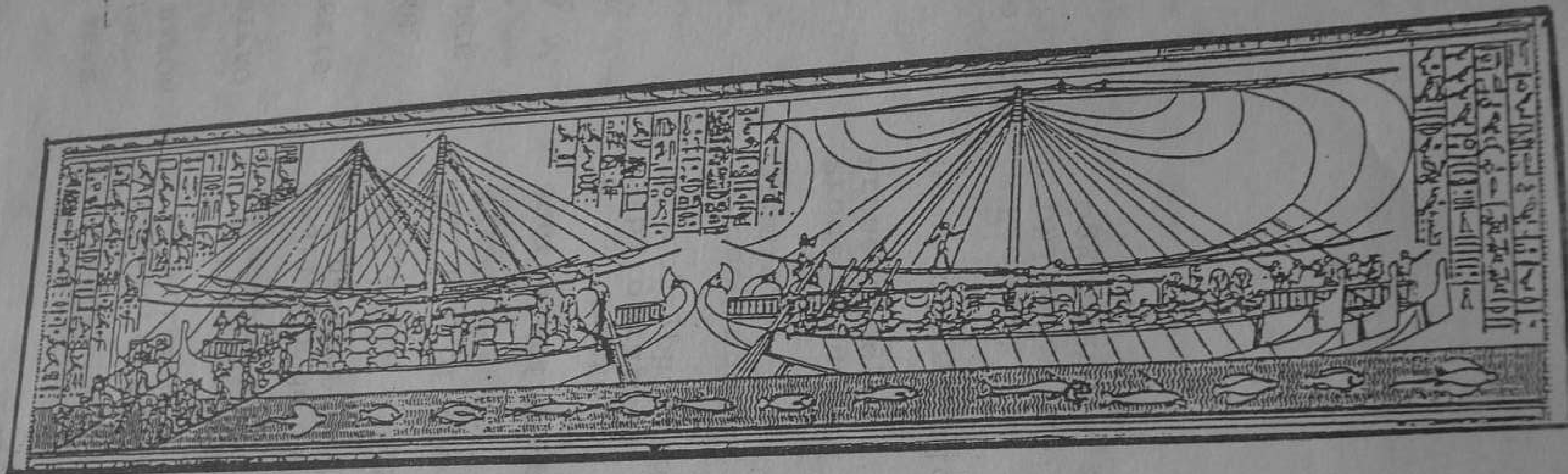
- تدل على ذلك نصوص بعثة حتشبسوت إلى بونت E.Naville, The Temple of Deir el Bahary Vol. III pl. 74.

(٥٤) J.H. Breasted, A History of Egypt p. 142.

(٥٥) هيرودوت فقرة ١٥٨ وديودور الصقلى فقرة ٣٢، واسترابون فقرة ٢٤.

الإختصارات

ASAE	Annales du Service des Antiquités de l'Egypte.
BASOR	Bulletin of the American Schools of Oriental Research.
BIFAO	Bulletin de l'Institut Français d'archéologie orientale.
BSEIS	Bulletin de la Société d'etudes historiques et géographiques de l'Isthme de Suez.
CdE	Chronique d'Égypte.
JARCE	Journal of the American Research Center in Egypt.
JEA	Journal of Egyptian Archaeology.
P.M.	B. Porter, R.Moss, Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings.
PSAS	Proceedings of the Seminar for Arabian studies.
PSBA	Proceedings of the Society of Biblical Archaeology.
RdE	Revue d'égyptologie.
Rec de Trav.	Recueil de travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie égyptiennes et assyriennes.



(شكل ١) جزء من منظر السفن المرسوم على جدار معبد الملكة حتشبسوت فى الدير البحرى وقد أنزل شراع السفينة اليسرى مما يشير إلى رسوها فى الميناء البونتى بينما ظهرت السفينة اليمنى منشورة الشراع بما يشير إلى إقلاعها. وإلى اليمين النص الهيروغليفى الذى إتخذ منه بعض الباحثين دليلا على أن هذه السفينة راسية فى النيل أمام مدينة طيبة أى فى المياه العذبة. ولكن إذا دققنا النظر فى أنواع الأسماك المرسومة أسفلها لانجد إختلافاً بينها وبين أنواع الأسماك البحرية المرسومة أسفل السفينة الراسية فى الميناء البونتى (اليسرى) أى أن السفينة اليمنى مازالت فى البحر الأحمر. مما ينفى إتخاذ هذا المنظر دليلا على وجود قناة البحر الأحمر (راجع ص).

THE BRITISH MUSEUM

Department of Scientific Research

Professor Dr Abdel Monem A H Sayad
Department of History
Faculty of Arts
al-Shatby-Alexandria
P. Code 21526
A R Egypt

22 October 1992

Calibrated Radiocarbon Results for Gawsis samples

Lab no	radiocarbon result (BP)	calibrated age range in calendar years BC (Pearson & Stuiver, 1986) 68% probability
BM-1844R	3310 ± 100	1735 to 1510
BM-1845R	3650 ± 100	2190 to 2160 or 2145 to 1890
BM-1846R	3080 ± 160	1520 to 1105

J. Ambers

Janet Ambers

(شكل ٢) نتيجة التحليل الكربونى الذى تم فى معمل المتحف البريطانى بلندن لعينات المواد العضوية التى وجدت ضمن آثار وادى جواسيس وبيانها كالآتى.

العينة رقم BM_1844R قطعة حبل

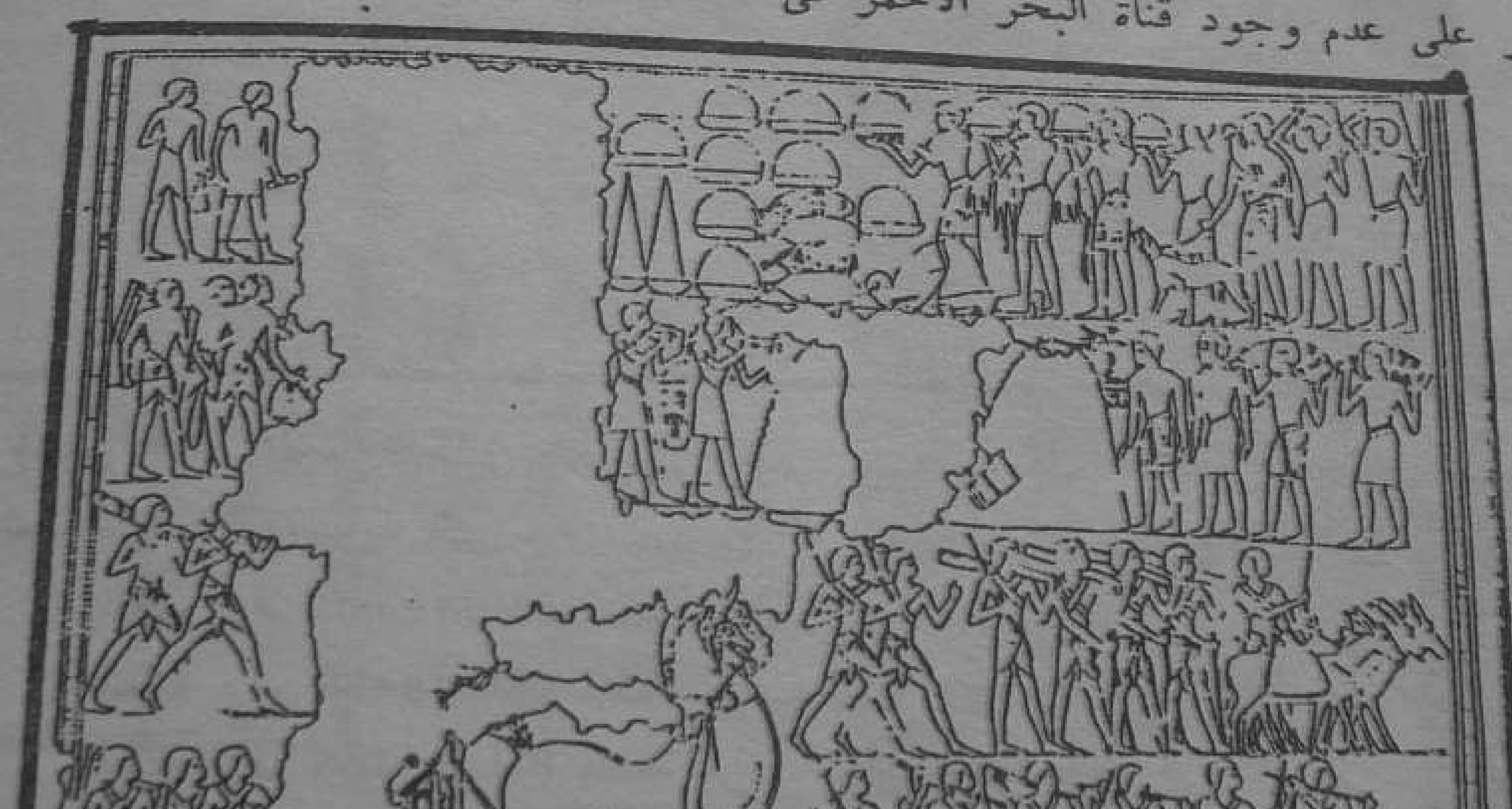
العينة رقم BM_1845R قطعة خشب أَرز Cedar Wood

العينة رقم BM_1846R قطعة من نبات الحلفا

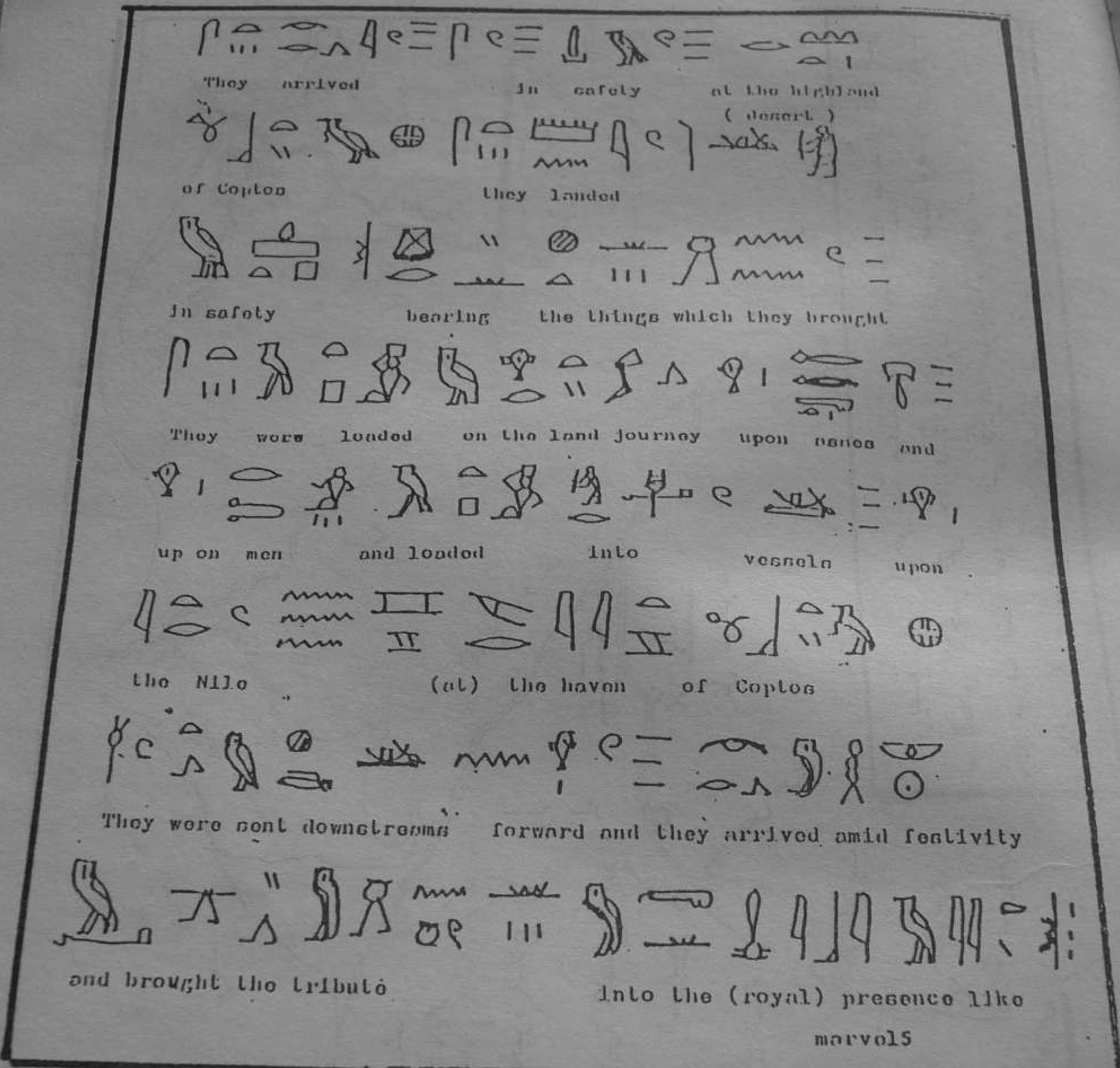
ويلاحظ أن العينة الأولى يمتد مداها الزمنى مابين ١٧٣٥ و ١٥١٠ ق.م. أى منذ منتصف الأسرة الثالثةعشرة إلى أوائل الأسرة الثامنة عشرة تقريباً، كما يمتد مدى العينة الثالثة مابين ١٥٢٠ و ١١٠٥ ق.م. أى منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة إلى نهاية الأسرة العشرين تقريباً وبهذا المدى الزمنى الطويل لايمكن الإعتماد على التحليل الكربونى وحده ولكن يمكن إتخاذه كعنصر مساعد فى إثبات إستخدام الميناء فى عصر الدولة الحديثة.



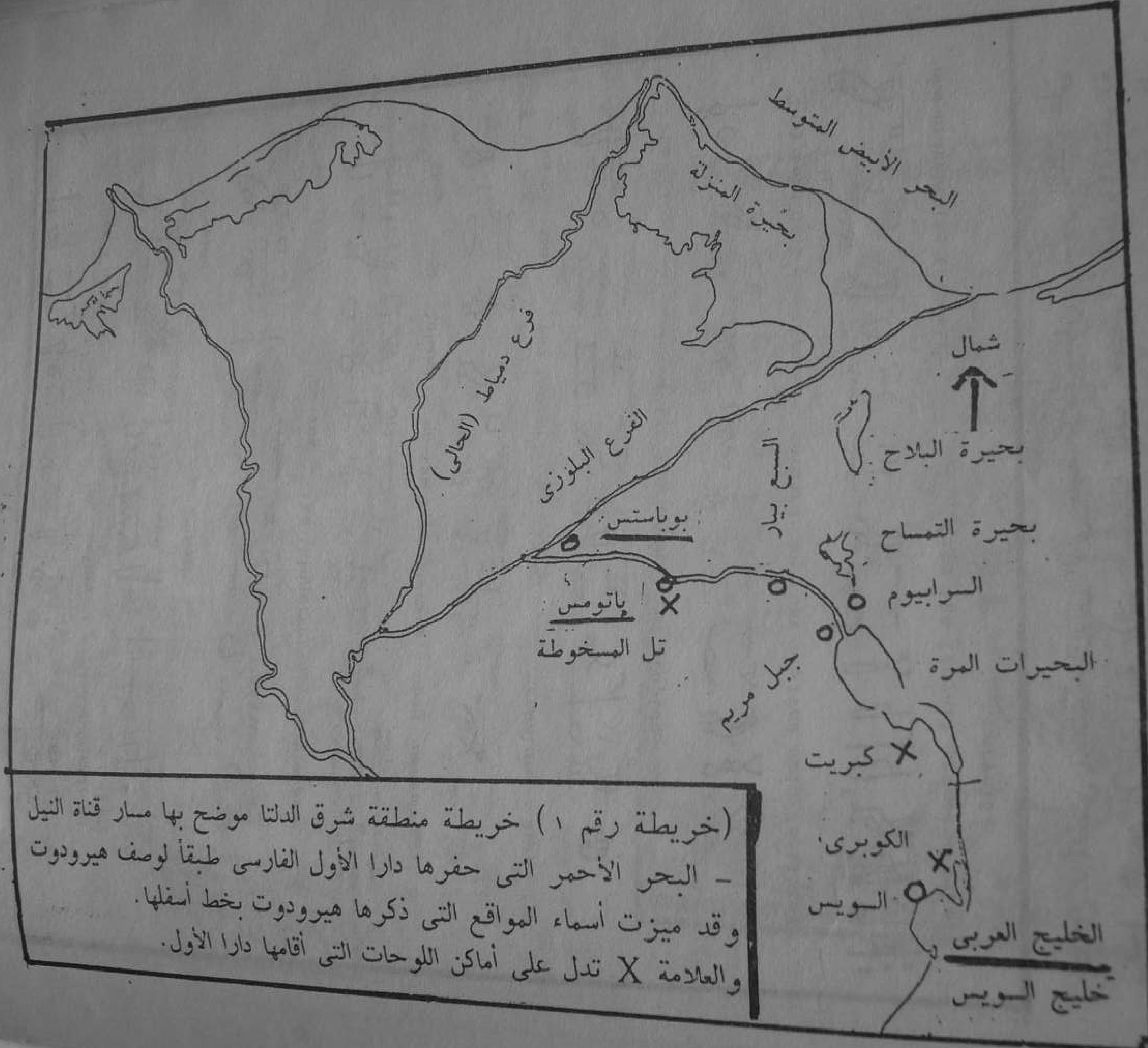
(شكل ٣) المنظر المرسوم على جدران المقبرة رقم ١٤٣ فى طيبة (عصر امنحتب الثانى فى الغالب) والذى مثل فيه وصول الموظف المصرى (فى الصف العلوى) إلى الميناء وإستقباله سلع بونت التى أفرغت من السفن البونتية على الشاطئ ومن هذه السلع المميزة لبونت ظهرت شجرة وكومات الكندر (البخور) وفى الصف السفلى ظهر الموظف المصرى وهو يقايض بالسلع المصرية. ومثلت رحلة العودة فى الإتجاه المضاد لعربة الموظف والجنود وهم يغادرون الميناء. والمنظر يعتبر دليلا غير مباشر على عدم وجود قناة البحر الأحمر فى ذلك العصر.



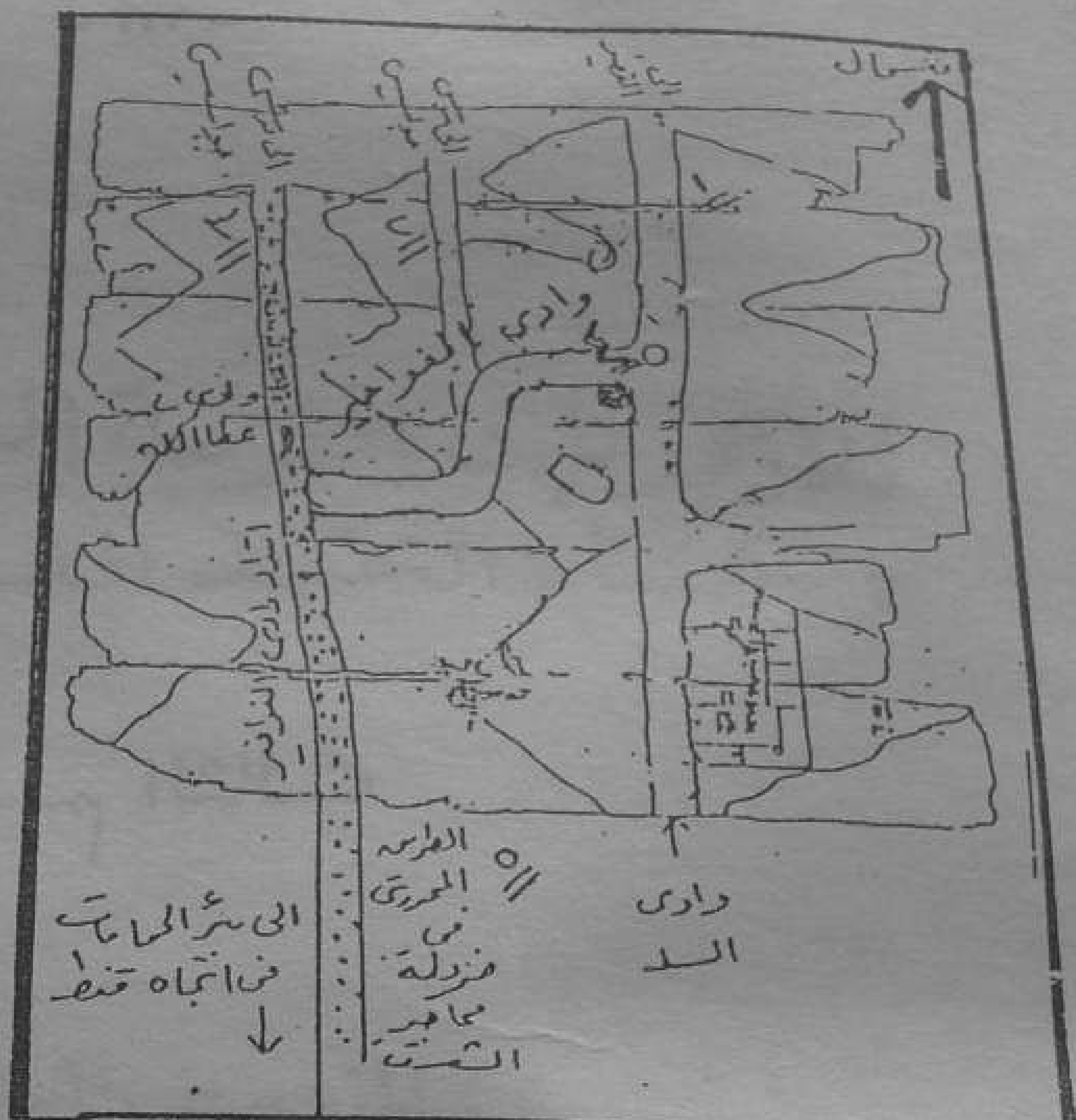
(شكل ٤) المنظر المرسوم على جدران مقبرة «آمون-مس» فى طيبة (عصر تحتمس الرابع) وتظهر فيه الدواب وقد حملت بالسلع البونتية الثقيلة بينما حمل الرجال السلع الخفيفة وهم فى طريقهم من الميناء المصرى على ساحل البحر الأحمر إلى وادى النيل. وهو دليل أخر غير مباشر على عدم وجود قناة البحر الأحمر



(شكل ٥) نص بردية هاريس الذى يصف رسو سفن رمسيس الثالث على ساحل الصحراء الشرقية (التى يسميها النص «صحراء قفط») وتفريغ شحنتها ونقلها بطريق الصحراء فوق ظهور الدواب والرجال إلى ميناء قفط على شاطئ النيل حيث أعيد شحنها فى السفن النيلية التى إتجهت بها شمالا إلى العاصمة «بررمسيس» (حرفياً : الحضرة الملكية) مما يعتبر دليلا حاسما على عدم وجود القناة فى ذلك العصر.



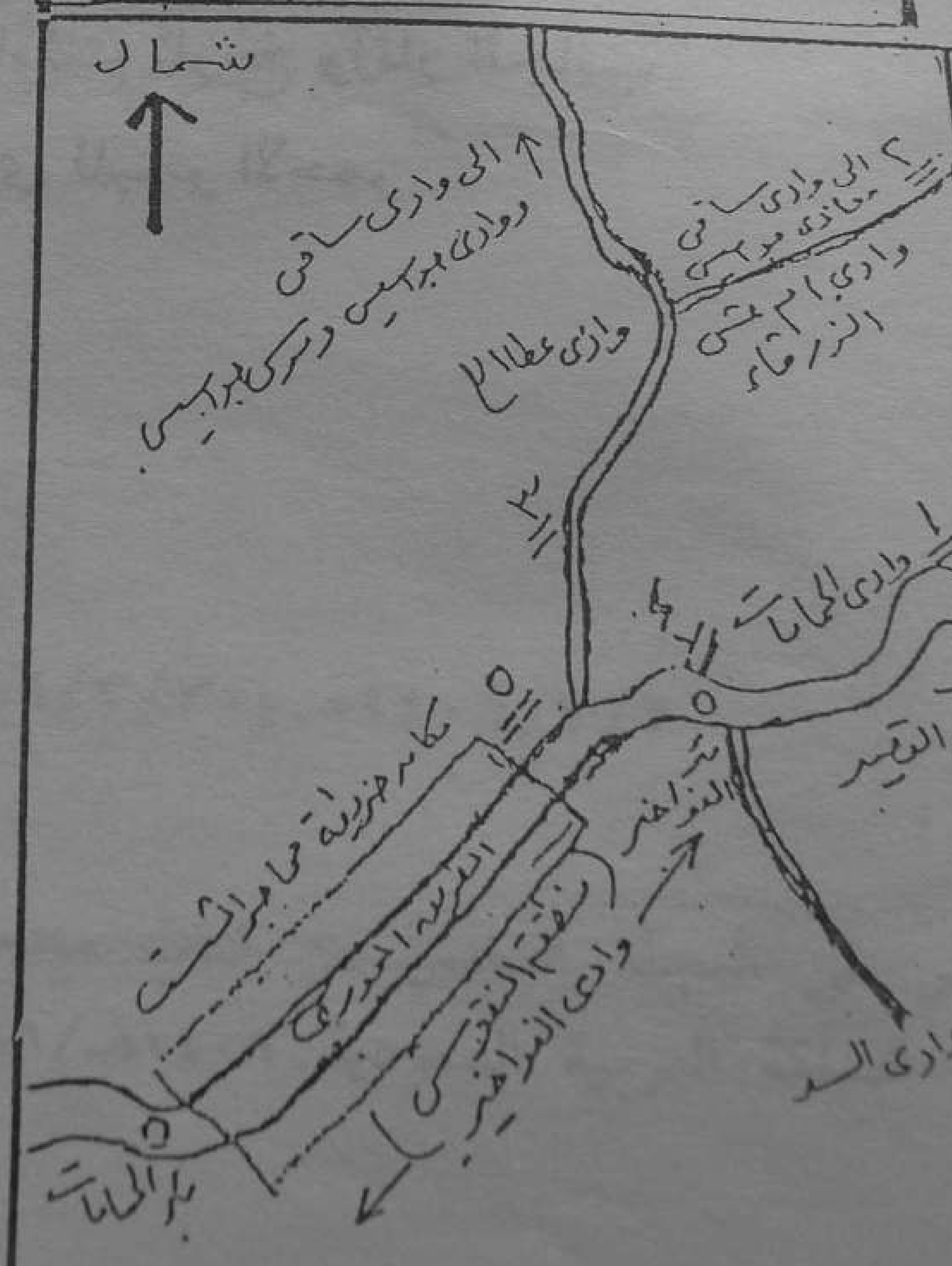
(خريطة رقم ١) خريطة منطقة شرق الدلتا موضح بها مسار قناة النيل - البحر الأحمر التى حفرها دارا الأول الفارسى طبقاً لوصف هيرودوت وقد ميزت أسماء المواقع التى ذكرها هيرودوت بخط أسفلها. والعلامة X تدل على أماكن اللوحات التى أقامها دارا الأول.



(خريطة ٢أ) خريطة بردية تورين وقد أدرنا حافتها العليا نحو الشرق لتتفق مع الإتجاه الجغرافى لمنطقة وادى الفواخير طبقاً لرأى ج.مرى بشأن مطابقة هذه الخريطة على الطبيعة.

ترجمة البيانات المكتوبة بالخط الهيراطيقى على الخريطة. طبقاً للأرقام الموضحة عليها:-

١- الطريق المؤدى إلى اليم
٢- طريق آخر يؤدى إلى اليم
٣- الطريق الخاص بالميناء
٤- البئر
٥- جبل حجر بخن، وهذه العبارة وردت على الخريطة الكبيرة فى الجزء الملاصق للخريطة الصغيرة (خريطة مناجم الذهب).



(خريطة ٢ب) الخريطة الحالية لمنطقة وادى الفواخير مستخرجة من خريطة مصلحة المساحة مقياس ١٠٠٠٠٠ وهى تطابق الخريطة السابقة تقريباً.

الأسماء الحالية التى تقابل البيانات المكتوبة على الخريطة القديمة.

١- وادى الحمامات
٢- وادى أم عش الزرقاء
٣- وادى عطا الله
٤- بئر الفواخير
٥- محاجر الشيست (حجر بخن) وهذه المحاجر تطابق فى موقعها رسوم جبال الشيست على الخريطة الكبيرة وهى المنطقة المليئة بالنقوش.

هل يشير نقش أبرهة الحبشى عند بئر مريغان إلى حملة الفيل؟ (٠)

دكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد
أستاذ الآثار والتاريخ القديم، قسم التاريخ، كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز
جدة - المملكة العربية السعودية

9

ملخص البحث

منذ أن كشفت بعثة ركمانز هذا النقش فى أوائل الخمسينات، تعددت الآراء فى شأنه، وكان أخطرها رأى بعض المستشرقين أن النقش يسجل حملة الفيل التى قادها أبرهة لهدم البيت الحرام، لأنه يشكك بطريقة غير مباشرة فى صحة رواية القرآن الكريم عن مصير أصحاب الفيل. ذلك أن أبرهة يذكر فى النقش مامعناه أنه عاد بجيشه سليماً منتصراً، مما يخالف ماورد فى الآية الكريمة فى سورة الفيل. **"فجعلهم كعصف مأكول"**. وكان لعدم وضوح حروف النقش أو سقوط بعض عباراته الهامة سهوا فى النسخة التى نشرها ركمانز للنقش، دور كبير فى إتاحة الفرصة لهذه الآراء المغرضة.

لهذ، قام كاتب هذا البحث بزيارة لمنطقة مريغان لمراجعة نسخة ركمانز ولتصوير الأجزاء غير الواضحة فى النقش. وبفضل من الله أمكن العثور على نقش آخر صغير إلى جوار النقش المذكور لم تنتبه إليه بعثة ركمانز سجله محارب يدعى «منسى بن ذرانح» حارب تحت قيادة أبرهة.

وقد تبين لكاتب هذا البحث من دراسته للنقشين، أن العبارات الناقصة أو غير الواضحة فى النقش الكبير هى لأسماء شهور وقبائل ومواقع ترتبط ببعضها من حيث الزمان والمكان، وأن النقش يروى أخبار صراع قبلى إستغله أبرهة الحبشى فى ضرب أعدائه من قبائل نجد، وأن أسماء هذه القبائل والأماكن لاصلة بينها وبين تلك التى وردت فى الروايات العربية عن حملة الفيل. وأن النقش يسجل أخبار حملة أخرى سبقت حملة الفيل التى أشار إليها القرآن الكريم بفترة تتراوح بين ١٨، ٢٣ سنة.

كذلك فند كاتب البحث آراء المستشرقين التى حاولت أن تجد سنداً لرأيهم بأن النقش يسجل حملة الفيل فى بعض الروايات العربية الضعيفة القائلة بأن الرسول (ص) ولد بعد عام الفيل بثلاثة وعشرين عاماً، خلافاً للرأى الشائع فى الكتابات العربية وخاصة المبكرة منها بأن الرسول (ص) ولد فى نفس عام الفيل.

....

(٠) نشر فى مجلة جامعة الملك عبد العزيز - الآداب والعلوم الإنسانية - جدة - المملكة العربية السعودية المجلد ٣ - ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ص ٧١-٩٧.

تقع منطقة بئر مريغان شمال غرب نجران بحوالى ٢٣٠ كيلومترا، وأقرب مدينة إليها هى «تثليث» الواقعة إلى غربها مباشرة بحوالى عشرين كيلومترا.

ويبدو أن منطقة بئر مريغان (أو آبار مريغان لوجود مالايقل عن خمسة آبار بها)، كانت محطة رئيسية للقوافل فى العصور القديمة، ربما بسبب وفرة المياه الباطنية بها. ودليل ذلك كثرة النقوش الصخرية القديمة بها وإن كان أغلبها نقوشا ثمودية.

ومن بين هذه النقوش الهامة، بل وأهمها جميعاً نقش لأبرهة الحبشى (أو أبرهة الأشرم كما هو معروف فى كتابات الاخباريين) بالخط الحميرى المتأخر محفورا حفراً خشناً على الصخر على إرتفاع سبعة أمتار فوق سطح الأرض (شكل رقم ١). وكان أول من تنبه إلى وجوده، علماء البعثة المسماة بعثة «ركمانز - فلبى - لبنز» Ryckmans_Philby_Lippens أثناء طوافها فى أرجاء المملكة العربية السعودية خلال عام ١٩٥١م لجمع نقوشها. وأول من نشر هذا النقش مع ترجمته (إلى الفرنسية) هو عالم اللغات السامية «جونزاج ركمانز»، وذلك فى مجلة الدراسات السامية المسماة «Le Muséon» وقد أعطاه الرمز Ry 506 الذى صار يعرف به فى كتب الدراسات السامية (١)، ثم علق عليه إبن أخيه «جاك ركمانز» فى نفس العدد من هذه المجلة. (٢)

ومنذ نشر النقش، آثار إهتماماً كبيراً بين المستشرقين والباحثين فى الدراسات السامية، ربما بسبب شهرة أبرهة الحبشى فى التاريخ العربى القديم. فتوالت دراساتهم للنقش ومن أهمها دراسات «كاسكل» (٣)، وبيستون (٤)، وسدنى سميث (٥) وألتهيم وشتيل (٦) وكستر (٧) وأخيراً كونراد (٨).

1_ G. Ryckmans., Inscriptions sud_arabes, Ry 506 Le Muséon, LXVI, 1953), 275f.

2_ J. Ryckmans., Inscriptions Historiques Sabéenes de l´Arabie Centrale, Inscription de Muraighan, Ry 506, (Le Muséon, LXVI, 1953), 339f.

3_ K. Caskel., Entdeckungen in Arabien, 27f.

4_ A.F.L. Beeston., Notes on the Mureighan Inscription, BSOAS, XVI, 1954, 389f.

5_ Sidney Smith, «Events in Arabia in the 6th century A.D., the career of Abraha» BSOAS, XVI, (1954), 431f.

6_ F. Altheim.,and R.Stiehl, Araber und Sassaniden (Berlin, Edwin Redslob Zum 70 Geburtstag,:1954),200f. «Finanzgeschichte der Spätantike», 143_8, 353_55.

7_ M.J.Kister, «The Campaign of Huluban,a new light on the Expedition of Abraha» (Le Muséon, LXXVIII, 1965), 425f.

8_ Lawrence I, Conard., «Abraha and Muhammed», (BSOAS, L, 1987), 225f.

وقد إختلفت ترجمات هؤلاء الباحثين وتفسيراتهم لعبارات النقش بسبب عدم وضوح بعض سطوره فى النسخة التى أخذتها بعثة ركمانز - قلبى - لبنز للنقش والتى نشرها ج. ركمانز كما سبق القول والتى ظلت النسخة الوحيدة للنقش (شكل ٢). فبينما يرى بعضهم أن النقش يسجل حملة الفيل التى قادها أبرهة الحبشى ضد مكة المكرمة قبيل ظهور الإسلام (٩) والتى أشار إليها القرآن الكريم فى سورة الفيل، يرى البعض الآخر أنه لاتوجد صلة بين النقش وبين حملة الفيل، وأن النقش يسجل حملة تأديبية قادها أبرهة ضد قبائل الشمال (١٠)، بينما يرى فريق ثالث أنها حملة تمهيدية قام بها أبرهة لتمهيد الطريق لحملة الفيل فيما بعد (١١).

ويهمنا من هذه الآراء، الرأى القائل بأن نقش مريغان يسجل حملة الفيل التى قادها أبرهة ضد مكة مستهدفاً هدم البيت الحرام، نظراً لتعارضه مع ماورد فى سورة الفيل، وخاصة أن هذا الرأى بدأ يجد رواجاً فى مؤلفات المستشرقين فى السنوات الأخيرة (١٢).

إن شيوع هذا الرأى، يعنى بطريقة ضمنية التشكيك فيما تُنبئُنا به سورة الفيل من هلاك أصحاب الفيل، أى هلاك أبرهة وجيشه، لأن نقش مريغان يحوى نصاً مؤداه، أن أبرهة عاد منتصراً، أى بعبارة أخرى عاد سليماً معافى (هو وجيشه بالطبع) فلم يحل به أو بجيشه الهلاك كما ورد فى سورة الفيل «فجعلهم كعصف مأكول».

ومع الإعتراف بأن بعض المستشرقين لايستهدفون من عرض أمثال هذه الآراء سوى إظهار الإجتهادات فى البحث عن الحقائق التاريخية، إلا أن بعضهم الآخر - ربما هم قلة منهم - يتخذون من هذه الإجتهادات ستاراً للطعن فى الإسلام وفى كتابه المنزّل.

وسواء كان هدف المستشرقين خالصاً أم مغرضاً، فلاشك أن واجبنا نحن أبناء الإسلام التصدى لهذه الآراء بنفس الإسلوب، وهو أسلوب الإجتهاد العلمى بتقديم الأدلة التاريخية والأثرية التى تدحض حججهم، أى التى تثبت أن نقش مريغان ليس له أى علاقة بحملة الفيل، والوصول إلى هذا الهدف يقتضى منا السير فى إتجاهين :

الأول :مراجعة نسخة ركمانز على النقش نفسه فى محاولة لتوضيح الحروف والكلمات غير الظاهرة فى هذه النسخة والتى سقطت سهواً منها، لقراءة العبارات الناقصة

9_ Kister, op. cit 346, cf. Altheim and Stiehl, Finanz. op. cit, 148.

10_ J. Ryckmans, op. cit., 340.

11_ Caskel, op. cit., 30.

12_ Conrad, op. cit., 238.

وترجمة النقش من جديد، والغرض من ذلك التأكد من أسماء الأشخاص والقبائل والمواقع الواردة فى النقش حتى لاتترك أى فرصة لإفتراض وجود أسماء أشخاص أو قبائل أو مواقع تشبه أو تكون ذات صلة بتلك التى وردت فى الكتابات العربية (كتابات الاخباريين) عن حملة الفيل. ويرتبط بهذا الإتجاه أيضاً تحديد أماكن القبائل والمواقع على الخريطة لتوضيح مدى قربها أو بعدها عن مكة المكرمة. هدف حملة الفيل.

الثانى : تمحيص الروايات العربية (روايات الاخباريين) التى اعتمد عليها بعض المستشرقين لإثبات أن نقش مريغان يسجل حملة الفيل مثل رواية عن الأحداث الهامة التى إتخذها العرب فى الجاهلية كمراحل لتأريخ خاص بهم مما سنفصله فيما بعد.

أما عن الإتجاه الأول فقد قام كاتب هذه السطور برحلة إلى منطقة بئر مريغان (١٣) صاحبه خلالها مجموعة من تلاميذه (١٤)، وأمكنه بذلك الحصول على نسخ خطية (tracing) للحروف غير الواضحة فى نسخة ركمانز وعلى صورة فوتوغرافية لها ولسائر أجزاء النقش. وبذلك أمكنه قراءة هذه الأجزاء غير الواضحة فى النقش وتصحيح ماسبق أن قرئ خطأ، بل وإضافة ماسبق أن سقط سهواً فى نسخة ركمانز من كلمات، مثل إسم الشهر الذى يحدد تاريخ إنتهاء الحملة (شكل ٢) (١٥).

١٣- أفضل طريق للوصول إلى منطقة بئر مريغان فى الوقت الحاضر يبدأ من مدينة خميس مشيط ويتجه نحو الشمال الشرقى إلى مدينة تثليت. وهو طريق مرصوف يبلغ طوله حوالى مائتى كيلومتر. وعند مدينة تثليت نتجه شرقاً فى طريق رملى لمسافة عشرين كيلومتراً تقريباً حتى منطقة بئر مريغان.

١٤- فى مقدمتهم السيد عمر يحيى محمد المعيد بقسم التاريخ، ثم الطلاب حسن القحطانى ومذكر المطيرى ومحمد عالم وعلى مسفر الأحمرى وخالد العبود الذين كانوا خير عون لى فى رحلتى.

ولكن قبل ذلك، فإننى مهما قدمت من شكر وإمتنان، فلايمكن أن أوفى الأخ الدكتور منصور كدسة رئيس قسم الإعلام بالكلية حقه منهما، لما قام به من إتصالات مع إمارة خميس مشيط لتيسير مهمتى بعد أن شرح له الزميل الدكتور حمد العرينان رئيس تحرير مجلة الكلية، أهمية الهدف من رحلتى، وكذلك الأستاذ عبد العزيز بن مشيط أمير خميس مشيط لما قدمه من تيسيرات، كتدبير وسيلة الإنتقال وتهيئة أماكن الإقامة لنا. وفى هذا المقام لن أنسى إخلاص أبناء خميس مشيط من خريجى الكلية وهم الأخوة مساعد مبارك ومحمد القحطانى اللذان وضعا جهودهما تحت تصرفنا طوال فترة الرحلة، وكانا خير صحبة لنا.

وأخيراً، فى معرض التنويه بجهود كل من تعاونوا معى لتحقيق هدفى من هذه الدراسة، أود أن أنوه بجهود الزميل الدكتور نبيل عبد العزيز أستاذ التاريخ الوسيط بقسم التاريخ فى معاونته لى على سرعة التوصل إلى مراجع التاريخ الإسلامى فى مكتبة الجامعة.

١٥- عن تفاصيل هذه التصحيحات، ألقى كاتب هذه السطور بحثاً بعنوان : -

وقد كان لهذه الرحلة ثمرة طيبة أخرى هى إكتشافنا نقشاً جديداً لم يكن معروفاً لدى الباحثين ولم تنتبه إلى وجوده بعثة ركمانز المذكورة رغم أنه لايبعد عن نقش مريغان نفسه أكثر من مترين، وهو على نفس مستوى إرتفاعه عن سطح الأرض (سبعة أمتار). والنقش محفور على الصخر حفراً خشناً بخط حميرى متأخر يشبه خط النقش الكبير، وقد ورد فيه إسم الملك أبرهة أيضاً (شكل ٣) وسوف نطلق عليه «نقش مريغان الصغير» تمييزاً له عن النقش الكبير الذى سنميزه بدوره بهذا الإسم.

وقد أفاد هذا النقش الجديد فى تحقيق الهدف الذى نسعى إليه وهو إثبات أن نقش مريغان الكبير لايسجل حملة الفيل وليس له علاقة بها كما سنوضح بعد.

وفيما يلى قراءة وترجمة لنقش مريغان الكبير بعد التصحيحات والإضافات التى أدخلناها عليه وقد وضحنا هذه التصحيحات فوق السطور فى نسخة ركمانز (شكل ٢) وسنشير إليها فى حواشى الصفحات :

١- ب خ ى ل/ ر ح م ن ن/ و م س ى ح هـ/ م ل ك ن/ أ ب ر هـ/ ز ى ب م ن/ م ل ك/ س ب أ/ بقوة الرحمن ومسيحة الملك أبرهة زيبمان(١٦) ملك سبأ
و ذ ر ى د ن/ و ح ض ر م و ت،
وذو ريدان وحضرموت

= «Emendations to the Bir Murayghan Inscription Ry 506 and a new minor inscription from there»
وذلك فى مؤتمر الدراسات العربية (Seminar for Arabian Studies) الذى عقد فى مدينة «درم» Durham بانجلترا فى صيف عام ١٩٨٧م، وقد نشر هذا البحث متضمناً الصور الفوتوغرافية لحروف وعبارات النقش التى تم تصحيحها، وكذلك نتائج المداولات التى جرت بين مقدم البحث وبين علماء اللغات السامية ممن سبق لهم نشر دراسات عن هذا النقش مثل البروفسور بيستون والبروفسور جاك ركمانز، لذلك لم نجد داع لتكرار هذه النواحى هنا. فالبحث منشور فى مجلة هذا المؤتمر وعنوانها
«Proceedings of the Seminar for Arabian Studies», 18 1988, 131f (c/o Institute of Archaeology, London, 31–34 Gordan Square, WCIH OPY).
وبهذه المناسبة أوجه شكرى للبروفسور والتر مللر Walter W. Muller الأستاذ بجامعة «ماربورج» بألمانيا، لأنه نبهنى أثناء المؤتمر المذكور إلى أن الجزء المهشم فى أول سطر(٥) من النقش الصغير (الجديد شكل ٣) لابد أنه يحوى حرف «ن» لتصبح قراءة الكلمة «ملكن» وليس «ملك» وهو رأى سديد إقتنعت به فأضفت الحرف هنا، ولم أستطع إضافته فى البحث المنشور بالإنجليزية المشار إليه بسبب تسليم البحث للناشر أثناء المؤتمر.

- إختلف الباحثون فى تفسير هذه الكلمة ويرى بعضهم أنها ليست كلمة سامية (Beeston, op.cit. 390) والغالب أنها كلمة حبشية وكانت لقباً من ألقاب ملوك الحبشة.

٢- و ى م ن ت / و ر أ ع ر ب هـ م ر (١٧) / ط و د م / و ت هـ م ت / س ط ر و / ذ ن / س ط ر ن / ك غ ز ى و
ويمنات وقبائلهم (فى) الجبال والسواحل(١٨)، سطر هذا النقش عندما غزا.

٣- م ع د م / غ ز و ت ن / ر ب ع ت ن / ب و ر خ ن / ذ ث ب ت ن / ك ف س د و / ك ل / ب ن ى ع م ر م
(قبيلة) معد (فى) غزوة الربيع(١٩) فى شهر «ذو الثابة(٢٠)» (ابريل) عندما ثاروا كل (قبائل) بنى عامر

٤- و ذ ك ى / م ل ك ن / أ ب ج ب ر / ب ع م / ك د ت / و ع ل / و ب ش ر م / ب ن ح ص ن م / ب ع م
وعين الملك (القائد) «أبى جبر» مع (قبيلة) كندة (وقبيلة) على(٢١) (والقائد) «بشر بن حصن» مع

١٧- أخطأ كاتب النقش (أو الحفار الذى حفره على الصخر) فى هجاء هذه الكلمة بأن أضاف إليها حرف «ر» فكتبها «ورأعربهم» بدلا من «وأعربهم». ويتضح من الصور الفوتوغرافية لأجزاء النقش (التى نشرت فى مجلة Proceedings of the Seminar. fig.5) كما سبق القول، أن بعض عبارات السطور الأولى للنقش قد حفرت خطأ ثم أعيد تصحيحها، ويبدو أن المصحح فات عليه تصحيح هذه الكلمة.

١٨- كان هذا اللقب الطويل هو اللقب الرسمى لملوك حمير وقد انتحله أبرهة.

١٩- إتفق علماء الدراسات السامية (ومنهم البروفسور بيستون) على ترجمة عبارة «غزوتن ربعتن» المذكورة بـ «غزوة الربيع» أو «الغزوة الربيعية». غير أن بيستون أخبرنى فى خطاب خاص أن الأصح ترجمتها «الغزوة الرابعة» على أساس أن كلمة «الربيعية» هى «ر ب ع ى ت ن» (بإضافة ياء بين حرف العين وبين حرف التاء). ولكن ربما أخطأ كاتب النقش أو الحفار فى كتابة الكلمة لأن النقش به أخطاء إملائية. وقد ذكرنا مثالا منها (كلمة «رأعربهم») لأن الترجمة لـ«غزوة الربيع» تتمشى مع بدء الحملة فى إبريل. فضلا عن أن سير الأحداث التى يرويها النقش تتفق مع هذه الترجمة كما سنذكر بعده. وقد أدرك كاسكل هذا الخطأ. فصحح نطق الكلمة إلى «rbc (y) tn» (Caskel, op.cit, 27)

٢٠- الصيغة العربية «ذو الثابة» للإسم الحميرى «ذوثبتن» وغيرها من الصيغ العربية للأسماء الحميرية للشهور، أمكن التعرف عليها فى مخطوط عربى يمنى، وقد نشر بيستون دراسة عنها، انظر A.F.L. Beeston (New Light on the Himyaritic Calendar)
Arabian Studies, I, (London, 1974). If.

٢١- هذا الإسم هو المرادف العربى فى الغالب للإسم «عل» فى النقش، وكان الباحثون قد إختلفوا فى ترجمته، فبعضهم تركه بدون ترجمة (G. Ryckmans, Op.cit, 278) وبعضهم ترجمه كاسم لجبل(Caskel, op.cit, p.28) وبعضهم لم يحدد ماهيته(Beeston, Notes, op.cit 392) وسوف نرى فيما بعد من تصحيح إحدى عبارات النقش فى نهاية سطر(٥) أن هذا الإسم لقبيلة قحطانية.

٥- س ع د م / و م ر د م / و ح ض ر و / ق د م ی / ج ی ش ن / ع ل ی /
ب ن ی ع م ر م / ك د ت /
(قبيلة) سعد (وقبيلة) مراد (٢٢) وحضروا (٢٣) أمام الجيش - ضد بنى عامر
(وجهت) كندة
و ع ل / ب و د / ذ م ر خ / و م ر د م / و س ع د م / ب و د
وعلى (٢٤) فى وادى «ذو مرخ» (٢٥) ومراد وسعد فى وادى

٢٢- هذه إحدى الكلمات التى تم تصحيحها وأدى ذلك إلى إستقامة المعنى، وبسبب عدم وضوحها فى نسخة ركمانز قرأها الباحثون قراءات مختلفة ووضعوا أمامها علامة إستفهام، فقرأها ج. ركمانز «Wmhdw» وترجمها «et ils frappérent?» (G. Ryckmans, op.cit, 278). وترجمها بيستون مثل ذلك (Beeston, Notes, op.cit, 392) وتركها كاسكل بدون قراءة أو ترجمة (Caskel, op.cit 28).

٢٣- هذه الكلمة مثل السابقة أدى تصحيحها إلى إستقامة المعنى أيضاً، وكان الباحثون قد إختلفوا فى قراءتها وترجمتها فقرأها ج.ركمانز «(w) ḏrw» وترجمها «et ils Combattirent», 278 (G. Ryckmans, op.cit.,) أما كاسكل فقرأها «(k) ḏrw» وترجمها ترجمة مختلفة تماماً وهى «ككلاب صيد» (wie jagdhunde) (Caskel, op. cit, 29) وقد إستقام المعنى بعد تصحيح قراءة الكلمة إلى «وحضروا» والمقصود، كما يستخلص من السياق، حضور القائدين مع الفرقتين اللتين كلفا بقيادتهما فى الحرب ضد بنى عامر. (الفرقة المكونة من قبيلتى كندة وعلى بقيادة «أبى جبر» والفرقة مكونة من قبيلتى سعد ومراد بقيادة «بشر بن حصن») - حضورهم جميعاً أمام (رئاسة) الجيش، أى أمام أبرهة نفسه، ربما تأكيداً للخضوع وتلقى تعليماته بتوزيع كل فرقة فى الحرب ضد بنى عامر، ودليل ذلك العبارة التالية التى تفيد توجيه كندة وعلى إلى وادى ذو مرخ وسعد ومراد إلى الوادى الواقع على الطريق إلى تربن.

٢٤- نتيجة عدم وضوح الحرف الأخير فى هذه الكلمة، فقد إعتبره ج. ركمانز حرف الياء وقرأ الكلمة «cly» وترجمها «contre» أى «ضد»، ولكن الصور الفوتوغرافية التى أخذناها للنقش أوضحت أنه ليس حرف الياء، بل الخط الرأسى الفاصل بين الكلمات فى الكتابات اليمنية القديمة (الخط المسند) وبذلك فإن الكلمة تقرأ «وعلى» أى «وقبيلة على» ويصبح ترجمة العبارة «كندة وعلى»، وهذا التلازم بين إسمى القبيلتين يؤكد صحة قراءتنا لكلمة «على» فقد ورد هذا التلازم فى النقش قبل ذلك (فى سطر ٣).

٢٥- لم يستطع ركمانز قراءة هذه الكلمة فوضع علامة إستفهام ونقطتين مكان الحروف (z(?)..) ثم تركها بدون ترجمة (G. Ryckmans, op.cit., 278)، كذلك فعل بيستون (Beeston, Notes, op. cit., 392)، أما كاسكل فقرأ الكلمة (t) mrn وفسرها بأنها «أحد تلال (منطقة) العجلان» (einer der Hügel der al_cAglan) معتمداً فى ذلك على معجم ياقوت (Caskel, op.cit., 29). وقد بينت الصور الفوتوغرافية عدم صحة هذه القراءات، وأن القراءة الصحيحة للكلمة هى «ذ (و) مرخ» ومرخ اسم واد فى نجد قرب منطقة بنى عامر حيث دارت هذه المعركة، مما يرجع صحة هذه القراءة، هذا ويلاحظ أن المعركة الأخرى ضد بنى عامر حدثت فى واد أيضاً كما سنوضح بعد.

٦- ب م ن هـ ج / ت ر ب ن / و ذ ب ح و / و أ س ر و / و غ ن م و / ذ ع
س م / و م خ ض / م ل ك ن /
على طريق تربن (٢٦) وذبحوا وأسروا وغنموا (٢٧) بوفرة وحارب الملك
ب ح ل ب ن / و د ن و
فى حلبن (٢٨) واقترب

٢٦- من الواضح أن «تربن» اسم موقع حدثت فيه المعركة الثانية ضد بنى عامر. والحقيقة أنه توجد عدة مواقع فى الجزيرة العربية تحمل أسماء شبيهة بالإسم «تربن». منها «تربة» فى وادى ضمد شمال شرق جيزان، و «ثربان» أو «جبل ثربان» شرق القنفذة. لكن الإرتباط بين قبيلة بنى عامر وبين «تربن» فى النقش، يرجح أن تكون «تربن» هذه هى مدينة «تربة» الحالية الواقعة شرق مدينة الطائف بحوالى مائتى كيلومتر. فقد كانت منطقة الطائف ومايتاخمها مصيفاً لقبيلة بنى عامر (كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة جـ ٢ (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٦٨م، ص ٧٠٩). وذلك قبل أن يخرجهم بنو ثقيف منها) (أبى عبيد عبد الله البكرى، معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، جـ ١ (القاهرة، لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٣٦٦/١٩٤٧، ص ٧٧). وأن تواجد بنى عامر فى منطقة الطائف فى فصل الصيف يتفق مع توقيت حملة أبرهة. فقد بدأت هذه الحملة فى الربيع واستمرت حتى فصل الخريف (كما سيأتى فى النقش). أى شملت فصل الصيف كله حين يكون بنى عامر فى مصيفهم.

٢٧- كان ج. ركمانز قد قرأ هذه الكلمة wmnmw أى بحرف الميم بدلا من الغين (G.Ryckmans, op.cit. 278) وترجمها مع كلمة «ذ ع س م» التى بعدها «et quiconque prit la fuite» أى «وكل شخص ركن إلى الفرار» (Ibid). ولكن الصور الفوتوغرافية أظهرت حرف الغين بوضوح، وبذلك تكون قراءة الكلمة «وغنمو» وهى نفس الكلمة العربية الفصحى نطقاً ومعنى (غنموا). والحقيقة أن بيستون كان قد إعترض على قراءة وترجمة ركمانز وصححها إلى «وغنمو»، ليس بالرجوع إلى النقش نفسه، ولكن بمقارنتها بنص حميرى (Beeston, Notes, op.cit. 390) والآن تأكدت قراءتها الصحيحة بالرجوع للنقش نفسه.

٢٨- يدل سياق النص على أن «حلبن» إسم الموقع الذى دارت فيه المعركة بين قبائل معد وبين أبرهة. وهناك عدة أسماء لمواقع فى المملكة العربية السعودية تتشابه مع هذا الإسم. منها «حلبان» فى شمال شرق جيزان (محمد بن أحمد العقيلى، المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية، المخلاف السليمانى، ط ٢ (جازان، النادى الأدبى، ١٣٩٩/١٩٧٩، ص ٢٤٩) و «حلبا» منطقة فى السراة تنحدر سيولها إلى وادى الباحة (حمد الجاسر، المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية، جـ ١ (الرياض: دار اليمامة، ص ٤٦٦) و «حلبا» من قرى اضم بمنطقة الليث (نفس المصدر). ثم «حلبان» وهو إسم نبع ماء قديم يقع غرب جبال دمخ وتحف به من الشمال الغربى جبال «سمراء حلبان» (سعد بن عبد الله بن جنيدل، المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية، جـ ١، عالية - نجد (الرياض، ١٣٩٨/١٩٧٨، ص ٤٠١). وهذه الأخيرة هى المقصودة فى النقش وتقع على خط عرض ٢٩ ٢٣ ٢٢، شمالا ٤٤ شرقاً (أسعد عبده، معجم، ١٥٦). والسبب أنها فى منطقة نجد حيث منازل قبيلة معد، فضلا عن أنها أقرب المدن المذكورة إلى إمارة الحيرة التى ورد ذكر حاكمها «المنذر» فى النقش. (J.Ryckmans., op.cit, 341).

١٠- ت ش / م أ ت م

وستمائة (٣٣)

هذا عن ترجمة النقش الكبير. أما عن النقش الصغير أو النقش الجديد الذى تم إكتشافه كما ذكرنا (شكل ٣)، فهو محفور على الصخر حفراً أشد خشونة ورداءة من النقش الكبير. وتبلغ أبعاده: حوالى خمسة وعشرين سنتيمترا فى الطول (الإرتفاع)، وعشرين سنتيمترا فى العرض، وهو مكون من ستة أسطر يتفاوت بها إرتفاع الحروف، ولكن يبلغ فى المتوسط حوالى ثلاثة سنتيمترات وقد حفر هذا النقش أحد اتباع أبرهة وفيما يلى قراءته وترجمته:

(١) ق ى ل ن /م

القَيْل (٣٤)

- وفى الربط بين وجود بنى عامر فى منطقة الطائف وبين توقيت الحملة. فقد ثبت من المخطوط الذى أشرنا إليه فيما سبق (حاشية رقم ٢٠) أن هذا الإسم هو المرادف العربى للإسم الحميرى «ذعلن»، كما بين بيستون فى دراسته لهذا الموضوع أن هذا الشهر يعادل شهر سبتمبر، أى أن الحملة إمتدت من الربيع إلى الخريف وبذلك شملت فصل الصيف وهو الوقت الذى يمضيه بنو عامر فى منطقة الطائف.

ومن الطريف أن الذين ترجموا النقش، ترجموا كلمة «ورخهو» (التى معناها فى شهره أى شهر كتابة النقش) بأنها «فى السنة...(انظر G.Ryckmans, op.cit.,278, Caskel,op.cit,28) بينما ترك البعض الآخر الجملة كلها بدون ترجمة مثل Beeston, Notes, op.cit., 392 بل أن البعض الآخر أسس إستنتاجات على عدم وجود إسم الشهر فقال جاك ركمانز مامعناه «ان عدم ذكر إسم الشهر الذى إنتهت فيه الحملة يدل على أن هذا الشهر هو شهر ذوثبتن، وأن الحملة لابد أن تكون قد إنتهت قبل فصل الربيع» J. Ryckmans, Bibliotheca Orientalis, XIV, 1957, 94.

وهو يقدم هذا الرأى لكى يثبت أن ترجمة «غزوة الربيع» غير صحيحة وأن ترجمة «الغزوة الرابعة هى الأصح، وقد وضحنا فيما سبق أن هذا يرجع على الأغلب إلى خطأ كاتب النقش (حاشية رقم ١٩). والحقيقة أن الوحيد الذى أدرك أن عدم ذكر إسم الشهر الذى إنتهت فيه الحملة يرجع إلى خطأ ما، هو سدنى سميث، فقد أضاف حاشية جاء فيها، «The month name is omitted by error» Sidney Smith op.cit. 435, n.12)

هذا التاريخ الحميرى يعادل سنة ٥٥٢م طبقاً لدراسات بيستون (Beeston, «Problems of Sabaean Chronology» BSOAS, XVI, 1954, 40) التى خلص منها إلى أن بداية إتخاذ [السـ]بئيين (والحميريين) تاريخاً خاصاً بهم هو سنة ١١٠ ق.م. وليس ١١٥ ق.م. كما كان [ر]أى السائد قبل نشر هذه الدراسات. ومع ذلك فمازال بعض الباحثين يعتبرون عام ١١٥ [ق.م]. هو بداية التاريخ السبئى الحميرى، وعلى هذا الأساس يعتبرون أن تاريخ نقش مريغن ٥٤٧م أنظر: Altheim and Stiehl, Finanz, op.cit., 148

[قيلـ]ن» (أى «القَيْل»)، هو لقب كان يطلق فى النقوش العربية الجنوبية (اليمنية القديمة) [على ر]ؤساء القبائل.

٧- ك ظ ل/ م ع د م/ و ر هـ ن و/ و ب ع د ن هـ و/ و س ع هـ م و/ ع
م د م/ ب ن/ م ذ ر ن
كظل(٢٩) معد (وأخذ) اسرى. وبعد ذلك فوضوا (قبيلة معد) عمرو بن
المنذر(٣٠) (فى

٨- و ر هـ ن هـ م و/ ب ن هـ و/ و س ت خ ل ف هـ و/ ع ل ى/ م ع د
م/ و ق ف ل و/ ب ن/ ح ل
الصلح) فضمنهم ابنه (عمرو) (عن أبرهة) فعينه حاكماً على معد ورجع
(أبرهة) من حل

٩- (ب) ن/ (ب) خ ى ل/ ر ح م ن ن/ و ر خ هـ و/ ذ ع ل ن/ ذ ل ث ن
ى/ و س ث ى/ و س
بن (حلبان) بقوة الرحمن(٣١) فى شهره ذو علان(٣٢) فى السنة الثانية
والستين وسـ

٢٩- كان ج.ركمانز قد قرأ هذه الكلمة قراءة صحيحة ثم ترجم عبارة «ودنو كظل معدم» إلى «وتلاشت (تدنت) معد كظل» «et s'evanouit comme l'ombre, Macaddum» (J. Ryckmans., op.cit., 283) ولكن بيستون إعترض على قراءة ركمانز للكلمة «كظل كما إعترض على ترجمته المذكورة، قائلا أن هذا النوع من التشبيه غير مألوف فى النقوش العربية الجنوبية التى تقتصر على العبارات التى تعبر عن الحقائق المجردة. أما عن إعتراضه على قراءة كلمة «كظل» فمن وجهة نظره أن حرف الكاف غير واضح فى الصورة (التى أخذتها بعثة ركمانز للنقش) وأن الحرف الثانى قد يكون حرف الخاء وليس حرف الظاء، وعلى ذلك قرأ بيستون الكلمة «ẖyl» وترجم العبارة التى بها الكلمة (Beeston, op.cit., 28) «وهزمت فرق معد» (The troops of Ma^{c}add were defeated)
ونتيجة لهذا الإختلاف، ترك كاسكل كلمة «كظل» هذه دون قراءة أو ترجمة (Caskel, op.cit., 28) والحقيقة أن الصور التى أخذناها للنقش يظهر فيها حرف الكاف بوضوح. ولكنه يبعد قليلا عن الحرف التالى من الكلمة، وبذلك تكون قراءة ج. ركمانز للكلمة «كظل» صحيحة. أما عن ترجمة عبارة «ودنو كظل معد» ففى رأينا أنها مشابهة للتعبير العربى «لازمه كظله» أى تتبعه وإقتفى أثره، وعلى ذلك فإن كلمة «دنو» فى النقش تعادل كلمة «دنا» العربية بمعنى «اقترب» وليس كلمة «تدنى» بمعنى «تلاشى» كما فسرها ركمانز.

هو المنذر الثالث أمير الحيرة (٥٠٥ - ٥٥٤م) وابنه هو عمرو بن هند الذى خلفه على رش وحكم من ٥٥٤-٥٦٩م.

ذه العبارة كما قلنا تعنى أن أبرهة (وجيشه) عادوا سالمين من الحرب، وهى تناقض ماورد سورة الفيل إذا إعتبر النقش سجلا لحملة الفيل كما يروى بعض المستشرقين، وهو ى الذى سنناقشه بالتفصيل فيما بعد.

م هذا الشهر كان قد سقط من نسخة بعثة ركمانز كما ذكرنا، وقد بينت صورنا وغرافية هذا الإسم بوضوح، وكان لهذا التصحيح أهمية كبيرة فى معرفة مدة الحملة. -

(٢) ن س / ذ ذ ر ن ح

منس (٣٥) ذو ذرنح (٣٦)

(٣) غ ز ى / م ع / م

غـزا مع

(٤) ر أ هـ و / م ل ك

سيده الملك

(٥) ن / أ ب ر هـ

أبرهة

(٦) م ع د م /

(قبيلة) معد

التفسير الجغرافى لنقشى مريغان

من الترجمة السابقة لنقشى مريغان الكبير والصغير، يتضح ترابطهما فى ناحيتين: أولهما أنهما يسجلان حروب أبرهة الحبشى، وثانيهما، أنهما يذكران إسم قبيلة معد، العدو الرئيسى لأبرهة الذى حاربه بنفسه. فالنقش الكبير وإن كان يشير إلى ثلاث حملات، إلا أنه يشير إلى حملة واحدة قادها أبرهة بنفسه ضد قبيلة معد. ويؤكد النقش الصغير ذلك. فيذكر كاتبه «منسى ذو ذرانح» أنه رافق سيده الملك أبرهة

---

٣٥ - «منس» ربما يكون هذا الإسم هو الصيغة العربية الجنوبية للإسم العبرانى Manassah وهذه أول حالة لورود هذا الإسم فى النقوش العربية الجنوبية. إذ لم يرد فى هذه النقوش قبل ذلك. ولعل هذا الإسم كان ينطقه اليمنيون القدماء مثلما ننطق نحن الآن الإسم «منسى» أى بياء فى آخره.

٣٦ - «ذو ذرنح» «ذو» من الكلمات المألوفة فى النقوش العربية الجنوبية التى تسبق أسماء القبائل أو العشائر ومعناها «من قبيلة ..». أما «ذرنح» فهى قبيلة يمنية ذات نفوذ. وقد تردد أسمها فى النقوش العربية الجنوبية عدة مرات (فى النقوش التى تحمل أرقام RES 4707; 4708,2;Ja 629, 40; Ir 5; C541,83) والنقش رقم (RES 4708) يرجع إلى عصر الملك «ذمار على يهبر» ملك سبأ وذو ريدان الذى عاش فى أوائل القرن الرابع الميلادى أى قبل عصر أبرهة بأكثر من مائة عام، وهذا يدل على أن «منسى ذو ذرنح» (أو ذو ذرانخ كما ينطقها بعض الباحثين)، لم يكن حبشياً بل كان من أصل يمنى، ويبدو أن أبرهة اعتمد على هذه القبيلة أو على بعض أفرادها فى حروبه ومشروعاته. فالنقش الأخير (C541, 83) يشير إلى أن أحد أفراد هذه القبيلة ويدعى «مرجزاف ذو ذرانح» كان من بين زعماء القبائل الذين تعاونوا مع أبرهة فى ترميم سد مأرب بعد تصدعه.

فى غزوه لمعد. ويذكر النقش الكبير أن أبرهة انتصر على معد فى معركة «حلبن» وقد أثبتنا أنها «حلبان» الواقعة فى نجد لقربها من الحيرة (انظر تعليق رقم ٢٨) ثم لوجود منازل قبيلة معد فى هذه المنطقة فى وقت لايبعد كثيراً عن عصر النقش، والدليل الأثرى على ذلك يتمثل فى وجود نقش حميرى على الصخر فى منطقة وادى ماسل الواقع شمال حلبان هذه بحوالى مائة كيلومتر، سجل فيه الملك الحميرى أبى كرب أسعد (حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى)، حملة شنها فى أرض معد (٣٧).

أما الحملتان الأخريان اللتان أشار إليهما النقش الكبير فقد وجههما أبرهة ضد قبيلة بنى عامر، إحداهما فى موطنها الأصلى فى نجد وإستخدم فيها قبيلتين هما كندة وعلى بقيادة أبى جبر، والأخرى فى مصيفهما فى منطقة الطائف ومجاوراتها، إستخدم فيها قبيلتين أيضاً هما سعد ومراد بقيادة بشر بن حصن. ولعلنا نلاحظ أن القبيلتين المعاديتين لأبرهة وهما معد وبنى عامر من القبائل العدنانية (راجع شكل رقم ٥)، بينما اثنتين من القبائل المتحالفة معه، وهما كندة ومراد، من المؤكد أنهما من القبائل القحطانية (انظر الشكل رقم ٤). وعلى ذلك فمن المرجح أن القبيلتين الأخريين المتحالفتين مع أبرهة وهما سعد وعلى من القبائل القحطانية أيضاً. فقبيلة سعد هى فى الغالب «سعد العشيرة». أما قبيلة «عل» فتوجد عدة قبائل قحطانية تحمل أسماء قريبة من هذا الإسم هى «عِلّة» من جلد من مذحج (٣٨)، و«عُلَى» من مرباح من لحم من كهلان (٣٩)، و«علاء» من سالم من حِرب من سعد من خولان (٤٠)، و«عُلَى» من أنس الله من سعد العشيرة (٤١)، و«عِلِى» أيضاً من خزاعة من الازد من كهلان (٤٢). هذا فضلا عن قبائل قحطانية أخرى أحدث عهداً ممن ذكرنا تحمل أسماء شبيهة بالإسم «عل» وتنحدر من سلالة حرب من سعد من كهلان (انظر شكل ٤)، فأى قبيلة من هذه القبائل هى المقصودة فى النقش بالإسم «على»؟

٣٧- G.Ryckmans, Le Muséon, LXVI, 1953, 303 (RY 509), cf. J.Ryckmans, Bibliotheca Orientalis, XIV, 1959, 93.

٣٨- القلقشندى، نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب، تحقيق : إبراهيم الابيارى، (القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩)، ٢٦٨.

٣٩- الحسين بن على، الإيناس فى علم الأنساب، إعداد حمد الجاسر، (الرياض، النادى الأدبى، د.ت)، ٣٢٤.

٤٠- كحالة، معجم، ج٢، ٨٠٥.

٤١- الحسين بن على، الإيناس، ٢١٩.

٤٢- عاتق بن غيث البلادى، معجم قبائل الحجاز، مكة المكرمة، ١٣٩٩/١٩٧٩، ٣٢٤.

من المرجح أنها إما إحدى القبائل القحطانية ذات الصلة الوثيقة بالقبائل القحطانية المشتركة فى جيش أبرهة، أو أنها من بين القبائل القحطانية أيضاً التى سكنت منطقة نجد، وربما تكون سلالتها مازالت تسكن تلك المنطقة حتى اليوم أو حتى عهد قريب. فإذا رجعنا إلى شجرة سلالة قحطان (شكل ٤) فسنجد أن الإحتمال الأول ينطبق أكثر ما ينطبق على قبيلة «على» بن أنس الله بن سعد العشيرة، حيث أن هذه الأخيرة من القبائل القحطانية المشتركة فى جيش أبرهة. أما الإحتمال الثانى فينطبق على قبيلة «على» التى تنتسب إلى الفياض بن حرب من قبيلة خولان، فما زالت سلالة «على» هذه تسكن نجد حتى اليوم (٤٣).

وإذا رجعنا إلى خريطة توزيع القبائل العربية عند ظهور الإسلام، (راجع خريطة أهم القبائل العربية عند ظهور الإسلام) أى فى أوائل القرن السابع الميلادى وهو وقت لايبعد كثيراً عن عصر نقش مريغان (منتصف القرن السادس الميلادى)، لوجدنا أن كُلاً من قبيلتى كندة وبنى عامر كانتا تستقران فى منطقتين متجاورتين فى شمال نجد، ويبدو أن أبرهة رتب خطته على هذا الأساس، فاستخدم كندة (ومعها قبيلة عَلِى) لحصار بنى عامر من الشمال، بينما قام هو نفسه بمهاجمة قبيلة معد من الجنوب، وبذلك حصر القبيلتين العدنانيتين (معد وبنى عامر) بينه وبين قبيلتى كندة وعُلَى القحطانيتين، وتمكن من إنزال الهزيمة بقبيلة معد فى «حَلَبان»، بينما انزلت كندة وعلى الهزيمة بقبيلة بنى عامر فى الوادى الذى يسميه النقش «و د ذ مرخ» أى «وادى ذى مرخ»، ويوجد فعلا فى هذه المنطقة أو فى مجاوراتها وادى يحمل إسماً شبيهاً بهذا الإسم، وهو «وادى مرخ» الذى يصب فى روضة السبلة إلى الشرق من مدينة الزلفى (٤٤)، والإسم «ذو مرخ» له بعد تاريخى، فقد ورد عنه فى قاموس ياقوت أنه يقع فى اليمامة (٤٥) بل إن البعض يرى أنه الوادى الذى يعنيه الحطيئة الشاعر وليس الواقع قرب المدينة (٤٦).

ولقد ذكرنا فيما سبق أن قبيلة بنى عامر كان لها - إلى جانب مواطنها الأصلية فى نجد - ملجأ صيفياً فى الطائف طبقاً لروايات الاخباريين، ورجحنا أن تكون موقعة «تربن» التى هزمت فيها قبيلة بنى عامر أمام قبيلتى سعد (العشيرة) ومراد، هى

٤- عاتق بن غيث البلادى، نسب حرب، قبيلة حرب، انسابها، فروعها، تاريخها وديارها، (مكة المكرمة، دار للنشر والتوزيع، ١٤٠٤/١٩٨٤)، ٢٧-٢٩، ٥٥.

- عبد الله بن محمد ابن خميس، معجم اليمامة، ج١، (الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٨/١٩٧٨)، ١٨، ٣٢.

ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٥، (بيروت : دار الصياد، ١٩٧٧)، ١٠٢، ٥١٤،

ابن خميس، معجم، ج١، ٣٢٢.

«تربة» الحالية الواقعة إلى الشرق من الطائف، وقلنا أن مما يرجح ذلك أن توقيت الحملة شمل فصل الصيف (تعليق رقم ٢٦) وهذه الحقيقة فى الواقع تكشف لنا جانباً آخر من خطة أبرهة للقضاء على تجمعات بنى عامر فى الطائف أو بالقرب منها. وبذلك يقضى على هذه القبيلة فى كل من مركزها الأصلى ومركزها الصيفى، ولعل ورود كلمة «كل» قبل اسم بنى عامر (سطر ٣) وعدم ورودها قبل اسم «معد» يشير إلى هذه الحقيقة، وهى إنفراد قبيلة بنى عامر بوجود مركزين لهما مما إستدعى توجيه جيشين لإخضاعها.

وإن إختيار قبيلتى سعد العشيرة ومراد القحطانيتين لمهاجمة قبيلة بنى عامر فى مصيفهما فى الطائف وماحولها، يتفق مع التوزيع الجغرافى لهذه القبائل فى عصر ماقبل الإسلام. فقد كانت كل من قبيلتى مراد وسعد العشيرة تسكن إلى الجنوب فى إتجاه اليمن، وذلك على عكس قبائل كندة وعَلِى التى كانت تسكن فى نجد بالقرب من الوطن الأصلى لقبائل بنى عامر. هذا وقد ظلت فروع من قبيلة سعد العشيرة تسكن بالقرب من منطقة بئر مريغان حتى عهد قريب(٤٧) وبالتحديد حول «جبل كلاب» الواقع إلى الجنوب الغربى من هذه المنطقة، وربما مازالت تسكن هذه المنطقة حتى اليوم.

لعل هذا الصراع بين العدنانية والقحطانية هو الفصل الأول أو من الفصول الأولى فى ذلك الصراع القبلى الذى قضى عليه الإسلام وربما يكون أبرهة الحبشى أول أو من أوائل الحكام الأجانب الذين إستغلوا هذا الصراع القبلى وأذكوا ناره ليحققوا مصالحهم، فإذا صح ذلك، فإننا نكون بذلك أمام عبرة من التاريخ لما يفعله الدخيل الأجنبى بالعرب أو بما يفعله العرب بأنفسهم بتحريض من الدخيل الأجنبى!!

من العرض السابق للأسماء القبلية والجغرافية المذكورة فى نقش مريغان، يتبين أن هذا النقش ليس له أى علاقة بحملة الفيل التى ذكرت الروايات العربية أن أبرهة الجبشى قادها ضد مكة لهدم البيت الحرام، فالأسماء القبلية المذكورة فى النقش وهى معد وبنى عامر وكندة وعَلِى ومراد وسعد، لايوجد أى تشابه بينها وبين أسماء قبائل مكة أو القبائل الضاربة فى الطريق إليها التى ورد ذكرها فى هذه الرويات، وهى قريش وكنانة وهذيل وخثعم بفرعيها شهران وناهس(٤٨)، كما أن الأسماء الجغرافية

٤٧- St.J Philby., Arabian Highlands, New York, 1952,25.

٤٨- ابن هشام،السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرون،ط٢،ج١ ص٤٦-٥٧،وقد إعتمدنا فى تحقيق هذه الأسماء على هذا الكتاب أساساً لأنه يعتبر أقدم كتب الاخباريين (حيث أنه استمد معلوماته من ابن اسحق الذى عاش حوالى منتصف القرن الثانى الهجرى). -

المذكورة فى النقش، وهى «حلبان» و «تربة»، بعيدة جداً عن مكة المكرمة ومجاوراتها، فإن تربة وهى أقرب هذين الموقعين إلى مكة، لاتقل المسافة بينهما عن ثلاثمائة كيلومتر!! وبالمثل، لايوجد أى تشابه بين هذه الأسماء وبين أسماء الأماكن الواردة فى الروايات العربية عن حملة الفيل مثل «المغمّس»، وهو إسم المنطقة التى عسكر فيها جيش أبرهة إلى الشرق من مكة والتى هلك فيها بفعل المعجزة الإلهية.

ولكن، وللحقيقة، فقد ورد الإسم «حلبان»، كاسم لمعركة حربية فى أبيات من الشعر - وإن كان وروداً غريباً يثير التساؤل - تنسب إلى الشاعر المُخَبّل السعدى، وأول من أورد هذه الأبيات هو الحسن بن أحمد الهمدانى المؤرخ اليمنى المعروف المتوفى سنة ٣٤٤هـ، وذلك فى كتابه «الأكليل» (٤٩)، فتقول هذه الأبيات :

ضربوا لأبرهة الأمور محلها ... حلبان فانطلقوا مع الأَقْيَال
ومحرق والحارثان كلاهما ... شركاؤنا فى الصهر والأموال

وتقول أبيات أخرى :

ويوم أبى يكسوم والناس حضر ... على حلبان إذ تقضى محاصله
فتحنا له باب الخضير وربه ... عزيز تمشى بالسيوف اراحله

ووجه الغرابة فى هذه الأبيات أن الشاعر يفتخر بمساعدة قومه بنى سعد لأبرهة (بأن اشتركوا مع أقياله فى فتح باب حصن حلبان)، بينما من المعروف أن القبائل العربية بعد الإسلام، كانت تتنصل من أى شبهة تصم تاريخها بوصمة التعاون مع أبرهة عدو البيت الحرام (٥٠).

= وقد نقل عنه الاخباريون الأوائل الآخرون مثل أبو جعفر بن جرير الطبرى (تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - جـ٢ (القاهرة: ١٩٦١)، ١٢١-١٣٩، فلا يوجد إختلاف بينهما (بشأن أخبار حملة الفيل). أما الاخباريون المتأخرون فقد دخلت على كتاباتهم الكثير من الإضافات والمبالغات، ومنها إضافة أسماء قبائل على أنها تعاونت مع أبرهة فى حملته ضد مكة مثل قبائل «عك» و «كندة» و «خولان» و «الاشعريون»، (انظر محمد بن محمد بن فهد، اتحاف الورى، بأخبار أم القرى، جـ١، تحقيق فهيم محمد شلتوت (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٣٩٧/١٩٧٧)، ٢٠، ٢٤، ٣٩، ولعل سبب هذه الإضافات يرجع إلى العصبيات القبلية أى رغبة بعض الكتاب الذين ينتمون إلى القبائل المعادية لها فى إلصاق تهمة التعاون مع أبرهة عدو البيت الحرام، بهذه القبائل.

٤٩- الحسن بن أحمد بن يعقوب، كتاب الأكليل، جـ٢، تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالى، (القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ١٣٨٦/١٩٦٦)، ١٥٧-١٥٨.

٥٠- مثال ذلك قبائل «خثعم» و «الأشعريون» الذين انضموا لجيش أبرهة (بن فهد، اتحاف الورى، ج١، ٢٠)، فقد كفروا عن انضمامهم هذا بأن كسروا رماحهم وسيوفهم ليلة استعداد أبرهة للهجوم على مكة «وبرئوا إلى الله تعالى أن يعينوا على هدم البيت» (نفس المرجع ٢٠).

غير أن الذى يتتبع وصف الهمدانى نفسه لموقع حلبان هذه، يتبين له أنها غير حلبان التى وردت فى نقش مريغان والتى توجد فى نجد. إذ يحدد الهمدانى موقعها بـ«حضور»(٥١) وهو اسم مخلاف قديم(٥٢) يعرف اليوم باسم «الحيمة» التى تمتد لمسافة ٣٧ كيلومترا إلى الجنوب الغربى من صنعاء(٥٣) فى اليمن. وهذا الموقع يشكك فى نسبة هذه الأبيات للشاعر المخبل السعدى وهو شاعر مخضرم (بين الجاهلية والإسلام) ينتمى إلى قبيلة سعد تميم العدنانية (وليس لسعد العشيرة القحطانية). وكانت منازل هذه القبيلة فى شرق نجد أى بعيدة جداً عن حلبان اليمن (التى ينطق اسمها «حَلْبان» وليس «حَلَبان» وهو نطق اسم حلبان نجد) مما يستحيل معه أن تقدم سعد تميم مثل تلك المساعدة لأبرهة!!

ومن الغريب أيضاً أن هذه الأبيات لم تظهر فى كتب الاخباريين الأوائل الذين كتبوا عن حملة الفيل مثل ابن هشام (ت ٢٢٣هـ)(٥٤) والازرقى (ت ٢٢٣هـ)(٥٥). بل كان ظهورها لأول مرة فى كتاب الهمدانى كما ذكرنا، فما الذى نستنتجه من كل ذلك؟

لعل مفتاح شخصية الهمدانى يوصلنا إلى الحل لهذه المشكلة، وهو شدة تعصبه لقومه وللقحطانية عامة، «فإن أكثر تصانيفه لايخليها من التعصب لقحطان على عدنان»(٥٦). فإذا أضفنا لذلك معرفته بقراءة الخط المسند - وإن كانت معرفة عامة للعبارات لاتصل إلى التعمق فى فهم النصوص(٥٧) - لأمكننا التوصل - أو على الأقل الإقتراب من - هذا الحل. فربما التقى الهمدانى أثناء تجواله فى أرجاء الجزيرة العربية لتأليف كتابه «صفة جزيرة العرب»، ربما التقى بنقش مريغان هذا وقرأ فيه مايفيد مساندة القبائل القحطانية لأبرهة الحبشى ضد القبائل العدنانية مما ساعد على

٥١- الهمدانى، المرجع السابق، جـ٢، ١٥٨.

٥٢- الهمدانى، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالى، الرياض : دار اليمامة، ٢٢٠-٢٢٢، ٢٢٤.

٥٣- إبراهيم أحمد المجحفى، معجم المدن والقبائل اليمنية، صنعاء : مركز البحوث والدراسات اليمنية، ١٩٨٥، ١٣٦.

٥٤- ابن هشام، السيرة، جـ١، ٤٦-٥٧.

٥٥- أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى، أخبار مكة وماجاء فيها من أخبار، تحقيق : رشدى الصالح ملمس، ط٢، جـ١، (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة، ١٣٨٥/١٩٦٥)، ١٤٠-١٤١، ١٥٥-١٥٧.

٥٦- الهمدانى، صفة، من مقدمة الكتاب للأستاذ حمد الجاسر، ١٥.

٥٧- جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ١، (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٧٠)، ١٠١.

انتصاره فى «حلبان». وربما كان يؤرقه كمسلم وصمة تحالف القحطانية مع عدو البيت الحرام. ولكنه لم يكن يعرف شيئاً فى الغالب عن «حلبان نجد» التى وقعت فيها المعركة بدليل أنه لم يذكر عنها شيئاً فى كتابه الشامل «صفة جزيرة العرب»(٥٨) فاعتقد أنها حلبان حضور فى اليمن. وربما لاحظ التشبه فى الإسم بين قبيلة سعد (العشيرة) القحطانية المذكورة فى النقش وبين قبيلة سعد (تميم) العدنانية التى ينتمى إليها الشاعر المخضرم المخبل السعدى، فوضع هذه الأبيات (أو وضعها له شاعر قحطانى) ينسب فيها التحالف مع أبرهة إلى إحدى القبائل العدنانية. وبذلك تنصرف وصمة التحالف مع عدو البيت الحرام من القحطانية إلى العدنانية. أو على الأقل تتوزع بينهما!! ذلك هو إجتهاد من كاتب هذه السطور لتفسير غموض وغرابة هذه الأبيات المنسوبة إلى الشاعر المخبل السعدى والتى كان الهمدانى أول من ذكرها وقد أوحت إليه بهذا التفسير عبارة لكاتب مقدمة كتاب الهمدانى «صفة الجزيرة» وهى «ويؤخذ على الهمدانى شدة تعصبه، شدة قد تحيد به، فى بعض الأحيان عن جادة الصواب» (٥٩).

هذا عن أسماء المواقع والقبائل الواردة فى النقشين وعدم وجود أى تشابه بينها وبين تلك الواردة فى الروايات العربية عن حملة الفيل.

ونفس الأمر ينطبق على أسماء الأشخاص، فالأسماء الواردة فى النقشين وهى «أبى جبر» و «بشر بن حصن» و «منسى ذو ذرانح» لايوجد مايشبهها فى الروايات العربية عن حملة الفيل. كذلك أسماء الأشخاص فى هذه الروايات (طبقاً لكتابات الاخباريين الأوائل كابن هشام والأزرقى) وهى : ذو نفر الذى تصدى لأبرهة فى طريقه إلى مكة فهزمه أبرهة واتخذه دليلا إلى مكة، ثم نفيل بن حبيب الخثعمى الذى تصدى لأبرهة أيضاً وهزمه أبرهة فصار دليله الثانى، ثم أبو رغال الذى قدمته

٥٨- الموقع الوحيد الذى ذكره الهمدانى فى كتابه هذا شبيه بالاسم «حلبان» هو «حلبا» التى يصفها بانها «قرية لبنى مالك بن شهر .... وشرقيها ماجاور بيشة من بلد خثعم ..» (الهمدانى، صفة، ٢٦١) والغالب أنها نفس «حلبا» التى وصفنا موقعها فى حاشية رقم ٢٨ بانها «منطقة فى السراة تنحدر سيولها إلى وادى الباحة». ولعل الهمدانى لم يكن يعرف حلبان نجد ربما لأنها لم تكن سوى حلة أو نقطة صغيرة فيما مضى فلم يذكرها أيضاً مؤلفو المعاجم الجغرافية من المسلمين مثل البكرى (معجم ماستعجم) وياقوت الحموى (معجم البلدان). وربما بدأ شيوع إسمها بعد إستقرار قبيلة الشيابين من عتيبة بها (الجاسر، معجم، جـ١، ٤٦٧) وقد أصبحت حلبان اليوم من المعالم الرئيسية لوقوعها على الخط السريع الذى يربط بين مكة المكرمة وبين الرياض.

٥٩- الهمدانى، صفة، من مقدمة الكتاب للأستاذ حمد الجاسر، ١١.

تجيب لأبرهة لتصرفه عن غزو الطائف وليكون دليله الى مكة فمات فى المغمس ودفن
هم هؤلاء كما هو واضح من الجانب العربى. أما من الجانب الحبشى فمن أعوان أبرهة
الأسود بن مقصود قائد جيش أبرهة. وحناطة الحميرى رسوله الى عبد
المطلب، ثم أنيس سائس فيل أبرهة.

ننتقل الآن للاتجاه الثانى من دراستنا والذى يتمثل فى تمحيص الروايات العربية التى اعتمد عليها بعض المستشرقين فى إثبات أن نقش مريغان يسجل حملة الفيل. إن أكثر هذه الروايات شيوعاً فى كتب المستشرقين، تلك التى قدمها المستشرق الإسرائيلى كستر Kister والتى نقلها من مخطوطة كتاب "نسب قريش" للزبير بن بكار (٦٠) (شكل ٦). وحاول تطبيقها على تاريخ النقش. تقول هذه الرواية : حدثنا الزبير قال : وحدثنى عمر بن أبى بكر المؤملى عن زكريا بن أبى عيسى عن ابن شهاب أن قريشاً كانت تعد قبل رسول الله (ص) من زمان الفيل كانوا يعدون بين الفيل وبين الفجار أربعين سنة. وكانوا يعدون بين الفجار وبين وفاة هشام بن المغيرة ست سنين. وكانوا يعدون بين وفاة هشام وبين بنيان الكعبة تسع سنين وكانوا يعدون بين بنيان الكعبة وبين أن خرج رسول الله إلى المدينة خمس عشرة سنة منها خمس سنين قبل أن ينزل عليه ثم كان العدد يعد». وقد حسب كستر مجموع هذه السنوات، وهو سبعون سنة (من عام الفيل حتى سنة الهجرة) وطرحه من التاريخ الميلادى للهجرة وهو عام ٦٢٢م فكان الناتج ٥٥٢ وهو رقم يطابق التاريخ الميلادى لنقش مريغن، وخلص كستر من ذلك إلى أن نقش مريغان يسجل حملة الفيل، أى أن هذه الحملة حدثت سنة ٥٥٢م. ولكن إذا قارنا هذه الرواية بروايات الاخباريين الأخرين وخاصة الذين سبقوا عصر الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) مثل ابن هشام (ت ٢٢٣ هـ) والأزرقى (ت ٢٢٣ هـ)، نجد خطأ واضحاً فى طول المدة التى انقضت بين عام الفيل وبين حرب الفجار. وربما يرجع السبب فى ذلك الخطأ إلى إغفال رواية الزبير بن بكار ذكر مولد الرسول (ص) وهو أمر غير مألوف فى كتابات الاخباريين، فقد أورد الأزرقى رواية مشابهة لرواية ابن بكار ولكنها تتضمن مولد الرسول وهى :

٦٠- Kister op.cit., 428 note 18 وفى هذه الحاشية من مقاله عن هذا الموضوع، كتب كستر الإشارة التالية عن مرجع هذه المخطوطة Ms Bodley, f. 129b (Bodley = Bodleian Library) وهى إشارة خاطئة لأنه ينقصها رقم المخطوطة فى المكتبة المذكورة. وقد تمكنت أثناء زيارة لمكتبة بودليان بأكسفورد بانجلترا، وبمعاونة كريمة من البروفسور بيستون الأستاذ بكلية سان جون بأكسفورد، من الحصول على الرقم الصحيح للمخطوطة. بل وتبين لى أن رقم الصفحة غير صحيح أيضاً. والرقم الصحيح للمخطوطة والصفحة هو Ms Bodley Marsh 384 f.120v. كما تمكنت أيضاً من الحصول على صورة للصفحة التى وردت بها المعلومة التى نقلها كستر وهى منشورة هنا (شكل ٦) لكى تكون فى متناول الباحثين فى تحقيق كتب التراث.

«فكانوا يورخون فى كتبهم وديوانهم من سنة الفيل، وفيها ولد رسول الله (ص) فلم تزل قريش والعرب بمكة جميعاً تورخ بعام الفيل. ثم ارخت بعام الفجار، ثم ارخت ببنيان الكعبة فلم تزل تورخ به حتى جاء الله بالإسلام فأرخ المسلمون من عام الهجرة» (٦١).

إن ذكر مولد الرسول كان لاشك سيؤدى لضبط رواية الزبير بن بكار، لأن هذا المولد حدث فى عام الفيل باتفاق الاخباريين الأوائل (٦٢)، ونتيجة إغفاله ذكرت مدة الأربعين عاماً فى هذه الرواية كفترة زمنية تفصل بين عام الفيل وبين حرب الفجار. فهذه المدة لاتزيد فى كتابات الاخباريين السابقين للزبير بن بكار على عشرين عاماً، بل وأقل من ذلك، فقد ذكروها بالمقارنة بعمر الرسول (ص). فقال بعضهم أن الرسول كان فى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره أثناء حرب الفجار (٦٣) وقال آخرون أنه كان فى العشرين من عمره (٦٤)، ولم يذكر أحد من الاخباريين سواء منهم الأوائل أو المتأخرون أن الرسول كان أثناء حرب الفجار فى الأربعين من عمره. والدليل على صغر سن الرسول فى هذه الحرب قوله عن نفسه أنه كان يناول أعمامه السهام أثناء المعركة (٦٥) وهو دور يناسب فتى فى الرابعة عشرة أو ربما شاباً فى العشرين لا رجلا ناضجاً فى الأربعين.

أما عن تفسير هذا الإختلاف فى رواية الزبير بن بكار عن روايات الاخباريين الأوائل، فربما يرجع السبب فى ذلك إلى خطأ النساخ سواء فى عصر المؤلف أو فى العصور التالية، ولم ينتبه أحد إلى هذا الخطأ بسبب عدم ذكر مولد الرسول فى الرواية، إذ لو كان قد ذكر لأدرك النساخ خطأهم وصححوه. ولقد نشرت هنا صورة الصفحة التى بها رواية بن بكار هذه (شكل ٦) أملا فى أن يقوم أحد الإخوة المتخصصين فى تحقيق التراث ببحث هذه المشكلة وإيجاد حل لها (٦٦).

٦١- الأزرقى، أخبار مكة، ج١، ١٥٤.

٦٢- ابن هشام، السيرة، ج١، ١٥٨، والأزرقى، نفس المرجع.

٦٣- ابن هشام، السيرة، ج١، ١٨٦.

٦٤- نفس المرجع، ١٨٦.

٦٥- نفس المرجع، ومن المعروف أن حرب الفجار اشتعلت عدة مرات شملت عمر الرسول مابين الرابعة عشرة والعشرين أشدها التى كان البراض بن قيس سببا فيها. ويبدو أنها المقصودة كحادثة هامة لتأريخ الأحداث، كما أنها الحرب التى كان الرسول فيها يناول أعمامه السهام (نفس المرجع).

٦٦- يمكن لمن يرغب فى دراسة هذا الموضوع، الإستعانة بما ورد من معلومات عن نساخ كتاب الزبير بن بكار وعن نسخهم، وذلك فى الجزء المنشور من هذا الكتاب من ١٩-٥٢، وهو بعنوان: «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار، شرح وتحقيق محمود شاكر، ج١ (القاهرة: مكتبة دار المعارف، ١٣٨١/١٩٦١).

هنا عن نقاط الضعف فى رواية الزبير بن بكار. أما عن التاريخ الذى استخلصه كستر من رواية الزبير بن بكار، وهو عام ٥٥٢م، مدعياً أنه تاريخ حملة الفيل وأسس عليه رأيه بأن نقش مريغان يسجل حملة الفيل. ففيه نقطة ضعف أيضاً هى تناقضه مع عمر الرسول. فإذا قبلنا رأى كستر بأن عام ٥٥٢م هو عام الفيل. فلابد أن يكون عام ميلاد الرسول أيضاً، وهذا يعنى أن الرسول عاش حتى سن الثمانين (٦٣٢ (سنة وفاته) - ٥٥٢ = ٨٠)، وهو أمر غير مقبول فكل الروايات تجمع على أن الرسول (ص) توفى فى سن الثالثة والستين.

من كل ماذكرنا يتبين أن إدعاءات بعض المستشرقين بأن نقش مريغن يسجل حملة الفيل، لاأساس لها. فالحملة التى يسجلها النقش سبقت حملة الفيل بثمانية عشر عاماً، وربما شجع أبرهة الانتصار فيها على غزو مكة للإستيلاء على تجارتها، وسواء كان هذا هو الدافع وراء حملة الفيل أو كان سبب هذه الحملة تدنيس عرب مكة لكنيسته فى صنعاء وعزمه على الإنتقام بهدم البيت الحرام كما جاء فى روايات الاخباريين، فإن النتيجة كانت واحدة وهى تحول جيش أبرهة (وربما أبرهة نفسه أيضاً) إلى «عصف مأكول» كما ورد فى القرآن الكريم «وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد» صدق الله العظيم.

المراجـع

أولا : المراجع العربية :

- الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى، أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار، ط٢، تحقيق رشدى الصالح ملحس، مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، ١٣٨٥/١٩٦٥.

- البكرى، أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز الابكرى الأندلسى، معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٦/١٩٤٧.

- البلادى، عاتق بن غيث، معجم قبائل الحجاز، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٣٩٩/١٩٧٩.

- البلادى، عاتق بن غيث، نسب حرب، قبيلة حرب، أنسابها، فروعها، تاريخها وديارها، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٤/١٩٨٤.

- الجاسر، حمد، المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية، الرياض، دار اليمامة، (د.ت).

- ابن جنيدل، سعد بن عبد الله، المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، (٣ أجزاء)، الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٨/١٩٨٧.

- جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٠.

- الحسين بن على، الايناس فى علم الأنساب، أعده للنشر حمد الجاسر، الرياض، النادى الأدبى (د.ت).

- ابن خميس، عبد الله بن محمد، معجم اليمامة، الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٨/١٩٧٨.

- الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١.

- عبده، أسعد سليمان، معجم الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية مقاس ١ : ٥٠٠،٠٠٠، ط٢ جدة، مكتبة المدنى للنشر والتوزيع، ١٤٠٤/١٩٨٤.

- العقيلى، محمد بن أحمد، المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية، ط٢، المخلاف السليمانى، جازان، النادى الأدبى، ١٣٩٩/١٩٧٩.

- ابن فهد، محمد بن محمد، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٣٩٧/١٩٧٧.

- القلقشندى، نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب، تحقيق ابراهيم الإبيارى، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩.
- كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨.
- المجحفى، إبراهيم أحمد، معجم المدن والقبائل اليمنية، صنعاء، مركز البحوث والدراسات اليمنية، ١٩٨٥.
- ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، ط٢، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القسم الأول (الجزآن الأول والثانى)، القاهرة، مكتبة مصطفى البابى الحلبى، ١٣٧٥/١٩٥٥.
- الهمدانى، الحسن بن أحمد بن يعقوب، كتاب الاكليل، جـ٢، تحقيق محمد بن على الاكوع الحوالى، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨٦/١٩٦٦.
- الهمدانى، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن على الاكوع الحوالى، الرياض، دار اليمامة (د.ت).
- ياقوت الحموى، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٩٧٧.

ثانياً : المراجع الأفرنجية :

Altheim, F. and Stiehl, R. Araber und Sassaniden, Berlin, Edwin Redslob zum 70 Geburtstag, 1954. Finanzgeschichte der Spatantike.

Beeston, A.F.L., "Notes on the Mureighon inscription", BSOAS, XVI, 1954.

_____"Problems of Sabean chronology" BSOAS, XVI, 1954.

_____"New light on the Himyaritic calender', Arabian Studies" I, London, 1974.

BSOAS, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, London.

Caskel, K., Entdeckungen in Arabien, Kòln, 1954.

Conrad, L.I., "Abraha and Muhammad", BSOAS, L, 1987.

Kister, M.J., "The campaign of Huluban, a new light on th expendition of Abraha", Le Museon, LXXVIII, 1965.

Philby, ST.J., Arabian Highlands, New York, Cornell Uni Press, 1952.

PSAS, Proceedings of the Seminar for Arabian Studi London.

Ryckmans, G. "Inscriptions sud-arabes, Ry 506" Le Musé LXVI, 1953.

Ryckmans, J. "Inscriptions historiques Sabéennes de l'Arabie centrale, inscription de Muraighan, Ry 506" Le Muséon, LXVI, 1953.

______Bibliotheca Orientalis, XIV, 1957.

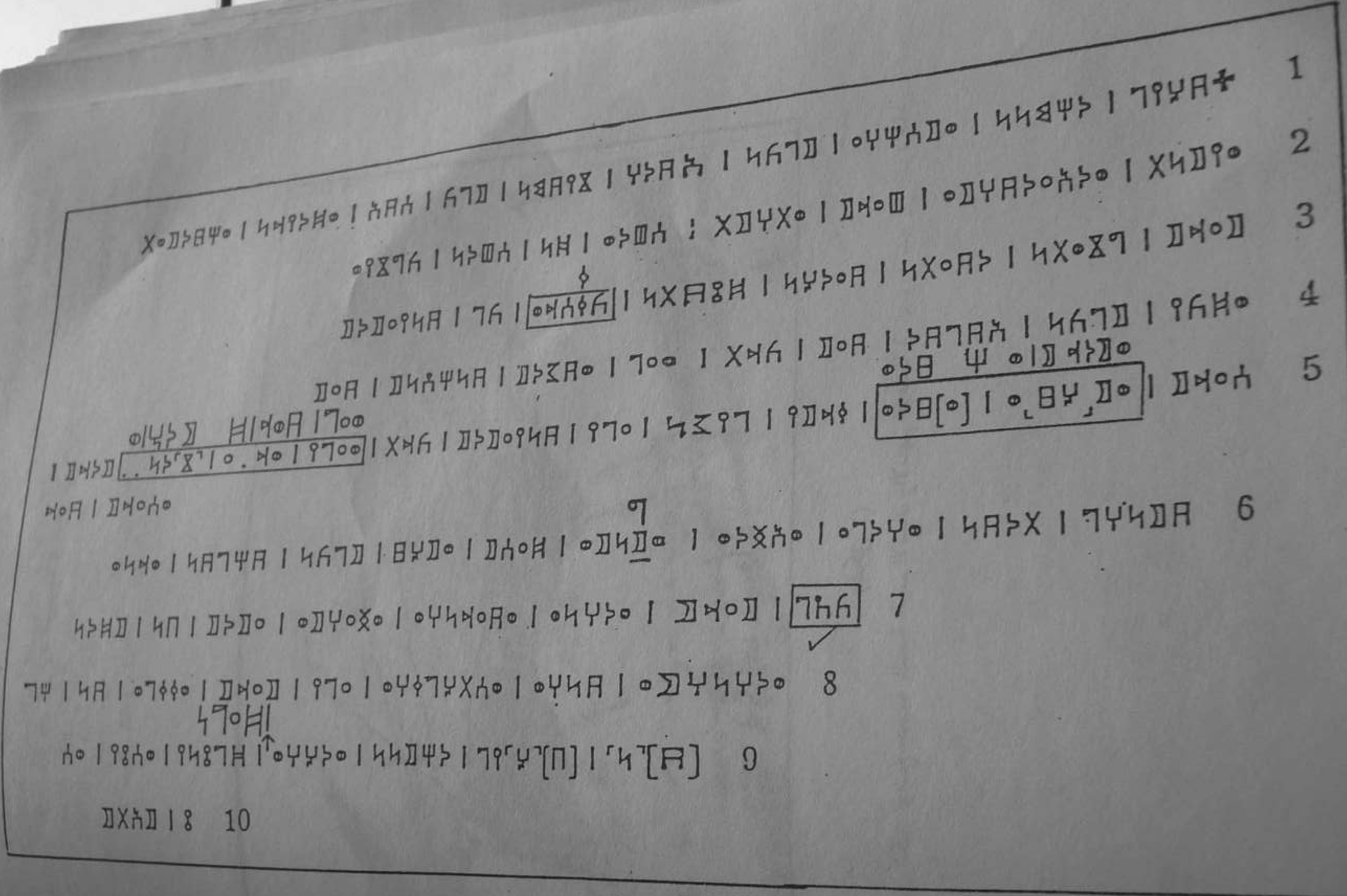
Sayed, Abdel Monem A.H., "Emendations to the Bir Murayghan inscription Ry 506 and a new minor inscription from there" PSAS, Vol. 18, 1988.

Smith, Sidney, "Events in Arabia in the 6th century A.D., the carrer of Abraha", BSOAS, XVI, 1954.



(شكل ١)

صورة لنقش مريغان الكبير توضح حجمه بالنسبة لحجم الانسان والاسهم الموضحة في الصورة تشير إلى حدود النقش



(شكل ٢)

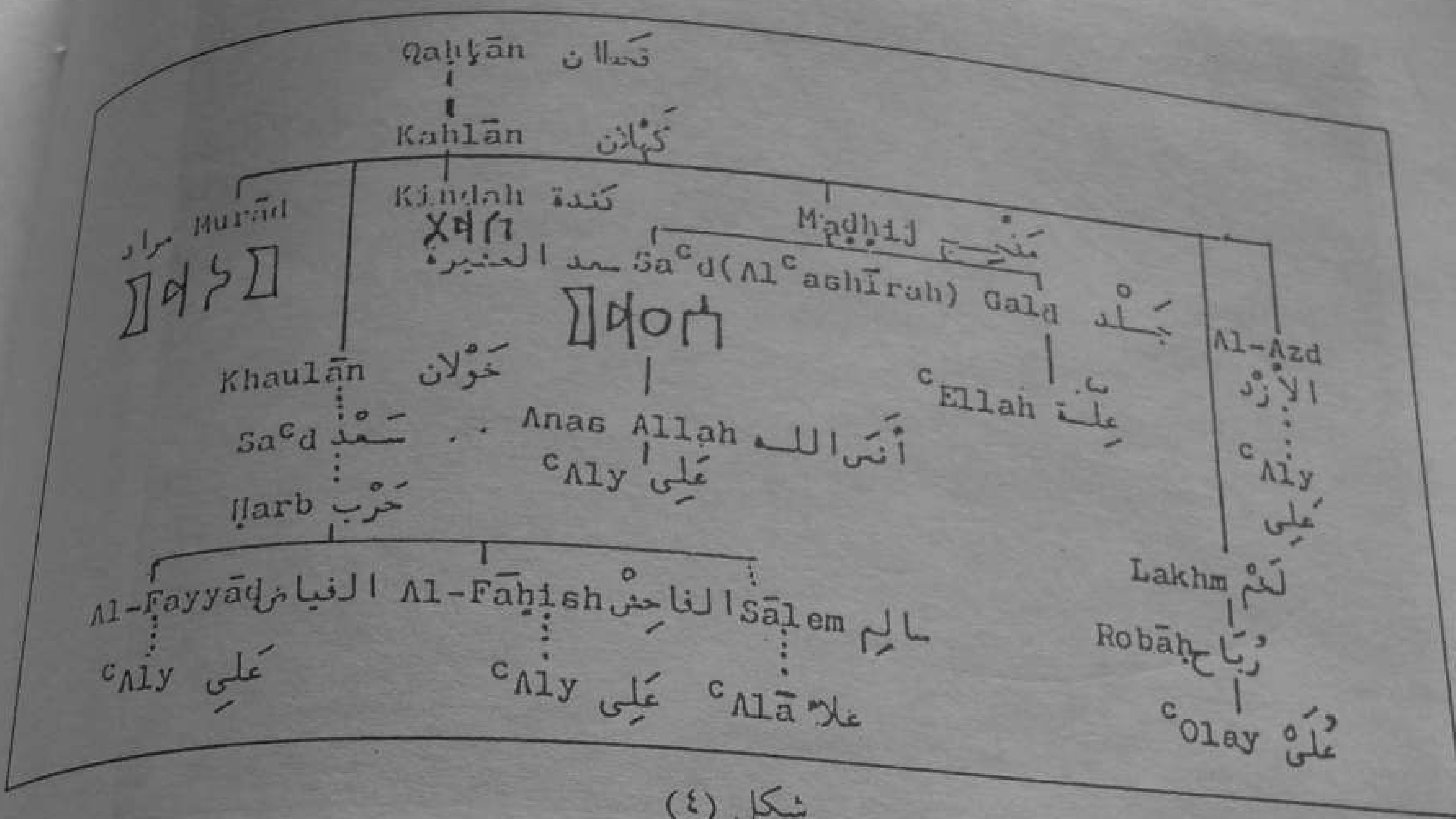
نسخة ج . ركمانز لنقش مريغان الكبير والمستطيلات تحوي الحروف غير الظاهرة أو المنقولة خطأ في هذه النسخة ، والحروف التي فوقها هي تصحيحاتنا .



شكل (٣)
صورة فوتوغرافية لنقش مريغان الصغير (النقش الجديد)

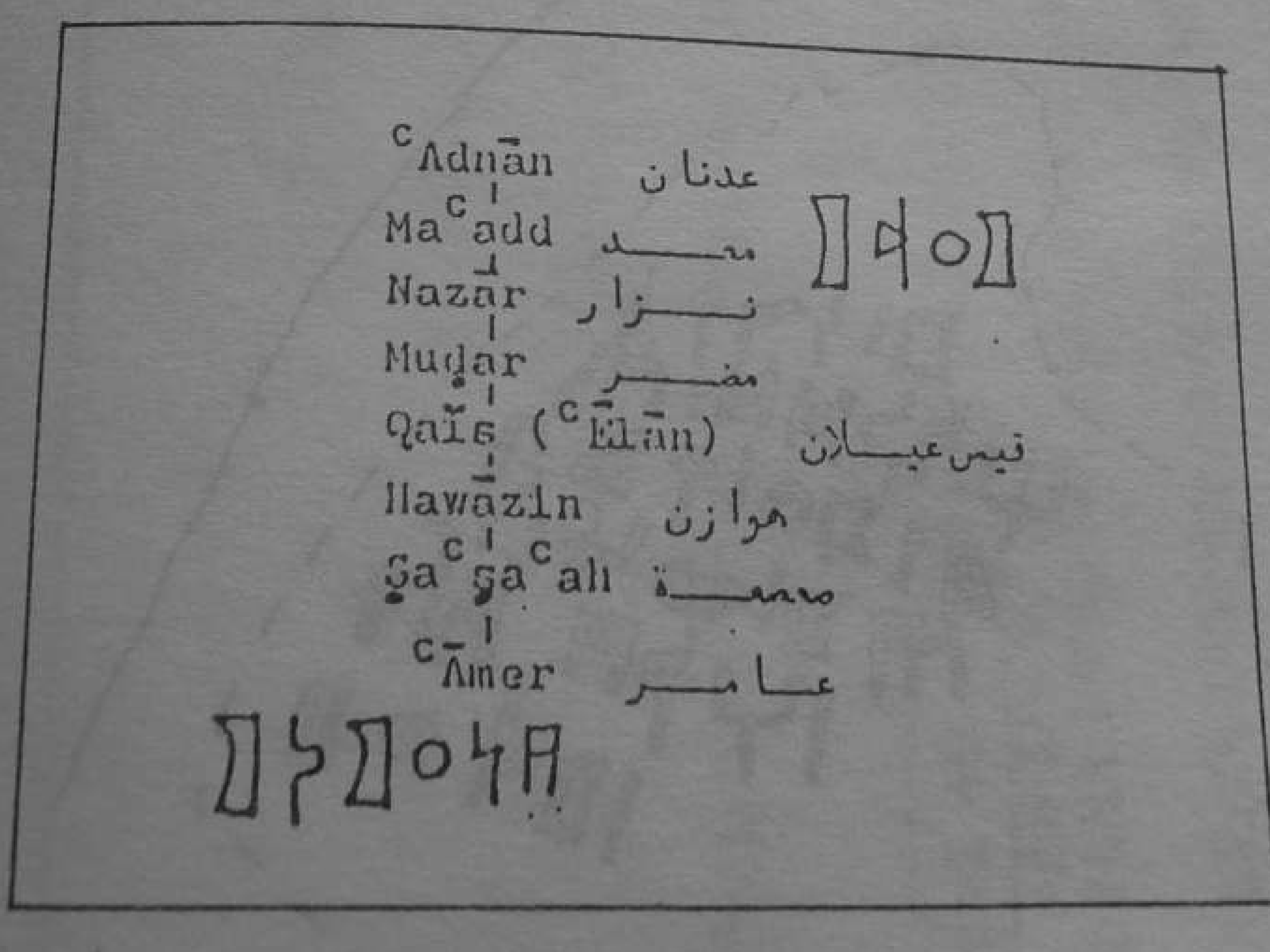


شكل (ب)
رسم بالخط لحروف نقش مريغان الصغير (النقش الجديد)



شكل (٤)

شجرة سلالة قحطان ، والخط المتقطع يدل على حذف بعض الاسماء



شكل (٥)

شجرة سلالة عدنان



شكل (٦)

صورة الصفحة رقم 120 V. من مخطوطة كتاب الزبير بن بكار «نسب قريش» المحفوظة في مكتبة بودليان بأكسفورد تحت رقم Marsh 384 . وقد وضحت المعلومة التي نقلها كستر منها بالسهمين والخط الرأسي في الهامش الايمن للصفحة .

The Murayghan Inscription Ascribed to Abraha, Does it Record the Expedition of the Elephant?

ABDUL MONEM ABDUL HALEEM SAYED
Professor, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah.

ABSTRACT. Since the publishing of this inscription in 1953 by G. Ryckmans, semitists declared various opinions about the events to which it refers. The most serious of which is that it records the "Expedition of the Elephant" led by "Abraha the Abyssinian" to demolish the Holy Mosque at Makkah, for while the Surat al-Fil states that the "People of the Elephant" were perished and "turned into broken straw", the text of the inscription states that Abraha returned triumphant and alive.

As this view is due to the illegible letters and dropped words in the first copy (of G. Ryckmans), the writer visited the site of Bīr Murayghan in an attempt to restore or amend through fresh photographs and tracings.

His achievement enabled him to restore the dropped words and identify the illegible letters, and thus he could read fresh names of tribes and sites.

He could present a new rendering of the text in which these tribes and sites are correlated with each others, in space and time.

The writer could conclude that the inscription records a tribal feud exploited by Abraha to subdue his enemies among the tribes of Najd, a conclusion which attests the fact that the inscription records another expedition led by Abraha which preceded that of the Elephant.

The writer could also refute the assumption declared by some semitists that the Prophet was born 23 years after "the year of the Elephant", an assumption which relied on a "weak" Arab tradition in this respect (contrary to the consensus Arab tradition that the Prophet was born in the same year of the Elephant). the aim of these semitists is to attain the same purpose, i.e. that the Murayghan inscription records the Expedition of the Elephant.

الأسماء الجغرافية الأسيوية ذات القيمة التاريخية * في النقوش العربية القديمة

١٠

الدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد

إشتملت النقوش العربية القديمة على عدد من الأسماء الجغرافية للمناطق الأسيوية التى تقع خارج نطاق الجزيرة العربية. من بينها أسماء ذات دلالة أو قيمة تاريخية، وسوف يقتصر هذا البحث على هذه الأسماء.

والمقصود بالنقوش العربية تلك النقوش المحفورة على الصخر أو على أطلال المبانى القديمة، أو على شواهد القبور ومايشبهها. بالكتابات العربية الجنوبية التى تسمى أيضاً «الخط المسند الجنوبى» وبالكتابات العربية الشمالية التى يطلق عليها أيضاً «الخط المسند الشمالى»، ويندرج تحت الخط المسند الجنوبى، الكتابات السبئية الحميرية والمعينية والقتبانية والحضرمية (نسبة إلى الدول العربية القديمة التى قامت فى اليمن). وحروف هذه الكتابات تتشابه فى ظاهرها ولكنها تختلف فى التفاصيل، كما تختلف حروف كل كتابة منها بإختلاف العصور، فهناك مثلا إختلافات واضحة بين بعض حروف الخط السبئى المبكر والخط السبئى المتأخر المسمى بـ«الحميرى». أما الخط المسند الشمالى فتندرج تحته الكتابات اللحيانية (نسبة إلى دولة لحيان التى قامت فى مدينة العلا الواقعة شمال المدينة المنورة بحوالى ٣٥٠ كيلومتراً)، والكتابات الثمودية والصفوية (وهذه الأخيرة تنسب إلى منطقة جبل الصفا الواقعة جنوب شرق سوريا حيث عثر الباحثون على أول مجموعة من هذه الكتابات). وتختلف الكتابات الثمودية والصفوية عن سائر الكتابات التى ذكرناها فى أن كلها تقريباً من نوع «المخربشات» فهى غير منتظمة الحروف لأن كتابها من رجال القوافل الذين كانوا يحفرونها على الصخر لتسجيل ذكرياتهم والأحداث التى تأثروا بها أثناء إرتحالاتهم.

والكتابات العربية الشمالية من لحيانية وثمودية وصفوية إشتقت أساساً من الخط المسند الجنوبى (فيما عدا مايسمى بالكتابة الثمودية القديمة التى إختلف الرأى فى أصلها ولامجال لتفصيل ذلك هنا). وقد حدث هذا الإشتقاق أما مباشرة من الخط المسند الجنوبى أو عن طريق مايسمى بالخط المعينى

---

*قدم إلى ندوة العرب وآسيا التى عقدت فى قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة فى الفترة من ٣-٥ أبريل سنة ١٩٨٩م، ولم تنشر بحوث هذه الندوة حتى تاريخ إعداد هذا الكتاب (أكتوبر سنة ١٩٩٢).

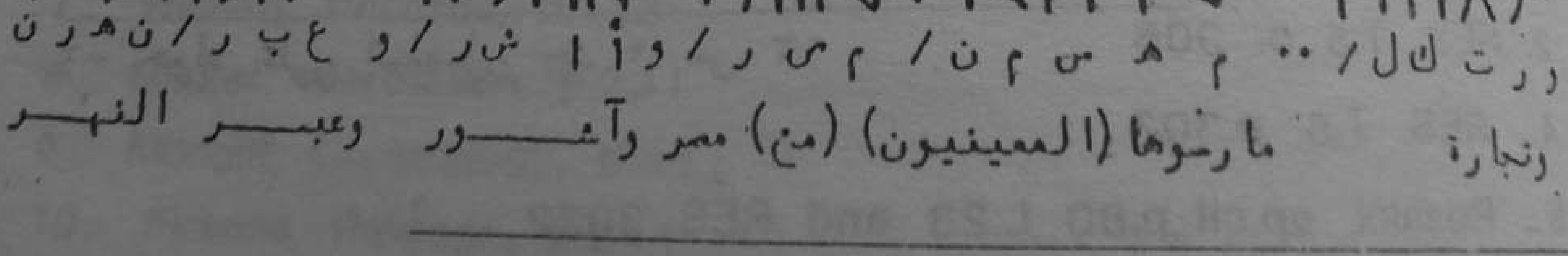
الشمالى الذى نقله التجار المعينون معهم من بلادهم (دولة معين) إلى واحة العلا فى الشمال عندما أسسوا مستوطنة تجارية فى هذه الواحة حوالى القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد. وقد إشتق منه الخط اللحيانى.

وغالباً مايضم إلى النقوش العربية الشمالية. تلك النقوش والكتابات المدونة بالخط النبطى، رغم أن هذا الخط لم يشتق أو يتطور عن أحد خطوط الجزيرة العربية، بل إشتق من الخط الآرامى الذى كان سائداً فى الشام والعراق. والسبب فى إعتبار النقوش النبطية ضمن النقوش العربية الشمالية، أن اللغة العربية غلبت على لغة هذه النقوش فى المراحل الأخيرة لتطور الخط النبطى، الذى كانت لغته فى الأصل هى اللغة الآرامية، فضلا عن أن الخط العربى قد تطور عن النبطى، ويرجع سبب هذا التطور نحو المسحة العربية فى لغة وخط النقوش النبطية، إلى أن الأنباط كانوا عرباً فى الأصل ولكنهم إنتحلوا اللغة والخط الآراميين عندما إستقروا فى البتراء على مقربة من الأسواق التجارية فى الشام، حيث كانت اللغة والخط الآراميين هما لغة وخط المعاملات التجارية فى هذه الأسواق، ثم بمرور الوقت أثرت عروبتهم فى لغتهم وخطهم.

وفيما يلى دراسة لأهم الأسماء الجغرافية الآسيوية فى هذه النقوش طبقاً لترابط موضوعاتها.

أولا : **فى النقوش المعينية :**

من أقدم النقوش العربية التى وردت فيها أسماء جغرافية لمناطق آسيوية خارج الجزيرة العربية، نقش بالخط المعينى (نسبة إلى دولة معين التى قامت فى منطقة الجوف فى شمال اليمن)، محفور على سور المدينة المعروفة حالياً بإسم «براقش»، دونه رجل يدعى «عم صدق» يشير فيه إلى ماأسماه «مصر» و «أشر» و «عبر نهرن» وإلى تجارة المعينيين مع هذه المناطق كما يلى : (١)

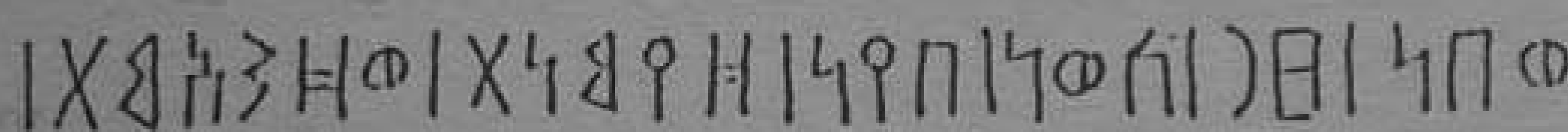


1. Rossini, Chrest., p. 80, L.1 and RÉS 3022

وقد إختلفت الآراء حول المدلول الجغرافى لكل من كلمتى «أاشر» و «عبر نهرن» فبينما يرى بعض الباحثين أن «أاشر» هى نفس كلمة «آشور» التى تطلق على منطقة الدولة القديمة التى قامت فى العراق (٢)، يرى آخرون أنها المنطقة الممتدة فى شمال سيناء والتى كانت التوراة تطلق على سكانها «شوريم» (٣).

غير أن الرأى الأول هو الأرجح لورود الإسم «عبر نهرن» فى النص، فالغالب أنه نهر الفرات. ويدل وجود واو العطف قبل كلمة «عبر نهرن» على أنها لم تكن مجرد صفة لمنطقة آشور ولكنها إسم منطقة أخرى تقول بعض الآراء أنها «سوريا»، لأنها تبدو عبر نهر الفرات للقادم من منطقة آشور فى العراق. (٤)

ويشكر صاحب النقش آلهة معين لأنها أنقذت القافلة المعينية التى تحمل هذه التجارة من الحروب التى إشتعلت فى طريقها، إحداها بين ماأسماه «ذو يمنت» و «ذو شامت» كما يلى : (٥)

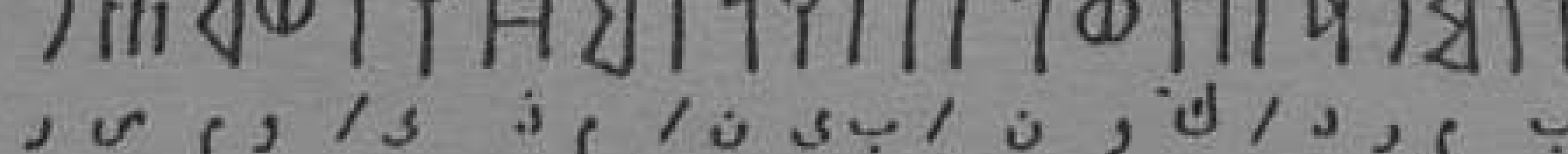


و م ن / ح ر ب / ك ا و ن / ب ى ن / ذ ى م ن ت / و ذ ش ا م ت /

ومن حرب كانت بين ذو يمنت و ذو شامت

ورغم أن كل من كلمتى «يمنت» و «شامت» لهما معنى فى اللغة العربية الجنوبية هما «الجنوب» و «الشمال» على التوالى، إلا أن الأرجح أن الأولى هى أصل كلمة «اليمن» والثانية هى أصل كلمة «الشام»، أى أن الحرب المشار إليها كانت بين قوتين أحداهما من اليمن والأخرى من الشام.

أما الحرب الأخرى التى أشار إليها النقش فهى بين ماأسماه «مذى» و «مصر» كما يلى : (٦)



ب م ر د / ك و ن / ب ى ن / م ذ ى / و م ص ر

أى (ال)حرب (التى) كانت بين مذى و مصر

٣- جواد على، المفصل، جـ ٢ ص ٩٣

2. RÉS, T.5 p. 306

4- RÉS. T.5, p.307

5- Rossini, op.cit.,p.80 L.23 and RÉS 3022

يلاحظ أن المرجع الأخير (RÉS 3022) سقطت منه ترجمة هذه العبارة رغم وجودها فى قراءة النقش قارن آخر سطر ٢ من النقش فى كل من p.304, p.305

6- op. cit.

وقد إتفقت الآراء على أن كلمة «مذى» هى الصيغة العربية القديمة للإسم «ميديا» وهو إسم دولة قديمة قامت فى شمال غرب إيران، فيما عدا رأى واحد مؤداه أنه إسم دولة سليوكيا اليونانية التى قامت فى الشام بعد الإسكندر كما سنذكر بعد.

غير أن هذه الآراء إختلفت فى تحديد إسم الدولة التى يعنيها النقش لأن كلمة «ميديا» لم تقتصر فى النقوش القديمة على دولة ميديا هذه، بل كانت تطلق على الفرس أيضاً، فاليونان والعبرانيون أطلقوها (أو أطلقوا كلمة «الميديين» على وجه التحديد) على الفرس الأخمينيين، والنقوش الصفوية أطلقتها على الفرس الساسانيين والبارثيين.(٧)

وبناء على ذلك هناك ثلاثة آراء فى تحديد مدلول الإسم الجغرافى «مذى»، والحرب التى وقعت بين «مذى» و «مصر» هى :

الرأى الأول : أنها الحرب التى شنها الملك قمبيز الفارسى الأخمينى على مصر وإنتهت بإحتلالها عام ٥٢٥ ق.م. (٨)

الرأى الثانى : أنها الحرب التى شنها الملك الفارسى ارتاكزركسيس اوخوس عام ٣٤٣ ق.م. على مصر وإنتهت بإعادة إحتلال الفرس لها. (٩)

الرأى الثالث : أنها الحرب التى دارت رحاها بين السليوكيين اليونان، وهم المقصودون بكلمة «مذى» بقيادة الملك انطيوخوس الثالث وبين البطالمة وهم المقصودون بكلمة «مصر» بقيادة الملك بطليموس الرابع وإنتهت بهزيمة السليوكيين فى موقعة رفح عام ٢١٧ ق.م. (١٠)

ولكن هناك إعتراض قوى على الرأى الأخير هو أن كلمة «ميديا» أو «الميديين» لم تطلق على اليونان على الإطلاق، وإنما أطلقت فى الكتابات والنقوش القديمة على الشعوب التى من أصل إيرانى فقط. (١١)

وتميل الدراسات الحديثة إلى ترجيح الرأى القائل بأنها الحرب التى شنها ارتاكزركسيس الفارسى على مصر عام ٣٤٣ ق.م. (١٢)

7_ Winnett, Records, p.118

8_ Mlaker, Hierodulen, p.231

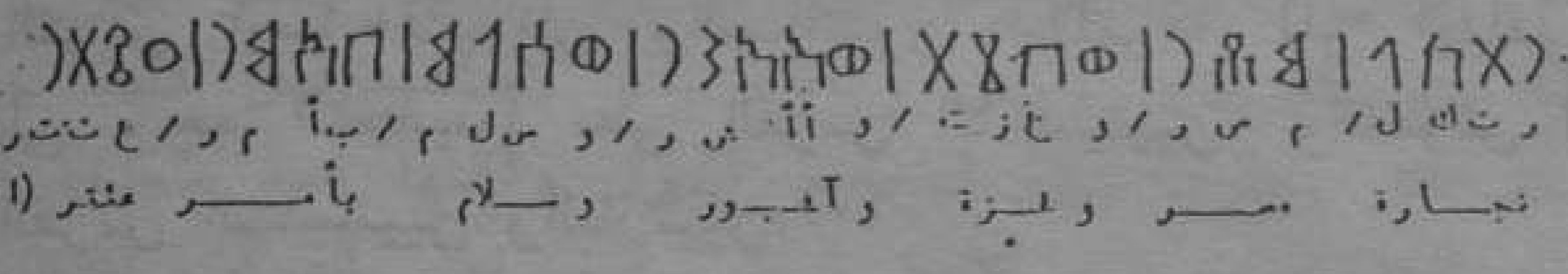
9_ Albright, Chronology, p.11

10_ Pirenne, Paléogr., p.211

11_ Ibid., p.118

12_ Ibid.

وفى نقش معينى آخر محفور على الجزء الشرقى من السور الذى كان يحيط بمدينة معين وردت بعض الأسماء المذكورة فى النقش السابق وهى مصر وأشور بالإضافة إلى إسم جديد هو «غزة». وقد دون هذا النقش فى عهد الملك المعينى «ايل يفع ريام» (حوالى عام ٢٧٠ ق.م. إذا صح أن النقش السابق يرجع إلى عام ٣٤٢ ق.م.). وهو يشير إلى تجارة معينية مع مصر وآشور وغزة. (١٢)



ولم يختلف الباحثون على أن كلمة «غ ز ت» تعنى مدينة غزة المعروفة فى جنوب فلسطين.

وقد تكرر الإسم «غزة» عدة مرات فى نقش معينى ثالث محفور على لوحتين من الجرانيت توجدان بين أطلال مدينة معين أيضاً. والنقش يذكر قيام عدة أشخاص بتقديم عبيد أو خدم إلى معبد المدينة، وقد نسب كل منهم إلى البلد أو المدينة التى ينتمى إليها، منها مصر ويثرب والعلا (وكلها خارج نطاق بحثنا هذا) ثم غزة التى إستأثرت بالعدد الأكبر من هؤلاء العبيد أو الخدم، إذ ينتسب إليها خمسة منهم ضاعت أسماء أو أجزاء من أسماء ثلاثة وتبقى إسمان هما «بايلات» و «أبى حايل». (١٤)

ثانياً : فى النقوش الحضرمية :

فى منطقة دولة حضرموت القديمة يوجد نقش بالخط المسند وباللهجة الحضرمية محفور على الصخر فى المنطقة المعروفة قديماً بإسم «أنود» أو «حصن انود» (ج ن د ل هـ ن/أ ن و د م )(١٥) وهى المسماة حالياً «العقلة» وتقع على بعد ١٥كم غرب مدينة «شبوة» الحالية عاصمة إقليم حضرموت فى جمهورية اليمن الديمقراطية (وكانت عاصمة دولة حضرموت القديمة وتحمل نفس الإسم «شبوة» أيضاً). ويسجل هذا النقش تتويج الملك الحضرمى «ايل عز يالط» (الذى ربما عاش فى

13– Rossini, op.cit. L.3–4 and RÉS 2771

14– RÉS 2773, L.2,3,6,11 and 13

15– Beeston, Inscr., p.448

القرن الثانى الميلادى) وإستقباله وفوداً من بعض الدول والشعوب الأجنبية لتهنئته بهذا التتويج (١٦). وكانت من عادة ملوك حضرموت أن ينتقلوا من العاصمة شبوة إلى منطقة العقلة هذه ربما لأن لها قدسية خاصة لدى ملوك حضرموت (١٧). أو لأنها منطقة حصينة كما يشير لذلك تسميتها. لاجراء مراسيم تتويجهم. وقد إستقبل «ايل عز يالط» هذا وفوداً من كل من الهند «هـ ن د» وتدمر «ت ذ م ر» ومن منطقة آسيوية أيضاً أطلق عليها النقش «ك ش د» (١٨). وتدمر هى الواحة الواقعة إلى الشمال الشرقى من دمشق وسط الصحراء السورية. وقد قامت فيها دولة عربية قديمة إزدهرت فى القرنين الثانى والثالث الميلاديين ومن أشهر ملوكها «اذينة» و «زنوبيا» المعروفة عند العرب بإسم «الزباء». أما «كشد» فقد حدد الباحثون موقعها فى منطقة أو بلاد الاراميين (١٩). وهم شعب تجارى كان يسكن المناطق الداخلية من الشام. ويدل إهتمام هذه الدول والشعوب على مدى أهمية دولة حضرموت لديها ولعل السبب فى ذلك هو ماكانت تتمتع به دولة حضرموت من إمتلاكها لناصية تجارة الجزيرة العربية وفى مقدمتها سلع الترف التى كانت تأتى أساساً من الهند وتصب فى الميناء المسمى «قنأ» فى النقوش الحضرمية ومكانه الحالى «بئر على» (فى منتصف المسافة تقريباً بين «المكلا» شرقاً و «أحور» غرباً)، حيث تنقل على ظهور الابل على طول الطريق التجارى العظيم الذى يمتد من هذا الميناء نحو الشمال ماراً بعواصم الدول العربية القديمة حتى جنوب فلسطين، ومن هناك يتفرع إلى ثلاثة طرق، الشرقى منها يمر بشرق نهر الأردن ماراً بمنطقة حوران وبشرق سوريا حيث بلاد الاراميين، ثم يتجه نحو الشمال الشرقى عبر الصحراء السورية ماراً بواحة تدمر حتى نهر الفرات، فيسير محاذياً له نحو الجنوب إلى بابل وسائر مناطق العراق.

ولم تكن سلع الترف وحدها هى التى أعطت لحضرموت هذه الأهمية السياسية، بل زادت من تلك الأهميـــة وجود مناطق أشجار اللبان (المصدر

16– Ibid.

١٧– جواد على، المفصل، جـ٢ص ١٤٤

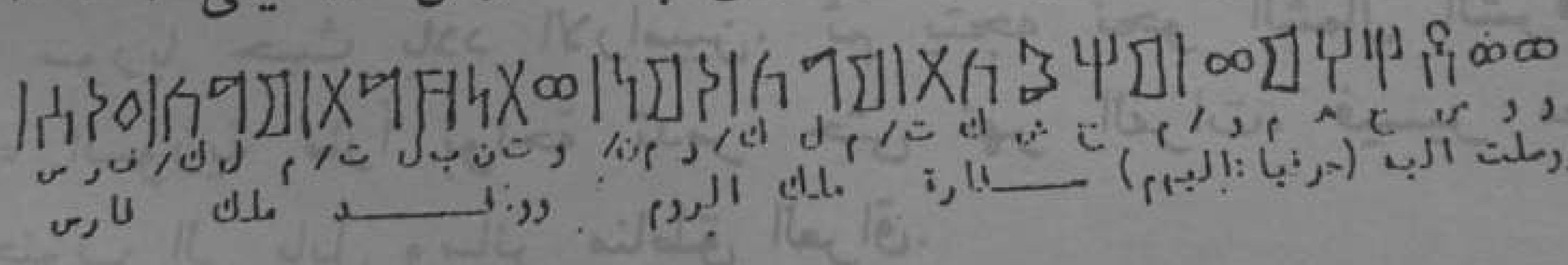
18– Jamme, Al–ʿUqlah, p.7–15

19– Von Wissman, Himyar, p.484

الطبيعى لبخور العالم القديم)، فى نطاق أراضى هذه الدول القديمة، وفى مقدمتها منطقة «ظُفار» التى كانت تدر أجود أنواع البخور (وهى الآن فى نطاق دولة عُمان). ومن المعروف أن البخور كانت سلعة ذات أهمية إقتصادية كبيرة فى العصور القديمة بسبب إستهلاك كميات ضخمة منه فى معابد ومقابر الشعوب القديمة لأنه كان عنصراً لاغنى عنه فى الطقوس الدينية فى هذه المعابد والمقابر. وبالتالى أصبح للدول المنتجة له ثقلا إقتصاديا كبيراً أسبغ عليها أهمية سياسية لدى الشعوب المشتغلة بتجارته ومنهم الاراميون والتدمريون، ومن هنا كان إهتمامهم بتدعيم علاقاتهم بدولة حضرموت رغم المسافة الشاسعة التى تفصل بلادهم عن حضرموت والتى كانت القوافل تقطعها فيما لايقل عن مائة يوم.

ثالثاً : فى النقوش الحميرية «السبئية المتأخرة» :

ومن النقوش اليمنية القديمة التى تسجل العلاقات بين دول اليمن وبين الدول الواقعة خارج الجزيرة العربية، نقش بالخط الحميرى المتأخر سجله أبرهة الحبشى (الاشرم) عام ٥٤٢م على كتلة من الحجر عند البوابة الشمالية لسد مأرب، يروى فيه اخبار ترميمه لهذا السد وإخضاعه للقبائل اليمنية الثائرة عليه. واحتفالاته بهذه الإنجازات الإنشائية والحربية، ومن بينها إستقباله لوفود أو سفارات ملك الحبشة والروم وفارس والغساسنة والمناذرة. ومايتصل ببحثنا هذا هو الإشارة إلى فارس (لأن إشارته إلى المناذرة والغساسنة كانت بذكر أسماء امرائهما لاأسماء بلادهما مثلما فعل بالنسبة لفارس وبذلك يخرجان عن نطاق هذا البحث). وقد وردت فى السطرين ٨٩، ٩٠ من النقش الإشارة إلى بلاد فارس كما يلى : (٢٠)



وإن ذكر الفرس بين الوفود التى جاءت لتهنئة أبرهة رغم العداء التقليدى بين الفرس من ناحية، وبين الروم وحلفائهم الأحباش من ناحية أخرى، يشير إلى الأسلوب السياسى الذى حاول به الفرس كسب أبرهة للوقوف فى وجه النفوذ البيزنطى فى اليمن، وبالتالى محاولة إيجاد موضع قدم للنفوذ الفارسى، وذلك كله من أجل السيطرة على تجارة الجزيرة العربية، وعلى ذلك فإن هذا النقش يطلعنا على أحد أدوار التنافس بين

20- Fakhry, Archaeol., Vol.I, p.82, L.88-90, and Smith, Events, p.440

الدولتين العظميين فى ذلك الوقت، أى دولة الفرس ودولة الروم.

وفى روايات المؤرخين البيزنطيين مايشير الى هذا التنافس، إذ يقول المؤرخ «ملالا» أن قيصر الروم أرسل رسولا إلى النجاشى وإلى أبرهة لتحريضهم ضد الفرس. (٢١) وربما كان إرسال وفد فارسى الى أبرهة، محاولة للإقلال من تأثير هذا التحريض، ولكن يبدو أن جهود الفرس الدبلوماسية لم تفلح فى كسب أبرهة أو على الأقل تحييده، بدليل أنه فى عام ٥٤٧م أى بعد تاريخ نقش سد مارب بحوالى خمس سنوات شن أبرهة حرباً ضد قبائل نجد التى يبدو أنها كانت موالية للفرس بدليل تدخل المنذر الثالث ملك الحيرة وأبنه فى إنهاء هذه الحرب، كما يشير لذلك نقش يعرف بنقش «مريغان» سجله أبرهة بالخط الحميرى عند منطقة بئر مريغان الواقعة شمال شرق مدينة أبها (فى غرب المملكة العربية السعودية) بحوالى ٢٥٠ كيلومتراً يروى فيه أخبار إنتصاراته على هذه القبائل. (٢٢)

رابعاً : فى النقوش الصفوية :

يشير نقش بالخط الصفوى وجد فى منطقة حوران (جبل الدروز) بسوريا، إلى غزو الفرس لمدينة «بصرى» الواقعة فى نفس المنطقة (٢٣)، وقد حدد ناشر النقش تاريخ هذه الغزوة بالغزو الفارسى للشام الذى حدث عام ٦١٤م (٢٤)، ولكنه عدل عن رأيه على أساس أن الخط المربع المكتوب به النقش هو خط صفوى مبكر يرجع إلى القرن الأول قبل الميلاد. (٢٥) غير أنه عاد للرأى الأول على أساس عدم حدوث غزو لمنطقة بصرى فى هذا العصر المبكر، ثم على أساس أن الخط ليس مربعاً خالصاً، بل توجد به حروف تنتمى إلى النقوش الصفوية المتأخرة. (٢٦)

فإذا صح أن النقش يشير إلى غزو الفرس للشام الذى حدث عام ٦١٤م، فربما يكون هذا الغزو ثم الغزو المضاد الذى قام به الروم عام ٦٢٩م

٢١- جواد على، المفصل جـ٣ ص ٤٧٤.

22- Sayed, Emendations, p.131f.

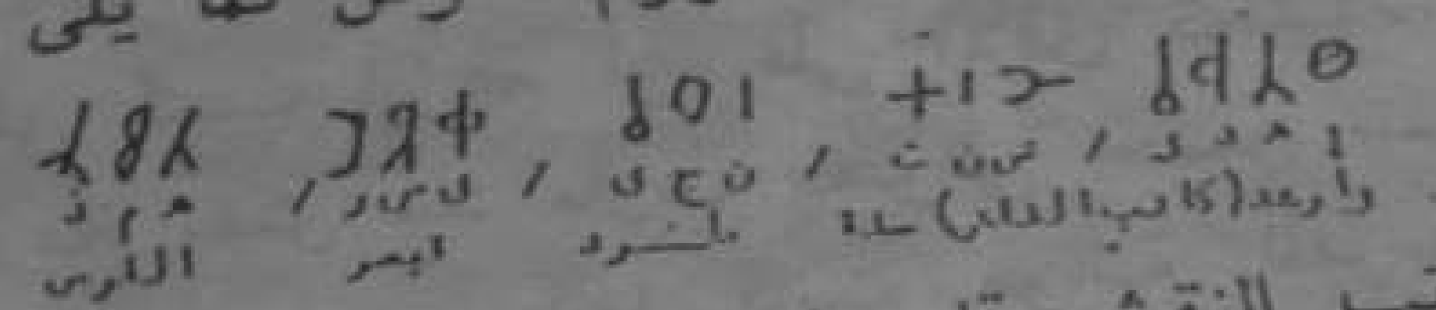
23- Winnett, Safaitic, p.19 no. 78

24- Ibid.

25- Ibid.

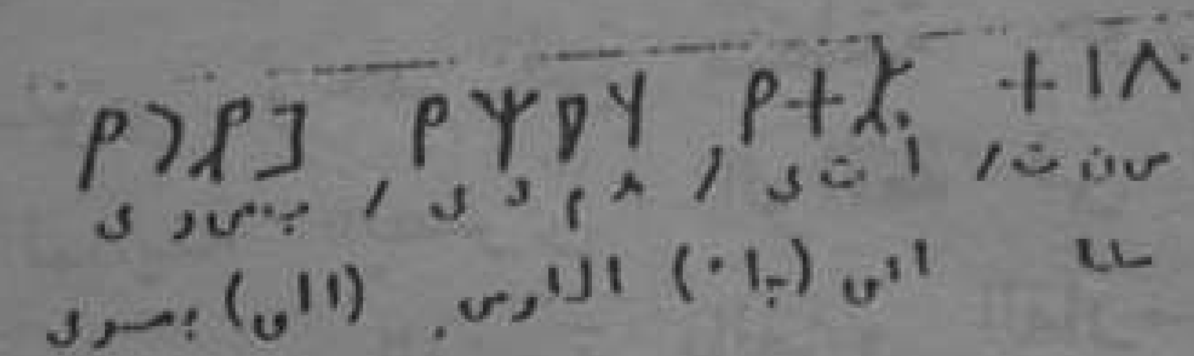
26- op. cit. p. 12,19

وطردوا فيه الفرس من بلاد الشام كلها (٢٧). وربما يكونان هما المقصودان بما ورد في القرآن الكريم في الآيتين ٢، ٣ من سورة الروم «غُلِبَت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين». وربما يشير إلى هذا الغزو المضاد الذي قام به الروم، نقش صفوى آخر محفور على صخور المنطقة المسماة «الجثوم» الواقعة عند الحدود الشمالية لشرق الأردن، فقد جاء فيه مايفيد طرد قيصر الروم للفرس كما يلي : (٢٨)



ويبدو أن كاتب النقش قام بإرشاد قافلة أو فرقة حربية عبر الدروب الوعرة في هذه المنطقة وأرخ المهمة التي قام بها بالسنة التي طرد فيها قيصر الروم الفرس، وربما تكون هي نفس سنة ٦٢٩م التي طرد الروم فيها الفرس من الشام.

ولمقارنة النقشين اللذين يتناولان موضوعاً واحداً، فيما يلي قراءة وترجمة النقش الأول (٢٩)



وكما هو واضح أطلق هذا النقش على الفرس نفس التسمية المعينية «مذى» مع إضافة حرف الهاء إلى أول الكلمة وهي أداة التعريف في النقوش العربية الشمالية (الصفوية والثمودية واللحيانية)، أما النقش السابق فقد كتب فيه هذا الإسم مختصراً إلى «م ذ» مع إضافة أداة التعريف. أما الكلمة «بصرى» فمن الواضح أنها كتبت بنفس صيغتها المألوفة لنا. (٣٠)

والنقشان والأحداث التاريخية اللذان يشيران إليها تطلعنا على دقة الإعجاز القرآني وصدق نبوءة القرآن الكريم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، فسورة الروم مكية أي نزلت قبل عام ٦٢٢م (عام الهجرة) وتاريخ إنتصار الروم على الفرس وهو عام ٦٢٩م لاحق للهجرة.

٢٧- جواد علي، المفصل، جـ٣ ص ٤١٨

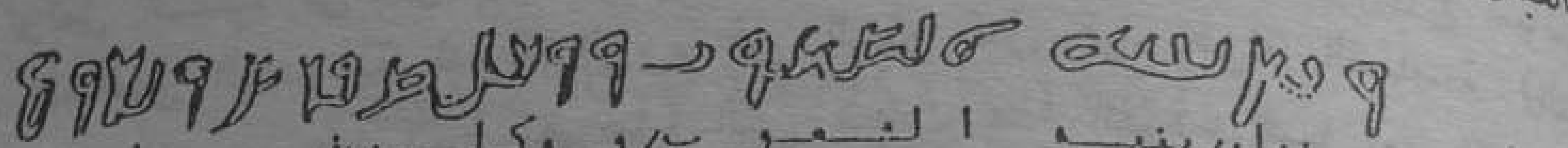
28- Winnett, op.cit., p.21 no.88

29- op. cit., p.19, no.78

30- op. cit., p1.II, M43, M58

خامساً : فى النقوش النبطية :

فى هذه النقوش وردت إشارة إلى الفرس بالصيغة النبطية «ف ر س و» (الواو تلحق بالأسماء فى اللغة النبطية) وذلك فى النقش المعروف بأسم «نقش النمارة» نسبة إلى قرية النمارة الواقعة فى منطقة حوران (جبل الدروز). وكلمة النمارة نفسها وردت فى نقش صفوى بالصيغة «ن م ر ت» (٣١)). ويرجع نقش النمارة إلى عام ٣٢٨م، وهو من أهم النقوش فى تاريخ الخط العربى لأنه يمثل إحدى الحلقات المبكرة فى إشتقاق هذا الخط من الخط النبطى. والنقش مكتوب بلغة أقرب إلى العربية منها إلى النبطية. وهو محفور على شاهد قبر ملك يدعى «أمرؤ القيس بن عمرو» وقد سجل عليه هذا الملك إنتصاراته الحربية وإنجازاته السياسية. والعبارة التى وردت فيها كلمة «فرسو» هى : (٣٢)



القراءة: و نزل/بنيه الشعو بر/و وكلهن فر سو/لروم

الترجمة: واستعمل ابناءه (على) القبائل وانابهم (عنه لدى) الفرس والروم

وامرؤ القيس بن عمرو هذا هو ثانى ملوك الحيرة(٣٣). وهو المعروف فى المراجع العربية بإسم «امرؤ القيس البدء»(٣٤).

وإن عبارة «أنابهم عنه لدى الفرس والروم»، تثير تساؤلين أولهما كيف يجمع امرؤ القيس ملك الحيرة الخاضع لدولة الفرس بين الولاء لهذه الدولة ولدولة الروم عدوتها اللدود، وثانيهما لماذا دفن فى الشام ولم يدفن فى مملكته الحيرة؟

31– Ryckmans, Noms, T.I,p.350 cf.D.M., 467

32– Jensen, Signs, p.324 fig.297 and ديسو، العرب، ص ٣٤

*ملاحظة على ترجمة عبارة «فرسو لروم»: نشر ديسو ترجمة أخرى لها هى «فرسان الروم» وذلك فى RÉS 483 ولكن تاريخها مابين عامى ١٩٠١–١٩٠٥، أى سابق لعام ١٩٠٦ الذى صدر فيه كتابه «العرب فى سوريا». راجع مقدمة هذا الكتاب.

33– Kammerer, Petra, p.336 and RÉS II p.104

٣٤– جواد على، المفصل، جـ٢ ص ١٨٧، ١٨٩.

أما عن التساؤل الأول، فيجيب عليه ديسو بقوله أن ذلك يتفق مع سياسة العرب الرحل المتأرجحة، ويقدم مثالا لذلك من تاريخ عرب منطقة «حطرة» (مكانها الحالي «الحضر» في العراق الأوسط)، وتأرجحهم بين الرومان وبين البارثيين، ثم بين الرومان وبين الفرس، وأنهم رغم ذلك إستطاعوا الإحتفاظ بإستقلالهم.(٣٥)

أما عن سبب دفن امرئ القيس في بلاد الشام، فيفسره بعض الباحثين بأنه جاء إلى بلاد الشام نتيجة الخلاف على العرش الفارسي بين حزب بهرام الثالث الذي كان امرؤ القيس من مؤيديه، وبين حزب «نرسي»، فلما إنتصر «نرسي» خرج امرؤ القيس إلى الشام فأقام فيها ومال إلى الروم الذين أيدوه وأقروه على عرب الشام، وهناك وافاه أجله فدفن في أرضها.(٣٦)

ولعل السبب في ترحيب الروم بامرئ القيس، هو وجود فراغ سياسي في المناطق الحدودية لدولة الروم في الشام قبل قيام دولة الغساسنة (التي قامت إبتداء من عام ٥٠٠ تقريباً) التي سدت هذا الفراغ فيما بعد فكان في وجود ملك قوي كامرئ القيس (كما تدل على ذلك الأوصاف الواردة على شاهد قبره مثل «ملك كل العرب»)، ما يحمي هذه الحدود من هجمات الأعراب والبدو.

ونقش النمارة هذا مؤرخ بعام ٢٢٣ من تقويم بصرى، الذي يعادل سنة ٣٢٨ ميلادية كما قلنا.

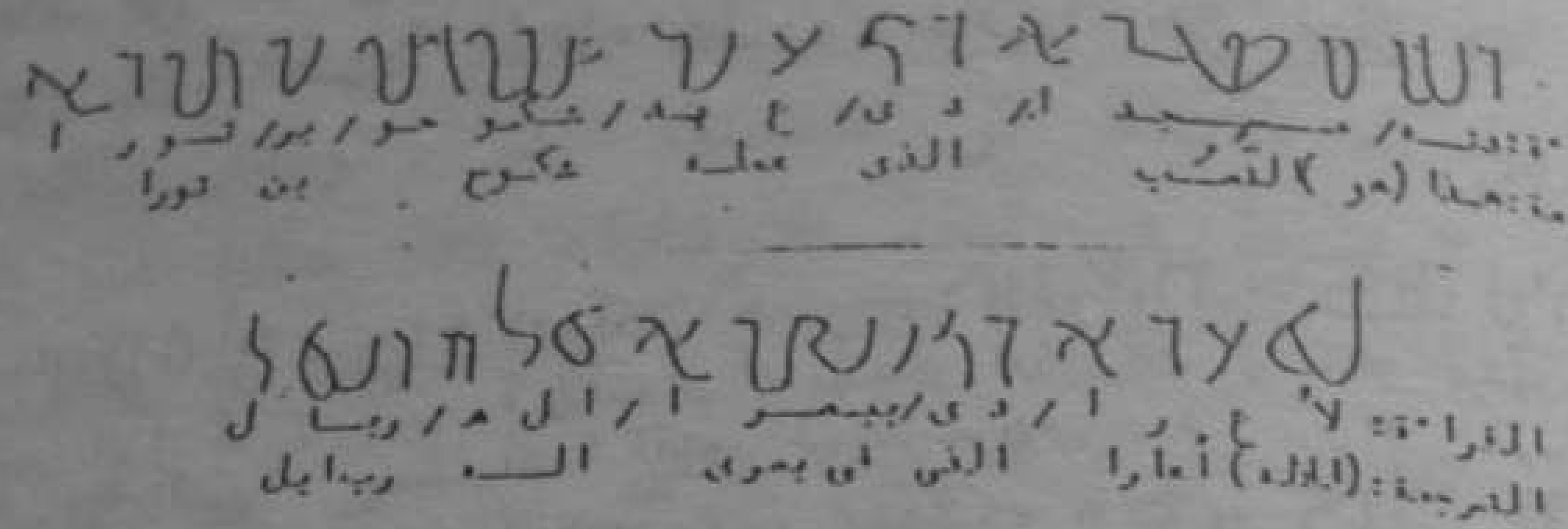
وبصرى هي المدينة التي إقترن إسمها في السيرة النبوية بالراهب بحيرا الذي حذر ابى طالب من خطر اليهود على الرسول (ص) عندما إصطحبه وهو صبي صغير في إحدى رحلاته التجارية في الشام. وتقع بصرى في منطقة حوران أيضاً، وكانت عاصمة لما أسماه الرومان Provincia Arabia أي «المقاطعة العربية» التي أنشأها الرومان عام ١٠٥/١٠٦م في عهد الإمبراطور «تراجان» عندما أسقطوا البتراء عاصمة دولة الأنباط التي ضموها إلى هذه المقاطعة. ومنذ تلك السنة بدأ مايعرف بتقويم بصرى الذي إستخدم في أرجاء هذه المقاطعة ومن بينها مناطق الأنباط في الحجاز

٣٥- ديسو، العرب ص٣٧

٣٦- جواد علي، المفصل، ج٣ص١٩١

والشام، ولكن بدون ذكر أسمها فقد كان يقتصر فى الأغلب على التاريخ فقط، وفى الأقل كان يذكر الإسم النبطى للمقاطعة العربية وهو «هـ ف ر ك ى ا»(٢٧) وهو التحريف النبطى لكلمة Heparchia اليونانية.

وقد ورد الأسم «بصرى» فى نقش نبطى محفور فوق شكل مستطيل يبرز من الصخر(٢٨)هو غالباً رمز الاله «دوشارا» وهو منحوت فى الشق الجبلى المسمى «شق جبل أثليب» فى مدائن صالح وقد كرمه شخص يدعى «شكوح بن تورا» (الذى أطلق على هذا النصب كلمة «مسجدا») للاله الذى أسماه «أعارا الذى ببصرى آله رب آيل» كما يلى :(٢٩)



والنقش مؤرخ بالسنة الأولى من حكم الملك «مالك الثالث» («ملكو» فى النقش، و «مالك» هى الصيغة العربية لهذا الإسم النبطى) وهى تعادل سنة ١٠١ ميلادية.

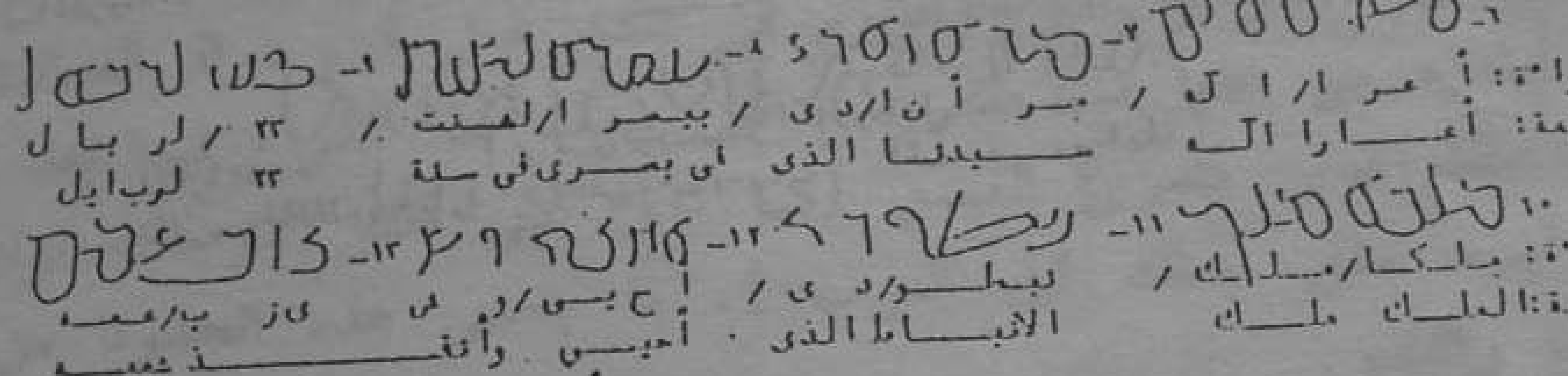
والاله «أعارا» المشار إليه فى النقش هو الصورة الكائنة فى بصرى لاله الأنباط الكبير «دوشارا» فى البتراء العاصمة (ذو الشرى عند العرب)، وأن الإشارة فى النقش إلى أن الاله أعارا هو آله رب ايل له مغزى تاريخى، فالمقصود هو الملك رب ايل الثانى الذى حكم مابين عامى ٧٠ ، ١٠١م، أى أنه الملك السابق لمالك الثالث الذى أرخ النقش بسنى حكمه.

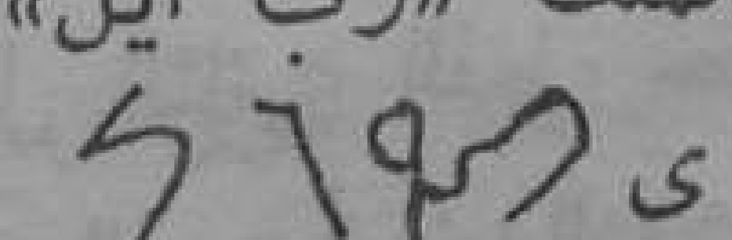
37- JS. I, p.239 no. 159 and Kammerer, Petra, p.273

38- JS. I, pl. XLI

39- Cant., Nab. II, p.36, no. VII

ويتضح لنا هذا المغزى التاريخى من نقش آخر وجد بالقرب من بصرى نفسها، مؤرخ بالسنة ٢٣ من حكم الملك رب ايل الثانى نفسه أى مايعادل سنة ٩٢م، وقد كرسه شخص يدعى «منعتو بن جديو» (أو «منعت بن جدى» إذا إتبعنا طريقة تحويل الصيغة النبطية للأسماء إلى الصيغة العربية بحذف واو النهاية) للاله الذى أسماه «دوشرا-أعرا» أى الاله المزدوج الأسم «دوشارا-أعارا». ويبدأ النقش بنفس العبارة الواردة فى النقش السابق (دنه مسجدا. أى هذا نصب) ويصف الآله «أعارا» فقط بأنه «الذى فى بصرى» أى نفس الوصف فى النقش السابق، ولكن بدلا من أن يصفه بأنه «آله رب ايل» كما جاء فى النقش السابق، يصفه بأنه «اله سيدنا». ثم يصف الملك رب ايل بأنه «الذى أحيا وأنقذ شعبه». وفيما يلى نص هذا الجزء من النقش : (٤٠)



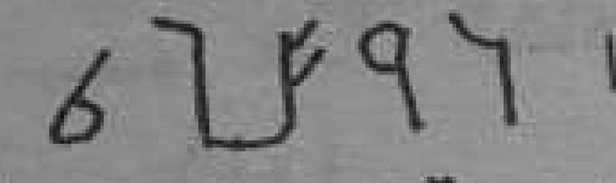
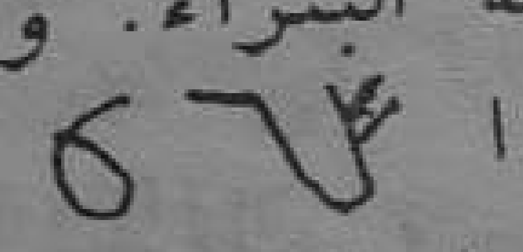
والمغزى التاريخى للنقشين أنهما ينسبان الآله «أعارا» إلى الملك «رب ايل» الثانى (فى النقش الثانى وصف بأنه «آله سيدنا» لأنه مؤرخ بحكم رب ايل نفسه أى أن الشخص الذى دونه (منعت بن جدى) عاش فى عهد رب ايل). أما وصف الملك رب ايل بأنه «الذى احيا وانقذ شعبه» الذى ورد فى النقش الثانى، فقد تكرر فى نقش ثالث على لوحة وجدت فى البتراء ولكن صاحبها ينتمى إلى «السويداء» وهى قرية فى حوران أى فى منطقة بصرى التى ينتمى إليها الآله أعارا اله الملك «رب ايل» وقد كتبت السويداء على هذه اللوحة بالصيغة «س و د ى )(٤١)أى قريبة من إسمها الحالى. ثم تكرر نفس الوصف فى نقش رابع من منطقة الصفا فى حوران أيضاً.(٤٢)أى أن النقوش التى تصف الملك رب ايل الثانى بهذا الوصف، والتى تربط بين الاله دوشارا وبين الاله أعارا وتنسب هذا الأخير إلى بصرى

40- op. cit., II, p.22, no.X

41- op. cit., p.9. no. VIII

42- op. cit., p.20, no.IX

سجلها عام ١٠٦م وضمها إلى المقاطعة العربية، وجعل مركزها مدينة بصرى. لم يكن أمراً مفاجئاً للأنباط، بل سبقه إنتقال ملوكهم إلى بصرى وإقامتهم فيها لفترات طويلة - ان لم تكن إقامة دائمة - ويبدو أن رب ايل الثانى بدأ تلك «الهجرة» وربما إستخدم سياسة مرنة مع الرومان للحفاظ على كيان الدولة وتأخير إستيلاء الرومان عليها، ولعل ذلك هو السبب فى إطلاق وصف :الذى أحيا وأنقذ شعبه» عليه فى النقوش النبطية. (٤٢)

وربما يؤكد إقامة الملك رب ايل الدائمة أو شبه الدائمة فى بصرى، نسبة الاله «اعارا» إليه الذى كان الها لبصرى أو صورة لدوشارا فى بصرى، بينما كان دوشارا هو اله الأنباط فى عاصمتهم البتراء ودليل ذلك نسبته إلى منطقة البتراء الواضحة فى أسمه «دوشارا» فإذا حللنا هذا الإسم، الذى يكتب فى النبطية «د و ش را  ، نجد أنه يتكون من كلمتين هما «دو» التى تعادل «ذو» العربية بمعنى «المنتمى الى» أو «صاحب» ثم «شرا»، وهو أسم المنطقة الجبلية التى تمتد من جنوب البحر الميت إلى شمال خليج العقبة أى التى تشمل منطقة البتراء. وقد ورد هذا الإسم فى النقوش النبطية بنفس الصيغة «ش ر ا  »(٤٤). وظل الإسم باقياً حتى اليوم فى التسمية العربية للجبال التى تمتد فى هذه المنطقة وهى «جبال الشراه». كما عبده عرب ماقبل الإسلام بإسم «ذو الشرى». وعلى ذلك فإن إسم الاله «دوشارا» معناه «صاحب منطقة الشراه» التى تشمل البتراء. أما الاله «أعارا» فهو على مايبدو الصيغة المتأغرقة لدوشارا، فهو نفس اله الحرب اليونانى «آرس Ares»(٤٥)بدليل أن الأنباط كتبوا أسمه بالحروف اليونانيةAPPA إلى جانب أسم الآله اعارا(٤٦)(نقش فى أم الجمال1096 RÉS).ويبدو أن هذه الصيغة المتأغرقة أدخلت عليه فى منطقة

٤٢- الواقع أن قضاء رب ايل الثانى فترات طويلة فى بصرى ليس بالرأى الجديد فقد سبق أن أشار إليه الباحثون مثل Kammerer,Petra,p.275 ولكن الجديد هنا هو إثباته من خلال النقوش التى تشير إلى بصرى والهها أعارا.

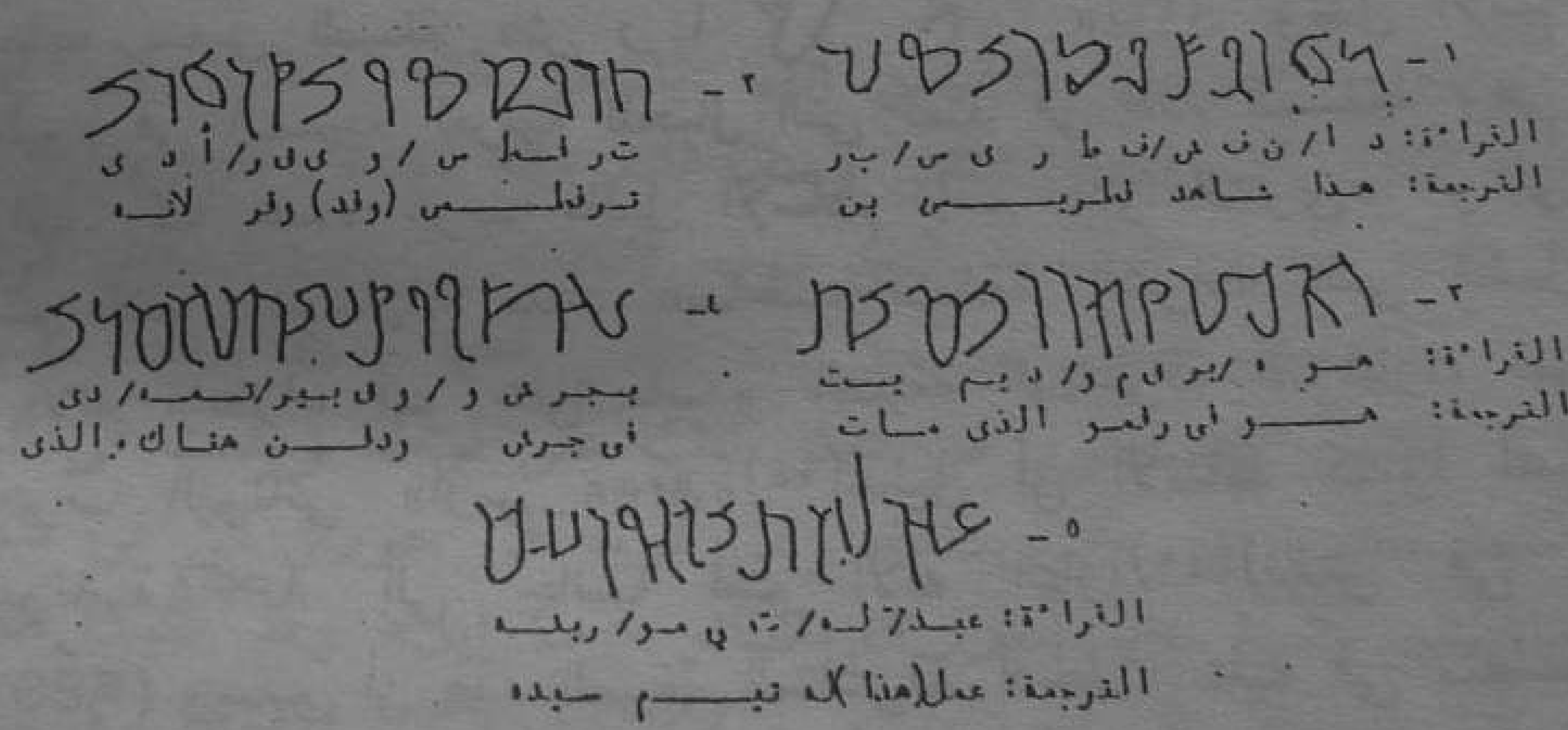
44- Js., I, p.229, no.109

45- Kammerer, Petra, p.398, 414

46- Cant., Nab., II, p.23 no.XI

بصرى نتيجة لغلبة الحضارة اليونانية الرومانية وإن كان الأنباط قد أعطوا إسمه نطقاً سامياً.

ومن النقوش النبطية التى كشفت حديثاً نسبياً. نقش ذو أهمية خاصة يحوى إسمين جغرافيين أحدهما فى الشام وهو «جرشو» (أى جرش فى شرق الأردن). والآخر هو «رقمو» الذى قد يكون الصيغة النبطية للاسم العربى «الرقيم» الوارد فى سورة الكهف فى القرآن الكريم. والنقش محفور على شاهد يشبه المسلة وهو منحوت فى الصخر عند مدخل البتراء(٤٧). وكانت المسلة مثلها مثل الحجر المكعب رمزاً للاله دوشارا، وربما تأثر الأنباط فى ذلك بمسلات مصر الفرعونية. ولايوجد أسفل الشاهد قبر أو أى أثر للدفن، أى أنه شاهد وهمى Cenotaph أقيم كذكرى لصاحبه الذى يدعى فى النقش «فطريس بن تروفطس» ويبدو أنهما الصيغتان النبطيتان للأسمين اليونانيين Petraios و Threptos على التوالى(٤٨) وقد مات «فطريس» هذا ودفن فى جرش فكرس سيده هذا الشاهد الوهمى فى البتراء لذكراه طبقاً لما ورد فى النقش كما يلى :(٤٩)



47_ Browning, Petra, fig.52, p.109

48_ Starcky, Rev., p.59

49_ Ibid.

والواضح من هذا النقش أن رقمو هو الاسم النبطى للبتراء. ولهذا أهمية كبيرة لأنها المرة الأولى التى يذكر فيها هذا الإسم على آثار البتراء نفسها. وبذلك تحدد مدلوله بوضوح. والكلمة مشتقة من الأصل السامى «رقم» بمعنى الزخرفة المزركشة المتعددة الألوان. وربما أطلق الأنباط الإسم على مدينتهم لما تتميز به ألوان صخورها المزركشة التى تنتشر عليها الخطوط الصفراء والزرقاء والحمراء.

وقد يكون فى الآية ٩ من سورة الكهف فى القرآن الكريم «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً»، وقد يكون فيها مايشير إلى أن كل من «الرقيم» المذكورة فى الآية، وكلمة «رقمو» النبطية أسمين لمسمى واحد هو «البتراء» التى تتميز فعلا بكهوفها العديدة أو بتعبير أدق بمقابرها المنحوتة فى الصخر التى تشبه الكهوف والتى يربو عددها على ٥٠٠ مقبرة أو كهف. وعلى ذلك ربما كان أحد هذه الكهوف هو الذى لجأ إليه أصحاب الكهف.

والحقيقة أن تحديد كهف أصحاب الكهف كان موضع دراسات كثيرة قديماً وحديثاً. ومن أهم الدراسات الحديثة، الدراسة التى قامت بها إدارة الآثار العامة بالأردن وأصدر أحد رجالها كتاباً فى عام ١٩٦٤م عن نتائج هذه الدراسات.(٥٠)أعلن فيه أن الكهف المسمى «الرجيب» الواقع جنوب شرق عمّان بثمانية كيلومترات هو كهف أصحاب الكهف(٥١). وقد زار كاتب هذا البحث كهف الرجيب هذا عام ١٩٨٣م فوجد أنه عبارة عن مزار مقبرة بها ستة توابيت منحوتة فى الصخر وفى الناحية الشرقية منه فجوة منحوتة فى الجدار تشبه الفجوات التى توجد فى مزارات المقابر وتستخدم لوضع حاجيات زوار المقبرة مثل المسارج وأدوات الطقوس الجنائزية وغيرها. ومدخل الكهف من الناحية الجنوبية، ورغم أن مؤلف الكتاب المذكور طبق على هذا المدخل ماورد فى الآية ١٧ «وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه»، فإن مدلول هذه الآية الكريمة يجعل مدخل الكهف فى الناحية الشمالية لاالجنوبية

٥٠- الدجانى، إكتشاف أهل الكهف.

٥١- نفس المصدر، ص ١٠٩

وإن كان مؤلف الكتاب قد برر هذا التناقض بإرتفاع الشمس فى الأفق فى الظهيرة وبذلك فإن أشعتها لاتدخل من باب الكهف فى رأيه.(٥٢)

إننى أرى أن إكتشاف الإسم «رقمو» فى البتراء يقدم دليلا قويا على أن البتراء هى المنطقة التى يوجد بها كهف أهل الكهف، وأنه يجب البحث بين كهوفها أو مقابرها الصخرية عن هذا الكهف. وفى هذا الصدد لدينا نقش يونانى مؤرخ بعام ٤٤٦م فى المقبرة المسماة مقبرة «الجرة»(٥٣)أو «المحكمة» أو «السجن» (طبقاً لإختلاف مسميات بدو المنطقة) يسجل إنشاء كنيسة داخل هذه المقبرة فى تلك السنة. وهى تدخل فى نطاق نفس الفترة التى إقترحها مؤلف الكتاب المذكور لإستيقاظ أصحاب الكهف، أى خلال حكم الإمبراطور البيزنطى تيودوسيوس الثانى (٤٠٨-٤٥٠م)، كما أن التاريخ الذى حدده لفرارهم من الحاكم الظالم وإلتجائهم للكهف وهو عام ١١٢م الذى أصدر فيه الإمبراطور تراجان مرسوماً يقضى بأن كل مسيحى يرفض عبادة آلهة الدولة والإمبراطور يحاكم كخائن ويتعرض للموت(٥٤). والذى سبق عصر تيودوسيوس الثانى بحوالى ٣٠٠-٣٠٩ سنة وهى مدة بقاء أصحاب الكهف كما ورد فى القرآن الكريم - هذا التاريخ يتفق مع الأحداث فى البتراء والتى أشرنا إلى جانب منها، وهى تحول البتراء إلى منطقة شبه مهجورة بعد هجر ملوكها لها وإقامتهم فى بصرى إبتداء من رب ايل الثانى، ثم إسقاط الرومان للبتراء عام ١٠٦م وضمها إلى المقاطعة العربية وجعل عاصمتها بصرى مما زاد من هجر البتراء فأصبحت بذلك مكاناً ملائماً للهاربين من وجه السلطة الحاكمة وصارت كهوفها أو مقابرها الصخرية التى تربو على ٥٠٠ مقبرة ملجأ مناسباً لهؤلاء الهاربين. وتتفوق البتراء على منطقة كهف الرجيب فى هذه الناحية أيضأوفى كونها بعيدة عن مقر القوات الرومانية التى كانت تتمركز فى بصرى القريبة جداً من منطقة «الرجيب» بالنسبة للبتراء التى تبعد عن بصرى بثلاثمائة كيلومتر تقريباً واعتقد أنه لايقلل من عزلة البتراء واقفارها من السكان وجود حكام رومان لها كما يستخلص من النقش اللاتينى المحفور على واجهة مقبرة ابن حاكم المقاطعة العربية(٥٥) Sextus Florentinus .

٥٢- نفس المصدر ص١١٠

53- Browning, op.cit., p.224

٥٤- الدجانى، إكتشاف، ص ٣٠

55- Browning, op. cit., p.224

وقد أخذ مؤلف الكتاب كلمة «عليهم» الواردة فى الآية ٢١ من سورة الكهف بنصها أى بمعنى «فوقهم» أو فوق الكهف. بينما فسرها المفسرون بمعنى «حولهم» أو أمام الكهف. فقد جاء فى هذه الآية الكريمة «فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم. قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً». وبناء على تفسيره. إعتبر مؤلف الكتاب أطلال المحرابين والجدران فوق كهف الرجيب دليلا على بناء مسجدين فوق الكهف(٥٦) ولكن مفسرى القرآن الكريم فسروا عبارتى «ابنوا عليهم بنياناً» و «لنتخذن عليهم مسجداً» بما معناه «اقاموا حولهم جدارا ومسجدا أمام باب الكهف».(٥٧)

والحقيقة أن هذه الأوصاف تنطبق إلى حد كبير على مقبرة «الجرة» المحكمة التى أشرنا إليها إلى حد كبير. فإن أمامها ساحة ذات أعمدة تصلح لبناء مسجد أو معبد(٥٨) وقد ذكرنا أنه يوجد بداخلها نقش يونانى يفيد إنشاء كنيسة بها عام ٤٤٦م، هذا فضلا عن أن مدخلها يقع فى الجهة الشمالية الغربية(٥٩) مما يجعل ماورد فى الآية السابعة عشرة من سورة الكهف ينطبق على هذا المدخل أكثر مما ينطبق على كهف الرجيب الذى يقع مدخله فى الناحية الجنوبية.

أما الفجوة المشار إليها فى نفس الآية، والتى حددها مؤلف الكتاب بتلك الفجوة المنحوتة فى الجدار الشرقى من الغرفة الداخلية من كهف الرجيب (التى يغلب انها غرفة المزار لعدم وجود توابيت بها)، فإن وقوعها فى الناحية الشرقية من الكهف يتناقض مع ماورد فى الآية المذكورة، إذ يجب أن تكون هذه الفجوة فى الناحية الغربية (فاذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه)، وهذا الوصف ينطبق على مقبرة الجرة، إذ توجد فى أعلى جدار مدخلها (الذى يواجه الشمال الغربى كما قلنا)، ثلاث فتحات لتهوية ثلاث غرف فى الطابق الثانى من المقبرة. وقد دل فحص هذه الغرف على أنهاسدت فى زمن ولغرض لم يستطع الباحثون تحديدهما. (٦٠)

٥٦- الدجانى، نفس المصدر، ص ٢٤

٥٧- تفسير الجليلين، ص ٢٤٤- ٢٤٥

58- Browning, op. cit., fig.153, p.215

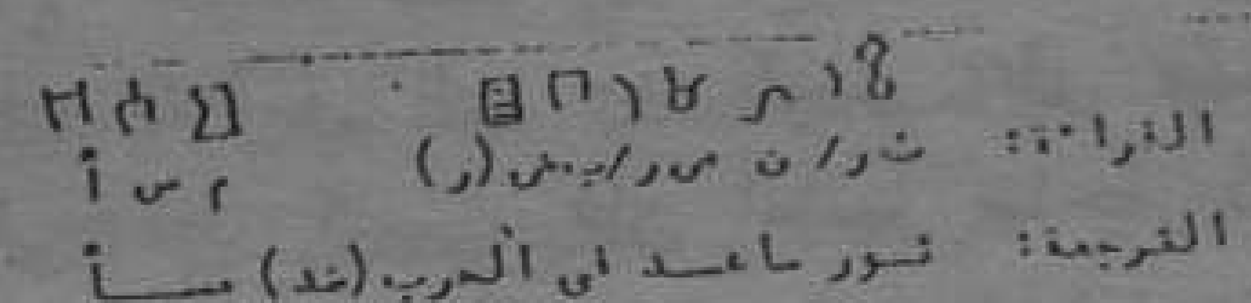
59- Ibid.

60- Browning, Petra, p.216

وربما يكون فى ذلك مايتمشى مع ماورد فى الآية الواحدة والعشرين «فقالوا ابنوا عليهم بنيانا». هذا مجرد إجتهاد من كاتب هذا البحث لتحديد كهف أصحاب الكهف بالإستعانة بما ورد فى النقوش. والله أعلم.*

سادساً : فى النقوش الثمودية :

وفى مجال المقارنة بين الأسماء العربية القديمة للمناطق الواقعة خارج الجزيرة العربية وبين مايقابلها فى الكتب الدينية، ورد الأسم «م س أ» فى نقش ثمودى يوجد فى تيماء هو : (٦١)



ويرى «وينت Winnett» مكتشف النقش أن الأسم «مسأ» هو لأحد أبناء إسماعيل المذكور فى سفر التكوين وهو «مسا» (اصحاح ٢٥:١٤)، وان ورود هذا الأسم بعد الأسم «دومة» (٢٥:١٤) وقبل الاسم «تيما» يشير إلى أن منطقة القبيلة التى تحمل الإسم «مسا» يجب أن تكون بين منطقتى الجوف وتيماء فى شمال غرب الجزيرة العربية. (٦٢)

غير أن «ألبرت Albright» يرى أن الأسم «مسا» هذا هو أسم قبيلة أرامية بسبب ذكر الأسم «ماش» بين أبناء «أرام» فى الإصحاح العاشر من سفر التكوين عدد ٢٣ وعلى ذلك فهو يحدد مكانهم فى الصحراء السورية إلى الجنوب الشرقى من دمشق (٦٣) .

فإذا كان رأى «ألبريت» أقرب إلى الحقيقة من رأى «وينت»، فإن الإسم الثمودى «مسأ» يدخل فى نطاق الأسماء الجغرافية الآسيوية خارج الجزيرة العربية.

أ.د / عبد المنعم عبد الحليم سيد

---

* قد يجد القارئ بعض التكرار لهذه المعلومات فى البحث الذى عنوانه «الأسماء القديمة الواردة فى القرآن الكريم .... إلخ» وقد أبقينا على المعلومات المكررة كما هى حفظاً على النص الأصلى للبحث.

61_ Winnett, Records, p.101,no. 16 and pl.19.

62_ Ibid., p.101

63_ Albright, Biblical., p. 1f.

المراجع وإختصاراتها

أولاً : المراجع العربية :

- تفسير الجليلين = تفسير الإمامين الجليلين. (على هامش القرآن الكريم). القاهرة، المكتبة الشعبية.
- جواد على. المفصل - جواد على. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت وبغداد، دار العلم للملايين، ١٩٦٩.
- ديسو. العرب - ديسو، رينيه، العرب فى سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومراجعة د.محمد مصطفى زيادة، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٠.
- الدجانى، اكتشاف - الدجانى، رفيق وفا، إكتشاف أهل الكهف، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٩٦٤.

ثانياً : المراجع الأفرنجية :

1- Albright, Biblical = Albright, W.F., "The Biblical Tribe of Massa' and some congeners" in Studi Orientalistici in onore di Georgio Levi Della Vida, I (Rome, 1956).

2- Albright, Chronology = Albright, W.F., The Chronology of Ancient South Arabia in the light of the first campaign of excavations "in Qataban", in BASOOR, 119, 1950.

3- BASOOR = Bulletin of the American Schools of Oriental Research.

4- Browning, Petra = Browning, I., Petra, London, 1982.

5- Beeston, Inscr. = Beeston, A.F.L., "On the inscriptions discovered by Mr. Philby" in Philby, H.ST.J., Sheba's Daughters, London 1939.

6- BSOAS = Bulletin of the School of Oriental and African Studies.

7- Cant. Nab. = Cantineau, J., Le Nabateen, Paris, 1930 (Osnabruck, 1978).

8- CIS = Corpus Inscriptionum Semiticarum.

9- D.M. = Dussaud et Macler, Mission dans les regions desertiques de la Syrie, 1905.

10- Fakhry, Archaeol. = Fakhry, A., An Archaeological journey to Yemen, Cairo, 1950.

11- Jamme, Al Uqlah = Jamme, A., The Al Uqlah texts, The Catholic University of Washington, 1963.

12- Jensen, Sign = Jensen, Hans, Signs, Symbols and Scripts, London, 1970.

13- JS	=	Jaussen et Savignac, Mission Archeologique en Arabie, Paris 1909-1914.
14- Kammerer,Petra	=	kammerer, A., Petra et la Nabatene, Paris, 1929.
15- Mlaker,Hierodulen	=	Mlaker, "Die Hierodulen Listen von Main" Le Museon, LXII,
15/1- PSAS	=	Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, London.
16- Pirenne, Paleogr.	=	Pirenne, J., Paleographie des inscriptions sud-arabes T. I, Paris, 1951.
17- RES	=	Repertoire d'Epigraphie Semitique, Paris.
18- Rossini, Chrest.	=	Rossini, Chrestomathia Arabica Meridionalis Epigraphica, Roma, 1931.
19- Ryckmans, Noms	=	Ryckmans, G., Les noms propres sud-semitiques, Louvian, 1934.
20- Sayed, Emendations	=	Sayed, Abdel Monem A.H., "Emendations to the Bir Murayghan inscription Ry 506 and a new minor inscription from there", PSAS, Vol. 18, 1988.
21- Smith, Events	=	Smith, Sidney, "Events in Arabia in the 6th century A.D.BSOAS, XVI, 1954.
22- Starcky, Rev.	=	Starcky, J., "Nouvelle Epitaphe Nabateenne donnant le nom semitique de Petra Rev. Bibl. T. 72 (1965) p. 95-97.
23- Von Wissman, Himyar	=	Von Wissman, H., "Himyar Ancient History" Le Museon, Vol. 77, 1964.
24- Winnett, Records	=	Winnett, F.V. and Reed, W.L., Ancient Records from North Arabia (with contributions by J.T.Millik and J, Starcky), Totonto, 1970.
25- Winnett, Safaitic	=	Winnett, F.V., Safaitic inscriptions fro[m] Jordan, Toronto, 1957.

الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر (*)

عبد المنعم عبد العليم سيد

ان الظاهرة الملفتة للنظر في موضوع العلاقات بين الجزيرة العربية وبين مصر في العصور القديمة وخاصة في العصر الفرعوني ، ان الاسم المألوف للجزيرة العربية الذي عرفت به قديما (أيضا) ، وهو احد اشتقاقات المقطع ع ر ب او المقطع أ ر ب ، لم يرد على الاطلاق في النقوش المصرية التي ترجع للعصر الفرعوني نفسه فطوال ذلك العصر ، كان المصريون يطلقون اسماء عامة على سكان المناطق الواقعة الى الشرق من مصر وفي شمالها الشرقي مثل عامو ، شاسو ، منتيو ، ايونتيو ، وغيرها .

واكثر هذه الاسماء شيوعا في النصوص الهيروغليفية هي كلمة عامو (١) ولعلها قريبة من كلمة « عم » العربية . وكانت عامو تطلق على سكان الصحراء الشرقية وسيناء وسوريا وفلسطين وشمال الجزيرة العربية ، اي على ما يمكن أن نسميه بالعناصر السامية . واقدم كتابة لهذه الكلمة ترجع لعصر الدولة القديمة الفرعونية (حوالى ٢٥٠٠ ق.م.) . وكثيرا ما جاءت بعد هذه الكلمة جملة وصفية هي حريو شع بمعنى « سكان الرمال » . وكما هو ظاهر من مخصص كلمة عامو (المخصص هو العلامة التي تاتي في آخر الكلمة الهيروغليفية لتحديد او تخصيص معناها) فانه يمثل جماعة من الناس في أقدم كتابة للكلمة على الآثار المصرية ، ثم ظهرت الكلمة بعد ذلك بمخصص يدل على المكان ( ) كما ظهرت بشكل اكثر دلالة على المكان (٢) فكتبت وتقرأ تا - عامو بمعنى « أرض او بلاد الاسيويين » ، وقد اطلقت على المنطقة الواقعة شمال شرقي مصر والتي تشمل سوريا وفلسطين وسيناء وبلاد العرب ، وكانت هذه التسمية ترد أحيانا في النصوص المصرية كنوع من المقابلة مع التسمية تا - نحسيو أي « بلاد السود » التي تشمل المناطق الواقعة جنوب مصر .

وازاء عدم ورود اسم خاص بالجزيرة العربية في النصوص الهيروغليفية وغيرها من النصوص التي ترجع للعصر الفرعوني ، اتجهت الانظار للبحث عن مسميات ذات مدلول يتصل بالجزيرة العربية سواء من ناحية الموقع او من ناحية التشابه في الطبيعة النباتية ، او التشابه في ملامح السكان ومميزاتهم الثقافية ، او حتى التشابه مع اسماء القبائل والشعوب العربية .

فمن اهم المسميات التي اجتذبت أنظار الباحثين في هذا الصدد ، عبارة تا - نثر ( ) بمعنى «أرض الاله» ، وايضا كلمة بونت ( )(٣) التي تحدد مدلولها منذ عصر الدولة الوسطى الفرعونية بسواحل البحر الاحمر التي كان المصريون يحصلون منها على « البخور » . وكان منشأ الارتباط في اذهان الباحثين بين هذين المسميين وبين الجزيرة العربية ، ان الجزيرة العربية وخاصة مناطقها الجنوبية اشتهرت بانها أهم سوق في العالم القديم لتجارة وانتاج البخور .

وكان المصريون يذكرون تا - نثر وبونت احيانا كاسمين مترادفين ، ولعل منشأ الترادف بينهما في اذهان المصريين ، ان عبارة تا - نثر اطلقت أول الامر على الصحراء الشرقية كما تدل على ذلك لوحة من عهد الفرعون سنوسرت الثاني (حوالى ١٨٩٤ ق.م.) تخص رجلا يدعى خنوم - حتب ، جاء فيها انه اقام هذا الاثر (اللوحة) في تا - نثر . وقد عثر على هذه اللوحة داخل واد يقع الى الشمال من مدينة القصير بحوالى ٦٠ كيلومترا (أو جنوب مدينة سفاجة بحوالى ٢٠ كيلومترا) يسمى وادى جاسوس .

ويبدو ان سبب اطلاق الاسم تا - نثر على الصحراء الشرقية ان جبالها الممتدة بمحاذاة النيل كانت أول المناطق التي تشرق منها الشمس ، رمز معبودهم ، اله الشمس ، وهو الاله الاكبر في مصر الفرعونية الذي يرمز

(*) نشر فى كتاب أبحاث الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية التى عقدت بكلية الآداب بجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية فى أبريل ١٩٧٩م والكتاب بعنوان «مصادر تاريخ الجزيرة العربية - الجزء الأول» ص ٣٩-٤٥)

له المصريون بجناحي صقر يتوسطهما قرص الشمس . وكان الصقر يرمز ايضا للاله حورس ، وهو كما كان المصريون القدماء يعتقدون ، آخر اله حكم مصر ومنه ورث الفراعنة هذا الحكم . فالمناطق الشرقية اذن هي مقر الاله حورس الذي كان المصريون يختصونه بكلمة نثر ومن هنا جاءت التسمية **تا ـ نثر** اي أرض الاله .
ولعل منشأ الترادف ايضا بين **تا ـ نثر** وبين **بونت** ان المصريين كانوا يحصلون من الصحراء الشرقية في بداية تاريخهم على نوع من النبات كان يستخدم كبخور .

اما عن امتداد مدلول كل من **تا ـ نثر** و **بونت** ليشمل الجزيرة العربية ، فان ذلك يختلف بالنسبة لكل منهما ، فبينما نرجح ان مدلول التسمية **بونت** عند المصريين قد اقتصر على الساحل الافريقي للبحر الاحمر ، ولم يمتد الى ساحله الاسيوي للاعتبارات التي سنذكرها فيما بعد ، فان مدلول التسمية **تا ـ نثر** أو « ارض الاله » يمكن ان تشمل الجزيرة العربية ، لسبب واضح ، هو ان هذا المدلول الذي يعني الارض التي يشرق منها الاله اي الشرق او المشرق ، لم يكن محددا بمنطقة معينة ، بل كان يتسع تدريجيا باتساع معارف المصريين عن المناطق الشرقية ونشاطهم فيها حتى شمل في عصر الدولة الحديثة بلاد الشام الى شمال العراق .

اما التسمية **بونت** فلها وضع آخر ، هي ان المصريين اطلقوها على المناطق التي كانوا يرتادونها بحرا للحصول على البخور اساسا ثم على السلع الافريقية الاخرى . وكانت هذه المناطق تقع على الساحل الافريقي للبحر الاحمر ولم تشمل ساحله الاسيوي كما قلنا ، أي لم تشمل الجزيرة العربية وبالتحديد لم تشمل جنوب الجزيرة العربية أو اليمن كما يرى بعض الباحثين . وهناك قرائن كثيرة على ذلك ولكننا سنقتصر على ذكر الادلة اذ لدينا ثلاثة أدلة تؤيد وجهة نظرنا ترجع الى عصور متفرقة من التاريخ الفرعوني مما يزيد من قيمتها .

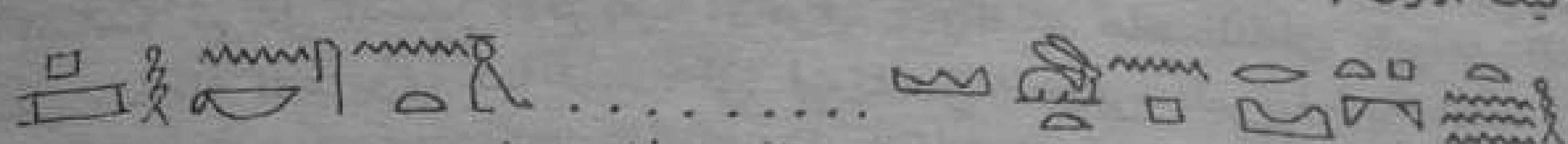
والعصور التي ترجع اليها هذه الادلة هي عصر الدولة الوسطى وعصر الدولة الحديثة والعصر المتأخر .
فمن عصر الدولة الوسطى ـ وهو العصر الذي تحدد فيه سفر المصريين بحرا للحصول على البخور كما قلنا ـ ، كشف في موقع الميناء الذي كانت السفن المصرية تنطلق منه في رحلاتها الى مناطق البحر الاحمر (٤)، عن لوحات منقوشة بالهيروغليفية تسجل مرسوما ملكيا اصدره الفرعون سنوسرت الاول (١٩٧١ـ١٩٢٨ ق٠م٠) لبناء سفن لارسالها الى منطقة اطلقت عليها النقوش **بيا ـ بونت**  (٥) . وقد سبق ان ورد اسم هذه المنطقة في عصر الدولة القديمة في نص مدون في مقبرة حرخوف حاكم اسوان في عهد الاسرة السادسة (وهو الرحالة الذي جاب المناطق النيلية لجلب السلع الثمينة التي كان يطلبها الفرعون) ، ومؤدى هذا النص ان الفرعون (ببيى الثاني) يرغب في رؤية القزم الذي أحضره حرخوف ضمن السلع التي جاء بها « اكثر من كل سلع **بيا ـ بونت** » (كتعبير الملك) . وقد ترجم العلماء هذا الاسم الى « سيناء و**بونت** » (٦) اي اعتبروه منطقتين ، على اساس ان كلمة **بيا** تعني « منجم » لان المصريين كانوا يطلقونها على سيناء احيانا لوجود مناجم النحاس والفيروز بها التي كان المصريون يستغلونهما على نطاق واسع . وهذه التسمية قد تتضمن ان منطقة **بونت** هي الاخرى منطقة آسيوية اذ يصعب تصور الحصول على سلع في رحلة واحدة من منطقتين متباعدتين احداهما في افريقيا (**بونت**) والاخرى في آسيا (**بيا**) .

غير ان الكشف عن الميناء حسم هذه المشكلة اذ عثرنا على لوحات منقوش على احداها كلمة **بيا ـ بونت** وقد كتبت بصيغة جديدة لم تظهر بها قبل ذلك على الآثار المصرية ، وهي كتابة الكلمة باداة الاضافة الهيروغليفية () فظهرت الصيغة بهذا الشكل () وهذا دليل قاطع على انها منطقة واحدة وليست منطقتين كما كان الاعتقاد السائد بين العلماء قبل هذا الكشف .

ولما كانت رحلات حرخوف كلها قد تمت برا اي داخل القارة الافريقية ، فان هذا يدل على ان منطقة **بيا ـ بونت** التي ذكرت في نقوش الميناء المكتشف هي منطقة افريقية وان المصريين في عصر الدولة الوسطى تمكنوا من الوصول اليها بطريق البحر بعد ان كانوا يتاجرون معها في عصر الدولة القديمة بطريق البر .

اما الدليل الثاني على ان التسمية بونت لم تشمل منطقة اسيوية والذي يرجع الى عصر الدولة الحديثة فقد ورد ضمن رسوم بعثة حتشبسوت التجارية الى بونت (حوالى ١٤٨٠ ق٠م٠) المسجلة على جدران معبد هذه الملكة في الدير البحري ، ورغم أن هناك قرائن عدة يمكن استخلاصها من هذه الرسوم وتفيد ان منطقة بونت التي ارتادتها بعثة هذه الملكة هي منطقة افريقية وليست اسيوية ، ومن ذلك الملامح الزنجية في بعض سكانها والمظاهر الحضارية والثقافية للسكان التي تسودها الخصائص الافريقية ، الا اننا سنقتصر على دليل قوي هو وجود حيوان الزراف ضمن حيوانات هذه المنطقة ، فالمعروف ان الزراف حيوان افريقي ولم يسكن آسيا في أي عصر من العصور ٠ والسبب الذي يدعونا لاتخاذ الزراف كدليل على صحة وجهة نظرنا رغم انه حيوان قابل للنقل بفعل الانسان من مكان لآخر ، ان الزراف مثل في رسوم هذه المنطقة من بونت في بيئته الطبيعية فقد رسمت زرافة وهي ترعى على اوراق الشجر بينما ظهر بجوارها قرد جبلي وهو يتسلق نخلة (٧) ٠ وعلى ذلك فاننا امام دليل قوي على ان منطقة بونت التي ارتادتها بعثة حتشبسوت هي منطقة افريقية وليست اسيوية ٠

اما الدليل الثالث الذي يرجع للعصر المتأخر فيتمثل في عبارة وردت على لوحة يرجع انها من عصر الفرعون ابسماتيك الاول (٦٦٣ ـ ٦٠٩ ق٠م٠) مؤداها ان سقوط المطر على جبال بونت يسبب فيضان النيل كما يلي :



« امطرت السماء على جبل بونت ٠٠٠ لتأتي لك بالفيضان » (٨) ٠

وبديهي ان الامطار لا يمكن ان تسبب فيضان النيل اذا كان هناك فاصل بحري بين الجبال التي تسقط عليها هذه الامطار وبين مجرى النيل اي اذا كانت بونت في منطقة اسيوية مثل بلاد اليمن ٠

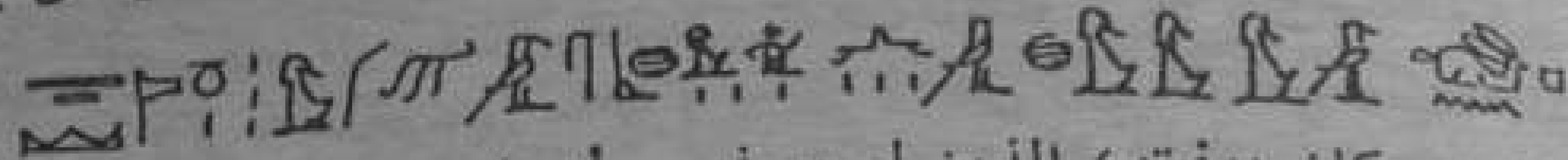
وبالاضافة الى الادلة الثلاثة التي ذكرناها على ان بونت لم تشمل منطقة اسيوية ، هناك قرينة قوية قد ترقى الى مرتبة الدليل ، وهي تؤكد النتيجة التي توصلنا اليها وهي ان المصريين اطلقوا التسمية بونت على الساحل الافريقي للبحر الاحمر الذي اعتادوا ارتياده منذ عصر مبكر من تاريخهم ، وهذا الدليل من عصر الدولة الحديثة عندما تكونت لمصر امبراطورية شملت مناطق واسعة من غربي اسيا ، وبالتالى اتسع نشاطهم الحربي والسلمي واتسعت معلوماتهم عن هذه المناطق فدونوا على جدران معابدهم قوائم بالمناطق والشعوب التي حاربوها واتصلوا بها ، فبالرغم من وفرة ما وجدناه من اسماء شعوب ومناطق الساحل الافريقي للبحر الاحمر لا نجد اسما واحدا لمنطقة او شعب من الساحل الاسيوي لهذا البحر في اجزائه الجنوبية ٠ وقد يعترض البعض قائلا : وما الذي يثبت ان هذه الاسماء لمناطق وشعوب افريقية؟ والاجابة على هذا التساؤل ان بعض هذه الاسماء ذكرت في نصوص سابقة بطريقة تدل بوضوح على انها تقع في مناطق افريقية (شرق مصر او السودان) ثم وردت هذه الاسماء في نصوص قوائم الشعوب هذه وخاصة قوائم الملك تحتمس الثالث (١٤٩٠ ـ١٤٣٦ ق٠م٠) وقوائم الملك رمسيس الثالث (١١٨٢ـ١١٥١ ق٠م)، ورتبت مع الاسماء الاخرى بطريقة تتفق مع موقعها الجغرافي في اذهان المصريين ٠ ففي القائمة الاولى من قوائم الملك تحتمس الثالث المنقوشة على جدران معبد الكرنك ، تبدأ هذه الاسماء بكلمة كوش وهي اسم النوبة العليا عند المصريين ، ويندرج تحت اسم كوش ٢٢ اسما جغرافيا ، ثم تأتي منطقة واوات وهي النوبة السفلى ويندرج تحتها ٢٤ اسما ، ثم يبدأ الترتيب من الجنوب مقتربا من ساحل البحر الاحمر فتذكر القائمة الاسم بونت ثم تذكر بعده ٣٠ اسما ويلي ذلك الاسم مِجَاي وهو اسم المنطقة الممتدة من النيل النوبى نحو الشرق الى ساحل البحر الاحمر ويندرج تحت اسم مجاى ١٧ اسما ، واخيرا تأتي منطقة خاسخت ، وتمتد على ساحل مصر حتى خليج جمصة ويندرج تحتها ٢٢ اسما (٩) ٠

وهكذا نرى ان اول قائمة من قوائم الشعوب سجلت على الاثار المصرية بترتيب جغرافي منظم ، وهي القائمة الاولى للملك تحتمس الثالث ، قد رتبت اسماء الشعوب والمناطق بالنسبة للتسمية بونت بطريقة لاتدع

الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش القديمة في مصر .

مجالا للشك انها تقع جميعها في القارة الافريقية مما يدل على ان بونت هذه كانت منطقة افريقية تقع على الساحل الافريقي للبحر الاحمر .

غير أننا من ناحية اخرى نلاحظ انه في عصر الدولة الحديثة ايضا وردت اسماء على الاثار المصرية مرتبطة باسم بونت وقريبة في الوقت نفسه من بعض الاسماء ذات الاصل العربي الجنوبي ، ومن ذلك الاسم خبستيو ( ) الذي ورد في نصوص حتشبسوت كمرادف للبونتيين وذلك في العبارة التي يخاطب فيها الاله امون الملكة حتشبسوت موضحا فضله في تيسير الطريق امام بعثتها التجارية الى بونت اذ يقول :



... اما البونتيون (سكان بونت) الذين لم يعرفهم أهل مصر ، هؤلاء الخبستيو المنتمون لارض الاله ... (١٠) .

فيرى بعض الباحثين ان كلمة خبستيو الواردة في هذا النص شبيهة بكلمة حبش او حبشات ، وهو اسم قبائل ذات اصل عربي جنوبي كانت تسكن منطقة مهرة في جنوب بلاد العرب (١١) وانها هاجرت الى الساحل الافريقي للبحر الاحمر واستقرت في الحبشة حيث اعطت هذه البلاد اسمها .

فاذا صح هذا الراي فاننا بذلك نكون امام اقدم ذكر للشعوب العربية التي هاجرت من الجانب الاسيوى للبحر الاحمر والمحيط الهندي الى جوانبهما الافريقية ، وهي الظاهرة التي ميزت التاريخ الاثنولوجي لافريقيا الشرقية وتمخضت عن استقرار الجماعات الآسيوية على الساحل الافريقي واختلاطها مع سكانه وتزاوجها معهم . ويمكن ان نعتبر الرسوم الواردة في منظر المقابلة بين قائد بعثة حتشبسوت الى بونت وبين امير بونت اقدم تسجيل بالرسم لتلك الظاهرة، فقد مثل الامير بملامح وخصائص جسدية اسيوية او حامية سامية مثل ملامح المصريين ، بينما مثلت زوجته وابنته بملامح حامية سامية في وجهيهما ، وبخصائص افريقية زنجية في جسديهما واظهرها خاصية بروز العجز (Steatopaegea) التي تسود بين نساء افريقيا الزنجية . وظهر بين اتباع الامير من يحملون نفس خصائصه السلالية بينما ظهر اخرون من سكان منطقة بونت هذه وهم يحملون الخصائص السلالية الزنجية (١٢) .

وهناك اسم آخر ورد على الآثار من عصر الفرعون تحتمس الثالث (الملك التالى في الحكم لحتشبسوت) هو جنبتيو ( ) (١٣) . وقد اطلقت النصوص المصرية هذا الاسم على جماعة جاءت الى مصر في عصر هذا الفرعون تحمل اليه هدايا من الصمغ العطري ومن البخور ، من ذلك النوع الذي ارتبط بمناطق البحر الاحمر (بونت) وهو الذي كان المصريون يسمونه « عنتيو » . وهناك دراسة عميقة لهذا الموضوع للدكتور عبد العزيز صالح رجح فيها ان يكون هؤلاء الجنبتيو من القبائل العربية الجنوبية المعروفة بالقتبانيين الذين كانوا يسكنون جنوب الجزيرة العربية التي اشتهرت في التاريخ القديم بانتاج البخور (١٤) .

والذي يلاحظ على كلمة جنبتيو هذه انها كتبت في هذا النص بمخصص شعب او جماعة من الناس ( ) كما كتب الاسم في الحالات الاخرى التي ورد فيها على الآثار المصرية بمخصص شعب ايضا ، ومثال ذلك كتابته على معبد رمسيس الثاني في ابيدوس ( ) (١٥) ، بينما يلاحظ ايضا ان اسم البونتيين كتب في نفس المعبد باداة الجمع في الهيروغليفية التي تدل على مجموعة من الناس او الشعوب ثم بمخصص يدل على مكان ( ) (١٦) ، فماذا يعني هذا الاختلاف ؟ هل يعني ان الجنبتيو (القتبانيين) كانوا يأتون الى مصر من جنوب الجزيرة العربية فلم يكن المصريون يرونهم الا كتجار او رسل متنقلين ، وانهم لم يرتادوا بلادهم او يترددوا عليها بانفسهم ؟ ان هذا الاستنتاج ربما ترجحه المقارنة بين كتابة اسم الجنبتيو بمخصص شعب ( ) في نص رمسيس الثاني المشار اليه ، في حين كتب اسم البونتيين في نفس النص بمخصص ارض او مكان ( ) رغم ان اسم البونتيين الوارد في هذا النص كتب في صيغة الجمع بونتيو (الواو هو اداة الجمع في المصرية مثل العربية) ، التي تعني شعبا او شعوبا

مجموعة او جماعة من الناس . وبعبارة اخرى فان المصريين كتبوا كلمة **بونتيو** بمخصص مكان رغم ان الكلمة تعني «شعب» ربما لان بلاد **البونتيين** (الواقعة على الساحل الافريقي للبحر الاحمر) كانت معروفة تماما للمصريين وكانوا يترددون عليها بسفنهم . بينما كانت بلاد **الجنبتيو** (في جنوب الجزيرة العربية) مجهولة لهم فلم يشاهدوا سكانها الا خارجها عندما كانوا يأتون الى مصر بمنتجاتهم من الصموغ العطرية والبخور .

ان كتابة كلمة اخرى هي كلمة **خبستيو** التي سبق ذكرها ربما تفيدنا في هذه الناحية ، فان اقدم كتابة لها وهي الواردة في رسوم حتشبسوت في الدير البحري كتبت بمخصص شعب ( ) ووصفتهم النصوص بانهم **البونتيون** وكتب هذا الوصف بمخصص شعب ايضا ( ) رغم ان المصريين كتبوا احيانا هذا الاسم كما سبق ان ذكرنا بمخصص مكان ( ) حتى ولو كان في صيغة الجمع ( ) التي تدل على جماعة من الناس او على شعب . وقد سبق ان ذكرنا ايضا ان هناك آراء ترى في اسم **الخبستيو** هؤلاء ، القبائل العربية الجنوبية، المعروفة باسم الحبشات التي هاجرت الى الساحل الافريقي للبحر الاحمر واستقرت في الحبشة واعطت اسمها للبلاد ، وعلى هذا فان **الخبستيو** هؤلاء يكونون من سكان الجزيرة العربية اصلا ، وربما يرجح هذا الرأي الوصف الذي اطلقه النص المصري المذكور على **الخبستيو** بانهم « المنتمون لارض الاله » ، فالمقصود بارض الاله في النصوص المصرية (وخاصة في عصر الدولة الحديثة) المناطق الشرقية التي كانت الجزيرة العربية جزءا منها ، او هي في بعض هذه النصوص الجزيرة العربية نفسها كما يرى الدكتور عبد العزيز صالح (١٧) . واذا لاحظنا ان النص نفسه (الذي وصف **الخبستيو** بانهم المنتمون لارض الاله) قد وصفهم بانهم « **البونتيون** الذين يجهلون أهل مصر» فربما يعني ذلك ان الخبستيو هؤلاء كانوا من المهاجرين القادمين من الجزيرة العربية والحديثي الاستقرار (في الوقت الذي شاهدهم فيه المصريون ابان عصر حتشبسوت أي في القرن الخامس عشر قبل الميلاد) على الساحل الافريقي للبحر الاحمر فلم يكونوا يعرفون المصريين بعد ولم يكونوا قد استقروا بعد في اوطانهم الجديدة فكتب المصريون اسمهم — كما كتبوا اسم **الجنبتيو** — بمخصص يدل على شعب ، بل كتبوا وصفهم **كبونتيين** (ربما يعني ذلك انهم من بين سكان **بونت** بمخصص يدل على شعب ايضا .

ولعل مما يرجح هذا الرأي ايضا أن الكتابة المصرية لاسم **الخبستيو** في العصور التالية لعصر حتشبسوت قد ظهر فيها المخصص الذي يدل على المكان ( ) فقد كتبت الكلمة بشكلين على معبد ادفو استخدم فيهما مخصص المكان هما ( ) ، ( ) (١٨) فهل معنى ذلك ان **الخبستيو** في ذلك العصر الذي انشىء فيه معبد ادفو (وهو العصر البطلمي الذي يأتي بعد عصر حتشبسوت حوالى ١٣٠٠ سنة) كانوا قد استقروا على الساحل الافريقي للبحر الاحمر ولم يعودوا في نظر المصريين قبائل او شعبا مهاجرا ؟

ويمكننا أن نضيف الى مجموعة الاسماء الاسيوية (او التي يرجح انها اسيوية) التي اطلقت في النصوص المصرية على مناطق افريقية ، الاسم **عمو** ( )(١٩) ، الذي ذكر لاول مرة على الآثار المصرية في نصوص بعثة حتشبسوت الى **بونت** ، وهو اسم منطقة حصلت منها بعثة حتشبسوت على الذهب الخام . ويفهم من النص انها تجاور منطقة اشجار البخور في **بونت** التي حصلت منها هذه البعثة على اشجار البخور ونقلتها الى مصر او تقع بالقرب منها . ومن الواضح ان الاسم يشبه الى حد كبير الاسم الشائع في النصوص المصرية للقبائل الآسيوية كما سبق ان ذكرنا . ويلاحظ ان كلمة **عمو** هذه عندما كتبت لاول مرة في النصوص المصرية (وهي نصوص بعثة حتشبسوت) بمخصص مكان ( ) وتكرر ذلك عند كتابتها في العصور التالية مما يرجح انها اطلقت على مركز استقرار يسكنه شعب اسيوي أو شبيه بالاسيوي . وقد دعا ذلك بعض الباحثين الى الاعتقاد بانها منطقة كانت تسكنها عناصر اسيوية من تلك العناصر التي هاجرت من الساحل الاسيوى للبحر الاحمر واستقرت على ساحله الافريقي المقابل (٢٠) .

هذه الاسماء التي ذكرناها هي كل ما ورد على الآثار المصرية مما يشير الى نوع من الارتباط مع الجزيرة

العربية سواء من حيث الموقع (تانثر = المناطق الشرقية) او من حيث التشابه في النشاط الاقتصادي الغالب (تجارة البخور) ، او من حيث التشابه في الاسماء (جنبتيو = قتبانيون ، خبستيو = حبشات ، عمو او عامو = آسيويون) .

اما الاسماء التي تشبه المسميات المعروفة لجزيرة العرب أو لمناطقها فبعضها يشبه المقطع ع ر ب او ا ر ب وبعضها يشبه كلمة «سبا» القديمة وبعضها الآخر يشبه اسم احدى مناطق تهامة في رأي احد الباحثين كما سنوضح بعد (٢١) .

فالاسماء التي تشبه المقطع ع ر ب او المقطع ا ر ب لم ترد في سجلات رسمية فرعونية ، وانما وردت في قصص شعبية مصرية انتشرت في اواخر العصر الفارسي او في عصر البطالمة ، ويبدو انها الفت في تلك العصور لانها تنسج هالة من الاساطير والبطولة على آخر الفراعنة الوطنيين الذين حكموا مصر قبل الاحتلال الفارسي مثل الفرعون يبدى باستت (احد فراعنة الاسرة ٢٣ حوالى ٧٧٥ ق٠م٠) والفرعون امازيس او احمس الثاني (احد فراعنة الاسرة ٢٦ الأواخر حوالى ٥٥٠ ق٠م٠) ولا يزيد عدد هذه الاسماء على ثلاثة هي :

« اربى » (٢٢) . وقد ورد هذا الاسم في قصة شعبية تدور حول الفرعون بدى باستت دونت بالديموطيقية على بردية تعرف باسم بردية كرال (٢٣) ويغلب ان القصة الفت وانتشرت بعد عصر هذا الفرعون بمدة طويلة . وقد ورد عليها الاسم اربى في العبارة التالية :


(٢٤)

« لقد استل رمحا من خشب ... الخاص ببلاد العرب ... » .

ويلاحظ ان هـذه الكلمة تشبـه النطـق الاشوري لاسم بلاد العرب **اربى** كما تشبه الاسم القبطى **اربيا** (APEBIA) (٢٥) .

ويبدو ان المصريين اضافوا الى كلمة اربى هذه ، الكلمة التي تعنى في اللغـة المصريـة « ارض » ( ) فصارت الكلمة أي « ارض بلاد العرب » . وقد وردت هذه الكلمة على احدى البرديات الديموطيقية التي دون عليها قائمة باسماء البلاد والشعوب الاجنبيـة (٢٦) . وممـا يرجـح ان هـذه التسمية صحيحة ، أنها وردت بعد كلمة جغرافية معروفـة جيدا في النصوص المصريـة هـي كلمـة **با ـ تا ـ نحسي(و)** (٢٧) أي « ارض السود » التي كان المصريون يطلقونها على المناطق الواقعة الى الجنوب من مصر التي تسكنها الشعوب السوداء البشرة . فها نحن امام مثال آخر من امثلة تلك المقابلة بين اسماء المناطق الواقعة الى الجنوب من مصر وبيـن اسمـاء المناطق الواقعـة الى الشمال او الى الشمال الشرقي منها ، وقد سبق ان اوضحنا ان هذه المقابلة تتكرر فى النصوص المصرية واوردنا مثالا عليها من نصوص العصر الفرعوني نفسه وذلك في المقابلة بين كلمة **تا ـ نحسي** (ارض السود) وبين كلمة **تا ـ عامو** التي كانت تطلق على الصحراء الشرقية والمناطق الاسيوية في شمال الجزيرة العربية .

ومن النصوص الديموطيقية ايضا وردت كلمة يبدو انها اقرب الى كلمة « عرب » من الكلمة السابقة لانها تبدأ بحرف ع ( ) وليس بحرف أ ( ) ولو أن بقية حروف الكلمة ناقصة فقد كتبت :


با ـ تا ـ ان ـ عَرْ ...

وذلك في اسطورة شعبية تدور حول الفرعون أمازيـس (احمـس الثانـي) تعرف « بقصة أمـازيـس والملاح » (٢٨) وترجع للقرن الثالث قبل الميلاد وقد دونت على بردية محفوظة في متحف ليدن (٢٩) .

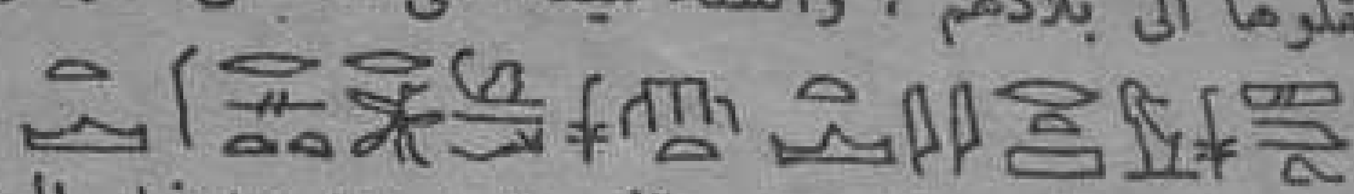
اما الكلمة المشابهة لكلمة سبا العربية القديمة فقد وردت عدة مرات على لوحـة الملك دارا الاول الفارسى (٥٢١ ـ ٤٨٦ ق٠م٠) التي وجدت فـي منطقـة « تل المسخوطة » في شرق الدلتا (٣٠) . وقد أقام الملك دارا هذه اللوحة بمناسبة الانتهاء من حفر القناة التي تصل بين النيل والبحر الاحمر . وقد وردت الكلمة كاملة في سطرين من اللوحة المذكورة وكتبت في السطر رقم ١٧ مع نص هام كما يلي :



« شابا(ت) » ، وقد ارسل جلالتـه ... اسطولا ليتعرف على البحر ... ( )
وقد استخدم هذا النص كلمة كبنت ( ) كاسم لنوع سفن الاسطول الذي استخدمه دارا في البحر الاحمر ، ويلاحظ انه نفس نوع السفن الذي كان المصريون القدماء يستخدمونه في رحلاتهم في البحر الاحمر الى منطقة بونت اي الى الساحل الافريقي للبحر الاحمر .

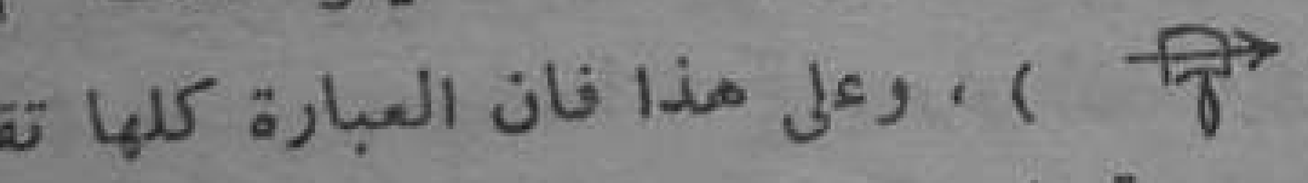
وقد فسر أحد الباحثين كلمة شابا (ت) هذه بانها اسم دولة سبأ اليمنية المشهورة في التاريخ (٣١) ، بينما عارض اخرون ذلك الرأي قائلين ان كلمة « سبأ » لم تقتصر على منطقة جنوب الجزيرة العربية ، بل انها اطلقت على مواقع على الساحل الافريقي للبحر الاحمر وقد ظهرت هذه الاسماء في كتابات الجغرافيين والرحالة الكلاسيكيين باسم Saba في كتابات ارتميدوروس وباسم Sabat في كتابات بطليموس الجغرافي ، والمقصود بها ميناء « ادوليس القديم » الواقع الى الجنوب من مصوع بقليل ، وكذلك ميناء « عصب » القريب من بوغاز باب المندب . وعلى هذا فليس من المؤكد ان تكون كلمة شابات التي وردت على لوحة دارا ، المقصود بها بلاد « سبأ » اليمنية القديمة (٣٢) .

وهناك كلمة اخرى وردت على لوحة دارا المذكورة واثـارت بدورهـا تكهنـات البـاحثـين وهـي كلمة ( ) (٣٣) ، وقد رأى بعضهم انها نفس الكلمة التي وردت بالشكل ( ) (٣٤) على لوحة بيثوم التي اقامها الملك بطليموس الثاني في وادي طميلات وسجل عليها ثلاث مناسبـات هـي حفر (او اعادة حفر) قناة البحر الاحمر ، وقيامه بحملة الى بلاد الفرس لاحضار تماثيل الالهة المصرية التـي كان ملوك الفرس قد نقلوها الى بلادهم ، وانشاء ميناء على ساحل البحر الاحمر (٣٥) وقد وردت هذه الكلمة في عبارة هي :



= وذهب الملك الى (اقليم) « تشيت » عند مدخل الجنوب ووصل الى بلاد الفرس (٣٦)

وقد وجد أحد الباحثين تشابها بين كلمة تشيت (أو تاشة) هـذه وبـين اسم ممر تاشة الواقع شمال وادى الصفراء الذي يصب في البحر الاحمر عند رأس الابيض جنوب ميناء ينبع (٣٧) . وارجع باحث آخر اصل الاسم تاشة الى الكلمة Tayish تايش وهي كلمة عبريـة تنـاظر كلمـة « تيس » (ذكر الماعز) العربيـة . والكلمتان العبرية والعربية مترادفتان في رأيه كاسم لجبل في اليمن ، فهو يسمى جبل تيش او جبل تيس ، وهو يقول ان هاتين الكلمتين وردتا في معجم البلدان لياقوت كاسم لهذا الجبل ، ويخرج من هذه المقارنة بان كلمة تشيت المصرية كانت تطلق على المنطقة الجبلية الممتدة بمحاذاة ساحل تهامة (٣٨) ، والحقيقة ان وجهات نظر الباحثين قد اختلفت في ترجمة هـذه الكلمة كما اختلفت في كتابة الكلمة التالية لها على لوحة بيثوم مما جعل ترجمتها تختلف كثيرا ، فقد ترجمها بروكش Brugsch « تشى ، نهاية الجنوب » (٣٩) كما قرأ زيتة Sethe هذه الكلمة والكلمة التالية لها ( ) ، فهو بذلك قد غيَّر كلمـة ( ) فـي قراءة نافيل Naville (الموضحة في الجملة اعلاه) الى ( ) ، وعلى هذا فان العبارة كلها تقرأ تشيت ستت ، وترجمتها : « بلاد آسيا » (٤٠) . وقد جاء في قاموس جوتييه Gauthier ان هذه التسمية هي تسمية عامة لجميع المناطق الاسيوية الممتدة فيما يلي سوريا (٤١) . غير ان اندريه سيرفن Servin قرأ هذه العبارة كما يلي : (؟) وترجم الجملة كلها « نحو تشيت اول (بحْو) له في بلاد الفرس (٤٢) » ، ومن رأيه ان كلمة تشيت هذه كانت تطلق على منطقة في برزخ السويس ، وقد اعتمد في ذلك على نصوص لوحة دارا الاول في تل المسخوطة التي أشرنا اليها آنفـا ، كما اعتمد على نصوص اللوحات التي اقامها هذا الملك فـي كبريت والسويس وسجل عليها كلها مناسبة حفر القناة بين البحر الاحمر والنيل، ومن ذلك نص ورد على لوحة كبريت (الشلوفة) كما يلي (الاسطر ٦ـ٧) : (٤٣)



وقـد ترجمهـا سيرفن Servin : « في وسط الصحراء » توجد بحيرات تاشو

واعتمد سيرفن Servin على نص آخر ورد على لوحة تل المسخوطة رأى فيه ان تاشو هذه كانت تطلق ايضا على قبائل وعرية شديدة البأس كانت تسكن جنوب برزخ السويس (٤٤) . ويقول ان البحيرات المرة في منطقة برزخ السويس كانت تنسب الى هؤلاء البدو، فقد جاء على لوحة تل المسخوطة النص التالي :



وقد ترجمه سيرفن Servin : لقد اخضع (قبائل) تاشو وكبّر (مساحة) بحيراتهم (٤٥) .

ويفسر سيرفن Servin عبارة « كبّر (مساحة) بحيراتهم » بانها تشير الى عملية حفر القناة التي اتصلت بهذه البحيرات وملأتها بالمياه النيلية فكبرت مساحتها .

واذا وضعنا استنتاجات سيرفن موضع النقد فاننا نجد انه اعتمد على توحيد كلمة « تاشو » ( ) الواردة على لوحات دارا الاول بكلمة تشيت ( ) الواردة على لوحة بطليموس الثاني ، وهذا الاستنتاج يضعفه اعتباران :

اولهما : ان نهايتي الكلمتين تختلفان كما هو ظاهر ، فاحداهما تنتهي بحرف « و » ( ) والاخرى تنتهي بحرف « ى » وحرف « ت » ( ) .

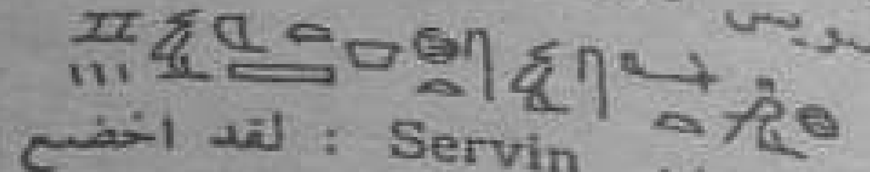
ثانيهما : وهو الاهم ان مخصص كلمة تشو (أو تاشو) في جميع الاشكال التي كتبت بها الكلمة على لوحات دارا الاول (لوحة تل المسخوطة ، الاسطر ١٢،٥ ولوحة كبريت ، سطر ٦) يدل على منطقة مائية . فقد كتبت بمخصص قناة ( ) او بمخصص منطقة مائية ( ) ، بينما كتبت كلمة تاشيت الواردة على لوحة بيثوم (بطليموس الثاني) بمخصص منطقة برية ( ) وعلى هذا فليس من المحتمل ان يكون الاسمان لمنطقة واحدة كما ذهب اندريه سيرفن Servin .

هذا هو كل ما كتب من اسماء مصرية قديمة للجزيرة العربية ومناطقها مما دون بالخطين الهيروغليفي والديموطيقي على الآثار المصرية القديمة ، ومنها نرى ان اغلبها مبهم وغير محدد ، ولعل السبب في ذلك هو عدم وجود صلات مباشرة بين مصر الفرعونية وبين الجزيرة العربية وخاصة سكان المناطق الجنوبية منها ، وربما يرجع ذلك الى احجام المصريين عن الاتصال بالجزيرة العربية لصعوبة الوصول اليها بالطريق البري الشاق عبر الصحراء ، وبالطريق البحرى الذي يضطرهم الى الابحار في عرض البحر الاحمر والتعرض لمخاطر الملاحة التي اشتهر بها هذا البحر ، ولاسيما انه لا يوجد ما يدفعهم الى تجشم هذه الاخطار ، فقد كان في استطاعتهم الحصول على أهم سلعة تنتجها الجزيرة العربية وهي البخور من المناطق الافريقية، حيث تتوفر هذه السلعة وحيث يمكنهم الوصول اليها بسفنهم بطريقة المساحلة اي التزام الساحل الافريقي للبحر الاحمر دون التعرض لخطر الابحار في عرض البحر .

غير انه منذ أواخر العصر الفرعوني ، وخلال عصر البطالمة وما تلاه من عصور عندما برز النشاط العربي التجاري في البحر الاحمر ، اخذ التجار العرب يتوافدون على مصر ، وبدأ نوع من الاتصال المباشر بين مصر وبين الجزيرة العربية، فكان هذا الاتصال من جانب سكان الجزيرة العربية ، ونلاحظ هذه الظاهرة بوضوح في كثرة النقوش العربية القديمة على صخور الصحراء الشرقية وخاصة على جوانب الطرق القادمة من الموانىء القديمة على ساحل هذه الصحراء حيث توجد المداخل التي كان يفد عن طريقها هؤلاء التجار العرب مخترقين الطرق القادمة منها والمؤدية الى وادي النيل .

بيد اننا قبل ان نبدأ في عرض هذه النقوش لا بد أن نشير الى أقدم نقش عربي في مصر يوضح ظاهرة توافد التجار العرب على مصر واستقرارهم فيها وهو النقش المدون بالكتابة العربية الجنوبية على تابوت التاجر المعيني (او الكاهن) زيد ايل (٤٦) ، اذ انه لا يلقى ضوءا على نشاط العرب فى مصر منذ عصور البطالمة فحسب ، بل هو يوضح ايضا مدى اندماج هؤلاء العرب في مصر واتباعهم العادات المصرية .

واعتمد سيرفن Servin على نص آخر ورد على لوحة تل المسخوطة رأى فيه ان تاشو هذه كانت تطلق ايضا على قبائل رعوية شديدة البأس كانت تسكن جنوب برزخ السويس (٤٤) ، ويقول ان البحيرات المرة في منطقة برزخ السويس كانت تنسب الى هؤلاء البدو، فقد جاء على لوحة تل المسخوطة النص التالي :



وقد ترجمه سيرفن Servin : لقد اخضع (قبائل) تاشو وكبُر (مساحة) بحيراتهم (٤٥) .

ويفسر سيرفن Servin عبارة « كبُر (مساحة) بحيراتهم » بانها تشير الى عملية حفر القناة التي اتصلت بهذه البحيرات وملأتها بالمياه النيلية فكبرت مساحتها .

واذا وضعنا استنتاجات سيرفن موضع النقد فاننا نجد انه اعتمد على توحيد كلمة « تاشو » ( ) الواردة على لوحات دارا الاول بكلمة تشيت ( ) الواردة على لوحة بطليموس الثاني ، وهذا الاستنتاج يضعفه اعتباران :

اولهما : ان نهايتي الكلمتين تختلفان كما هو ظاهر ، فاحداهما تنتهي بحرف « و » ( ) والاخرى تنتهي بحرف «ي» وحرف «ت» ( ) .

ثانيهما : وهو الاهم ان مخصص كلمة تشو (أو تاشو) في جميع الاشكال التي كتبت بها الكلمة على لوحات دارا الاول (لوحة تل المسخوطة ، الاسطر ١٢،٥ ولوحة كبريت ، سطر ٦) يدل على منطقة مائية . فقد كتبت بمخصص قناة ( ) او بمخصص منطقة مائية ( ) ، بينما كتبت كلمة تاشيت الواردة على لوحة بيثوم (بطليموس الثاني) بمخصص منطقة برية ( ) وعلى هذا فليس من المحتمل ان يكون الاسمان لمنطقة واحدة كما ذهب اندريه سيرفن Servin .

هذا هو كل ما كتب من اسماء مصرية قديمة للجزيرة العربية ومناطقها مما دون بالخطين الهيروغليفي والديموطيقي على الآثار المصرية القديمة ، ومنها نرى ان اغلبها مبهم وغير محدد ، ولعل السبب في ذلك هو عدم وجود صلات مباشرة بين مصر الفرعونية وبين الجزيرة العربية وخاصة سكان المناطق الجنوبية منها ، وربما يرجع ذلك الى احجام المصريين عن الاتصال بالجزيرة العربية لصعوبة الوصول اليها بالطريق البري الشاق عبر الصحراء ، وبالطريق البحري الذي يضطرهم الى الابحار في عرض البحر الاحمر والتعرض لمخاطر الملاحة التي اشتهر بها هذا البحر ، ولاسيما انه لا يوجد ما يدفعهم الى تجشم هذه الاخطار ، فقد كان في استطاعتهم الحصول على أهم سلعة تنتجها الجزيرة العربية وهي البخور من المناطق الافريقية، حيث تتوفر هذه السلعة وحيث يمكنهم الوصول اليها بسفنهم بطريقة المساحلة اي التزام الساحل الافريقي للبحر الاحمر دون التعرض لخطر الابحار في عرض البحر .

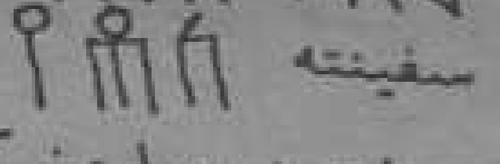
غير انه منذ أواخر العصر الفرعوني ، وخلال عصر البطالمة وما تلاه من عصور عندما برز النشاط العربي التجاري في البحر الاحمر ، اخذ التجار العرب يتوافدون على مصر ، وبدأ نوع من الاتصال المباشر بين مصر وبين الجزيرة العربية، فكان هذا الاتصال من جانب سكان الجزيرة العربية ، ونلاحظ هذه الظاهرة بوضوح في كثرة النقوش العربية القديمة على صخور الصحراء الشرقية وخاصة على جوانب الطرق القادمة من الموانىء القديمة على ساحل هذه الصحراء حيث توجد المداخل التي كان يفد عن طريقها هؤلاء التجار العرب مخترقين الطرق القادمة منها والمؤدية الى وادي النيل .

بيد اننا قبل ان نبدأ في عرض هذه النقوش لا بد أن نشير الى أقدم نقش عربي في مصر يوضح ظاهرة توافد التجار العرب على مصر واستقرارهم فيها وهو النقش المدون بالكتابة العربية الجنوبية على تابوت التاجر المعيني (او الكاهن) زيد ايل (٤٦) ، اذ انه لا يلقى ضوءا على نشاط العرب في مصر منذ عصور البطالمة فحسب ، بل هو يوضح ايضا مدى اندماج هؤلاء العرب في مصر واتباعهم العادات المصرية .

ونقش زيد ايل المدون على تابوتـه المحفوظ في المتحف المصري اشهر من ان يُعرّف به ، ولكن يهمنا منه تلك العبارات التي تشير الى الظاهرة التي اشرنا اليها ، وهي ظاهرة استقرار العرب في مصر واندماجهم فيها واتباعهم العادات والتقاليد المصرية .

ففي مقدمة النقش يذكر زيد ايل القرابين التي قدمها او استوردها من المر والقليمة لمعابد آلهة مصر :



وان هذه السلع العربية مقابل سلع مصرية هي اقمشة وانه استخدم في هذا الاستيراد سفينته  (كسوة بز)  قدمت اليه (ربما من كهنة هذه المعابد) .

وقد اختتم زيد ايل النقش بنوع من الدعاء كانما يطلب وضع تابوته تحت حماية الآلهة (٤٧) ، وقد جمع في هذا الدعاء بين الاله المصرى اوزير – حابي (اثر حف ) وبين مجموعة آلهة قَوْمه () (٤٨) .

ومن الامور الجديرة بالانتباه في هذا النقش ايضا ان هذا التاجر العربـي ذكر اسم الالـه اوزير – حابي باسم مستعرب قريب من اسمه المصري (اثر حف ، اوزير – حابي) بدلا من اسمه اليوناني « سيرابيس » ، كما ذكر اسماء الشهور المصرية مثل حتحور () ، كيهك () ، وكل ذلك يدل على اندماجه في الحياة المصرية . وقد ذهب رودوكاناكس Rhodokanakis الى انه كان كاهنا في معبد مصري ، وهو يفسر ذلك بان الكهنة المصريين قبلوا انخراطه في سلك الكهنوت بينهم رغم انه اجنبي لكي يضمن لهم الحصول على المر والقليمة من موطنه مباشرة (٤٩) ودون وسيط يرفع من ثمن هذه السلعة ذات الاهمية القصوى في طقوس الديانة المصرية القديمة .

ومهما كان الامر في الدافع على اندماج هذا الرجل العربي في الحياة المصرية واتباعه التقاليـد المصرية والعادات المصرية ، فان ما يهمنا من هذا النص العربي القديم – الذي يُعتبر اقدم نص في مصر يشير بوضوح الى الصلات المباشرة بين مصر وبلاد العرب – انه يشير الى النشاط الاساسى الذي كان يمارسه العرب في مصر وهو تجارة البخور التي تنتجها الجزيرة العربية ، كما يشير الى أن هذا النشاط كان بالبحر وليس بالبر . وهذا لا شك سيلقى الضوء على نوع نشاط القوافل العربيـة التـي سنتعرض لنقوشهـا علـى صخور الصحراء الشرقية لان اغلب هذه النقوش لا تذكر نوع ذلك النشاط وانما هي مجرد اسمـاء افراد او قبائـل مع كلمات قصيرة هي تمنيات للمسافر بسلامة السفر اثناء رحلته .

ويتبين من دراسة هذه النقوش انها نوعان : نقوش سامية جنوبية (سبئية ومعينية وغيرهـا) وهـذه يوجد اغلبها في الطرق التي تخترق الوديان الجنوبية التي تربط بين النيل والبحر الاحمر مثل وادي الحمامات ووادى عباد ، ثم نقوش سامية شمالية واغلبها نقوش نبطية وتوجد على صخور الطرق في الوديان الشماليـة مثل وادي الجضامي ووادى حمامة ووادي ام ضَـلَفَة ووادي ام عَـتَـب وغيرها (انظر الخارطة في نهاية البحث).

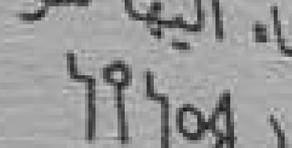
وتقـع النقوش الشماليـة على امتداد طريقيـن رئيسيين همـا طريق ميوس هرموس *Myos Hormos* وطريق فيلوتيرا Philotera . ويبدأ هذا الاخـير من الميناء الذي يحمل هذا الاسم (فيلوتيرا) ومكانه الان مرسى جواسيس الواقع جنوب ميناء سفاجة بحوالى ٢٢ كيلومتـرا . وقـد انشىء مينـاء فيلوتيرا في العصر البطلمي في موقع ميناء اقدم يرجع الى عصر الدولة الوسطى الفرعونية (وهو الميناء الذي كشفت عنه بعثة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية كما سبق القول) . ويمتد طريق فيلوتيرا نحو الغرب مارا بوادى الجضامى ووادى حمامة حيث توجد النقوش النبطية (تراجع الخريطة في آخر هذا البحث) ، ومنها يتجه الى قنا على النيل .

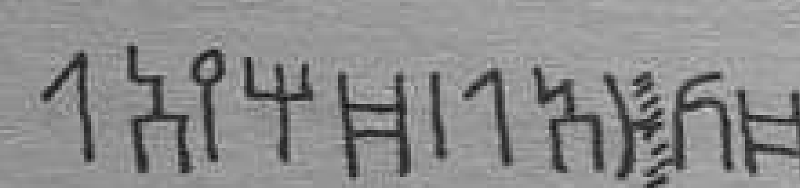
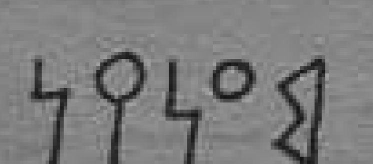
والطريق الآخر الذي توجد به النقوش السامية الشمالية يبدأ من ميناء ميوس هرموس الذي انشىء في عصر البطالمة ايضا ومكانه الان ميناء أبو شعر القبلي الواقع شمال مدينة الغردقة بحوالى ٢٠ كيلومترا. ويبدو انه

كان اكثر أهمية من ميناء **فيلوتيرا** بدليل كبر حجم الحصن الموجود به وكثرة البقايا اليونانية الرومانية بالنسبة لميناء **فيلوتيرا** الذي لا توجد به آثار تذكر. هذا فضلا عن وجود عدد من المحطات الرومانية *Hydreuma* المحصنة على طول الطريق القادم من **ميوس هرموس** والمتجه نحو قنا .

ويتفرع طريق **ميوس هرموس** الى فرعين ، يمر الشرقي منهما بمنطقة ام ضلفة وام عنب حيث توجد النقوش النبطية، ثم يتجه الى «ام دِقال»، وجبل **كلوديانوس** *Mons Claudianus* حيث توجد محاجر الجرانيت الابيض التي استغلت على نطاق واسع في العصر الروماني ، ثم يلتقي هذا الفرع الشرقي من الطريق ، بطريق **فيلوتيرا** بالقرب من منطقة النقوش النبطية في وادى الجضامى ووادى حمامة ويصبحان طريقا واحدا يتجه الى قنا .

والفرع الغربي من الطريق القادم من **ميوس هرموس** يتجه الى منطقة بئر قطار حيث توجد المجموعة الثانية من النقوش النبطية ، ثم يتجه جنوبا حيث يلتقي بالطريق المو َحد الناشىء عن التقاء طريق **فيلوتيرا** بالفرع الشرقي من طريق **ميوس هرموس** والمتجه نحو قنا على النيل .

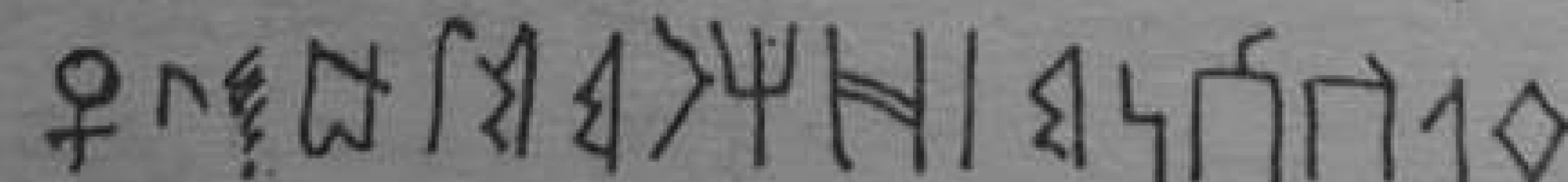
ومن الواضح ان وفرة النقوش النبطية على جوانب هذه الطرق الشمالية ، وبالذات الطرق القادمة من ميناء **ميوس هرموس** ، يرجع الى قرب هذا الميناء من موانىء النبط الواقعة في شمال الجزيرة العربية واشهرها الميناء المعروف في العصر اليوناني الروماني باسم « **لويكي كومي** » (*Leuke kome*) وربما كان يوجد مكان ميناء المويلح الحالي او أم الخريبة او غيرهما من مرافىء شمال الجزيرة العربية (٥٠) ، ولعل هذا يفسر لنا ايضا وجود النقوش العربية الجنوبية (المعينية والسبئية وغيرها) على صخور الطرق الجنوبية مثل وادى الحمامات ووادى عباد وندرتها على صخور الطرق الشمالية ، فان الموانىء الواقعة عند بداية هذه الطرق على ساحل البحر الاحمر كميناء القصير اقرب الى مواطن اصحاب هذه النقوش من سبئيين ومعينيين . وحتى سكان العلا التي يرجح انها عاصمة المستوطنة المعينية المعروفة في النقوش العربية القديمة باسم « **معين مصرن** » (٥١) ، فان اقرب ميناء اليها هو ميناء « **الوجه** » الواقع قبالة ميناء القصير المصري تقريبا . وقد وردت كلمة « **معين** » « او المعيني » () في نقش عند بئر منيح كما يلى :

السطر العلوى  السطر السفلى  (٥٢)

ويقع بئر منيح على الطريق القديم المتفرع من طريق وادي الحمامات والمتجه نحو الجنوب الى وادي عباد ثم الى ميناء **برينيكي** القديم (راس بناس الحالى) الواقع على ساحل البحر الاحمر قبالة اسوان على وجه التقريب .

كما ورد نقش آخر في وادى الحمامات يبدو ان اصحابه معينيون من العلا ايضا ، وقد نسخه اثنان من العلماء، هما جولنشف Golenischeff ويجال Weigall ، وهناك اختلافات بسيطة بين النسختين كما يلى :

نسخة جولنشف :  (٥٣)

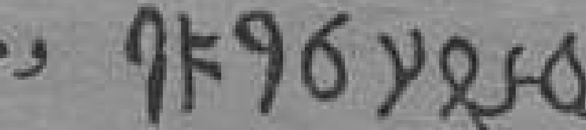
نسخة ويجال :  (٥٤)

واذا اخذنا في الاعتبار ان النص الوارد على تابوت التاجر او الكاهن المعيني **زيد ايل** ، الذي سبقت دراسته ، هو نص معيني متاخر كما تدل على ذلك القواعد النحوية واشكال الحروف ، مما يرجح ان **زيد ايل** هذا ينتمي الى المستعمرة المعينية في العلا (٥٥)، فان كل هذه القرائن ترجح ان النقوش السامية الجنوبية على صخور الوديان

الجنوبية في الصحراء الشرقية هي من عمل تجار هذه المستعمرة التي كانت تتاجر اساسا في البخور كما يستفاد من نص **زيد ايل** ، ولا يخفى ان البخور كانت سلعة أساسية في المعابد المصرية كما سبق ان اشرنا ، ومن هنا كان اقبال تجار هذه السلعة من سكان الجزيرة العربية على الاسواق المصرية التي يبدو انها كانت اكثر الاسواق طلبا لهذه السلعة في الشرق الادنى القديم .

واذا صح ما ذهب اليه الباحثون من ان المستعمرة المعينية في العلا ازدهرت ما بين القرنين الخامس والاول قبل الميلاد (٥٦) ، واذا اخذنا في الاعتبار ايضا ما يراه بعض الباحثين بان نقش **زيد ايل** لا يرجع الى ما بعد عام ٢٦٠ ق·م· (٥٧) ، فانه يمكن ان نستخلص من كل ذلك ان النقوش المعينية الاخرى التي ذكرناها ترجع الى هذه الفترة وخاصة أواخرها .

اما النقوش النبطية التي توجد في الوديان الشمالية في مناطق وادي الجضامى ووادى حمامة وام عنب وبئر قَطّار وام ضلفة (٥٨) ، فنلاحظ وجود نقوش سينائية بينها وخاصة في منطقة وادى الجضامى مثل النقش التالى الذي تظهر فيه خصائص الكتابة السينائية :

وتتمثل هذه الخصائص في وجود اشرطة راسية في آخر السطر الاول  ، وفي وجود ما يشبه الشرطة المنحنية في اول السطر الثاني  وهي تشبه العلامات التي تتكرر كثيرا في النقوش السينائية وخاصة النقوش التي ترد فيها عبارات التمنى مثل : «سلام» ، او «للذكرى» ، او غيرها (٥٩) .

وتدل خصائص النقوش السينائية على انها ترجع للقرون الثلاثة او الاربعة الاولى للميلاد على الارجح(٦٠).
ونقوش وادى الجضامى ووادى حمامة وام عنب وام ضلفة كلها عبارات قصيرة هي تمنيات من الذين سجلوها من التجار العرب القدماء برحلات موفقة سالمة عبر الصحراء ، فاغلبها يبدأ بكلمة «سلام» مثل :

« سلام ، زَبْود بن عَبد ! (نقوش ام ضلفة) » (٦١) .

وبعض عبارات التمنيات هذه تنتهي بعبارة « حظ سعيد » مثل :
« تنوخ بن شمراخ، حظ سعيد ! (نقوش ام عنب) (٦٢) .

كما ترد في هذه العبارات كلمات « **بريد** » بمعنى « مبارك » او « **دكير** » بمعنى « للذكرى » (٦٣) .
ويلاحظ أن جميع هذه النقوش يسود فيها الاسم «أَوْس» وهو من اسماء الاعلام الشائعة في النقوش العربية القديمة بوجه عام ، وقد ورد كثيرا في النقوش العربية الجنوبية (٦٤) ، واحيانا يصغر الاسم الى « أُويس » .

وكثير من الاسماء النبطية المدونة في هذه النقوش تظهر فيها خصائص اسماء الاشخاص المألوفة لنا في اللغة العربية فيرد اسم الابن مع اسم الاب مثل :
« سلام ، أوس بن حنظل » (نقوش ام عنب) (٦٥) .
واحيانا يذكر اسم الابن منسوبا الى الاب فقط (أي لا يذكر الاسم الشخصى للابن) مثل :
« ابن عَصر بن زبود » ، حظ سعيد ! (نقوش أم عنب) (٦٦) .
وقد ذكرت بعض الاسماء مسبوقة باداة التعريف مثل :
« سلام ، الحَشاف بن عمرو » (نقوش ام عنب) (٦٧) .
كما توجد بعض الاسماء التي تنتهي باداة التأنيث رغم انها مذكرة مثل :
« مبارك ، عميرة بن أوس »! (نقوش وادى الجضامى) (٦٨) .
وقد ذكرت كلمة « الله » في بعض الاسماء مثل :
« سلام ، عمان بن عبد الله » (نقوش أم عنب) (٦٩)

كما وردت اسماء النساء بين هذه النقوش مثل :

« سلام ، روين ابنة سعود » ! (نقوش ام عنب) (٧٠) .

وهكذا حوت صخور صحراء مصر الشرقية اقدم سجلات مباشرة للنشاط العربي القديم في مصر ، وقد سكان الجزيرة العربية هذا النشاط قادمين من بلادهم عبر البحر الاحمر ، وهذا يؤكد ما سبق ان ذكرناه بأن المبادرة بالاتصال بين مصر وبين الجزيرة العربية في العصور القديمة ، كانت تأتي من سكان الجزيرة العربية لا من سكان مصر الذين كانت اتصالاتهم المباشرة في عصور ازدهار نشاطهم وخاصة في العصر الفرعوني ، عندما كان زمام المبادرة بالنشاط في يدهم تتجه اساسا الى الساحل الافريقي للبحر الاحمر دون ساحله الاسيوي باستثناء شبه جزيرة سيناء .

الهوامش

(١) H. Gauthier, *Dictionnaire des noms géographiques contenus dans les textes hieroglyphiques* (7 vols. Le Caire, 1925-1937), Vol. I, p. 133.

(٢) *Ibid.*, Vol. I, p. 133.

(٣) *Ibid.*, Vol. VI, p. 5.

(٤) قام كاتب هذا البحث على رأس بعثة مشتركة من جامعة الاسكندرية وهيئة الآثار المصرية بحفائر في الصحراء الشرقية تمكن خلالها من الكشف عن موقع هذا الميناء في مارس١٩٧٦ عند مدخل وادي جواسيس الواقع شمال مدينة القصير بحوالى ٥٨ كيلومترا (او جنوب مدينة سفاجة بحوالى ٢٢ كيلومترا) .

(٥) عبد المنعم عبد الحليم سيد ، « تقرير عن حفائر بعثة قسم التاريخ بمنطقة الصحراء الشرقية ، مارس ١٩٧٦م » ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ص ١٤ .

(٦) J.H. Breasted, *Ancient Records of Egypt*, Vol. I, 353.

وايضا والتر ب. امرى ، مصر وبلاد النوبة (ترجمة ت. حندوسة ومراجعة عبد المنعم ابو بكر ١٩٧٠م)، ص ١٣٥ .

(٧) E. Naville, *The Temple of Deir El Bahari* (1898), Vol. III, pl. 70.

(٨) F. Petrie, *Tanis*, Part II (1888), pl. XLII & p. 107.

(٩) E. Schiaparelli, *La Geografia dell 'Africa orientale secondo le Monumenti Egiziani* (Roma, 1916), p. 115-119.

(١٠) E. Naville, op. cit., pl. 84, 1.15.

(١١) W. Schoff, *The Periplus of the Erythraean Sea*, (1912), p. 62.

(١٢) Naville, *op. cit.*, pls. 69 & 71. *Cf.* Mariette, *Deir el Bahari* (1877), pl. 14.

(١٣) Gauthier, op. cit., Vol. V, p. 215.

(١٤) A.A. Saleh, "The GNBTYW of Thutmosis III's Annals and the South Arabian GEB(B)ANITAE of the Classical Writers", *B.I.F.A.O.* t. LXXII (1972), p. 252.

(١٥) Gauthier, op. cit., Vol. II, p. 215.

(١٦) *Ibid.*, Vol. II, p. 46.

(١٧) A.A. Saleh "Some problems relating to the Pwenet reliefs at Deir el-Bahari", J.E.A. Vol. 58 (1972), p. 148-153.

(١ Gauthier, op. cit., Vol. IV, p. 172.

(١ Ibid .,Vol. I, p. 143.

(Krall, *Das Land Punt* (1890), p. 75; Cf. A.A. Saleh, 'Punt', op. cit., p. 147 note 11.

استبعدنا من هذه الدراسة ، الاسماء التي اطلقها المصريون على المناطق الواقعة بين شمال الجزيرة العربية وجنوب فلسطين ، والتي يوحدها بعض الباحثين بالاسماء العبرية او العربية لهذه المناطق مثل « عصيون جابر » و « سعير » و « النقب » وغيرها .

Gauthier, op. cit., Vol. I, pp. 5 & 213.

(٢٣) W. Spiegelberg, *Sagenkreis des Königs Petubastis*, p. 65 (pap. Krall à Vienne, col. R. 1.26). Cf. Gauthier, *op. cit.*, Vol. I, p. 213.

(٢٤) E. Revillout, "Le Roi Pedibast et le roman que port son nom", *Revue Egyptologique* XIII (1907), p. 26.

(٢٥) Gauthier, op. cit., Vol. VI, p. 1.

(٢٦) Pap. no. 31169 Cairo, col. III no. 25=W. Spiegelberg, *Die demotischen Papyrus*. Teil II, p. 273 (Cat. Gen. Antiq. Eg. Caire, 1907).

(٢٧) *Ibid.*, no. 24.

(٢٨) E. Revillout, *Revue Egyptologique* XIII (1911), p. 3.

(٢٩) Gauthier, *op. cit.*, Vol. VI, p. 19 (Pap. Demot. I 384 de Leyde, col. III l. 32).

(٣٠) A. Servin, "Stèles de l'Isthme de Suez", *Bul. Societ. d'Et. Hist. et Géogr. de l'Isthme de Suez*. Tome III (1949-1950), pl. 8.

(٣١) W. Golenischeff, *Rec. Trav.* XIII, p. 108. Cf. Gauthier, op. cit., V, p. 100.

(٣٢) Brugsch & E. Schiaparelli in Gauthier, *op. cit.*, V. p. 100. Cf. Nalino, B.I.F.A.O. XXX (1931), pp. 472-473.

(٣٣) Servin, op. cit., p. 93.

(٣٤) *Ibid.* p. 93.

(٣٥) E. Naville, "La Stèle de Pithom", *Z.Ä.S.* XL, pp. 1 - 9, pls. III - V.

(٣٦) *Ibid.*, p. 5 & pl. IV.

(٣٧) Sidney Smith, in W. Tarn, "Ptolomy II and Arabia", *J. E. A.* 15 (1929), p. 23.

(٣٨) W. Tarn, *Ibid.*, p. 23 - 24.

(٣٩) H. Brugsch, *Z.Ä.S.* XXXII, p. 79, in, Gauthier, *op. cit.* VI, p. 63.

(٤٠) K. Sethe, *Urk. griech.-röm. Zeit*, p. 91, in Gauthier, op. cit., VI, p. 63.

(٤١) Gauthier, op. cit., VI, p. 63.

(٤٢) Servin, op. cit., p. 93.

(٤٣) *Ibid.*, p. 93 & pl. 9.

(٤٤) *Ibid.*, p. 93.

(٤٥) *Ibid.*, p. 92.

(٤٦) F. Hommel, "A Minean Inscription of the Ptolemaic period", Proc. Soc. Bibl. Arch. Vol. 16 (1894), pp. 145-149; H. Derenbourg, *Nouveau Mémoire sur l'Epitaphe minéene d'Egypte* (1895); Phodokanakis, *Zeit. für Semitist.* II (1924), p. 113.
وفي جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (بيروت ، ١٩٦٨م) ، جـ٢ ، ص ٣٤ .

Hommel, op. cit., p. 146.

(٤٧) Ibid.

(٤٨) جواد علي ، المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص ٣٤ .

(٤٩) المرجع نفسه ، ص ٢٧ .

(٥٠) المرجع نفسه ، ص ٢٤٤ .

(٥١) F.W. Green, "Notes on some inscriptions in the Ethbai district", Proc. Soc. Bibl, Arch. Vol. 31 (1909), pl. XXXV, no. 26.

(٥٢) ملاحظة : التزمنا في نسخ النقوش العربية مطابقة الحروف لنفس أشكالها الاصلية اذا كانت منشورة طبق الاصل .

W. Golenischeff, *Hammamat* (1887), pl. 1, no. 1.

(٥٣) A. Weigall, *Travels in the Upper Egyptian Deserts* (1913), pl. IV, no. 13.

(٥٤) Hommel, op. cit., p. 149.

(٥٥) Winnet, *BASOOR*, 73 (1939), p. 7.

(٥٦) جواد علي ، المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص ١٢٣ .

(٥٧) جواد علي ، المرجع نفسه ، ص ٣٤ .

(٥٨) هذه النقوش منشورة في المراجع التالية :ـ

(أ) نقوش وادي الجضامى ووادي حمامة في :

Green, *op. cit.*, pl. LI, nos. 1-11 & pl. LII nos. 13 & 14; S. Cook, "Notes on Semitic inscriptions", *Proc. Soc. Bib. Arch.* (1904), pp. 72-74.

(ب) نقوش أم عنب وأم ضلفة في :ـ

L.A. Tregenza & John Walker, "Nabataean Inscriptions from the Eastern Desert of Egypt", *Bulletin of the Faculty of Arts*, (Cairo University), Vol. XI, part II (1949), pp. 151-158.

(جـ) أما نقوش بئر قطار فقد أشار الى وجودها أحد الباحثين دون أن ينشرها :

D. Meredith, "The Roman Remains in the Eastern Desert of Egypt", J.E.A. Vol. 38 (1952), p. 109.

(٥٩) Cook, op. cit., pp. 73-74.

(٦٠) Ibid., p. 72.

(٦١) Tregenza & Walker, op. cit., p. 158.

(٦٢) Ibid., p. 156.

(٦٣) Cook, op. cit., p. 74.

(٦٤) *Corpus Inscriptionum Semiticarum* IV 289.

(٦٥) Tregenza & Walker, op. cit., p. 156.

(٦٦) Ibid., p. 156.

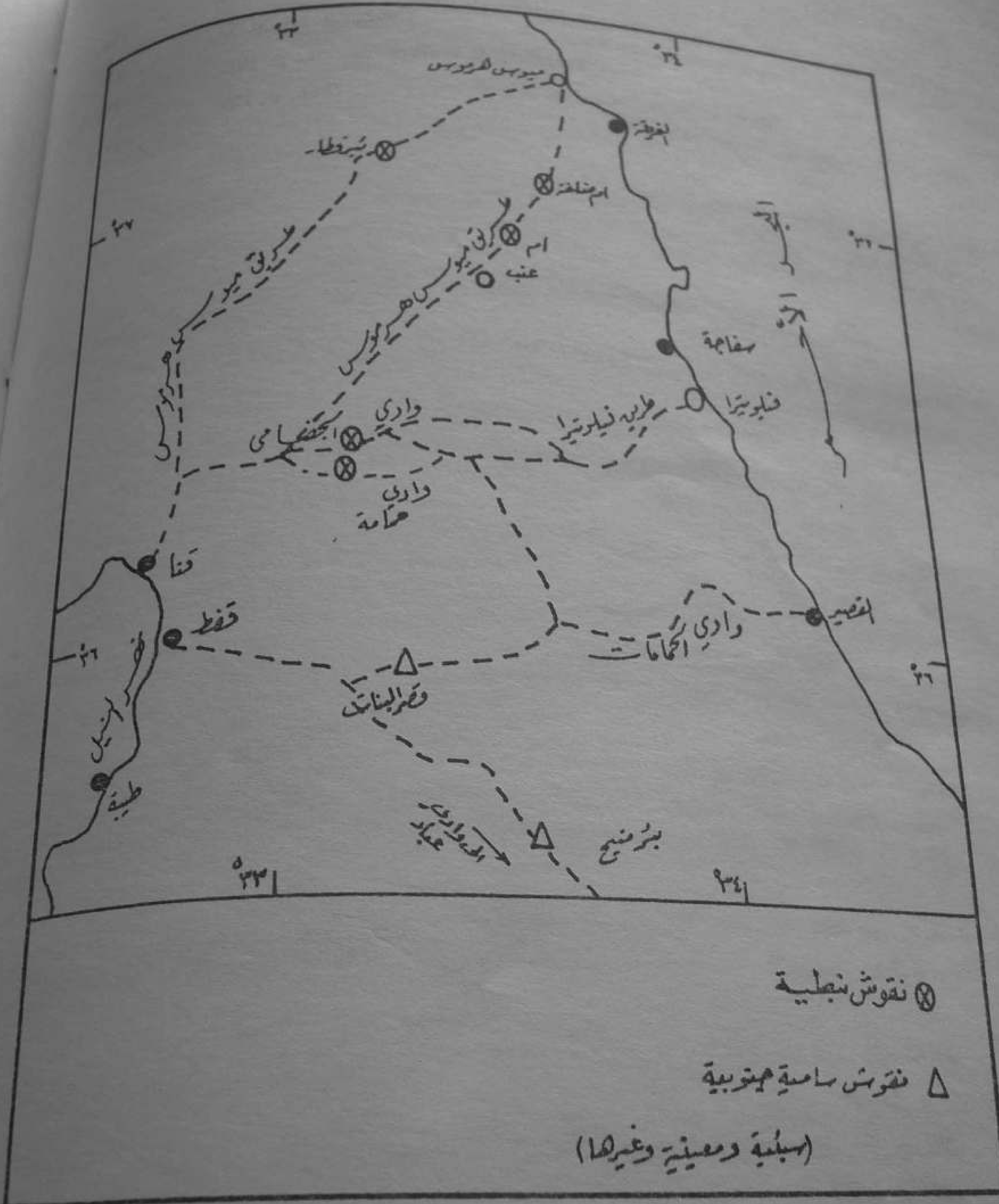
Ibid., p. 158.

(٦٧) Cook, *op. cit.*, p. 73.

(٦٨) Tregenza & Walker. *op. cit.*, p. 157.

(٦٩) *Ibid.*, p. 156.

(٧٠)

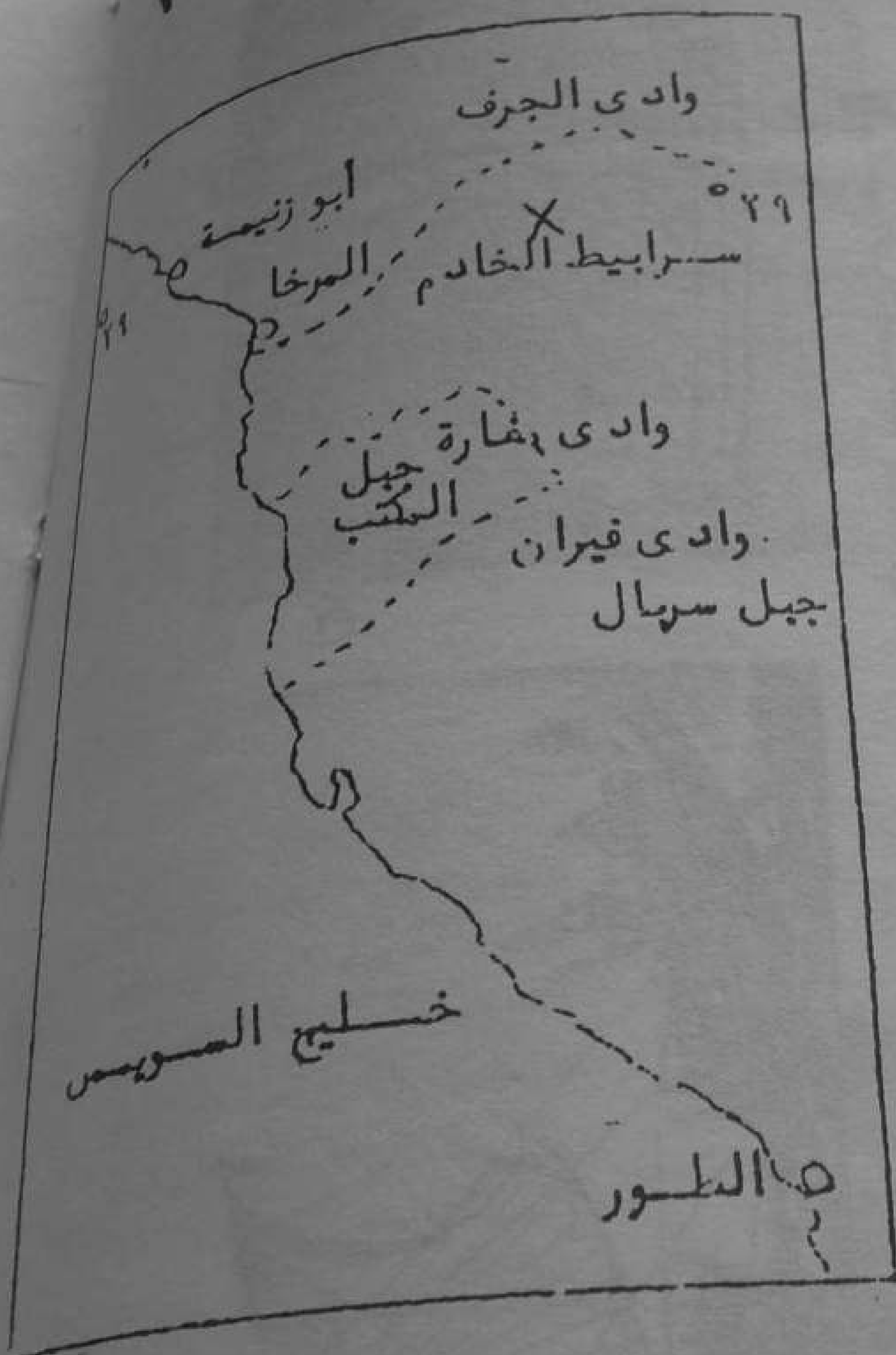


الخارطة رقم (٢)

الخارطة توضح المناطق الرئيسية للنقوش العربية القديمة فى صحراء مصر الشرقية .

دور سكان سيناء القدماء فى نشأة الخط المسند (اليمنى القديم) (٠)

للدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد



كان الإعتقاد السائد بين الباحثين فى أصول الكتابات، أن الأبجدية العربية الجنوبية المعروفة باسم «الخط المسند» ترجع فى أصلها إلى الأبجدية الفينيقية بسبب التشابه بين بعض حروف الأبجديتين غير أنه تبين عدم صحة هذا الرأى بعد دراسة إحدى الكتابات المحفورة على صخور شبه جزيرة سيناء والمعروفة بين الباحثين باسم «الكتابة البروتوسينائية».(١) فقد إتضح أن سبب هذا التشابه يرجع أساساً إلى أن الأبجديتين من مصدر واحد هو هذه الأبجدية البروتوسينائية.

(٠) نشر فى مجلة «الدارة» التى تصدر فى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية، العدد الأول من لسنة الثانية شوال ١٤٠٢هـ/يوليو ١٩٨٢ (ص٢٠٣-٢١٤) وكان عنوان المقال «دور أسلاف عرب ال الجزيرة العربية فى نشأة الخط المسند» وعدل إلى العنوان الموضح هنا لكى يتمشى مع مضمون الكتاب.

والأبجدية البروتوسينائية تتكون من ٢٧ حرفا وقد اشتقت من الكتابة الهيروغليفية المصرية. وأصحابها أو الذين ابتكروها هم أهل سيناء القدماء أي أنهم من العنصر السامي الشمالي الذي ينتمي اليه عرب شمال الجزيرة العربية. وسوف نطلق عليهم في هذا المقال اسم «سكان سيناء القدماء» أو «سكان سيناء» فقط تيسيرا على القاريء في متابعة المقال.

أما كيف تعرّف سكان سيناء القدماء هؤلاء على الكتابة الهيروغليفية المصرية واشتقوا منها كتابتهم البروتوسينائية فقد حدث ذلك إبان النشاط المصري القديم في سيناء. فلقد ارتاد المصريون القدماء سيناء منذ أقدم عصور تاريخهم بحثا عن المعادن والأحجار الكريمة اذ كانت مناجمها الغنية بالنحاس أول مالفت أنظار المصريين اليها. فكان ملوكهم منذ عصر الملك زوسر **(باني الهرم المدرج في سقارة حوالي عام ٢٧٥٠ قبل الميلاد)** يرسلون البعثات التعدينية الى منطقة وادي مغارة **(الواقعة الى الشمال من وادي فيران بقليل، انظر الخريطة رقم ١)** لتعدين النحاس، ثم اجتذبت مناجم الفيروز اهتمامهم



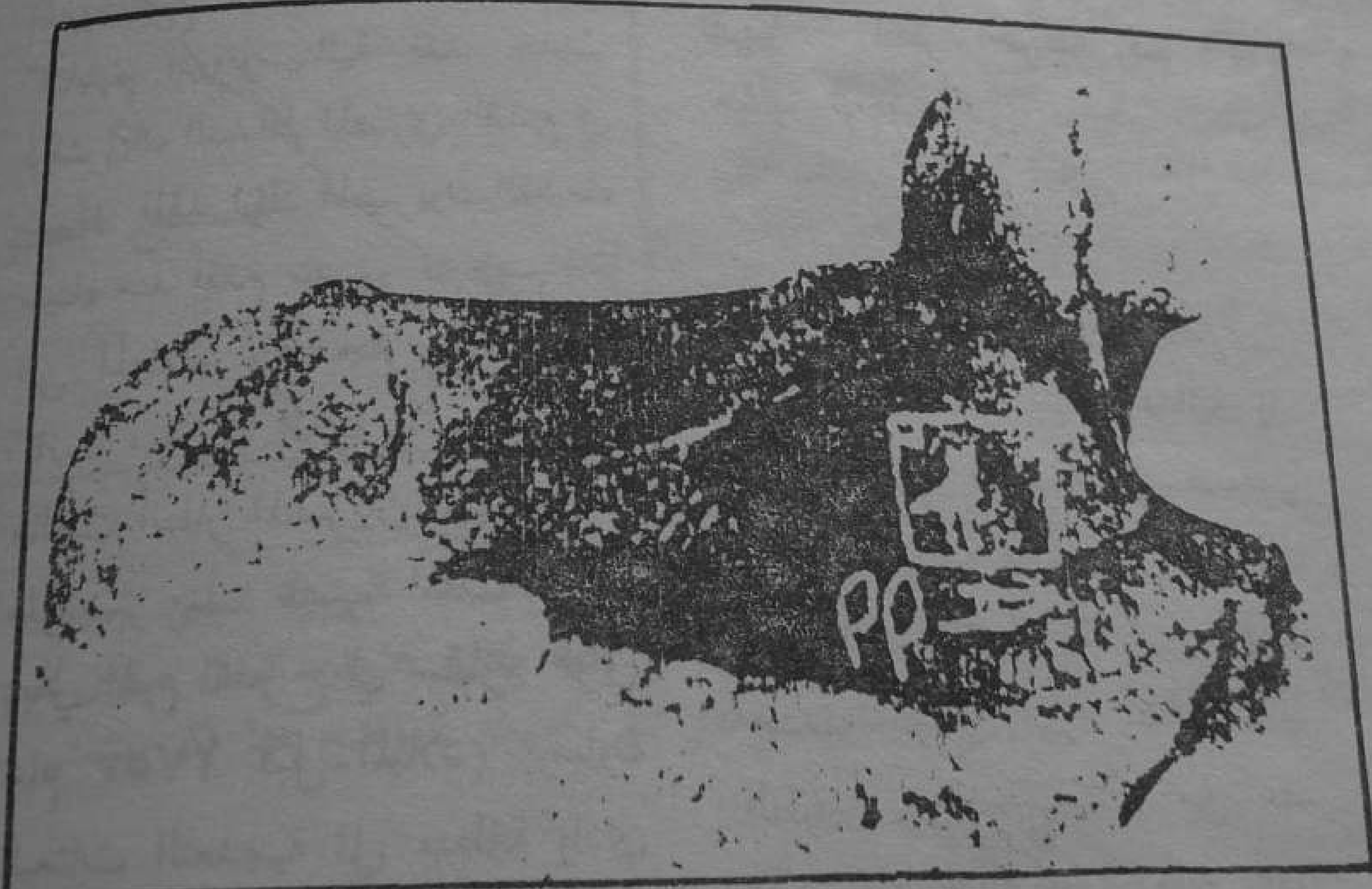
خريطة لشبه جزيرة سيناء
المستطيل يوضح المنطقة التي رسمت لها
الخريطة التفصيلية السابقة

بعد ذلك فأخذوا يرسلون بعثات التعدين الى منطقة سيرابيط الخادم الى الشمال الشرقي من وادي مغارة بقليل **(على خط عرض أبي زنيمة تقريبا — انظر الخريطة رقم ١)** حيث توجد أغنى مناجم سيناء بهذا الحجر نصف الكريم.

ورغم أن العلاقة بين المصريين وبين سكان سيناء بدأت عدائية، إذ تصور الرسوم المصرية على صخور سيناء، الفراعنة وهم يضربون زعماء هؤلاء السكان، إلا أنه بمرور الوقت حدث نوع من التقارب بين الطرفين وخاصة ابتداء من عصر الأسرة الثانية عشرة الفرعونية (مابين ٢٠٠٠، ١٨٠٠ قبل الميلاد) عندما بلغ النشاط التعديني المصري في سيناء ذروته ثم في عهد الأسرة الثامنة عشرة

الفرعونية أيضا (مابين ١٥٥٠ – ١٣٥٠ ق.م) فقد كان لملوك هاتين الأسرتين نشاط تعديني واسع النطاق في سيناء وخاصة في مناجم الفيروز بسيرابيط الخادم. ويدلنا على ذلك ضخامة البعثات المصرية الى هذه المناجم، ففي عهد الأسرة الثانية عشرة بلغ أفراد احدى هذه البعثات ٧٣٤ رجلا، ولكن رغم ذلك يبدو أن المصريين احتاجوا الى المزيد من الأيدي العاملة للحفر في المناجم، ومن هنا لجأوا الى سكان المنطقة لمعاونتهم في ذلك. وكان زعماء هؤلاء السكان يقومون بامدادهم بالأعداد اللازمة من العمال كما تدلنا على ذلك النقوش الهيروغليفية، وهكذا كانت المصلحة المشتركة دافعا للتقارب بين المصريين وبين سكان سيناء.

وتدلنا ألقاب الموظفين المصريين في البعثات التعدينية المسجلة على الآثار المصرية في سيناء أن المصريين كانوا من ناحيتهم يبذلون جهدهم نحو هذا التقارب مع سكان سيناء ونحو تفهمهم. فقد ورد بين هذه الألقاب لقب «مترجم العامو» وكلمة «العامو» **هو الاسم الشامل الذي أطلقه المصريون على الشعوب السامية**



(شكل ١) تمثال على هيئة أبي الهول المصري عثر عليه في المعبد بمنطقة سيرابيط الخادم بسيناء، وهو من صنع سكان سيناء الساميين وقد دون عليه نص بالهيروغليفية وأسفله نص بالبروتوسينائية.



(شكل ٢)

تفصيل النصين الهيروغليفي والبروتوسيناني على التمثال الموضح في شكل (١). والنص البروتوسيناني هو ترجمة تقريبا للنص الهيروغليفي وكان هذا النص أول الخيط الذي التقطه العلماء وساروا على هديه حتى تمكنوا من حل رموز الكتابة البروتوسينائية.

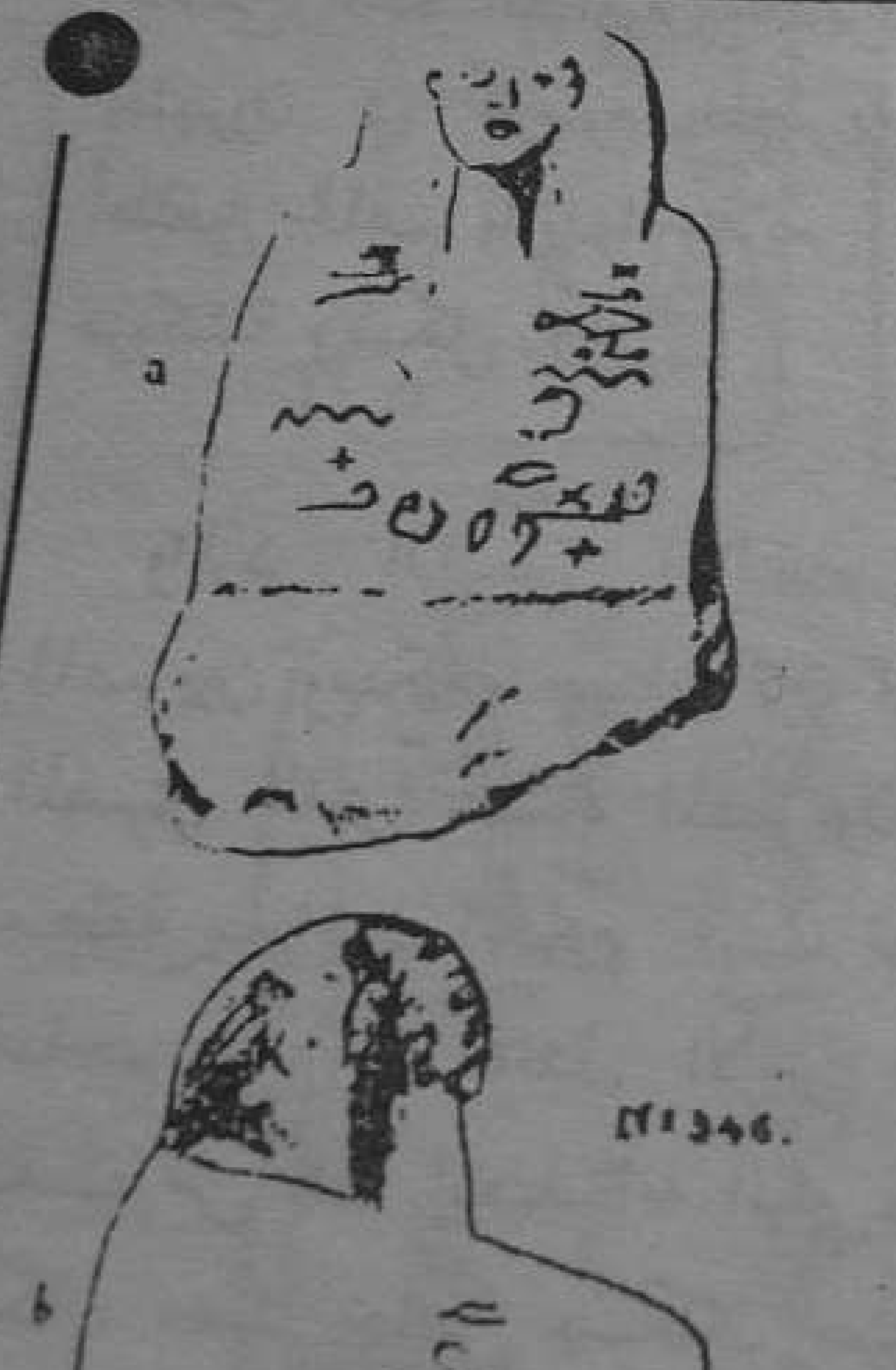


(شكل ٣)

التمثال المصري المعروف بين علماء الآثار باسم «تمثال الشخص القابع» وقد وجد في المعبد المصري بسيرابيط الخادم وقد حفرت عليه كتابة هيروغليفية تسجل اسم صاحب التمثال وعبارة دينية نذرية.

بوجه عام ومن بينهم سكان سيناء. والظاهر أن الساميين كانوا يطلقون هذا الاسم على أنفسهم أي أنه سامي الأصل فهو قريب من كلمة «عم» العربية. وربما يعني ما نقوله اليوم في العربية «ولد العم» أو «أولاد العم».

أما من ناحية سكان سيناء فقد تقاربوا مع المصريين باتباع بعض عاداتهم الدينية وتقليد مظهرهم.



(شكل ٤)

تمثال بروتوسيناني نحته أحد سكان سيناء على غرار التمثال المصري الموضح في شكل (٣) وعليه كتابة بروتوسينائية تسجل اسم صاحب التمثال وأيضا عبارة دينية نذرية.

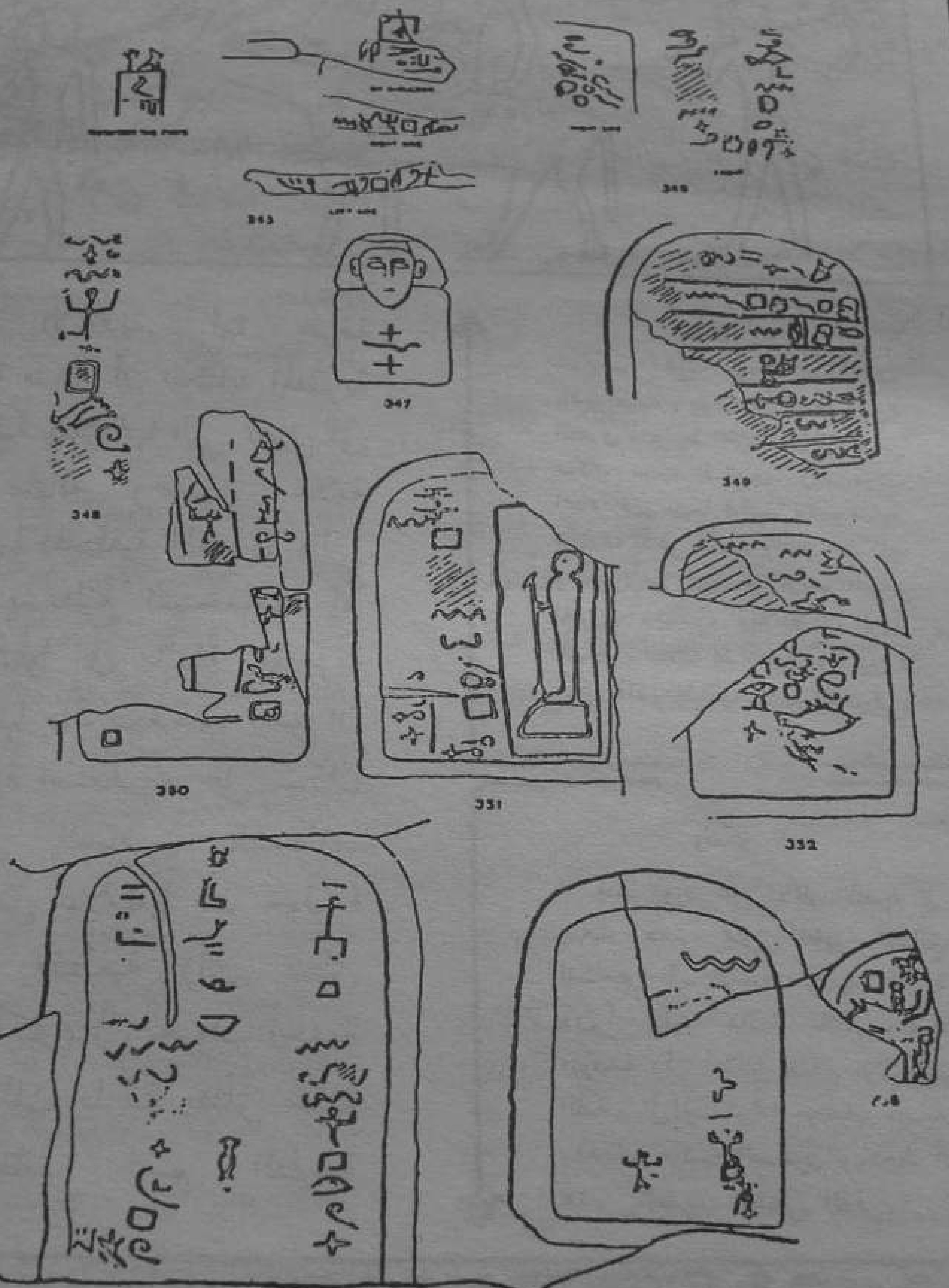
فقد وجد بين الآثار المصرية في سيناء تماثيل على هيئة أبي الهول وغيرها من الأشكال المصرية الصميمة وقد دونت عليها عبارات بالكتابة البروتوسينائية (الأشكال ١ – ٤) أي أن أصحابها الساميين صنعوها على الطراز المصري بينما نقشوا عليها كتابتهم، كذلك ظهرت بين الرسوم في سيناء صور لبعض سكان سيناء وهم يرتدون الزي المصري الصميم (النقبة القصيرة) وقد حلقوا لحاهم كالمصريين (شكل ٦) وذلك على عكس عادة الساميين الذين كانوا يظهرون في الرسوم المصرية وقد أطلقوا لحاهم وارتدوا ملابس طويلة مزركشة (شكل ٧).

والمركز الرئيسي للالتقاء بين المصريين وسكان سيناء كان المعبد المصري الذي أنشأه المصريون في منطقة سيرابيط الخادم حيث توجد مناجم الفيروز. وتدل الآثار التي تبقت من هذا المعبد أنه أنشيء في مكان معبد خاص بسكان سيناء، وبذلك أصبح موقعه منطقة مقدسة لدى كل من سكان سيناء والمصريين ونقطة التقاء بين الحضارة المصرية القديمة والثقافة السامية.

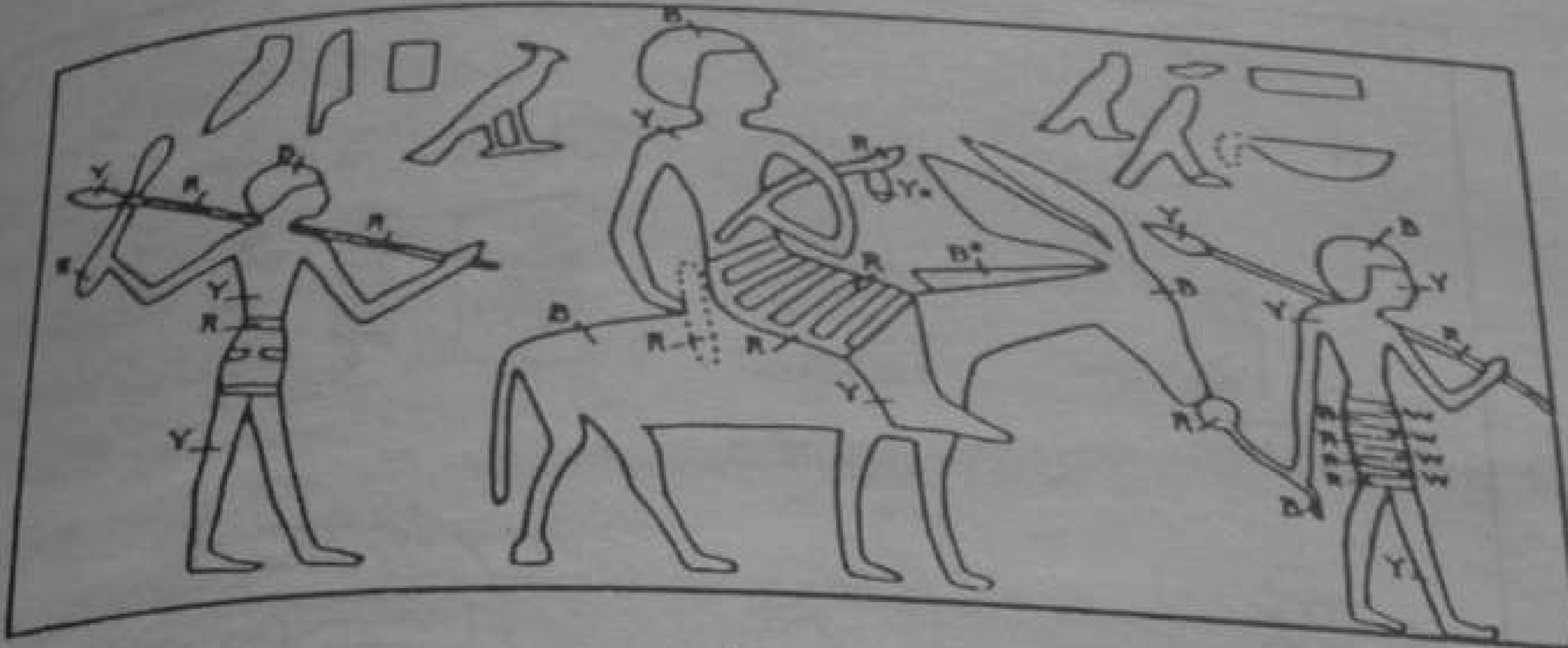
ورغم تعدد النواحي الحضارية التي أخذها سكان سيناء عن المصريين القدماء سواء أثناء لقائهم في المعبد المذكور أو أثناء عملهم المشترك في مناجم الفيروز، فلا شك أن أهم هذه النواحي جميعا هي الكتابة التي أخذ سكان سيناء أغلب علاماتها من الكتابة المصرية الهيروغليفية كما أخذوا بعضها من الكتابة الهيراطيقية[٢]. وتمكنوا بذلك من ابتكار أقدم أبجدية في التاريخ وهي الأبجدية البروتوسينائية.

نقش سكان سيناء الكتابة البروتوسينائية عند مداخل مناجم الفيروز في منطقة سيرابيط الخادم إما متناثرة مبعثرة أو في داخل اطار على شكل اللوحات المصرية القديمة (المستديرة من أعلاها شكل ٥) كما نقشوها على آثار ذات طابع مصري خالص مثل تماثيل أبي الهول (شكل ١) وتمثال الشخص القابع (شكل ٤).

وقد استخلص الباحثون من دراستهم لهذه الكتابة أنها حروف أبجدية محورة في أشكالها عن بعض العلامات الهيروغليفية المصرية[١] ولكنها فقدت خصائصها الأصلية في الكتابة الهيروغليفية سواء كانت مقاطع أو مخصصات[٣]. واتخذت



(شكل ٥) نماذج من الكتابة البروتوسينائية المحفورة على صخور منطقة مناجم الفيروز بسيرابيط الخادم بسيناء.. وبعضها محاط بأشكال اللوحات المصرية القديمة المستديرة من أعلاها. هو طراز شائع للوحات المصرية.



(شكل ٦)

رسم على لوحة منقوشة بالهيروغليفية وجدت بين أطلال المعبد المصري بسيرابيط الخادم، يمثل ثلاثة من سكان سيناء الساميين. وقد دونت أسماء اثنين منهما فوقهما بالهيروغليفية. فأحدهما يدعى «أبيم» والثاني «شكام» وهذا الأخير قريبا من الاسم السامي المعروف «شكيم». ويلاحظ أن الرجال الساميين الثلاثة قد تشبهوا بالمصريين في حلق لحاهم وارتدوا النقبة القصيرة.

(شكل ٧)

منظر ورد على الآثار المصرية في صعيد مصر يمثل المظهر الشائع للساميين في الرسوم المصرية القديمة مطلقا يمثلون دائما بملابس طويلة مزركشة وقد أطلقوا لحاهم (والرجلان اللذان الى اليسار هما موظفان مصريان يتقدمان موكب الساميين ويلاحظ أن هذين المصريين حليقي الذقن)

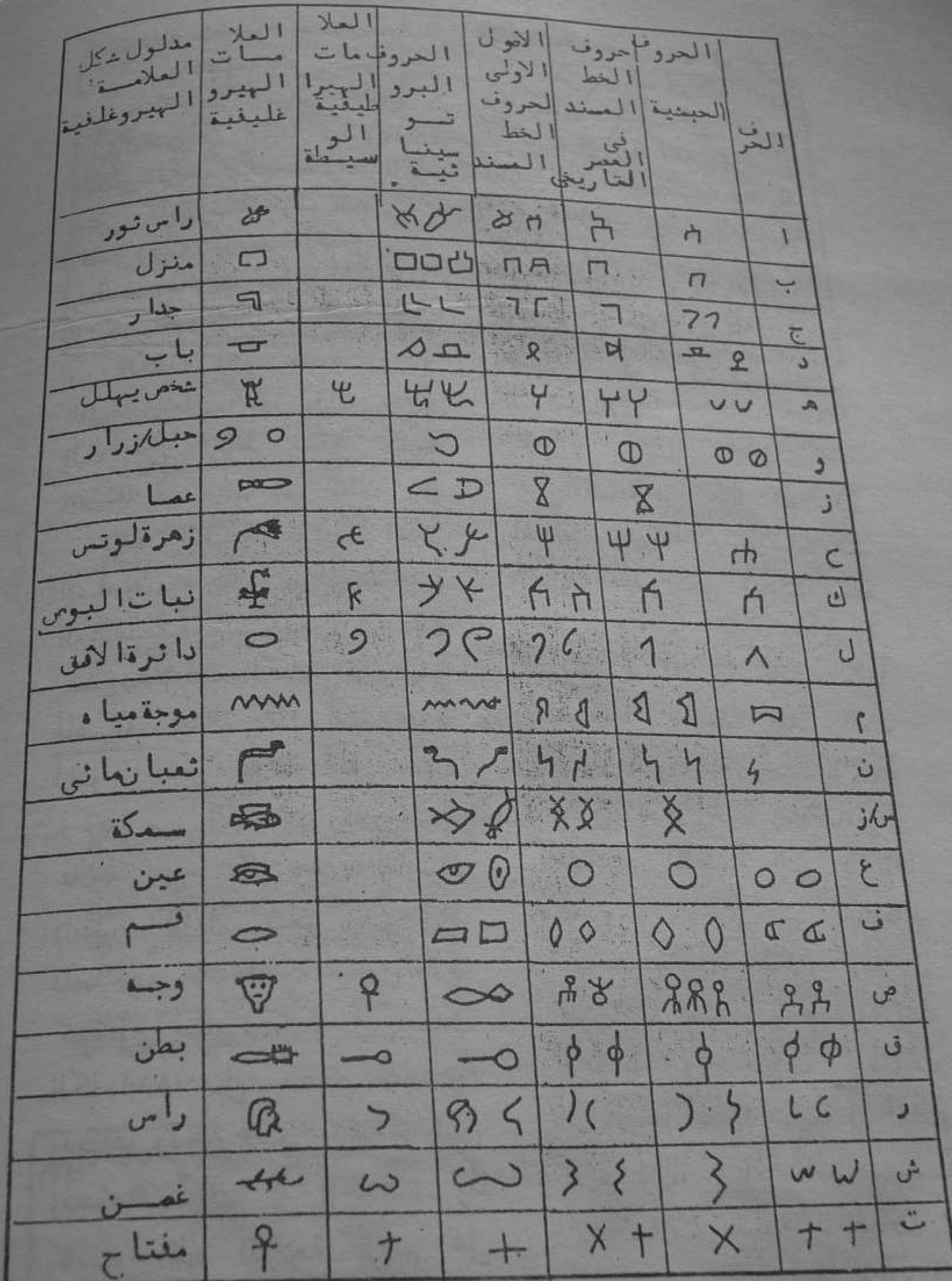
الصيغة الأبجدية. أما طريقة اختراعها فتبدو أن الكتابة المصرية الهيروغليفية بعلاماتها التي تصل الى حوالي ستمائة وخمسين علامة بخصائصها المقطعية المعقدة، والتي لم يكن يستطيع استخدامها إلا الذين نشأوا في البيئة المصرية وتمرسوا عليها منذ صغرهم، يبدو أن هذه الكتابة استعصت على سكان سيناء من الساميين البسطاء، فبسّطوا بعض علاماتها بأن حولوها من كتابة مقطعية (أي تنطق بصوتين أو أكثر) الى حروف أبجدية واتبعوا في ذلك طريقة يطلق عليها علماء اللغات اسم الطريقة



الاكروفونية Acrophonic principle وهي تشبه الطريقة التي نتبعها في الوقت الحاضر لتعليم الأطفال القراءة، فمثلا عندما نريد تعليم الطفل قراءة حرف «ب» فاننا ننتقي كلمة تبدأ بحرف الباء مثل كلمة (بيت) ونرسم له شكل بيت ونطلب منه أن ينطق اسم هذا الشكل. ثم نكتب له الحرف الأول من الكلمة وهو «ب». وبهذه الطريقة يتعلم الطفل قراءة حرف الباء من ارتباط نطقه بكلمة «بيت».

بهذه الطريقة نفسها ابتكر الساميون سكان سيناء الأبجدية البروتوسينائية مستخدمين في ذلك بعض علامات الكتابة الهيروغليفية المصرية. ومثال ذلك أنهم عندما أرادوا اختيار علامة لتمثل حرف «ع» من العلامات الهيروغليفية اختاروا علامة على شكل عين الانسان (انظر الجدول شكل ٨) وكان المصريون يستخدمون هذه العلامة كمقطع ينطق «إر» في صلب الكلمات مثل كلمة «إرتت» ومعناها (لبن) ومثل كلمة (ارتيو) ومعناها «حُزْن» أو «حداد». ولما كانت هذه العلامة ترسم على شكل «عين الانسان» التي تدعى أيضا «عين» في لغتهم السامية القديمة (وهو نفس اسمها في العربية الحالية فمن المعروف أن اللغة العربية هي احدى اللغات التي انحدرت من اللغة السامية القديمة) أي أن الحرف الأول منها ينطق «ع»، **فقد أخذ الساميون شكل العين هذه كعلامة لحرف «العين» أي حولوا العين المقطعية (إر) في الكتابة الهيروغليفية الى حرف «ع» الأبجدي في كتابتهم البروتوسينائية.**

وبالاضافة الى تحويل العلامات المقطعية الهيروغليفية الى علامات أبجدية، فقد انتقى سكان سيناء عدة حروف من الأبجدية الهيروغليفية المصرية واستخدموها استخداما سليما. فقد كانت الكتابة الهيروغليفية يوجد بها اثنان وعشرون حرفا أبجديا (بالاضافة الى العلامات المقطعية التي ذكرناها والعلامات الأخرى التي تستخدم كمخصصات). ولكن المصريين القدماء لم يستخدموا هذه الحروف الأبجدية في صلب الكلمات استخداما أبجديا سليما في أغلب الأحوال، بل استخدموها كمكملات صوتية للكلمات مما أفقدها قيمتها الأبجدية. ومثال ذلك استخدام حرف «ز» في كلمة



(شكل ٨) جدول يوضح مراحل تطور بعض علامات الكتابة الهيروغليفية المصرية (إما مباشرة أو عن طريق الكتابة الهيراطيقية) الى الأبجدية البروتوسينائية ثم الى الخط المسند ومنه الى الأبجدية الحبشية (عن طريق هجرة السبئيين الى الحبشة منذ القرن السابع ق.م).

«حز» بمعنى «أبيض اللون». وكان المصريون يرسمون هذا الحرف على شكل ثعبان مائي (انظر الجدول شكل ٨) فكانوا يكتبون هذه الكلمة بعلامة مقطعية على شكل مضرب من الخشب. ورغم أن هذه العلامة تشمل أصوات الكلمة كلها (الحاء والزاي) إلا أنهم لم يكونوا يكتفون بذلك، بل كانوا يضيفون في آخرها الحرف الأبجدي «ز» (الذي يرسمونه على شكل ثعبان مائي) ليؤكد هذا النطق. وهذه الطريقة أضاعت القيمة الأبجدية للحرف لأن الذي لم يكن على معرفة تامة بالكتابة الهيروغليفية كان يخطىء في قراءة الكتابة بتكرار نطق الحرف الأخير. فبدلا من نطقه «حز» فقط مثلما كان المصريون ينطقونه، فانهم نطقوه «حزز». وهذه الطريقة عقدت الكتابة الهيروغليفية وأضاعت قيمة حروفها الأبجدية.

ويرجع الفضل الى سكان سيناء مخترعي الأبجدية البروتوسينائية في تلافي هذا العيب وبالتالي في استخدام الحروف الأبجدية المصرية استخداما أبجديا سليما. فمثلا استخدموا الحرف (ز) هذا الذي كان المصريون يرسمونه على شكل ثعبان ليمثل الحرف (ن) في كتاباتهم بنفس الطريقة الاكروفونية التي ذكرناها لأن الثعبان اسمه في لغتهم (نحاش) أي أن اسمه يبدأ بالحرف (ن).

وهكذا تلافى مخترعو الأبجدية البروتوسينائية ذلك القصور في استخدام الحروف الأبجدية في الكتابة الهيروغليفية.

بهذه الطريقة ابتكر سكان سيناء أبجدية من ٢٧ حرفا أخذوا أشكالها من العلامات الهيروغليفية المصرية فنشأت بذلك أقدم أبجدية في التاريخ. فهي تسبق أبجدية رأس شمرا المسمارية (أقدم أبجدية معروفة قبل أن يتوصل العلمـــاء الى حل رموز الكتابة البروتوسينائية) بحوالي ٢٠٠ سنة.

أما كيف انتقلت الأبجدية البروتوسينائية الى اليمن وحضرموت فقد حدث ذلك عبر منطقة مدين المتاخمة لسيناء ومنها خلال الطريق التجاري الشهير الذي كان يخترق الجزيرة العربية من شمالها الى جنوبها والأدلة على ذلك العثور على حروف مبكرة من الخط المسند في منطقة مدين ثم العثور على حروف

من الأبجدية البروتوسينائية في جنوب الجزيرة العربية. أما بالنسبة للأمر الأول فقد عثر الباحثون على الأحرف المبكرة من الخط المسند في منطقة تل الخليفة المتاخمة لميناء العقبة وذلك في احدى الطبقات التي ترجع الى القرن الثامن قبل الميلاد(٣) أي حوالي الزمن الذي ظهرت فيه حروف الكتابة العربية الجنوبية في اليمن وحضرموت أو بعده بقليل. وبالنسبة للأمر الثاني فقد وجدت أحرف بروتوسينائية محفورة على الصخر في منطقة «العبر» في شمال حضرموت(٥).

وأخيرا فان الدليل الواضح على اشتقاق حروف الخط المسند من الأبجدية البروتوسينائية هو التشابه الكبير بين حروف هذا الخط وخاصة حروفه المبكرة وبين حروف الأبجدية البروتوسينائية كما يتضح ذلك من الجدول في شكل ٨.

الهوامش

(١) أطلق الباحثون عليها اسم البروتوسينائية أي Proto. Sinaitic «السينائية المبكرة» تمييزا لها عن كتابة أخرى محفورة على صخور شبه جزيرة سيناء أيضا لكنها متأخرة عن الكتابة البروتوسينائية بفترة تتراوح بين ١٥٠٠، ١٨٠٠ سنة. والكتابة السينائية هذه محفورة على صخور وادي المكتب في غرب سيناء وهي الأصل المباشر للخط العربي، وقد تطورت من الخط النبطي أي أنها حلقة الاتصال بين الأبجدية النبطية والأبجدية العربية.

(٢) الكتابة الهيراطيقية مشتقة من الكتابة الهيروغليفية وعلاماتها أكثر اختصارا من علامات الهيروغليفية (انظر على سبيل المثال العلامات الهيراطيقية شكل ٨).

(٣) المقاطع Syllables سنشرحها فيما بعد، أما المخصصات Deteminatives فهي علامات كان المصريون يضيفونها الى آخر الكلمات الهيروغليفيه دون أن تدخل في نطق هذه الكلمات، بل لتوضح معناها فمثلا كلمة «ست» معناها «سيدة» في اللغة المصرية القديمة (مثل اللغة الدارجة في مصر)، كان المصريون يرسمون في آخر هذه الكلمة شكل امرأة جالسة أي مخصص ليوضح معناها.

4. N. Glueck, «The first campaign at Tell el-khelifeh», Bull. Amer. Sch. Or. Res., No. 71 (1938) PP. 3-17.

5. A. Jamme, «Preliminary report on epigraphic research in north - western Wadi Hadramawawt and at Al-Abar.» Bull. Amer. Sch. Or. Res. No. 172 (1973) PP. 14 - 53.

«أهم المصادر والمراجع»

أ - عن آثار سيناء المصرية والبروتوسينائية :

1. Petric, M.W., Researches in Sinai, 1906.

2. Cerny, Gardiner and peet, The inscriptions of Sinai, (2vols), 1955.

(الكتاب الأخير عن الآثار المصرية).

ب - عن حل رموز الكتابة البروتوسينائية :

1. Gardiner, «The Egyptian Origin of the Semitic Alphabet» Journ. Egyp. Arch. vol III (1916).

2. Sprengling. M., «The Alphabet», Univ. of Chicago Orient. Inst. Communic. No. 12 (1931).

هذا الكتاب يتناول أيضا طريقة اشتقاق الخط المسند من الأبجدية البروتوسينائية بالتفصيل).

3. Cowley, AE, The Sinaitic insctiptions. Journ. Egyp. Arch. vol.r XV (1929).

4. Albright, W.F., The early alphabetic inscriptions from Sinai and their decipherment, Bull. Amer Sch. Or. Res. No. 110 (1948).

5. Albright, W.F. «The Proto - Sinaitic insctiptions and their decipherment», Harv. Theol Stud. XXII, 1966.

وقد اتفق الباحثون الثلاثة (المذكورين في ١، ٢، ٣) تقريبا في قراءة الكلمات والعبارات البروتوسينائية وخاصة فى العبارة الواردة على تمثال أبي الهول (شكل ١، ٢) على أنها ترجمة للعبارة الهيروغليفية الواردة على نفس التمثال ولكن البريت اختلف عنهم في هذه القراءة وفي كثير من القراءات الأخرى بل اختلفت قراءاته في بحثيه (رقم ٤، ٥) مما يضعف من قراءاته ويرجح قراءات الباحثين الآخرين.

وأحدث بحث شامل في هذا الموضوع :-

6. Jensen H., Sign, Symbol and script, rev. ed. (1958).

البخور عصب تجارة البحر الأحمر في العصور القديمة

١٧

* الدكتور : عبد المنعم عبد الحليم سيد

ملخص البحث :

اشتهرت مناطق البحر الأحمر فى العصور القديمة بأنها المناطق المنتجة للبخور، وخاصة ذلك النوع من البخور المعروف باسم « الكندر » (وهو اللبان المألوف لنا). وكانت أجود انواعه تجلب من المناطق الواقعة على جانبى خليج عدن فى شمال شرق الصومال ، وفى شرق حضر موت ، حيث تنمو أشجاره . وهى نفس المناطق التى تنمو فيها هذه الأشجار فى الوقت الحاضر . غير أن سلعة البخور كانت أكثر رواجا فى العصور القديمة بدرجة كبيرة لا تقارن بما هى عليه اليوم من انزواء . وذلك بسبب احتياج القدماء لكميات هائلة وامدادات متواصلة منها لحرقها فى معابدهم ومقابرهم نتيجة لارتباط عقائدهم (الوثنية) بالسحر ، واعتقادهم أن للبخور قوة سحرية عند حرقها ، فكانوا على استعداد لدفع اغلى الأثمان فى سبيل الحصول عليها . هذا بالاضافة الى أن البخور كانت المادة الرئيسية للتعطير فى العصور القديمة .

لكل ذلك كانت سلعة البخور عصب اقتصاد المناطق المنتجة لها ، واهم سلع البحر الأحمر ، مما دعا أصحابها وفى مقدمتهم العرب القدماء إلى بذل قصارى جهدهم لتأمين مناطق انتاجها (حيث تنمو اشجارها) داخل بلادهم ، وللسيطرة على هذه المناطق خارج بلادهم (الصومال) ، وكانت تجارة البخور (وغيرها من سلع البحر الأحمر وبخاصة سلع الترف) تسلك عدة طرق برية وبحرية من جنوب البحر الأحمر الى شماله . واهم الطرق البرية كان الطريـق الممتـد على الجانب الأسيوى بينما كان أهم الطرق البحرية يسير بحذاء الساحل الافريقـى للبحر الأحمر .

(*) نشر فى مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة بالمملكة العربية السعودية المجلد الثانى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ١٤١-١٧٤

سبحان الذى يغير ولا يتغير !! من من القدماء الذين قامت ثروتهم وثروة بلادهم على تلك السلعة الثمينة ، سلعة البخور ، التى كانت تشغل مركزا رئيسيا فى تجارة العالم القديم بوجه عام ، وفى تجارة البحر الأحمر بوجه خاص ، من كان منهم يتصور أنه سيأتى يوم تنزوى فيه هذه السلعة ، فلا تشغل إلا ركنا متواضعا من التجارة العالمية كما هو حالها اليوم !!

إن هذا الانزواء لم يكن بسبب نضوب البخور من مناطق إنتاجها ، فمازالت هذه المناطق حتى اليوم بها إمكانات إنتاج البخور بنفس الكميات التى كانت تنتجها فى العصور القديمة ، كذلك لم يكن هذا الانزواء بسبب توقف استخدام البخور فى الأغراض التى كانت تستخدم فيها لدى القدماء ، فمازالت أغراض استخدام البخور اليوم هى نفس أغراض استخدامها قديما ، وهى التعطير والأغراض الطبية ، والطقوس الدينية لدى بعض الطوائف مثل الطوائف المسيحية واليهودية وغيرها وإنما يرجع هذا الانزواء فى أساسه إلى انخفاض الطلب على البخور فى الوقت الحاضر بدرجة كبيرة بالنسبة للعصور القديمة نتيجة لعاملين أساسيين ، أولهما معرفة الانسان لأنواع من العطور أطيب رائحة ، وأقوى تعطيرا ، وأيسر منالا من البخور ، وبذلك حلت هذه العطور فى الأغراض الدنيوية محل البخور ، وثانيا وهو العامل الأهم ، تغير نمط التفكير الدينى اليوم عنه عند القدماء ، بعد أن استنارت عقول الناس بالرسالات السماوية ، ويتمثل هذا التغير فى تحرر الفكر الدينى من الارتباط بالسحر الذى كان يسيطر على العقائد الوثنية عند القدماء ، فقد كانوا يعتقدون أن للبخور قوة سحرية عندما تحرق فى معابد الآلهة أو فى مقابر الموتى ، وتتمثل هذه القوة فى جذب الآلهة إلى معابدها من أماكنها فى الفضاء ، وكانوا عندما يشاهدون حلقات البخور المتصاعدة وهى تدور وتتلوى فى الفضاء فى شكل دوائر وحلقات حلزونية — يتصورون أن هذه الأشكال ما هى إلا درجات سلم حلزونى تستخدمه الآلهة فى النزول إلى الأرض تجذبهم إلى المعبد رائحة البخور العبقة !!

هكذا كانت نظرة القدماء إلى البخور ، فهى لم تكن مجرد وسيلة لتعطير المعابد وإضفاء جو من الرهبة أثناء ممارسة الطقوس الدينية كما هو الغرض منها اليوم عند بعض الطوائف الدينية ، بل كانت لها منزلة وقدسية خاصة باعتبارها — فى نظر القدماء — الواسطة بين الآلهة والناس !!

وقد أضفى هذا التقديس على البخور نوعا من التحريم — شأن كل ما هو محل تقديس عند الشعوب البدائية أو القديمة — وامتد هذا التحريم إلى مناطق إنتاج البخور نفسها ، فقد كان الرجال الذين يجمعون محصول البخور فى جنوب الجزيرة العربية يخضعون لاجراءات صارمة — كما أخبرنا بذلك أحد كتاب الرومان من القرن الأول الميلادى(١) — منها عدم اقترابهم من النساء طوال موسم جمع المحصول وعدم اشتراكهم فى جنازة ميت .

وتظهر الصلة بين السحر وبين البخور بوجه خاص فى العقائد الجنازية (أى المرتبطة بالموت وبالدفن والمقابر) عند المصريين القدماء ، فبالاضافة إلى استخدامهم للبخور فى الطقوس الدينية فى معابدهم مصطبغة بالاعتقاد فى السحر شأن سائر الشعوب الوثنية القديمة ، فقد انفرد المصريون القدماء باستخدام البخور فى المقابر بطريقة تتمشى مع عقيدتهم الخاصة بالبعث والخلود بعد الموت

وهى ضرورة تخليد الجسم والروح . وكانت عقيدة المصريين فى هذه الناحية تغلب عليها الأفكار المادية الساذجة إذ اعتقدوا أن الروح فى حاجة دائمة بعد الموت إلى التمتع بالقرابين لاكتساب التجدد ، وبالتالى الخلود فى الحياة الأخرى ، ولاكساب الروح هذا التجدد كان لابد من استدعائها من آن لآخر لتقديم القرابين لها . وكان هذا الاستدعاء يتم فى مزار المقبرة الواقع فوق سطح الأرض بقراءة تعاويذ خاصة يصاحبها حرق البخور ، فتصعد الروح من مسكنها للتمتع بهذه القرابين . ولم يكن هذا المسكن سوى جثة المتوفى ، إذ اعتقد المصريون أن الروح تسكن الجثة بعد الموت كما كانت تسكن الجسم فى الحياة الدنيا ، ومن هنا كان لابد فى نظرهم من المحافظة على هذا المسكن من الفناء ، لهذا ابتكروا التحنيط وبرعوا فيه . وفى ممارستهم لتحنيط الجثة احتاج المصريون القدماء لكميات كبيرة من البخور لتعقيم الجثة لوقايتها من التلف ، ولتعطيرها وتعطير أماكن ممارسة عمليات التحنيط لتغطية الروائح غير المقبولة التى تتصاعد منها ، ثم لاجراء الطقوس الجنازية على المومياء (الجثة المحنطة) قبل الدفن .

هذه الأفكار التى انفرد بها المصريون القدماء عن سائر الشعوب القديمة ، كان لها دور كبير فى احتياج المصريين إلى كميات ضخمة من البخور والى مدد مستمر من هذه السلعة ، فكانوا أكثر الشعوب القديمة طلبا لها ، كما كانوا أقدم الشعوب التى خرجت إلى البحر الأحمر بحثا عن هذه السلعة وعن مناطق إنتاجها .

ومهما كانت سذاجة هذه الأفكار سواء أفكار المصريين القدماء من مادية الحياة الأخرى وما يتصل بها من تحنيط للجثة وتقديم القرابين للروح ، أو أفكار الشعوب الوثنية القديمة عامة (بما فيهم المصريون القدماء) بشأن ممارسة الطقوس السحرية لاستحضار الآلهة للمعابد ، فان هذه الأفكار كان لها الفضل الأكبر فى رواج تجارة البخور فى العصور القديمة ، رواجا جعل من هذه السلعة الدعامة الأساسية فى اقتصاد البلاد والمناطق التى كانت تنتجها .

ولكن أى نوع من البخور استخدمه القدماء فى هذه الأغراض ؟

فى الحقيقة هناك أنواع متعددة من البخور ، ولكن النوع الذى كان القدماء يفضلون استخدامه فى الأغراض التى ذكرناها هو النوع المعروف حاليا باسم « الكندر »[٢] ويستخرج من أشجار تنمو برية فى بعض المناطق الواقعة على جانبى خليج عدن فى شمال شرق الصومال وفى منطقة ظفار فى جنوب غرب عمان شرق حضرموت (التى تتاخم الساحل الشمالى لخليج عدن كما هو معروف) . وسوف نرى فيما بعد أن هذه المناطق التى تنتج الكندر حاليا هى نفس مناطق انتاجه فى العصور القديمة .

والكندر عصارة شجرة تنتمى للعائلة النباتية المسماة علميا *Burseraceae* ثم للجنس *Genus* المسمى علميا Boswellia وتتفرع من هذا الجنس عدة أنواع Species أكثرها انتشارا فى المناطق التى ذكرنا ثلاثة أنواع هى : Boswellia Carteri وينمو فى كل من شمال الصومال وفى ظفار ، ولكن يكثر فى شمال الصومال (شكل ٦) ثم Boswellia Frereana ويكاد نموه يقتصر على شمال الصومال (شكل ٥) ... Boswellia Sa... ويقتصر نموه على منطقة ظفار[٣] (شكل ١ ، ٢)

وأشجار الكندر هذه تشبه شجرة الصمغ فى طبيعتها . فيتسخرج منها الكندر بشق الشجرة فتسيل العصارة التى تتجمد فى الحال أسفل الشق . وتختلف هذه العصارة عن عصارة الصمغ فى أن عصارة الكندر لا تذوب فى الماء لأنها ليست صمغا بل راتنج صمغى(٤) .

ولا تختلف طريقة جمع الكندر فى الصومال عنها فى ظفار فى الوقت الحاضر . ففى ظفار يبدأ شق الشجرة فى السنة الثالثة أو الرابعة من عمرها ، ويبدأ موسم الشق من شهر مارس وطوال شهرى ابريل ومايو أى أثناء الفصل الحار عندما تكون الشجرة فى أقصى حالات امتلائها بالعصارة(٥) فتخرج العصارة على هيئة قطرات بيضاء فى شكل حبات اللؤلؤ تتحول بعد قليل إلى اللون الأصفر الباهت وبعد الشق تترك الشجرة لمدة ثلاثة أسابيع تكون العصارة خلالها قد تجمعت وتصلبت فوق اللحاء فتكشط وتجمع فى سلال .

والكندر فى الحقيقة ليس إلا « اللبان » المألوف لنا ، وأجود أنواعه المفضلة فى التبخير هو ذلك النوع الذى يطلق عليه فى اللغة العربية الدارجة اسم « اللبان الذكر » وكلمة « اللبان » هذه ذات أصل عربى قديم وردت فى نقوش المسند(٦) (شكل ٤) ، وقد انتقلت هذه الكلمة القديمة الى اللغة اليونانية فصارت Libanos وإن كان اسمه فى بعض اللغات الأوروبية مختلفا عن هذه الكلمة فهو فى الانجليزية يسمى Frankincense . أما كلمة « كندر » فهى حضرمية ترجع إلى أصل فارسى(٧) وقد انتقلت إلى اللغة العربية الفصحى ، ولذلك تستخدم فى كتب علم النبات العربية .(٨)

وتوجد فى ظفار ثلاثة أنواع من الكندر تختلف باختلاف المناطق ومدى ارتفاعها وابتعادها عن الساحل ، فالنوع الذى تنمو أشجاره قرب ساحل ظفار يسمى « شعبى » وهو أقل الأنواع جودة ، يليه النوع الذى ينمو على جبال القراء الممتدة وراء الساحل ويسمى « شذرى » وهو نوع جيد ، ثم النوع الذى ينمو فوق المرتفعات وراء الجبال ويسمى « نجدى » وهو نوع جيد أيضا .(٩) ويلاحظ أن الظروف الطبيعية تضافرت فى منطقة ظفار لتجعل من كندر ظفار نوعا ممتازا مما أدى إلى رواجه الكبير فى أسواق العالم القديم . فالكندر يجود إذا نمت أشجاره فوق مناطق مرتفعة شحيحة المطر ولكن فى بيئة ملبدة بالسحب ، وهذه الظروف كلها تتوفر فى ظفار ، ذلك أن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية المحملة بالرطوبة من جراء مرورها فوق البحر ، عندما تصل الى خط الساحل تتسبب فى تكوين ضباب وطبقات من السحب المتراكمة على منحدرات جبال القراء(١٠) ، فتتوفر بذلك الظروف الثلاثة الملائمة لنمو أشجار الكندر الجيد وهى الارتفاع والجفاف النسبى والجو الملبد بالسحب والضباب .

ومن الطريف أن كتاب اليونان والرومان القدماء وصفوا لنا الظروف الطبيعية التى تسود منطقة ظفار هذه فى القرن الأول الميلادى، فقال أحدهم أن هذه المنطقة (التى أطلقوا عليها اسم « سخاليتس » كما سنذكر بعد) تتميز بأنها منطقة جبلية يسودها جو رطب(١١) ، وهى كما نرى نفس الظروف السائدة فى منطقة ظفار فى الوقت الحاضر .

وإذا انتقلنا لوصف منطقة نمو أشجار الكندر فى شمال الصومال نجد أن الظروف الطبيعية التى تسودها تشبه إلى حد كبير – إن لم تكن تطابق – الظروف الطبيعية فى منطقة ظفار ، فتنمو أشجار الكندر

فوق المرتفعات والجبال الموازية للساحل الشمالى الشرقى للصومال وخاصة فى المنطقة الممتدة من راس جردفوى شرقا إلى ميناء بندر قاسم ثم ميناء ميد غربا . وبعد هذه المنطقة تقل أشجار الكندر وتكثر أشجار المر (وهو نوع آخر من البخور اقل جودة) حتى تغلب اشجار المر فى أقصى الغرب بالقرب من زيلع وبربرة . ويوجد نوعان رئيسيان من الكندر فى شمال شرق الصومال ، النوع الجيد الذى ينمو فوق المرتفعات القريبة من الساحل ويعرف لدى الصوماليين باسم « ميدى » وهو المعروف علميا باسم B. Frereana كما سبق أن ذكرنا ، ثم النوع الذى ينمو فى الداخل ويعرف باسم « محر » وهو المعروف علميا باسم B. Carteri وهو اقل جودة .

وطريقة جمع محصول الكندر فى الصومال هى نفس الطريقة المتبعة فى ظفار تقريبا . فيبدأ شق الشجرة فى شهر فبراير وتستمر عملية الشق طوال شهرى مارس وابريل(١٢) ويتم جمع المحصول طوال هذه المدة .

ويلاحظ أن اسماء عملية استخراج الكندر من الأشجار واسماء الأدوات المستخدمة فى ذلك عربية الأصل مما يدل على الارتباط بين سكان منطقتى نمو الكندر فى شمال الصومال وفى جنوب الجزيرة العربية ، فمثلا يسمى الصوماليون عملية شق الأشجار « زرع » ويسمون الاناء الذى يجمعون فيه العصارة المتجمدة « زنبيل » بل أن أداة شق الأشجار (وهى تشبه السكين) لها اسم واحد فى كل من الصومال(١٣) وظفار هو « منجف » وهى كلمة حضرمية الأصل .(١٤)

والأنواع الجيدة من الكندر فى كل من الصومال وظفار هى التى تنمو بين شقوق الصخور ، ويتميز النوعان B. Frereana و B. Carteri بوجود انتفاخ اسفل جذع الشجرة عند اتصاله بالأرض (شكل ٦،٥) ويفسر الباحثون الغرض منه بأنه لتثبيت الشجرة فوق الأرض نظرا لنمو الشجرة بين الصخور(١٥) ولطولها الفارع ، إذ يتراوح ارتفاع الشجرة الأولى بين ٤.٥ — ٧.٥ مترا ، تليها الشجرة الثانية فهى أقصر قليلا أما شجرة B. Sacra فلا يوجد بها هذا الانتفاخ نظرا لقصرها إذ يبلغ ارتفاعها فى المتوسط من ٢.٥ — ٣ متر (شكل ١ ، ٢) .

قلنا فيما سبق أن مناطق انتاج الكندر قديما هى نفس مناطق انتاجه حاليا ، وسوف يثبت لنا ذلك من أوصاف الكتاب الكلاسيكيين (كتاب اليونان والرومان) لهذه المناطق ، ولكن قبل أن نسترسل فى عرض هذه الأوصاف يحسن أن نعرف بهؤلاء الكتاب وبمؤلفاتهم .

أول هؤلاء الكتاب هو الجغرافى الرومانى « استرابون » (أو « استرابو ») الذى عاش ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعده ، وقد ألف كتابا فى الجغرافيا خصص الجزء السادس عشر منه لوصف المناطق الواقعة على جانبى البحر الأحمر ، وقد اصطلح الباحثون على اختصار اسم كتابه فى العنوان التالى Strabo, Geography, Book XVI .

وثانى هؤلاء الكتاب مؤلف مجهول هو فى الغالب بحار يونانى عاش فى مصر فى القرن الأول الميلادى ١٥/١ والف كتابا فى وصف سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندى وما بها من موانىء ... عليه اسم Periplus Maris Erythraei وهى عبارة يونانية معناها « الطواف حول البحر الاريترى »

البحر الأحمر والمحيط الهندى) ، وغالبا ما يختصر الباحثون اسم هذا الكتاب إلى Periplus فقط مسبوقة باسم الباحث الذى ترجم نص الكتاب .

وثالث هؤلاء الكتاب هو العالم الطبيعى الرومانى « بلينى » الذى عاش فى القرن الأول الميلادى أيضا ، والف كتابا ضخما فى عدة أجزاء وصف فيه النباتات والحيوانات والسلع التى كانت سائدة فى زمنه ، وتناول فى مواضع متفرقة من هذا الكتاب ، وصف نباتات مناطق البحر الأحمر ومن بينها الكندر وغيره من مواد البخور . وقد اصطلح الباحثون على اختصار اسم كتابه إلى Pliny, Natural History, Book..

ويمكن أن نضم لهؤلاء ، العالم المشهور بطليموس الجغرافى الذى عاش فى مصر فى القرن الثانى الميلادى ، ولو أن مؤلفاته لا تحوى أوصافا تفصيلية لمناطق البحر الأحمر مثل الكتاب المذكورين ، ولكن خريطته التى رسمها لمناطق البحر الأحمر وخاصة للجزيرة العربية تعتبر ذات أهمية فريدة ، وقد اصطلح الباحثون على اختصار اسم كتابه الى Ptolemaios (Ptolomy), Geography

إن المتتبع لكتابات هؤلاء الكتاب الكلاسيكيين عن الكندر ، يلاحظ انهم ميزوا بين كندر الصومال ، وبين كندر الجزيرة العربية بأن اطلقوا على الأول اسم « كندر الشاطىء البعيد » Paratikos [١٥/٢] بينما اطلقوا على كندر ظفار اسم « الكندر السخاليتى »[١٦] نسبة إلى الاسم الذى اطلقه هؤلاء الكتاب على خليج القمر فى جنوب ظفار ، وهو Sachalites Sinus وهذا الاسم يرجع فى أصله إلى اسم عربى جنوبى قديم كان يطلق فى نقوش المسند على منطقة ظفار وهو « ساكل » أو « ساكلن »[١٧] ، ويلاحظ أن بقايا هذا الاسم ظلت حتى اليوم فى اسم منطقة « الشحر » (حرف السين فى اللغات القديمة يتحول على السنة الناس بمرور الزمن الى حرف الشين ، وكذلك حرف اللام يتحول إلى حرف الراء ، ويحدث العكس أيضا) وإن كانت منطقة الشحر تقع إلى الغرب من خليج القمر .

ولاشك أيضا أن تسمية « كندر الشاطىء البعيد » هى الأخرى تسمية عربية جنوبية قديمة ، وان كان الكتاب الكلاسيكيون لم يذكروا الكلمة نفسها وإنما ذكروا ترجمتها (فى كلمة Paratikos التى ذكرناها) ومن الواضح أن هذه التسمية من وجهة نظر سكان الجزيرة العربية الذين كانوا يميزون بها بين كندر الصومال وبين كندر بلادهم ، وكان جزء كبير من انتاج الصومال من الكندر يجلب إلى موانىء الجزيرة العربية وخاصة ميناء « مخا » (واسمه « موزا » فى كتابات الكلاسيكيين) حيث يعاد تصديره إلى البلاد الواقعة فى شمال البحر الأحمر (فى العصر اليونانى الرومانى) وخاصة مصر . ويلاحظ أن هذه الظاهرة ، أى ظاهرة تسويق إنتاج الصومال من الكندر عن طريق موانىء الجزيرة العربية ، ظلت باقية إلى عهد قريب ، فقد كان أغلب محصول شمال الصومال من الكندر يرسل الى ميناء عدن لتصديره إلى كافة أسواق العالم حتى الخمسينات من القرن الحالى .[١٨]

وقد أطلق الكتاب الكلاسيكيون اسما أكثر تحديدا على منطقة نمو أشجار الكندر فى ظفار هو Libanotop ومعناه « المنطقة المنتجة للكندر (اللبان) » وورد هذا الاسم فى كتاب البريبلوس[١٩]

ومن الواضح ان كلمة « لبان » وهو الاسم العربى الجنوبى القديم للكندر كما سبق أن قلنا ، يدخل فى تركيب هذا الاسم اليونانى ، وقد وردت هذه الكلمة (وبالتحديد كلمة « لبنى » التى يمكن أن تنطق « لبناى » أو « لبانى » أو « لباناى » لأن اللغة العربية الجنوبية القديمة لا توجد بها حروف متحركة شأن اللغة العربية الحالية ، ولكن على أى حال فان الكلمة القديمة تحوى الحروف الساكنة الثلاثة اى اللام والباء والنون التى تدخل فى تركيب كلمة « لبان ») — وردت كلمة « لبنى » هذه على محارق البخور اليمنية القديمة ومنها محرق بخور يرجع إلى القرن الرابع او الثالث قبل الميلاد ويوجد حاليا فى متحف صنعاء(٢) ولكن لاشك أن استخدام الكلمة فى نقوش المسند يرجع إلى ما قبل ذلك بكثير ، لأنها ظهرت فى السجلات اليونانية القديمة ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد (٢١).

كما وردت أيضا كلمة « بخور » التى نستخدمها فى لغتنا اليوم — وردت فى نقوش المسند بنفس معناها الحالى ، ولكن لا يعرف نطقها بالضبط ، مثلها مثل كلمة « لبان » التى ذكرناها ، ولكنها مثل كلمة « لبان » ، تشتمل على الحروف الساكنة الثلاثة وهى « بخر » كما وردت أيضا بصيغة « ابخر » (٢٢).

وقد وصف الكتاب الكلاسيكيون أيضا الموانىء التى كان الكندر يصدر منها فى جنوب ظفار وحضرموت ، ومن هذا الوصف يتضح أنه كانت توجد ثلاثة موانىء رئيسية لتصديره هى من الشرق إلى الغرب : ميناء كان الكتاب الكلاسيكيون يسمونه « موسكا **Moscha** » ومكانه الآن « خورروری » ، وهو موقع كان يسمى فى نقوش المسند « سمهرم » (أو « سمرم ») ، ثم ميناء « سياجروس **Syagrus** » ومكانه الحالى « رأس فرتك » ، وأخيرا ميناء « كانا **Cana** » وهو محور عن الاسم العربى القديم « قنأ » ومكانه الآن الموقع المسمى « بئر على » (٢٣).

وقد انبأنا الكتاب الكلاسيكيون أن محصول الكندر كان ينقل بالقوافل من مناطق نمو أشجاره فى الداخل إلى ساحل البحر ويتم تجميعه فى مينائى « موسكا » و « سياجروس » ، ومن هذين الميناءين كان الكندر ينقل بالبحر نحو الغرب إلى ميناء « قنأ » ، إما فى قوارب أو فوق أطواف خشبية تحملها قرب منفوخة(٢٤) ، وكان هذا النقل يتم خلال فصل الشتاء ، ومن الواضح أن سبب هذا التوقيت هو الاستفادة من الرياح الموسمية الشمالية الشرقية التى تدفع هذه القوارب والأطواف من الشرق إلى الغرب ، ومازال هذا التوقيت متبعا حتى اليوم (٢٥).

وبعد وصول الكندر إلى ميناء قنأ ، كان نقله يستمر إما بحرا ، أو برا بالقوافل إلى « شبوة » العاصمة القديمة لدولة حضر موت ، (ويلاحظ أن كلا الاسمين قديمان وأنهما مازالا باقيين حتى اليوم) ثم إلى « تمنع » (هجر كحلان الحالية فى وادى بيحان) عاصمة دولة قتبان القديمة ، ومنها إلى سائر عواصم الدول العربية القديمة مثل مأرب عاصمة دولة سبأ ، ومعين عاصمة دولة معين القديمة ، التى تقع فى وادى الجوف فى شمال اليمن ، ومازال اسمها القديم باقيا أيضا الى اليوم .

من هذا نرى أن تجارة الكندر كانت تمر بعواصم الدول العربية القديمة ، والحقيقة أن كل دولة من هذه الدول كانت تحرص أشد الحرص على مرور هذه التجارة الثمينة فى أراضيها ، كما كان من

مصلحتها تأمينها وضمان استمرارها . ذلك اننا نلاحظ انه رغم ما كان ينشب بين هذه الدول من حروب . فان تجارة الكندر لم تكن تتوقف فى أغلب الأحيان . فقد كانت هذه الدول على ما يبدو تدرك مدى ما يحيق بها من خسارة سوف تعم عليها كلها إذا ما توقفت تجارة الكندر .

ولاشك أن الدولة التى كان يقع عليها العبء الأكبر فى تامين تجارة الكندر ، هى دولة حضرموت ، لوقوع منطقة نمو أشجار الكندر الرئيسية (منطقة ظفار) فى اراضيها ، وكذلك الميناء ، الرئيسى لتصديره (ميناء خورروري) فشيد ملوكها القلاع والحصون فى هذه المناطق لهذا الغرض ، ودليل ذلك العثور على اسم أحد هؤلاء الملوك هو المسمى فى نقوش المسند « ايل — عز » محفورا على اطلال قلعة قديمة فى ميناء خورروري(٢٦) ، وقد عاش هذا الملك فى القرن الأول الميلادى وكان معروفا لدى الكتاب الكلاسيكيين باسم « اليازوس » Eleazos وقد وصفوه بانه كان « ملك بلاد البخور »(٢٧) كما عثر فى منطقة « هانون » (التى كانت تسمى « سانن » فى نقوش المسند) على أطلال مبانى رجح الباحثون انها كانت مخازن لشدة التشابه بينها وبين المخازن القديمة التى وجدت فى ميناء خورروري(٢٨) . وتقع هانون على بعد ستين كيلومترا إلى الشمال من خورروري فهى بذلك فى منطقة تجميع محصول الكندر لتخزينه ، ويبدو ان هذا هو الغرض من المخازن التى وجدت فيها . وقد وجد فى هانون نقش مكتوب بالمسند يذكر الاسم « سانن » الذى أشرنا إليه ، ويصف النص سانن هذه بأنها « فى أرض ساكلن » . اى فى بلاد ظفار كما سبق أن ذكرنا ، كما يشير النص إلى « مكرب حضرموت »(٢٩) (ومكرب لقب الملك الذى كان يمارس الوظيفة الدينية إلى جانب الوظيفة الدنيوية) ، وهذه الاشارة مثال آخر على امتداد سلطة ملوك حضر موت القدماء على مناطق تجميع الكندر والطرق المؤدية إليها .

وهناك دليل آخر على جهود ملوك حضر موت فى تأمين تجارة الكندر والسيطرة على مناطق انتاجه نفسها ، اى على المناطق التى تنمو فيها أشجاره ، هو العثور فى واحة « أنظور » الحالية الواقعة على بعد ٩١ كيلومترا إلى ا لشمال الشرقى من ميناء خورروري (الخريطة شكل ١١) ، على اطلال قلعة ومعبد يشبهان فى طريقة بنائهما مبانى ميناء خورروري ، ويمتد هذا التشابه إلى نوع الملاط المستخدم فى كل منهما مما يدل على أنهما من عصر واحد .(٣٠)

من هذه الأمثلة الثلاثة يمكننا أن نستخلص مدى حرص ملوك حضر موت القدماء على تأمين تجارة الكندر والسيطرة عليها بما أقاموا من قلاع ومخازن فى كل من مناطق انتاجه (واحة أنظور) تجميعه (هانون) وتصديره (ميناء خورروري) .

وإذا ما انتقلنا من الساحل الآسيوى الى الساحل الأفريقى للبحر الأحمر وخليج عدن لدراسة مناطق انتاج الكندر الصومالى ، فأننا نجد نفس الظاهرة التى رأيناها بالنسبة لكندر ظفار ، اى أن مناطق انتاج الكندر الصومالى فى الوقت الحاضر (أو مناطق نمو أشجاره) هى نفس مناطق إنتاجه فى العصور القديمة ، ويتبين ذلك أيضا من أوصاف الكتاب الكلاسيكيين لهذه المناطق ، فقد انبأنا كل من سترابون ومؤلف كتاب البربلوس وبلينى ، بما يفيد ان المنطقة الرئيسية لانتاج الكندر كانت تمتد من رأس جردفوى نحو الغرب بمحاذاة ساحل الصومال الشمالى ، ويعتبر وصف مؤلف البربلوس لهذه

المنطقة ، ادق هذه الأوصاف وأكثرها تفصيلا ، ويتبين من هذا الوصف أن الساحل الشمالى الشرقى للصومال ومناطق الظهير الممتدة خلفه كانت فى عصره (القرن الأول الميلادى) تنتج انواعا جيدة من الكندر وخاصة المنطقة التى يوضح معالمها بعدة مواقع تبدأ من الغرب إلى الشرق بالميناء الذى يسميه مؤلف البربلوس « موسيلوم Mosyllum » ثم بالنهر الذى يسميه « نيليبوتاميا Nilipotamia » ومعناه « نهر النيل الصغير » (هناك قراءة أخرى لهذا الاسم هى « نيليبتوليمايو »[٣١] وهى لا تغير من المعنى كثيرا لأن فيها اسم « النيل ») ، ثم بالموقع الذى يسميه « تاباتيجى Tapatege » ومعناه نهير أو جدول تابا[٣٢] ، ثم موقع آخر يسميه « دفنون ميكرون Daphnon Mikron » ومعناه « دغل أشجار الغار الصغير »[٣٣] ، ثم راس يسميها « رأس الفيل C. Elephas » ، ثم نهر صغير يسميه « نهر الفيل El ephas Fiume » ثم موقع هام يسميه « اكاناى Acannac » يخصه بالقول بانه يقع فى المنطقة التى تنتج اكبر كمية من أجود أنواع الكندر . وأخيرا يذكر مؤلف البربلوس (بين اسماء المواقع على الساحل الشمالى الشرقى للصومال) اسم سوق يسميه « سوق العطور Aromaton Emporion »[٣٤] .

وإذا طبقنا هذه الاسماء على الخريطة الحالية لشمال الصومال (شكل ١٢) ، فاننا نجد (طبقا لدراسات الباحثين)[٣٥] إن ميناء موسيلوم كان يوجد فى الغالب فى المنطقة الممتدة من ميناء بندر قاسم الحالى (الذى يسميه الصوماليون أيضا « بوصاصو ») ، إلى رأس عمترة الواقعة إلى الشرق منه بقليل . ويلاحظ أن منطقة الظهير الواقعة وراء هذه المواقع تنمو بها أشجار الكندر على سفوح الجبال التى يصل ارتفاعها إلى حوالى ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر[٣٦] ، والموقع الذى يسميه مؤلف البربلوس « نهر النيل الصغير » مكانه اليوم فى الغالب جدول صغير يسميه الصوماليون « بندر خور » ويقع بالقرب من مصبه ميناء « كندلة » الحالى والذى مازال حتى اليوم من مراكز تصدير الكندر . أما المواقع المسماة « نهر تابا » و « دغل أشجار الغار الصغير » فتوجد فى الغالب فى المنطقة الواقعة بين « بندر مرعانيو » و « دربا » إذ تكثر بهذه المنطقة أشجار الكندر فوق الجبال[٣٧] ، ومازالت مرعانيو تصدر الكندر حتى اليوم .[٣٨] والموقع الذى يسميه البربلوس « رأس الفيل » مكانه الآن رأس بارزه فى البحر يسميها الصوماليون اليوم « رأس فيلك » ويلاحظ أن هذه التسمية تحمل فى طياتها كلمة « الفيل » (حرف الكاف فى آخر الكلمات هو أداة التعريف فى اللغة الصومالية)[٣٩] أى أن التسمية مازالت مستمرة منذ العصور القديمة حتى اليوم ، ولعل السبب فى ذلك هو التشابه بين هذه الرأس وبين شكل الفيل الرابض إذا نظر اليها من بعيد .[٤٠]

أما موقع « نهر الفيل » فمكانه اليوم فى الغالب نهير صغير يصب فى خليج يسميه الصوماليو[ن] « جل – وين » ومعنى هذه الكلمة « المستنقع الكبير » ويقع عند مدخل هذا الخليج ميناء يس[ميه] الصوماليون « علولة » وهو من أهم موانى هذه المنطقة فى تصدير الكندر[٤١] ولذلك يرجح الباح[ثون] انها « اكاناى » التى يقول البربلوس عنها أنها فى المنطقة التى تنتج اكبر كمية من الكندر من أ[جود] الانواع كما سبق القول[٤٢] .

وأخيرا فإن « سوق العطور » المذكور في البريلوس مكانه اليوم في الغالب ، طبقاً لأحدث الحفريات الأثرية التي أجريت في شمال الصومال ، المرفأ المسمى حالياً « دامو » الواقع على بعد خمسة كيلو مترات تقريبا غرب رأس جردفوي(٤٣) . ولاشك أن العطور المقصودة في هذه التسمية هي « الكندر » فقد كان اليونان والرومان يطلقون عليه أيضاً هذه التسمية .

هكذا تتطابق المناطق المنتجة للكندر وموانى تصديره في الوقت الحاضر ، وفي العصر البيزنطي الروماني سواء بالنسبة لشمال شرق الصومال أو لجنوب الجزيرة العربية (منطقة ظفار) ولكن ما ذكرناه من مناطق إنتاج الكندر لايعني أن الكندر لاينمو في المناطق الأخرى في جنوب الجزيرة العربية وفي شمال الصومال ، ولكن يعني أن المناطق التي ذكرناها هي أكثر المناطق كثافة في أشجار الكندر وتنمو بها أجود أنواعه التي كان القدماء يفضلونها على الأنواع الأخرى ، فضلا عن أن المناطق الأخرى التي كان ينمو بها الكندر وخاصة في شمال الصومال ، لاتتوفر لها المزايا التي تجعلها تلعب دوراً رئيسياً في تجارة الكندر ، مثل القرب من ساحل البحر ، فمثلا توجد مناطق على ساحل الصومال الشمالي ينمو بها الكندر ولكن على سفوح الجبال التي تبعد عن الساحل بمسافة كبيرة مثل المنطقة الواقعة وراء بربرة(٤٤) مما يقلل من مساهمتها في تجارة الكندر بالنسبة للمناطق القريبة من ساحل البحر التي ذكرناها .

تجارة البخور في تاريخ الصلات بين شعوب البحر الأحمر

لقد كانت سلعة البخور الثمينة تشكل عنصر جذب للشعوب والجماعات المطلة على البحر الأحمر ، ثم للشعوب الأخرى من خارج هذا البحر كالفينيقيين والعبرانيين (ولو أن هناك آراء بأن العناصر المبكرة من الشعب الفينيقي ترجع في أصلها إلى منطقة البحر الأحمر ، كما أن العهد القديم يروي أن دولة العبرانيين في عهد سليمان وخلفائه المباشرين كانت تمتد إلى خليج العقبة) ، ثم اليونان والرومان فيما بعد . ولاشك أن أشد هذه الشعوب حماساً للحصول على هذه السلعة هي أكثرهم احتياجاً إليها واستهلاكاً لها . وهنا يظهر المصريون القدماء في مقدمة هذه الشعوب كما تدل على ذلك آثارهم ، فإن أقدم إشارة مدونة لبخور البحر الأحمر ، وردت على الآثار المصرية القديمة وترجع لحوالي عام ٢٦٥٠ قبل الميلاد ، وهي من عصر ملك يدعى « سحورع » جاء فيها أن هذا الملك حصل على ٨٠,٠٠٠ مكيال من بخور البحر الأحمر(٤٥) وكان المصريون القدماء يميزون ذلك النوع من البخور الذي كانوا يجلبونه بطريق البحر الأحمر بإطلاق اسم خاص عليه هو « عنتى » (أو « عنتيو » في صيغة الجمع في اللغة المصرية القديمة) كما كانوا يطلقون على البلاد التي يحصلون منها على هذا البخور اسم « بونت » ، والدليل على أن بلاد بونت هذه كانت تقع على ساحل البحر الأحمر وأن المصريين كانوا يصلون إليها بطريق البحر ، هو العثور على آثار فرعونية ونقوش وكتابات هيروغليفية على الساحل المصري للبحر الأحمر تسجل أخبار بعثة بحرية أرسلها أحد الفراعنة حوالي عام ١٩٥٠ قبل الميلاد إلى بلاد بونت

هذه (٤٦) وقد تضمنت هذه النقوش ، المرسوم الملكى الذى أصدره الفرعون لوزيره لاعداد السفن اللازمة لسفر هذه البعثة .(٤٧) ولكن رغم تعدد بعثات المصريين القدماء إلى بلاد بونت هذه لجلب البخور ، فانهم لم يصلوا إلى منطقة نمو أشجار الكندر نفسها فى شمال الصومال الأبعد حوالى الف سنة من عصر اول بعثة ارسلوها لجلب البخور فى عصر الملك « سحورع » المذكور . فقد كانوا منذ ذلك العصر يحصلون على البخور عن طريق الوسطاء والسماسرة مما كان يؤدى لرفع ثمن السلعة كثيرا كما ذكروا فى نقوشهم .(٤٨) وكان وصولهم إلى منطقة أشجار الكندر فى شمال الصومال حدثا جديدا تم فى عصر ملكة تدعى « حتشبسوت » حوالى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد . والناحية الأخرى الجديدة فى هذا الحدث ، إنهم لم يكتفوا بالحصول على الكندر على هيئة حبات معبأة فى اكياس (كما كانوا يفعلون قبل ذلك العصر على مايبدو) ، بل حصلوا على عدد من اشجار الكندر الحية باقتلاعها من الأرض ، وحفظ جذورها فى اصص لاستزراعها فى مصر (شكل ٧) ، وفعلا زرعوا هذه الأشجار فى حديقة المعبد الذى شيدته هذه الملكة فى منطقة « الدير البحرى » الواقعة غرب مدينة الأقصر فى صعيد مصر ، ولكن تبين للباحثين من فحص ارضية هذه الحديقة ، أن زراعة الكندر لم تنجح فى مصر ، ويبدو أن السبب فى ذلك هو اختلاف طبيعة البيئة فى مصر عن البيئة الصالحة لنمو هذا النبات ، وإن كان احد الباحثين يذهب بعيداً فى تفسير عدم نجاح زراعة الكندر فى مصر بقوله إن سكان بلاد البخور او بونت (شمال شرق الصومال) أعطوا للمصريين أشجاراً لاتصلح للنمو والاستزراع ، حتى لاتبور تجارتهم بحرمانهم من السوق الرئيسى لتصريفها ، وهو السوق المصرى .(٤٩)

غير أنه يبدو أن المصريين لم ييأسوا من فشل زراعة أشجار الكندر فى مصر ، ذلك أن كثيرا من الفراعنة الذين حكموا مصر بعد عصر الملكة حتشبسوت هذه ، ساروا على منوالها فى جلب اشجار الكندر الحية من بلاد بونت لاستزراعها فى مصر ، حتى صار جلب هذه الأشجار تقليداً متبعاً نشاهده فى كثير من المناظر المرسومة على الآثار المصرية القديمة ، وهذا دليل على أن البيئة لم تكن تلائم نمو الكندر وإنما اصبح الأمر مجرد تقليد متبع لاغير . كما يدل من ناحية أخرى على ازدهار تجارة كندر الصومال .

وقد يتساءل القارىء عن سبب اتجاه المصريين إلى منطقة شمال الصومال للحصول على الكندر ، وعدم اتجاههم إلى جنوب الجزيرة العربية لهذا الغرض ، وماهى الأدلة على ذلك . أما عن الشق الأول من السؤال فهو أن منطقة شمال شرق الصومال الواقعة على الساحل الأفريقى لخليج عدن ، كانت أيسر منالا وأكثر أمنا للسفن المصرية من السواحل الآسيوية لهذا الخليج وخاصة منطقة ظفار البعيدة الواقعة على البحر العربى على امتداد خليج عدن) ، لأن السفن المصرية فى ذلك العهد المبكر من تاريخ الإنسانية ، لم تكن بالمتانة ، وبدرجة القوة الكافية لمغالبة زوابع البحر الأحمر وعواصفه المدمرة فى هذا البحر ، فكانت السفن تلتزم الساحل فى إبحارها أى أنها كانت تبحر بطريقة « المساحلة » إذا دهمتها العواصف أسرعت بالالتجاء للساحل ، وبذلك كان التزامها للساحل الافريقى يوفر لها وخاصة أن الكندر المطلوب ، وغيره من سلع البحر الأحمر كالذهب والعاج والابنوس وريش وغير ذلك من سلع الترف التى كانت السفن المصرية تسعى للحصول عليها إلى جانب الكندر ،

هذه (٤٦) وقد تضمنت هذه النقوش ، المرسوم الملكى الذى اصدره الفرعون لوزيره لاعداد السفن اللازمة لسفر هذه البعثة (٤٧) ولكن رغم تعدد بعثات المصريين القدماء إلى بلاد بونت هذه لجلب البخور ، فانهم لم يصلوا إلى منطقة نمو أشجار الكندر نفسها فى شمال الصومال الأبعد حوالى الف سنة من عصر اول بعثة ارسلوها لجلب البخور فى عصر الملك « سحورع » المذكور . فقد كانوا منذ ذلك العصر يحصلون على البخور عن طريق الوسطاء والسماسرة مما كان يؤدى لرفع ثمن السلعة كثيرا كما ذكروا فى نقوشهم (٤٨) وكان وصولهم إلى منطقة أشجار الكندر فى شمال الصومال حدثا جديدا تم فى عصر ملكة تدعى « حتشبسوت » حوالى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد ، والناحية الأخرى الجديدة فى هذا الحدث ، إنهم لم يكتفوا بالحصول على الكندر على هيئة حبات معبأة فى اكياس (كما كانوا يفعلون قبل ذلك العصر على مايبدو) ، بل حصلوا على عدد من أشجار الكندر الحية باقتلاعها من الأرض ، وحفظ جذورها فى اصص لاستزراعها فى مصر (شكل ٧) ، وفعلا زرعوا هذه الأشجار فى حديقة المعبد الذى شيدته هذه الملكة فى منطقة « الدير البحرى » الواقعة غرب مدينة الأقصر فى صعيد مصر ، ولكن تبين للباحثين من فحص ارضية هذه الحديقة ، أن زراعة الكندر لم تنجح فى مصر ، ويبدو أن السبب فى ذلك هو اختلاف طبيعة البيئة فى مصر عن البيئة الصالحة لنمو هذا النبات ، وإن كان احد الباحثين يذهب بعيدا فى تفسير عدم نجاح زراعة الكندر فى مصر بقوله إن سكان بلاد البخور أو بونت (شمال شرق الصومال) اعطوا للمصريين أشجارا لاتصلح للنمو والاستزراع ، حتى لاتبور تجارتهم بحرمانهم من السوق الرئيسى لتصريفها ، وهو السوق المصرى (٤٩) .

غير أنه يبدو أن المصريين لم ييأسوا من فشل زراعة أشجار الكندر فى مصر ، ذلك أن كثيرا من الفراعنة الذين حكموا مصر بعد عصر الملكة حتشبسوت هذه ، ساروا على منوالها فى جلب أشجار الكندر الحية من بلاد بونت لاستزراعها فى مصر ، حتى صار جلب هذه الأشجار تقليدا متبعا نشاهده فى كثير من المناظر المرسومة على الآثار المصرية القديمة ، وهذا دليل على أن البيئة لم تكن تلائم نمو الكندر وإنما أصبح الأمر مجرد تقليد متبع لاغير . كما يدل من ناحية أخرى على ازدهار تجارة كندر الصومال .

وقد يتساءل القارىء عن سبب اتجاه المصريين إلى منطقة شمال الصومال للحصول على الكندر ، وعدم اتجاههم إلى جنوب الجزيرة العربية لهذا الغرض ، وماهى الأدلة على ذلك . أما عن الشق الأول من السؤال فهو أن منطقة شمال شرق الصومال الواقعة على الساحل الأفريقى لخليج عدن ، كانت أيسر منالا وأكثر أمنا للسفن المصرية من السواحل الآسيوية لهذا الخليج وخاصة منطقة ظفار البعيدة (الواقعة على البحر العربى على امتداد خليج عدن) ، لأن السفن المصرية فى ذلك العهد المبكر من تاريخ الانسانية ، لم تكن بالمتانة ، وبدرجة القوة الكافية لمغالبة زوابع البحر الأحمر وعواصفه المدمرة فى عرض هذا البحر ، فكانت السفن تلتزم الساحل فى إبحارها أى أنها كانت تبحر بطريقة « المساحلة » حتى إذا دهمتها العواصف أسرعت بالالتجاء للساحل ، وبذلك كان التزامها للساحل الافريقى يوفر لها الأمان وخاصة أن الكندر المطلوب ، وغيره من سلع البحر الأحمر كالذهب والعاج والابنوس وريش النعام وغير ذلك من سلع الترف التى كانت السفن المصرية تسعى للحصول عليها إلى جانب الكندر .

كانت تتوفر على الساحل الافريقى للبحر الأحمر وخليج عدن . وعلى ذلك لم يكن المصريون فى حاجة للمجازفة بعبور البحر الأحمر إلى ساحله الأسيوى والتعرض لأخطار هذا العبور .

أما عن الأدلة على أن بلاد بونت هذه كانت تقع على الساحل الافريقى للبحر الأحمر ، وليس على ساحل الجزيرة العربية . فهناك أدلة كثيرة على ذلك وقد تناولتها فى بحث سابق(٥٠) ولكننى أكتفى هنا بدليلين اثنين حاسمين أولهما ، ورود رسم لحيوان الزراف وهو يرعى فى بيئته الطبيعية ضمن الرسوم المصرية التى تمثل البيئة الطبيعية لبونت(٥١) ، والمعروف أن الزراف حيوان افريقى بحت ولم يظهر فى آسيا سواء فى العصور القديمة أو الحديثة . وثانى هذه الأدلة يتمثل فى نص هيروغليفى ورد على لوحة تعرف فى علم الآثار المصرية ، بلوحة دفنى ، جاء فيه أن الأمطار الساقطة على جبال بونت أدت إلى حدوث فيضان النيل(٥٢) ، وبديهى أن هذا الفيضان لايمكن أن يحدث إلا إذا كانت بلاد بونت التى سقطت عليها الأمطار ، تقع فى منطقة افريقية لايفصلها عن النيل فاصل بحرى كما هو الحال بالنسبة للمناطق الآسيوية .

وقد أطلقت النصوص المصرية الهيروغليفية على بلاد بونت هذه إسماً يتفق مع الطبيعة الجبلية التى تسود فى شمال شرق الصومال حيث تنمو أشجار الكندر وهو « ختيو عنتيو نو بونت » (انظر الخريطة شكل ١٢) ومعناه « مدرجات الكندر فى بونت » ، كما مثلت الرسوم المصرية سكان هذه المنطقة الذين كانوا يتاجرون فى البخور وفى السلع الافريقية الأخرى كسلع الترف التى ذكرناها ، ومن هذه الرسوم أمكننا التعرف على الأجناس والسلالات التى كانت تعيش فى هذه المنطقة الافريقية منذ خمسة وثلاثين قرناً ، فالسلالة الحاكمة التى يمثلها أمير هذه البلاد وأعوانه ، تبدو على أفرادها الملامح الحامية السامية ، وهناك سلالة أخرى يتميز أفرادها بملامح زنجية(٥٣) والناحية التى تلفت الانتباه فى هذه الرسوم أن زوجة أمير هذه البلاد وابنتها ، تتميزان بخصائص جسدية تجمع بين الخصائص الحامية السامية وبين الخصائص الزنجية (شكل ٨) ، مما يرجح وجود اختلاط بين السكان الافريقيين المحليين وبين مهاجرين من الجزيرة العربية . وهذه الظاهرة ، أى ظاهرة الاختلاط بين المهاجرين من الجزيرة العربية وبين السكان المحليين على السواحل الافريقية ، من أبرز الظواهر التى ميزت الصلات بين سكان السواحل الافريقية وسكان السواحل الآسيوية للبحر الأحمر والمحيط الهندى طوال عصور التاريخ حتى مطلع العصر الحديث ، ولكنها اتخذت أشكالا اختلفت باختلاف العصور .

والحقيقة أن الصلات البشرية بين السواحل الافريقية والسواحل الآسيوية للبحر الأحمر ترجع إلى عصور ماقبل التاريخ عندما بدأت الهجرات الحامية منذ العصر الحجرى القديم الأعلى تتوالى من جنوب الجزيرة العربية عبر باب المندب إلى إفريقية الشرقية ، وقد تتابعت هجرات الحاميين فى ثلاث موجات رئيسية يطلق عليها الباحثون أ ، ب ، جـ . وقد عمرت هذه الهجرات منطقة شرق إفريقية كلها ومازالت بقاياها حتى اليوم تتمثل فى مجموعات بشرية متناثرة فى شرق إفريقية مثل البجة والجالا(٥٤) . وفى العصور التاريخية أخذت العناصر السامية تتوافد على ساحل إفريقيا الشرقى قادمة من جنوب الجزيرة العربية ، واستقر هؤلاء الساميون (وهم أسلاف العرب القدماء) على هذا الساحل مؤسسين

مستوطنات تجارية يتصلون عن طريقها بالسكان الافريقيين المحليين الذين كانوا يجلبون لهم المنتجات الافريقية مثل الذهب والعاج والابنوس وجلود الفهود وريش النعام وغيرها من سلع الترف من المناطق الداخلية التى كان يصعب عليهم دخولها بسبب ما كانت تعج به من الحيوانات المفترسة والقبائل البدائية والأمراض الوبائية ، وذلك بالطبع إلى جانب البخور أهم السلع الافريقية الذى كان يتوفر أيضا قرب الساحل كما ذكرنا . وقد أوضحت لنا الرسوم المصرية القديمة بعض هذه السلع ، وصورت سكان إحدى هذه المستوطنات وهم يقدمونها للمقايضة مع السلع التى جاء بها المصريون التى ظهرت بينها الأسلحة والأوانى وأدوات الزينة(٥٥) . ويبدو أنه بمرور الزمن كانت العلاقة التجارية بين المهاجرين الساميين (اسلاف العرب القدماء كما ذكرنا) وبين السكان الافريقيين المحليين تؤدى إلى التقارب بين الطرفين ، وكان الوافدون الساميون يعززون هذه العلاقة بزواجهم من النساء الافريقيات ، كما يدل على ذلك المثال الذى ذكرناه من الرسوم المصرية القديمة .

وقد استمرت هذه الظاهرة فى العصور اللاحقة ولدينا مثال على ذلك من كتابات الكتاب الكلاسيكيين فقد جاء فى كتاب البربلوس أن أهل مدينة « موزا » (ميناء مخا الحالى تقريبا باليمن) كانوا يحكمون أحد الموانى على ساحل إفريقيا الشرقى الذى أسماه « رهابتا » ، وذلك من قبل أمير « مفاريتس » Mapharitis (دولة أو إمارة يمنية قديمة ربما كانت فى منطقة « المعافر » الحالية فى جنوب غرب اليمن) وكانوا يبعثون إلى الميناء ربابنة ووكلاء عرب يعرفون المكان ويتزوجون من نسائه ويفهمون لغة السكان(٥٦) .

ويبدو من الرسوم المصرية القديمة التى ذكرناها فيما سبق ، أن المستوطنين الساميين كانوا يحرصون على السيطرة على مناطق إنتاج البخور على الساحل الصومالى حتى لايكون موضع منافسة للبخور الذى تنتجه الجزيرة العربية ، وهناك دليل على ذلك وإن كان من العصور التالية ، وبالتحديد من القرن الأول الميلادى فقد ورد فى كتاب البربلوس مايفهم منه أن بخور الصومال (الذى كان العرب القدماء يسمونه « بخور الشاطىء البعيد » كما سبق أن ذكرنا) كان يشحن مع السلع الافريقية الأخرى فى السفن إلى جنوب الجزيرة العربية(٥٧) ومن الواضح أن الغرض من ذلك هو إعادة تصدير هذه السلع من موانى اليمن وبذلك تحكم قبضة العرب على السلع الافريقية وخاصة البخور فلايكون وسيلة لمنافسة البخور العربى .

ومن الطريف أن حرص الساميين ثم العرب القدماء من بعدهم على تجارة البخور ، لم يقتصر على محاولتهم إحكام قبضتهم على مناطق إنتاجه على الساحل الافريقى ، بل امتد ، فيما يبدو ، إلى نشر الروايات المخيفة عن مناطق إنتاجه ، لصرف المغامرين الأجانب عن محاولة ارتياد هذه المناطق ، وإن تشابه هذه الروايات يدل على أنها من مصدر مشترك ، فكلها تدور حول وجود ثعابين وحيات أسطورية فى مناطق إنتاج البخور ، وأقدم هذه الروايات وردت فى قصة مصرية قديمة ترجع إلى حوالى القرن العشرين قبل الميلاد ، تعرف بأسم « قصة الملاح الغريق » وهى تشبه قصة السندباد البحرى العربية

إلى حد كبير ، وقد ورد فى هذه القصة أن هذا الملاح لجأ (بعد أن دمرت العواصف سفينته) إلى جزيرة كان يسكنها ملك بلاد البخور (المسماة بلاد بونت عند المصريين القدماء) ، وأن هذا الملك كان على هيئة ثعبان ضخم طوله ثلاثون ذراعا(٥٨) ، ثم رواية أخرى رددها استرابون فى القرن الأول قبل الميلاد ، بأنه توجد على ساحل الصومال الشمالى حيات يبلغ طول الواحدة ثلاثين ذراعا ... والذى يجعلنا نرجح أن هاتين الروايتين من أصل سامى أو عربى قديم ، وجود رواية مشابهة لهما فى مناطق إنتاج البخور فى جنوب الجزيرة العربية نفسها ، وقد رددها المؤرخ اليونانى هيرودوت (حوالى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد) إذ قال أن أشجار البخور فى بلاد العرب تحرسها حيات مجنحة(٦٠) .

ومن الأحداث البارزة فى تاريخ الهجرات السامية والعربية القديمة إلى السواحل الافريقية ، هجرة السبئيين حوالى القرن السابع أو السادس قبل الميلاد واستقرارهم فى مستوطنات تجارية على ساحل اريتريا تحولت فيما بعد إلى دولة امتدت نحو الداخل وغلب عليها الطابع الافريقى واتخذت من مدينة اكسوم ، فى شرق الحبشة عاصمة لها . والناحية التى تهمنا فى تاريخ دولة اكسوم هذه ، إنها أخذت تدخل فى مضمار المنافسة على تجارة البحر الأحمر وخاصة تجارة البخور ، فنشأ بذلك طريق برى لهذه التجارة يمتد من الصومال إلى اكسوم ثم إلى الميناء المسمى قديما « أدوليس Adolis » (ومكانه مرفأ « زولا » الصغير الواقع جنوب ميناء مصوع الحالى بعدة كيلو مترات) حيث تنقله السفن إلى الشمال نحو الموانى المصرية ويبدو أنه لأهمية ميناء أدوليس هذا وصلته بتجارة بخور الصومال فقد عين له ملوك اكسوم حاكما خاصا كانت سلطته تمتد حتى ساحل الصومال الشمالى(٦١) ، وقد حفظ لنا كتاب البربلوس اسم أحد هؤلاء الحكام الذى دعاه « زوسكالس Zoskales »(٦٢) .

وحول الزمن الذى ازدهرت فيه دولة أكسوم ، ازدهرت أيضا دولة « كوش » السودانية فى « مروة » (بالقرب من شندى شمال الخرطوم) فازدهرت التجارة بين الدولتين ونشط الطريق التجارى الذى يمتد من اكسوم إلى كسلا إلى مروة ومنها إلى الشمال نحو مصر ، وبذلك نشأ طريق برى نهرى لتجارة البخور يمتد من شمال الصومال عبر الحبشة والسودان ومصر إلى ساحل البحر المتوسط حيث ينتهى عند مدينة الاسكندرية التى كان يصلها أيضا بخور الجزيرة العربية . وكان البخور يتم تصنيعه فى هذه المدينة قبل تصديره منها ، وقد علمنا ذلك من رواية للكاتب الرومانى « بلينى » (القرن الأول الميلادى) وهى توضح لنا من ناحية أخرى إلى أى مدى كانت البخور مادة ثمينة غالية الثمن فى نظر القدماء ، ومؤدى رواية بلينى أن العمال الذين كانوا يقومون بتصنيع البخور فى الاسكندرية (ربما يقصد من كلمة « تصنيع » ضغط حبات الكندر فى أشكال يسهل تداولها ، فقد كان المصريون القدماء يضغطونها أحيانا ويحولونها إلى أشكال أهرامات ومسلات) كانوا يحاولون سرقة البخور باخفائها فى مآزرهم ، فكان صاحب المصنع يختم هذه المآزر ، ولكنهم كانوا يتحايلون على سرقتها باخفائها فى قماش يضعونه فوق رءوسهم ، فكان صاحب المصنع يفوت عليهم غرضهم باجبارهم على الخروج من المصنع وهم عراة(٦٣) .

ونختتم هذا المقال بمقارنة سريعة بين الطرق التجارية التى كانت تمتد على جانبى البحر الأحمر والتى كانت البخور تنقل عبرها إلى الشمال مع سائر السلع الأخرى التى سبق أن ذكرناها . فنلاحظ من هذه المقارنة أن هناك تشابهاً كبيراً بين اتجاهات وطبيعة هذه الطرق ، كما أن هناك اختلافاً كبيراً أيضاً فى مدى أهمية كل منها .

فعلى كل من الجانبين الأسيوى والافريقى للبحر الأحمر كان يمتد طريقان ، احدهما برى والآخر بحرى ، ولكن الطريق البرى الممتد على الجانب الأسيوى كان أقدم وأهم بكثير من الطريق البرى الممتد على الجانب الافريقى ، وعلى العكس من ذلك نجد أن الطريق البحرى الممتد بحذاء الساحل الافريقى ، أقدم وأهم بكثير من الطريق البحرى الممتد بحذاء الساحل الأسيوى ، والسبب فى ذلك يرجع إلى طبيعة السواحل كما يرجع إلى قدم الحضارة على كل من الجانبين الافريقى والأسيوى للبحر الأحمر .

فعلى الجانب الافريقى ظهرت الحضارة المصرية القديمة فى زمن أقدم بكثير من ظهور الحضارة العربية الجنوبية القديمة ، فاتجه نشاط المصريين القدماء منذ أقدم عصورهم إلى سواحل البحر الأحمر الواقعة إلى الجنوب من بلادهم بحثاً عن البخور كما سبق أن ذكرنا ، فازدهرت تجارة البخور (وسلع الترف) على هذا الساحل منذ عصر مبكر . وبعد انتهاء التاريخ المصرى القديم قامت دولة البطالمة اليونانية فى مصر ، فأسس هؤلاء الموانى على طول الساحل الافريقى (أو بالأحرى أعادوا استخدام هذه الموانى[٦٤] بعد أن توقف نشاط المصريين القدماء فيها نتيجة لتدهور الدولة المصرية القديمة وزوالها ، ثم أطلقوا عليها أسماء يونانية — انظر الخريطة شكل ١٢) للسيطرة على تجارته من ناحية ، ولاستخدامها كمراكز لصيد الفيلة التى كانوا يستخدمونها فى حروبهم ، من ناحية أخرى . فنشطت بذلك التجارة على الساحل الافريقى للبحر الأحمر ، وازداد هذا النشاط بقيام دولة اكسوم .

اما الطريق البرى على الجانب الافريقى فلم تكن له أهمية الطريق البحرى ، ربما بسبب ماكانت تعترضه من عقبات طبيعية فى داخل القارة الافريقية كالغابات والمستنقعات ، ومايكتنف القوافل المسافرة فيه من أخطار القبائل البدائية والأمراض الوبائية المتوطنة فى مناطقه الرطبة . ولذلك لم يزدهر هذا الطريق إلا فى عصر متأخر عندما قامت على جوانبه دولتان قويتان تؤمنان المرور فيه وهما دولة اكسوم ودولة كوش .

وبالنسبة للطرق التجارية على الجانب الأسيوى ، فقد كان الطريق البرى أقدم وأهم من الطريق البحرى ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى عاملين ، أولهما ، أن العرب بطبيعتهم كانوا بالدرجة الأولى تجار بر ، لاتجار بحر ، وثانيهما عدم صلاحية الشاطىء الأسيوى للبحر الأحمر لقيام الموانى عليه بالنسبة للساحل الافريقى ، ولذلك لانجد إلا ميناء واحداً أشتهر كميناء عربى قديم وهو ميناء « موزا » (مخا الحالى تقريباً) ، أما الموانى الأخرى فهى موانى يونانية أسسها اليونان وخاصة البطالمة للسيطرة على تجارة الجزيرة العربية ، وهذه الموانى هى « شارموثاس Charmouthas » و « امبلونى Ampelone »[٦٥] وحتى هذه الموانى القليلة وصفها الكتاب اليونان بانها كانت رديئة وتشكل خطورة على السفن التى تحاول الرسو فيها[٦٦] . ولانعرف بالضبط المواقع الحالية لهذه الموانى .

ونختتم هذا المقال بمقارنة سريعة بين الطرق التجارية التى كانت تمتد على جانبى البحر الأحمر والتى كانت البخور تنقل عبرها إلى الشمال مع سائر السلع الأخرى التى سبق أن ذكرناها . فنلاحظ من هذه المقارنة أن هناك تشابهاً كبيراً بين اتجاهات وطبيعة هذه الطرق ، كما أن هناك اختلافاً كبيراً أيضا فى مدى أهمية كل منها .

فعلى كل من الجانبين الآسيوى والافريقى للبحر الأحمر كان يمتد طريقان ، أحدهما برى والآخر بحرى ، ولكن الطريق البرى الممتد على الجانب الآسيوى كان أقدم وأهم بكثير من الطريق البرى الممتد على الجانب الافريقى ، وعلى العكس من ذلك نجد أن الطريق البحرى الممتد بحذاء الساحل الافريقى ، أقدم وأهم بكثير من الطريق البحرى الممتد بحذاء الساحل الأسيوى ، والسبب فى ذلك يرجع إلى طبيعة السواحل كما يرجع إلى قدم الحضارة على كل من الجانبين الافريقى والأسيوى للبحر الأحمر .

فعلى الجانب الافريقى ظهرت الحضارة المصرية القديمة فى زمن أقدم بكثير من ظهور الحضارة العربية الجنوبية القديمة ، فاتجه نشاط المصريين القدماء منذ أقدم عصورهم إلى سواحل البحر الأحمر الواقعة إلى الجنوب من بلادهم بحثاً عن البخور كما سبق أن ذكرنا ، فازدهرت تجارة البخور (وسلع الترف) على هذا الساحل منذ عصر مبكر . وبعد انتهاء التاريخ المصرى القديم قامت دولة البطالمة اليونانية فى مصر ، فأسس هؤلاء الموانى على طول الساحل الافريقى (أو بالأحرى أعادوا استخدام هذه الموانى(٦٤) بعد أن توقف نشاط المصريين القدماء فيها نتيجة لتدهور الدولة المصرية القديمة وزوالها ، ثم أطلقوا عليها أسماء يونانية — انظر الخريطة شكل ١٢) للسيطرة على تجارته من ناحية ، ولاستخدامها كمراكز لصيد الفيلة التى كانوا يستخدمونها فى حروبهم ، من ناحية أخرى . فنشطت بذلك التجارة على الساحل الافريقى للبحر الأحمر ، وازداد هذا النشاط بقيام دولة اكسوم .

أما الطريق البرى على الجانب الافريقى فلم تكن له أهمية الطريق البحرى ، ربما بسبب ماكانت تعترضه من عقبات طبيعية فى داخل القارة الافريقية كالغابات والمستنقعات ، ومايكتنف القوافل المسافرة فيه من أخطار القبائل البدائية والأمراض الوبائية المتوطنة فى مناطقه الرطبة . ولذلك لم يزدهر هذا الطريق إلا فى عصر متأخر عندما قامت على جوانبه دولتان قويتان تؤمنان المرور فيه وهما دولة اكسوم ودولة كوش .

وبالنسبة للطرق التجارية على الجانب الآسيوى ، فقد كان الطريق البرى أقدم وأهم من الطريق البحرى ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى عاملين ، أولهما ، أن العرب بطبيعتهم كانوا بالدرجة الأولى تجار بر ، لاتجار بحر ، وثانيهما عدم صلاحية الشاطىء الآسيوى للبحر الأحمر لقيام الموانى عليه بالنسبة للساحل الافريقى ، ولذلك لانجد إلا ميناء واحداً أشتهر كميناء عربى قديم وهو ميناء « موزا » (مخا الحالى تقريباً) ، أما الموانى الأخرى فهى موانى يونانية أسسها اليونان وخاصة البطالمة للسيطرة على تجارة الجزيرة العربية ، وهذه الموانى هى « شارموثاس Charmouthas » و « امبلونى Ampelone »(٦٥) وحتى هذه الموانى القليلة وصفها الكتاب اليونان بانها كانت رديئة وتشكل خطورة على السفن التى تحاول الرسو فيها(٦٦) . ولانعرف بالضبط المواقع الحالية لهذه الموانى .

وهناك ميناء ثالث له اسم يونانى ايضا وهو « لويكى كومى » ومكانه الحالى ميناء الوجه فى العق...
ويرى البعض انه كان ميناء نبطيا اسسه الأنباط بعد تخريبهم لميناء امبلونى (ربما اثناء صراعهم مع البطالمة) وفى مكانه ، ولكنهم لم يقدموا دليلا قويا على ذلك(٦٧) ، وعلى العكس فان اسمه اليونانى يوحى بانه من تأسيس اليونان او الرومان ، بدليل ان الضابط الذى كان مكلفا بجباية الضرائب على السلع المارة به كان يحمل لقبا يونانيا ، كما انه كان يخضع للرومان فى القرن الأول الميلادى على الأقل(٦٨) .

وعلى العكس من ذلك ، نجد ان الطريق البرى الممتد على الجانب الأسيوى اقدم واهم بكثير من الطريق البحرى ، بل ربما كان اهم الطرق التجارية على جانبى البحر الأحمر سواء منها البرية أم البحرية ، لدرجة أن الباحثين يطلقون عليه « الطريق التجارى العظيم » ، وكان هذا الطريق يبدأ من موانى جنوب الجزيرة العربية مثل « قنا » وعدن ويمر بعواصم الدول العربية الجنوبية القديمة مثل شبوة وتمنع ومارب ومعين ، ومن هذه الأخيرة يتجه شمالا إلى نجران ثم يسير فى اتجاه شبه مستقيم نحو الشمال مارا بالواحات التى كان اشهرها واحة العلا حيث قامت المستوطنة المعينية كما قامت الدولة اللحيانية ، ومن العلا يسير إلى البتراء عاصمة دولة الأنباط (عندما ظهرت هذه الدولة فى التاريخ منذ القرن الرابع قبل الميلاد) ، وقد بلغ من كثافة وضخامة القوافل المارة بهذا الطريق أن شبهها الكاتب الرومانى استرابون « بجيش عظيم يتحرك » وذلك عند وصفه للجزء الشمالى من هذا الطريق الذى يتجه نحو البتراء(٦٩) . ومن البتراء كان المسار الرئيسى للطريق يمر بشمال سيناء وينتهى عند ميناء غزة على ساحل البحر المتوسط .

ولما كانت البخور أهم سلعة تنقل عبر هذا الطريق يليها الذهب فقد أطلق عليه الباحثون احيانا « طريق البخور – الذهب » وهكذا كان للبخور دور كبير فى رواج التجارة عبر الجزيرة العربية ، بل كانت عصب تجارة البحر الأحمر ، ولذلك كافح العرب القدماء واستماتوا فى الحرص عليها والاحتفاظ بها فى قبضتهم سواء بالأساليب المباشرة كالسيطرة على مناطق إنتاجها الأخرى التى قد تشكل عنصر المنافسة لها مثل منطقة شمال الصومال ، وبالتصدى للطامعين فيها من يونان ورومان ، أو بالأساليب غير المباشرة كترويج الأساطير المرعبة لصرف أنظار المغامرين عنها ، ولاشك أن هؤلاء العرب القدماء لم يكونوا يتصورون أن دولة البخور يمكن أن تدول ويأتى عليها يوم تنزوى فيه وتضمحل وتكاد تصبح فى ذمة التاريخ .

المصادر والمراجع

أولا : قائمة أبجدية باختصارات المصادر والمراجع والاسماء الكاملة لها

أ — المراجع العربية

- سيد ، الجمهورية الصومالية :
= عبد المنعم عبد الحليم سيد ، الجمهورية الصومالية ، دراسة لبيئتها الطبيعية وامكانياتها الاقتصادية ونظم الصوماليين الاجتماعية وعاداتهم وعلاقتهم بمصر فى مختلف العصور ، القاهرة ، العدد ٢٩١ من سلسلة الالف كتاب ١٩٦٠ .

- سيد ، موقع بونت :
= عبد المنعم عبد الحليم سيد ، محاولة لتحديد موقع بونت ، العدد رقم ٥ من مطبوعات جمعية الآثار بالاسكندرية (دراسات تاريخية واثرية) ، الاسكندرية ١٩٧٤ .

- سيد ، ميناء الأسرة الثانية عشرة :
= عبد المنعم عبد الحليم سيد ، الكشف عن موقع ميناء الأسرة الثانية عشرة الفرعونية فى منطقة وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر (تقرير عن حفائر بعثة قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية فى صحراء مصر الشرقية خلال موسمى عامى ١٩٧٦ ، ١٩٧٧) مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٧٨ .

- عيسى ، اسماء النبات :
= أحمد عيسى ، معجم اسماء النبات ، القاهرة ١٩٦٠ .

- لوكاس ، المواد والصناعات :
= لوكاس ، الفريد ، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة زكى اسكندر ومحمد زكريا غنيم ، القاهرة

ب ـ المراجع الافرنجية

. B.A.R.
. Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, 5 Vols., Chicago, 1906 Repr. 1970

. Burton, Footsteps :
. Burton, R., First Footsteps in East Africa, 2 Vols., London 1894

. Chittick, Azania :
. Chittick, Neville, "An Archaeological Reconnaissance in the Horn, The British-Somali Expedition, 1975", AZANIA Vol. XI - 1976, p. 117 f.

. Conti Rossini, Chrestomathia :
. Conti Rossini, Karolus, Chrestomathia Arabica Meridionalis Epigraphica, Roma, 1931

. Dixon, The Transplantation :
. Dixon, D.M., "The Transplantation of Punt Incense Trees in Egypt" J.E.A. Vol. 55, 1969, p. 55 f.

. Doe, Arabia :
. Doe, Brian, Southern Arabia, London, 1971

. Golenischeff, Naufragé ;
. Golenischeff, M.W., Le Conte de Naufragé, Paris, 1912

. Hepper, Frankincense :
. Hepper, F. Nigel, "Arabian and African Frankincense Trees" J.E.A., Vol. 55, 1969, p. 66 f.

. Herodotus, Hist.
. Cary, H., Herodotus History, Bohn's Classical Library, London, 1912

. Huntingford, Periplus :
. Huntingford, G.W.B., The Periplus of the Erythraean Sea, London, 1980

. J.E.A. :
. JOURNAL OF EGYPTIAN ARCHAEOLOGY, London.

. Lewis, The Horn:
. Lewis, I.M., Peoples of the Horn of Africa, London, 1955

. Müller, Use of Frankincense :
. Müller, Walter W., "Notes on the Use of Frankincense in South Arabia" Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, Vol. 6-1976, p. 124 f.

. Müller, Frankincense :
. Muller, Walter W., "Arabian Frankincense in Antiquity according to Classical Sources" First International Symposium on Studies in the History of Arabia, University of Riad, 1977 (Still unpublished).

. Naville, Deir El Bahari :
. Naville, E., The Temple of Deir El Bahari, Part III, London, 1898

. Oliver, East Africa :
. Oliver, Roland, History of East Africa, The Early Period, Oxford, 1967

. Petrie, Tanis :
. Petrie, W.M.F., Tanis II (Nebeshah and Defnah), London, 1888

. Phillips, Oman :
. Phillips, W., Unknown Oman, 1966

. Pirenne, Corpus :

- Pirenne, Jaqueline, "Pyree cubique a quatre pieds"
= Pirenne, Jaqueline, "Deux pyrees cubiques a pieds du Musée de l'Université de Pennsylvanie" Corpus des Inscriptions et Antiquités Sud-Arabes, Tome I Section 2, Louvain, 1977, pp. 1. 275-1. 278 and pp. 1. 291-1. 292 respectively.
- Pliny, Nat. Hist. :
= Bostack, J. and Riley, H.T., The Natural History of Pliny, London, 1875
- Red Sea Pilot :
= British Admiralty, Red Sea and Gulf of Aden Pilot, 9th. ed. London, 1944
- Ryckmans, G, les noms propres
= Ryckmans, G,les Noms Propres Sud Sémitques, Tomes I-III, Louvain, 1934 - 1935
- Sayed, Discovery :
= Sayed, Abdel Monem A.H., "Discovery of the Site of the 12th. Dynasty Port at Wadi Gawasis on the Red Sea Shore" REVUE D'EGYPTOLOGIE, Tome 29, 1977, p. 139 f.
- Sayed, The Recently :
= Sayed, Abdel Monem A.H., "The Recently Discovered Port on the Red Sea Shore" J.E.A., Vol. 64, 1978 P. 69F.
- Sayed, Observations :
= Sayed, Abdel Monem A.H., "Observations on the Gawasis Discoveries", J.E.A., Vol. 66, 1980, p. 154 f.
- Schoff, Periplus :
= Schoff, Wilfred H., The Periplus of the Erythraean Sea, New York, 1912
- Strabo, Geography :
= Hamilton, H.C. and Falconer, W., The Geography of Strabo, Bohn,s Classical Library, London, 1889
- Tarn, Ptolomy :
= Tarn, W.W., "Ptolomy II and Arabia", J.E.A., Vol. 15, 1929, p. 9 f.
- Van Beek, Frankincense :
= Van Beek, Gus W., "Ancient Frankincense-Producing Areas", in, Bowen, R. Le Baron and
= Albright, F.P., Archaeological Discoveries in South Arabia, Baltimore, 1958, p. 139 f.
- Wissman and Hötner, Beitrage
= Wissman, Hermann Von and Höfner, Maria, Beiträge Znr historischen Geographie des Vorislam-
Sudarabien, Mainz, 1953
ischen

ثانيا : تذييلات المصادر والمراجع

(١) Pliny, Natural History, Book XII, 54 .

(٢) عيسى ، اسماء النبات ، ص ٣٢ .

(٣) هذا التصنيف طبقا لأحدث الآراء في هذا الموضوع وهو رأى الباحث النباتي « هبر » في مقاله Hepper, Frankincense, P. 66, pp. 69-70 وكان الباحثون قبله يقولون بأن النوع السائد في ظفار هو B. Carteri مثل « فيليبس » في كتابه Phillips, Oman, P. 183 وشف في كتابه Schoff, Periplus, p. 218 ولكن هبر اثبت خطأ ذلك Ibid., 67

(٤) لوكاس ، المواد والصناعات ص ١٥١

(٥) Phillips, Oman, P. 183 ويختلف « هبر » ايضا مع « فيليبس » في هذا الصدد إذ يقول أن الشق يجرى مرتين احداهما في شهر مايو والأخرى في شهر ديسمبر (Hepper, Ibid., p. 71) .

(٦) Pirenne, Corpus, pp. 1.271, 1.291 ff. .

(٧) Müller, Use of Frankincense, p. 130 .

(٨) عيسى ، اسماء النبات ص ٣٢ .

(٩) Phillips, Oman, pp. 182-183 .

(١٠) Doe, Arabia, p. 20 .

(١١) Huntingford, Periplus, Chapter 29 .

(١٢) Lewis, The Horn, p. 73 .

(١٣) سيد ، الجمهورية الصومالية ص ١٢٥ .

(١٤) Müller, Use of Frankincense, p. 132 .

(١٥) Hepper, Frankincense, p. 69 .

(١٥/١) اختلف الباحثون حول الزمن الذى الف فيه هذا الكتاب نظرا لعدم معرفة شخصية مؤلفه ، وتطرف بعضهم إلى حد ارجاعه للقرن الثالث الميلادى مثل « بيرن » في كتابها :

Pirenne, J., Le Royaume Sud-Arabe de Qataban et sa datation, Bibliotheque du Museon, 47, Louvain, 1961, pp. 161-181.

وذهب أخرون إلى انه يرجع لأواخر القرن الثانى الميلادى اعتمادا على نسبة الكتاب لمؤلف يدعى « اريان » Arrian عاش في ذلك الوقت ، والف كتبا من نوع هذا الكتاب (عن مناطق اخرى) ، واخيرا قام هنتنجفورد بدراسة لغوية لأسلوب الكتاب استبعد على اساسها نسبة الكتاب لاريان هذا ، وخلص من هذه الدراسة بارجاع تأليف الكتاب الى الفترة بين عامى ٩٥ ، ١٣٠ بعد الميلاد ، اى أن المؤلف يمكن أن يكون قد عاش إبان القرن الأول الميلادى وأن الكتاب يصف أحوال البحر الأحمر خلال هذا القرن . يراجع : Huntingford, Periplus, pp. 6-12. .

(١٥/٢) Schoff, Periplus, Chapter 7 and p. 75 .

(١٦) Ibid. Chap. 29 and p. 126 .

(١٧) Phillips, Oman, p. 196 .

(١٨) لمس كاتب المقال هذه الظاهرة إبان الفترة التى أمضاها في الصومال في أواخر الخمسينيات ، سيد ، الجمهورية الصومالية ص ١٢٥ ، ولكنه لا يستطيع أن يجزم إذا كانت مازالت مستمرة حتى الآن أم لا .

(١٩) Huntingford, Periplus, chap. 29 and map. No. 8.
(٢٠) Pirenne, Corpus, p. 1.275 and Fig. p. 1.277.
(٢١) Müller, Arabian Frankincense, p. 2.
(٢٢) Conti Rossini, Chrestomathia, p. 112.
(٢٣) Van Beek, Frankincense, pp. 140-141.
(٢٤) Huntingford, Periplus, Chap. 27.
(٢٥) Van Beek, Frankincense, p. 141.
(٢٦) Phillips, Oman, p. 187.
(٢٧) Huntingford, Periplus, Chap. 27.
(٢٨) Phillips, Oman, p. 196-197.
(٢٩) Ibid.
(٣٠) Ibid. p. 201.
(٣١) Niliptolemaion. See, Huntingford, Periplus, p. 92.
(٣٢) Huntingford, Periplus, p. 93.
(٣٣) Ibid. p. 92.
(٣٤) Ibid. Chap. 10-12, cf. Schoff, Periplus, Chap. 10-12.
(٣٥) Schoff, Periplus, pp. 81-86 ; Huntingford, Periplus, pp. 92-93 ; Chittick, Azania, pp. 118-133.
(٣٦) Red Sea Pilot, p. 462.
(٣٧) Ibid. p. 463
(٣٨) Ibid. p. 461.
(٣٩) سيد ، الجمهورية الصومالية ص ٢٤٧ .
(٤٠) سيد ، موقع بونت ص ٧٤ وشكل ٥ .
(٤١) سيد ، الجمهورية الصومالية ص ٢٧٥ هامش رقم ٥
(٤٢) Schoff, Periplus, p. 85; cf. Chittick, Azania, p. 125.
(٤٣) كان الرأى القديم بشأن موقع سوق العطور هذا أنه فى مكان مرفأ « الك » الحالى الواقع على بعد خمسة كيلومترات تقريبا غربى راس جردفوى ، ولكن الحفائر الأثرية التى قام بها « تشيتيك » فى هذا المكان فى عام ١٩٧٥ اثبتت انه «داموـ وليس » الك » . يراجع Chittick, Azania, p. 124 .
(٤٤) Burton, Footsteps, I, p. 77.
(٤٥) B.A.R. I, Chap. 161.
(٤٦) سيد ، ميناء الأسرة الثانية عشرة ص ٥٦ ـ ٦٦ وايضا :

Syyed, Discoveries, p. 146 f.
Sayed, The Recently, p. 69 f.
Sayed, Observations, p. 154 f.

(٤٧) نفس المصدر ، ص ٣٥ .
(٤٨) Naville, Deir El Bahari, III, pl. 84 and B.A.R. II Chap. 287.
(٤٩) The Transplantation p. 61.

(٥٠) سيد ، موقع بونت ، ص ٥ — ٣٤ .

(٥١) Naville, Deir El Bahari, III, pl. 70 .

(٥٢) Petrie, Tanis II p. 107 .

(٥٣) Naville, Deir El Bahari, III, pl. 71 .

(٥٤) Oliver, East Africa, p. 65 .

(٥٥) Naville, Deir El Bahari, III, pl. 69 .

(٥٦) Huntingford, Periplus, p. 124 .

(٥٧) Huntingford, Periplus, p. 124 .

(٥٨) Golenischeff, Naufragé, p. 231 .

(٥٩) Strabo, Geography, XVI, 4-24 .

(٦٠) Herodotusl Hist., III Chap. 107 .

(٦١) Huntingford, Periplus, pp. 148-149 .

(٦٢) Ibid., Chap. 5 .

(٦٣) **Pliny, Natural History, XII ; cf. Huntingford, Periplus, þ. 127 .**

(٦٤) كثير من هذه الموانىء لها أسماء مصرية قديمة وردت فى النصوص الهيروغليفية على الآثار المصرية التى ترجع للعصر الفرعونى نفسه ، وقد نشرنا بعضها فى مقال سابق (تراجع ص ١٩٥ من المجلد الأول من مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، ١٤٠١هـ — ١٩٨١م) ، وفى ذلك المقال اتخذنا من ورود أسماء مصرية قديمة على الآثار المصرية لبعض موانى الساحل الافريقى للبحر الأحمر وخليج عدن ، وعدم ورود اية أسماء لموانىء الساحل الآسيوى لهما ، (فيما عدا سيناء) دليلا على عدم وجود اتصال مباشر بين المصريين القدماء وبين الجزيرة العربية ، أى عدم إبحار المصريين القدماء إلى موانيها ، واقتصارهم فى ذلك على الساحل الافريقى (وانظر أيضا الخرائط شكل ١٠ وشكل ١٢) .

(٦٥) **Tarn, Ptolemy, pp. 14, 17 .**

(٦٦) **Ibid., p. 15 .**

(٦٧) **Ibid. p. 23 .**

(٦٨) **Huntingford, Periplus, Chap. 19 .**

(٦٩) **Strabo, Geography, XVI, 4-23 .**



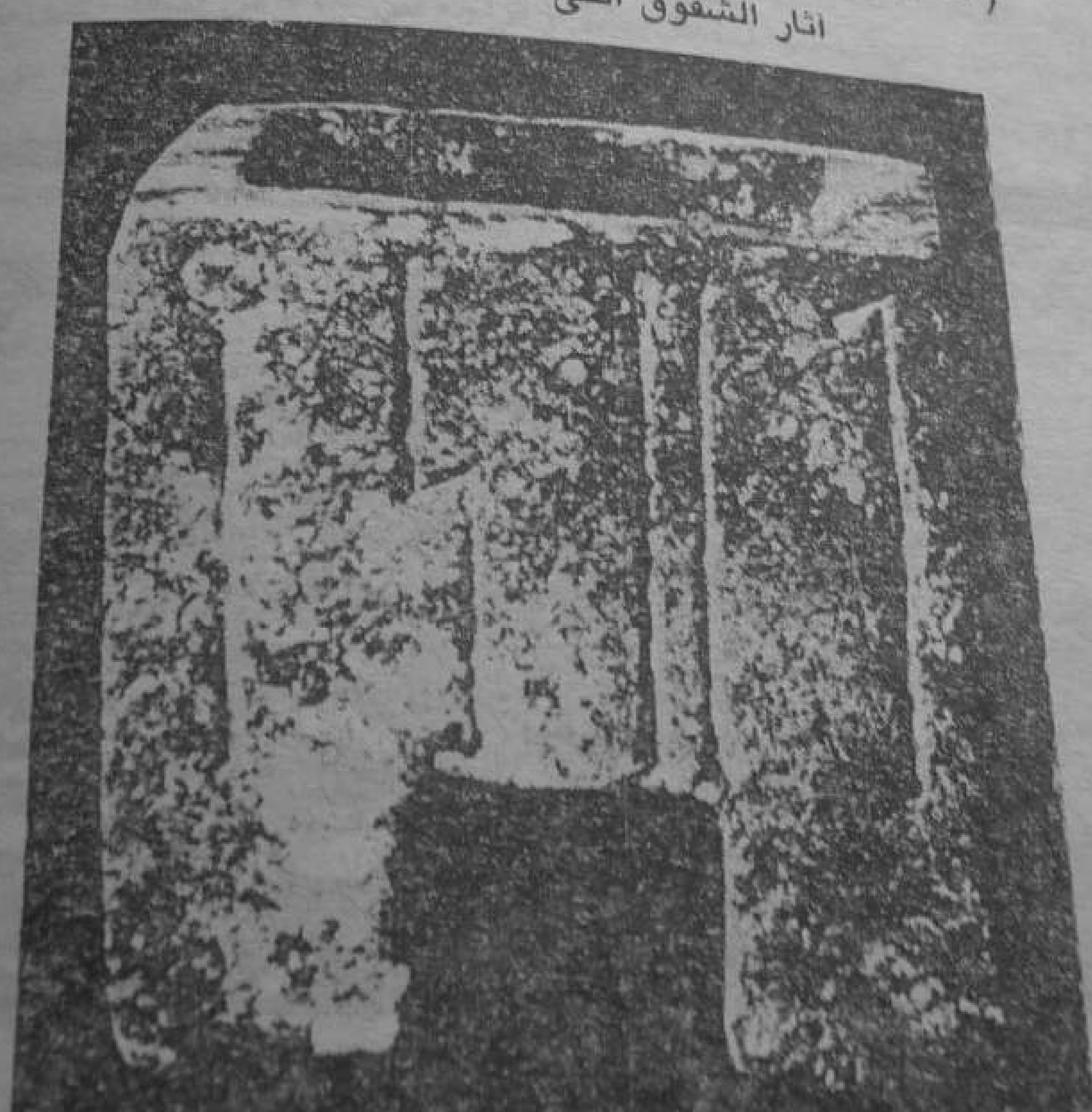
(شكل ١) شجرة كندر (لبان – بخور) من نوع Boswellia Sacra ويطلق فى ظفار على الكندر الذى يستخرج منها اسم « نجدى »



(شكل ٢) شجرة كندر من نوع B. Sacra ايضا ويطلق فى ظفار على الكندر الذى يستخرج منها اسم « شعبى »



(شكل ٣) غصن شجرة كندر من نوع *B. Sacra* ويلاحظ اثار الشقوق التى عملت لاستخراج العصارة



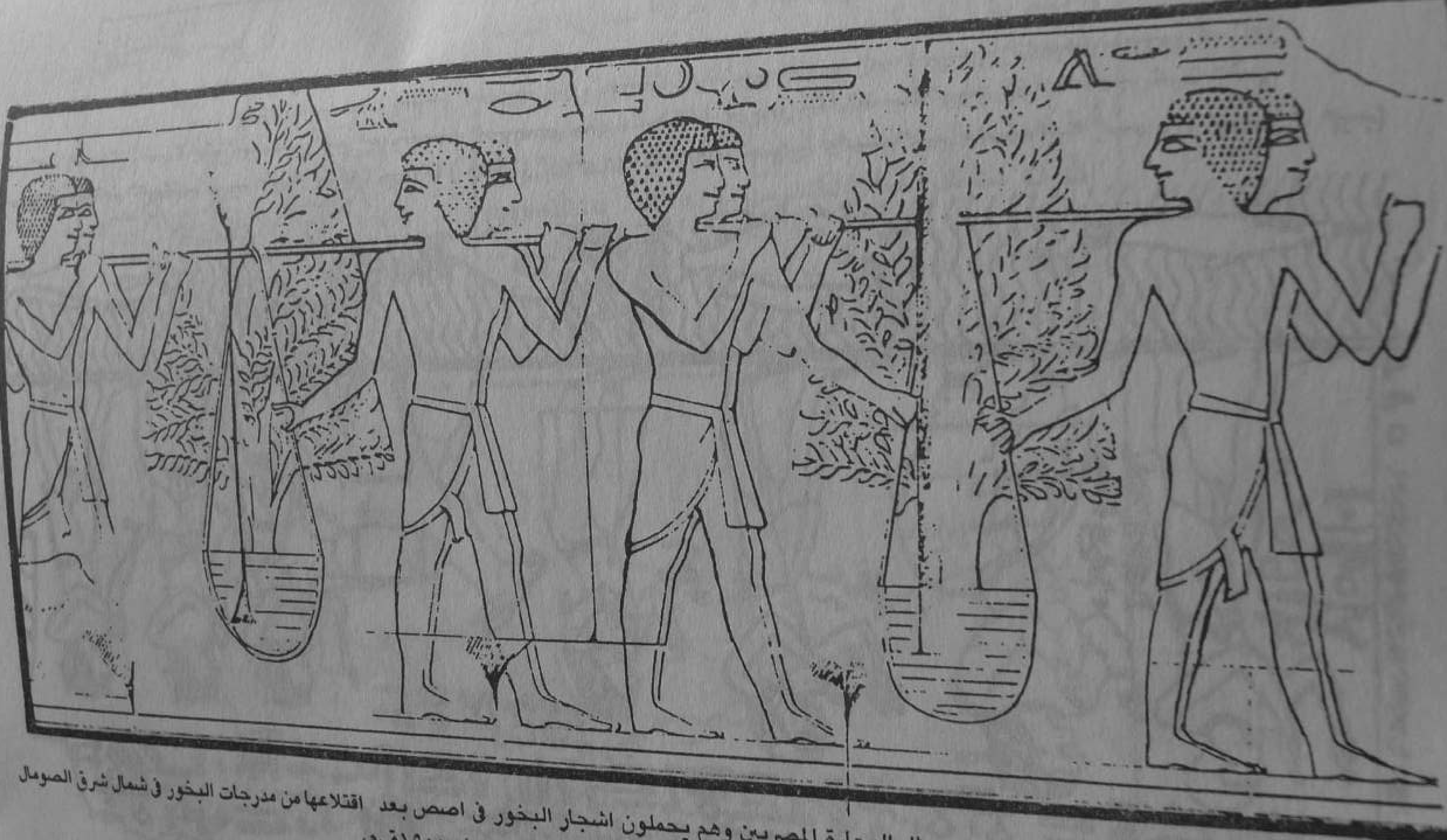
(شكل ٤) محرق بخور يمنى قديم حفرت على أحد جوانبه كلمة « لبنى » بالمسند وهى الاصل فى كلمة « لبان » العربية الحالية .



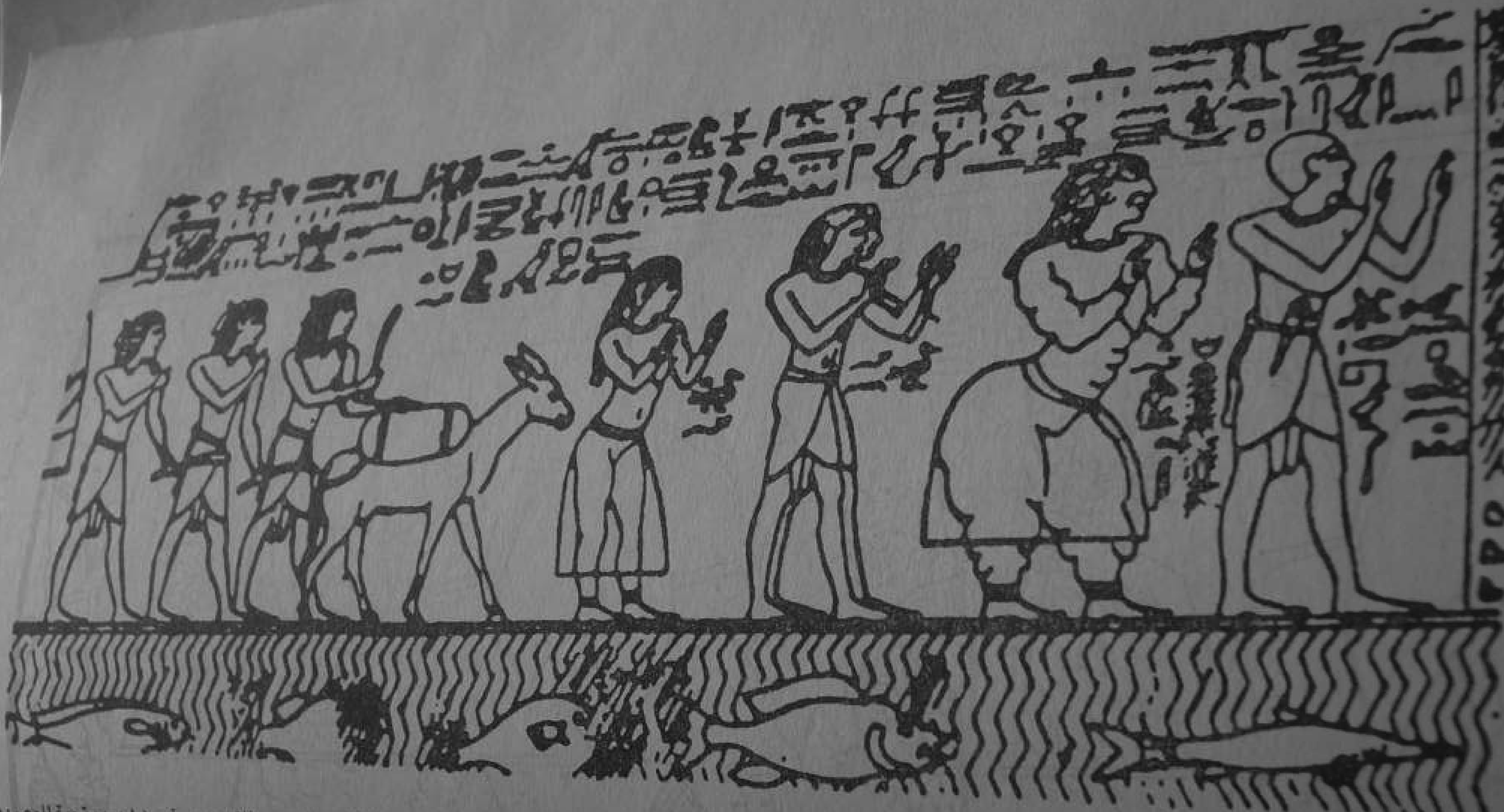
(شكل ٥) شجرة كندر (لبان - بخور) من نوع *B. Frereana* التى تكثر فى شمال الصومال ويلاحظ الانتفاخ اسفل جذع الشجرة



(شكل ٦) اشجار كندر من نوع Boswellia Carteri التى تنمو فى شمال الصومال ايضا ويلاحظ نمو الشجرتين على المنحدرات الصخرية والانتفاخ الذى ترتكزان عليه عند اتصال الجزع بالارض .



(شكل ٧) منظر ورد على معبد الدير البحرى يمثل البحارة المصريين وهم يحملون اشجار البخور في اصص بعد اقتلاعها من مدرجات البخور في شمال شرق الصومال (بلاد بونت) لنقلها في السفن المصرية إلى مصر لزراعتها . والمنظر يرجع الى حوالى عام ١٥٠٠ق.م.



(شكل ٨) منظر ورد ضمن رسوم معبد الدير البحرى بالاقصر يمثل امير بلاد البخور (بونت) وزوجته وابناءه واحدى بناته وهم يرفعون ايديهم تحية للمصريين الذين جاءوا للحصول على الكندر واشجاره ويلاحظ على الزوجة والابنه الخصائص الجسدية التى تميز النساء الافريقيات وخاصة الزنجيات منهن ، معا يدل على اختلاط المهاجرين الساميين من الجزيرة العربية (ويمثلهم الامير بملامحه السامية) بالسكان الافريقيين ..



خريطة لبيان مناطق نمو اشجار الكندر (اللبان - البخور) وانواعها الرئيسية ، والطرق التجارية البرية والبحرية التى كانت تمتد بين هذه المناطق وعلى جانبى البحر الاحمر فى العصور القديمة . ويلاحظ كثرة الموانى على الساحل الافريقى (التى كانت توجد فى اماكنها موانى قديمة) وقلتها على الساحل الاسيوى .

ΔΔ مناطق اشجار الكندر من نوع Boswellia Sacra

XX " " " " Frereana

□□ " " " " Carteri

---- مسار الطرق التجارية

الاسماء القديمة لاهم مراكز تجارة البخور (وسلع الترف) على امتداد الطرق التجارية البرية والبحرية
فى مناطق البحر الاحمر (تراجع اسماء المواقع فى منطقتى نتاج الكندر على الخريطتين التاليتين).

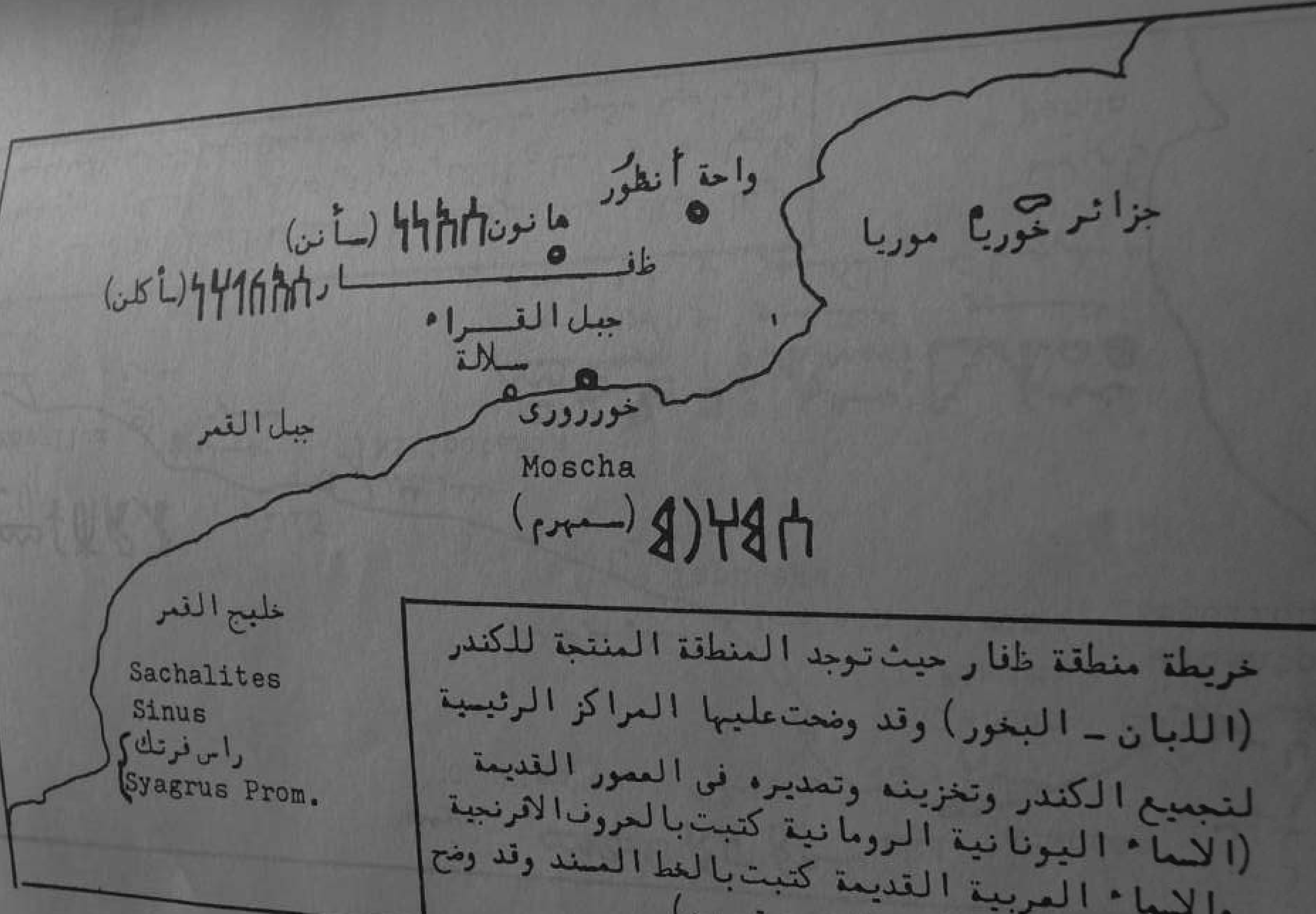
في الجانب الاسيوى

الاسم الحالى	الاسم اليونانى الرومانـى	الاسم في نقوش المسند	نطقه
بئرعلى	Cana,Kana	[illegible]	قنأ
عدن	Eudamon Arabia	[illegible]	عدن
شبوة	Sabata	[illegible]	شبوة
هجركحلان	Tamna	[illegible]	تمنع
مأرب	Mariaba	[illegible]	مرب
معين	Minaei	[illegible]	معن
نجران	Negrana	[illegible]	نجرن
الوجه	Leuke Kome?	—	—
العلا	?	[illegible]	ددن
البتراء	Petrae	—	—
مخا	Muza	[illegible]	مخون

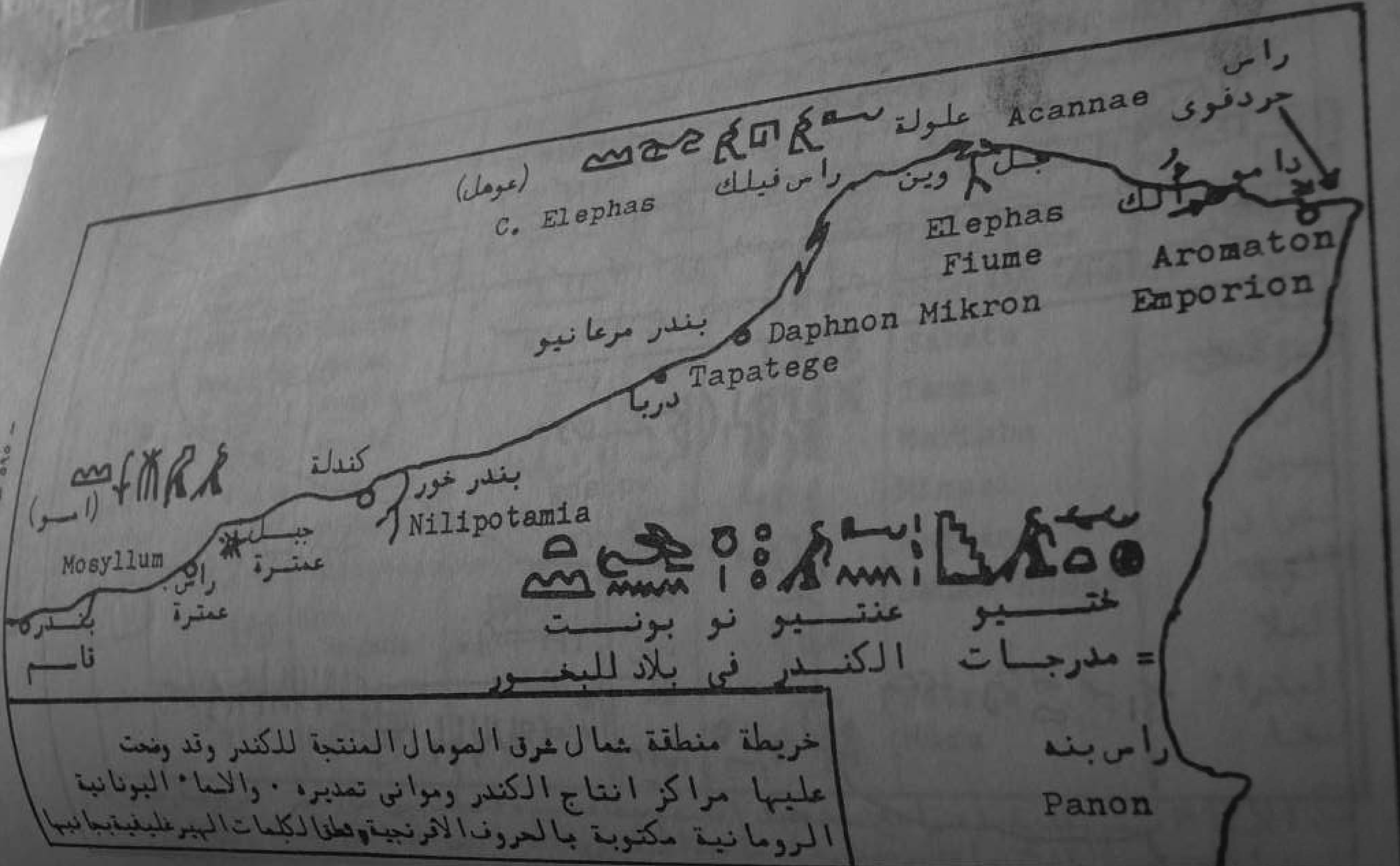
في الجانب الافريقي

الاسم الحالى	الاسم اليونان الرومانـى	الاسم في النصوص الهيروغليفية	نطقه
مجيد	Mundus	[illegible]	ممتو
بربرة	Malao	[illegible]	منسبه
زيلع	Avalites	[illegible]	وزلت
عدولى	Adulis	[illegible]	ودنت
راس بناس	Berenice	[illegible]	تبنخب
القصير	Leukos Limen	[illegible]	ثاعو
مرسى جواسيس	Philoteras	[illegible]	ساو
ابوشعر القبلى	Myos Hormos	[illegible]	مستى
عقيق	Ptolemaios Theron	[illegible]	خمتى
السويس	Arsinoe	?	

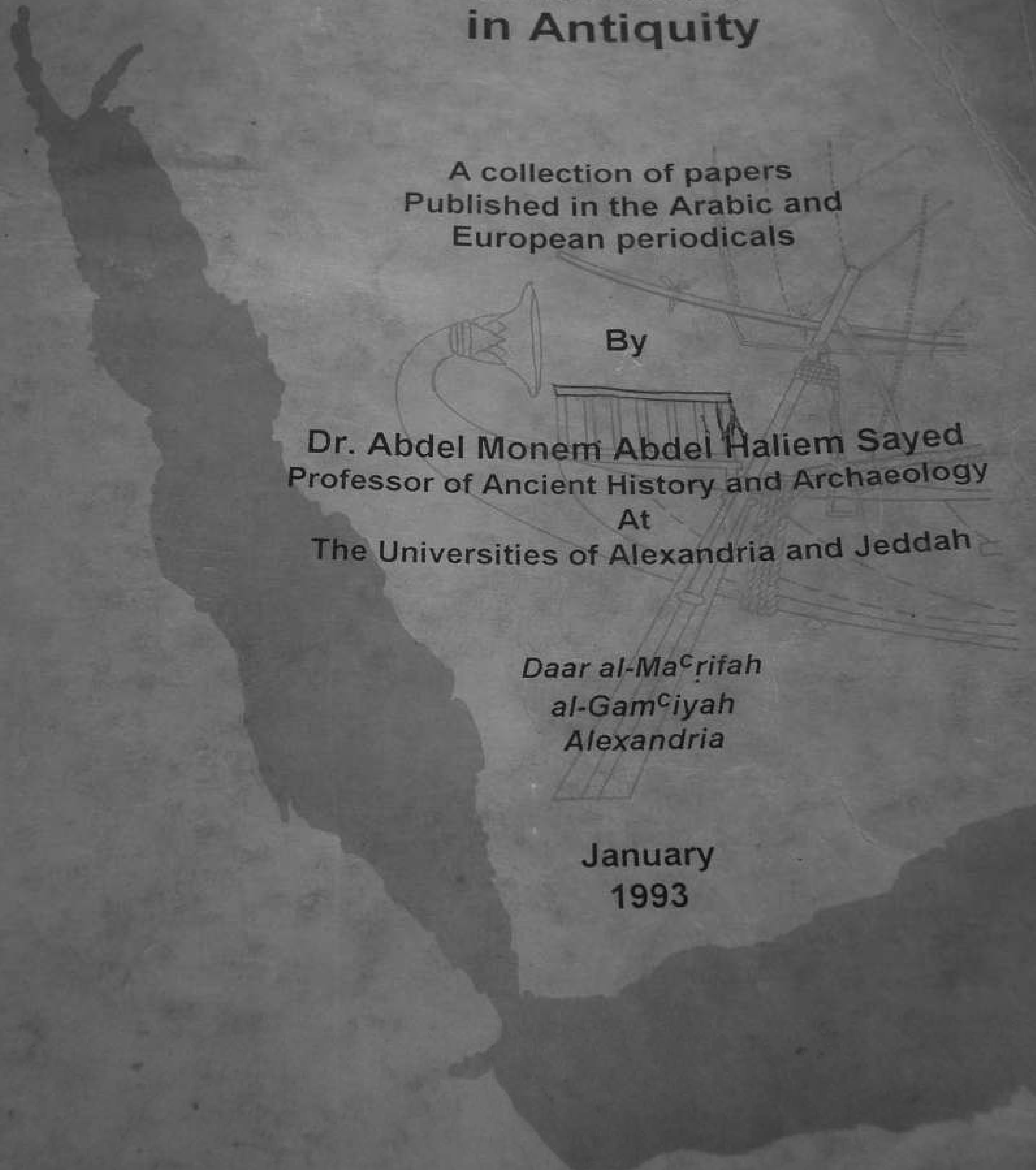
عن الاسماء الهيروغليفية، راجع: سيد عبد المنعم عبد الحليم، الصلات بين حضارة مصر الفرعونية وحضارات البحر الاحمر (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة الاسكندرية ١٩٧٣. وعن الاسماء فى المسند راجع:
1. Ryckmans, G.: Les noms propres, 1934 — 2. Wissman and Höfner, Beiträge, 1953.



خريطة منطقة ظفار حيث توجد المنطقة المنتجة للكندر (اللبان - البخور) وقد وضحت عليها المراكز الرئيسية لتجميع الكندر وتخزينه وتصديره فى العصور القديمة (الاسماء اليونانية الرومانية كتبت بالحروف الافرنجية والاسماء العربية القديمة كتبت بالخط المسند وقد وضح نطقها بالحروف العربية بين قوسين)



خريطة منطقة شمال شرق الصومال المنتجة للكندر وقد وضحت عليها مراكز انتاج الكندر وموانى تصديره ٠ والاسماء اليونانية الرومانية مكتوبة بالحروف الافرنجية ونطقا لكلمات الهيروغليفية بجانبها



THE RED SEA
and its Hinterland
in Antiquity

A collection of papers
Published in the Arabic and
European periodicals

By

Dr. Abdel Monem Abdel Haliem Sayed
Professor of Ancient History and Archaeology
At
The Universities of Alexandria and Jeddah

Daar al-Ma^{c}ṛifah
al-Gam^{c}iyah
Alexandria

January
1993